ديوان السليمانيات

(الجزءُ التاسع)

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

ذلُ الجمـــال قـــرينُ الضـــنكِ والـــوَدَبِ فـــاظفر بـــذاتِ التقـــى والعلـــم والأدبِ

أغـــراك فيهـــا جمـــالٌ ، خـــاب عاشـــقه! حتـــى ابتليـــت مـــن الجمـــال بـــالكُرَب

لحْـــظ العيـــون أراك العـــيش مؤتلقـــاً والـــرمشُ أرســـل إشـــعاعاً مـــن اللهـــب

والعـــينُ صـــادتك بالسِـــحر الجميـــل ضـــحىً حتـــى غرقـــتَ ببحـــر الـــدهش والعجـــب

الطبعة الأولى

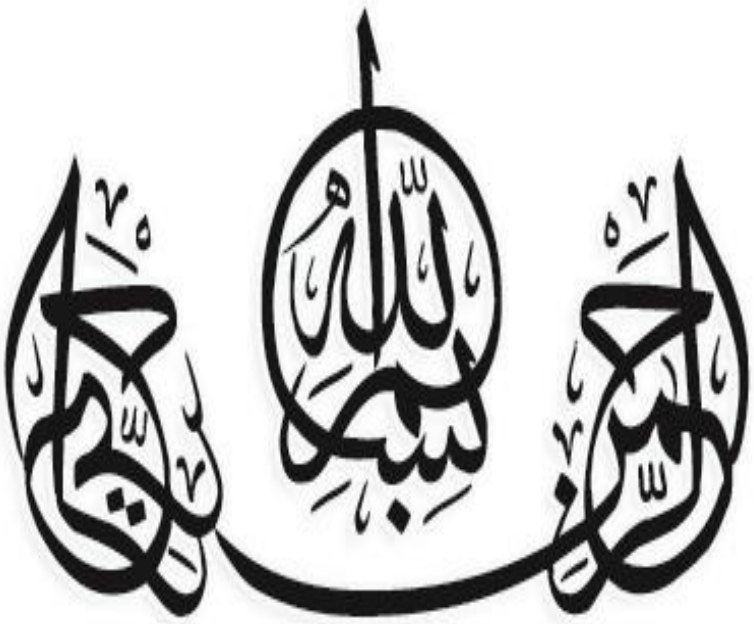
بسم الله الرحمن الرحيم

ديوان السليمانيات

(الجزء التاسع)

ذل الجَمَال

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

لماذا هذا الديوان؟

إن القصيدة التي استقى منها هذا الديوان اسمه هدية لصديق تزوج امرأة لجمالها فقط! ومن هنا ذاق الذل بأصنافه وعذاباته على يديها فجاءت الترجمة مطابقة لمأساة هذا الصديق! وكنتُ قد نصحت له ووعظت ، وأبدأت القول وأعدته ، ولكن صاحبي لم ينتصح! ونظرت حولي فوجدتُ النصيحة ثقيلة على الجميع: على من يَنصح وعلى من يُنصح! إذ يغيب عن كثير من الناس في زماننا هذا فقه النصيحة سواء إذا هم نصحوا للآخرين أو إذا نصحهمُ الآخرون! وأسفتُ لما حدث لصاحبي الذي تسرع في اتخاذ قرار زواجه من امرأة أذلته بجمالها! وكانت هناك محاولات للإصلاح ، ولكن جمالها وفرط إعجاب صاحبنا به كان أقوى من النصح والوعظ والإصلاح والإرشاد! فليتنا ننتبه لفقه النصيحة ونوليه شيئاً من الاهتمام! يقول الأستاذ محمد المنجد تحت عنوان فوائد النصيحة ما نصه: (النصيحة تنقذ أناساً من الكوارث ، وكذلك فإنها تدل الإنسان المسلم على أرشد أمره حتى في القضايا الدنيوية كالبيع والشراء والبناء ونحو ذلك ، ولذلك صارت الخيانة فيها عظيمة. إن النصيحة تنقذ المسلم ، كما قال العبد الصالح لموسى لما جاء من أقصى المدينة يسعى: (يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ). إن النصيحة تنقذ الإنسان من زواج فاشل ، كما إذا استنصحك في أمر امرأة سيقدم على الزواج منها وأنت تعلم أنها لا تصلح له ، فإنك تنقذه بنصيحته ، وكذلك ولي المرأة إذا استنصحك في حال شاب تقدم إليهم ، فقد تكون النصيحة منقذة من كارثة ستحل بهذه الفتاة لو تزوجها ذلك الفاجر المتخفي الذي يخادعهم! فالنصيحة تنقذ أناساً من الكوارث ، وكذلك فإنها تدل الإنسان المسلم على أرشد أمره حتى في القضايا الدنيوية كالبيع والشراء والبناء ونحو ذلك ، ولذلك صارت الخيانة فيها عظيمة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه). ونسأل: لماذا كادت النصيحة أن تختفي فيما بيننا؟ لماذا؟ والجواب: لأن كثيراً من الناس قد انعكس وانقلب فهمهم للنصيحة ، انعكس وانقلب وصار فهماً مغلوطاً عجيباً ، إنهم صاروا يفهمون النصيحة أنها تدخل في الحريات الشخصية ، النصيحة صارت عند الكثيرين تدخلاً مذموماً في الحريات الشخصية ، ولذلك صارت لا تبذل ؛ لأنها تفهم على أنها تدخل فيما لا يعني الإنسان. وكذلك صارت النصيحة مخيفة عند الكثيرين ؛ لأنها تورث كلاماً من قبل المنصوح! يقول الناصح: أنا في غنىً عنه ، من يريد أن ينصح يقول: أنا في غنىً عن الأذى! أنا لا أريد أن أواجَه بكلام لا يسرني ، ولا أريد أن يقول لي من أنصحه: ما دخلك ، ولماذا تتدخل في شأني ونحو ذلك؟ لقد ضاعت النصيحة بسبب انقلاب المفهوم والخوف من الكلام الذي سيأتي من الطرف الآخر ، ولما صارت القضية عندنا إرضاء الناس ، ولو سخط الله عم كثير من الشر والفساد ، صرنا نخاف أن نتدخل في شأن رجل على منكر ، صرنا نخاف أن نوجه كلمة حق إلى إنسان في شر واقع فيه ، لماذا ضاعت هذه الفريضة العظيمة؟ تأملوا التقصير في ذلك. وكذلك مما ضيع النصيحة أن بعض الناس يوجهونها بأسلوب خطأ ، بأسلوب خاطئ ، كأن يشهر بالمنصوح ، أو أن ينصحه على الملأ ما إمكان النصيحة في السر ، وهذا مما جعل القصد من الكلام يتغير عن الطريق الحق والطرف الآخر لا يتقبل ؛ لأنه شهّر به ونحو ذلك من الفضائح التي ينظر إليها بعين الاعتبار. ونسأل: إذا كان ذلك كذلك فأين تكامل المجتمع المسلم؟ أين حديث

(المؤمن مرآة أخيه)؟ أين الشعور بالمسؤولية في هذا الموضوع؟ ألم يأتك نبأ الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه لما قال: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم". متفق عليه. وهذه من شروط البيعة النصح لكل مسلم ، عطفها على الصلاة والزكاة ، وكان جرير رضي الله عنه يفي بما التزم به طيلة حياته ، فيُكثر النصح ويبذل النصيحة ، فخطب مرة بالناس ثم قال: أما بعد: فإني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: أبايعك على الإسلام فشرط عليَّ: "والنصح لك مسلم" ، فبايعته على هذا ، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم ، ثم استغفر ونزل. رواه البخاري. ومن نصْحه رضي الله عنه أنه أرسل غلاماً له مرة ليشتري له فرساً فاشترى له فرساً بثلاثمائة درهم ، فلما رأى جرير الفرس خاف أن الفرس يساوي أكثر من هذا ، فذهب إلى البائع وقال: إن فرسك خير من ثلاثمائة فجعل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة. النصيحة بذلها المشتري للبائع ، خاف أن يبخسه حقه. إن نصائحنا يجب أن تكون مبنية على العلم الشرعي ، وعلى الدليل ، فإن بعض الناس ينصح بجهل! بعض الناس ينكر بجهل ، بعض الناس يقدم كلاماً غير صحيح ، ليس من الدين ولا من الشريعة لأنه من جهله أتي ، فينكرون ما لا يعرفون ، وينصحون بما لا يسمى نصيحةً أصلاً ؛ لأن النصيحة من الخلوص ، والنقاء ، والصفاء ، وهذا يقدم نصيحة بجهل ، وكذلك يجب أن تكون بعيدة عن سوء الظن فإن كثيراً من الناس يسيء الظن بشخص ، ثم يكلمه بنصيحة بناء على ذلك! وهذا الرجل بريء ، وكذلك يجب أن تكون متكلفة بعيدة عن التفاصح ، والتعاظم ، فإن أسلوب الأستاذية الذي يعمد إليه بعض الناصحين ، بل أسلوب التعالي ـ في الحقيقة والأدق ـ هو الذي ينفر المنصوح. والمنصوح إذا قدم له الحق يجب عليه أن يقبله ولو كان الأسلوب خاطئاً ، إن المنصوح يجب عليه أن يقبل الحق ولو كان الأسلوب خاطئاً. ولكن الناصح يجب عليه أن يتقيد بآداب الشريعة في النصيحة ، فهذا يكون مؤدباً في نصحه ، وهذا عليه أن يقبل الحق ، ولا يركبنه الشيطان ، أي المنصوح ، فيقول: وبّخني فلن أستجيب ، فهذه من إبليس ، ولا شك أنها طريقة من طرائقه).هـ. ومن هنا كان نصحي الحريص لصاحبي أن لا يتزوج من أجل الجمال فقط! لا بد من الدين والخلق ابتداءً! ولما لم ينتصح وكانت المآسي والمحن والآلام رأيت أن أكتب عن قصته قصيدة: (ذل الجمال) متناولاً البداية والنهاية! وكالعادة لم نذكر الأسماء ولا الأقوام ولا المكان ولا الزمان! ذلك أنني أريد للقصيدة أن تستوعب كل هؤلاء! وتكون عبرة وعظة لكل من تسوّل له نفسه أو تسول لها نفسها أن يكون الزواج من أجل الجمال فقط! نعم الجمال مطلوب ومرغوب ، ولكن لا يكون على حساب العقيدة والتوحيد! (ولأمَة مؤمنة خيرٌ من مشركة ولو أعجبتكم)! وأيضاً: (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم)! وهذا الميزان هو قوام الحياة الزوجية في الإسلام. ولما كنت أنظر لقصيدة: (ذل الجمال) على أنها أهم قصيدة في الديوان لتعلقها بالإيمان والتوحيد كأساس تقوم عليه الأسرة في الإسلام ، اخترتها لتكون عنواناً على الديوان بأسره كذلك! وحرصتُ على أن يكون الإهداء والتمهيد والافتتاحية والتقديم والخاتمة قصائد شعرية وليست فقرات نثرية! وهو لون من ألوان التجديد في الشكل والمضمون معاً!

الإهداء

الحمـــــــد لله العظـــــــيم الكـــــــافي ... حمـــــدًا يُكـــــافئُ جـــــوده ، ويُـــــوافي

وصـــــلاة ربـــــي والســـــلام علـــــي الـــــذي ... ســـــاد الـــــورى مـــــن آلـــــ (عبـــد منـــاف)

وعلـــــي جميـــــع الآل والصـــــحب الألـــــى ... صـــــحبوا النبـــــيّ الطيّـــــبَ الأوصـــــاف

أهـــدي رطيـــبَ الشـــعر مَـــن يهـــوى الإبـــا ... ويَعـــــافُ طعـــــم الـــــذل والإجحـــــاف

ويعـــــيش مُعتـــــزًا بشِـــــرعة ربـــــه ... ويـــــرى صـــــوابًا مـــــنهجَ الأســـــلاف

ويُحـــب عيشـــاً فـــي بُلهنيـــة التقـــى ... حتـــى ولـــو قـــد كـــان عـــيشَ كَفـــاف

أهـــدي القـــريضَ العـــذبَ فـــواحَ الشـــذى ... مترنمـــــاً بـــــالوزن بعـــــد قـــــواف

لكتائـــــب التوحيـــــد تقـــــتحمُ القنـــــا ... خلـــــف التقـــــاة الصـــــفوة الأشـــــراف

يرمـــــون ، واللهُ المســـــددُ رمـــــيهم ... وبـــــرغم جنـــــد البغـــــي والأحـــــلاف

أهديـــــه مَـــــن يـــــدعو لكـــــل فضـــــيلةٍ ... لنعـــــيش فـــــي بُعـــــدٍ عـــــن الإســـــفاف

إذ قـــــد تـــــدنى كـــــل شـــــيءٍ حولنـــــا ... والنـــــاس تجهـــــرُ بالخنـــــا المتجـــــافي

فعســـــاه أن يلقـــــى قبـــــولاً عنـــــدهم ... وعســـــى المليـــــكُ يُغيـــــثهم ، ويُعـــــافي

أهديـــــه لـــــلأزواج حتـــــى يحرصـــــوا ... دومـــــاً علـــــى الإكـــــرام والإنصـــــاف

عيـــبٌ علـــى زيْـــن الرجـــال (ســـميدع) ... أن يستســـــيغ الـــــذل ذل (عفـــــاف)

هـــي زوجـــة ، ولهـــا حـــدودٌ حـــدَّها ... شـــرعٌ يُجـــازي مَـــن تفـــي ، ويُكـــافي

أهديـــــه للشـــــبان حتـــــى يعشـــــقوا ... غِيـــــداً ذواتَ دِيانـــــةٍ وطِـــــراف

فلينـــــأ شـــــهمٌ عـــــن مذلـــــة غـــــادةٍ ... ملكـــــتْ علـــــى الولهـــــان كـــــل شـــــغاف

وليصـــــطبرْ إن لـــــم يجـــــد ذات التقـــــى ... ولـــــيحظ - بـــــين النـــــاس - باســـــتعفاف

حتـــــى يمُـــــنّ اللهُ بالفضـــــلى التـــــى ... ترعـــــى الـــــودادَ برقـــــةٍ ، وتصـــــافي

أهديـــه للأحـــرار مَـــن لـــم يرتضـــوا ... بالـــــذل إلا للمليـــــك الشـــــافي

فالـــذلُ للمخلـــوق أتعـــسُ خيبـــةٍ! ... فـــي نـــاره البُلهـــاءُ بـــالآلاف

وإذا الجمـــــالُ أراد ذل مُحبّـــــهِ ... وســـبى الفـــؤادَ بفتنـــة الأفـــواف

وبـــدا بأعـــذب حِليـــةٍ ونضـــارةٍ ... ولآلـــيءٍ خرجـــتْ مـــن الأصـــداف

وعبـــاءةٍ يســـبي العقـــولَ بهاؤهـــا ... سِـــحريةِ التطريـــز والأعطـــاف

وبـــدا الجمـــالُ بهـــا يُـــذلّ مَـــن اشـــتهى ... بالحســـن يأســـر ، والجمـــال الضـــافي

فجريمـــةَ عشـــقُ الجمـــال وحســـرة! ... والمـــوتُ حـــلّ ، ولـــو بحفـــل زفـــاف

تعـــس الجمـــالُ إذا أذلّ مُريـــدَه ... حتـــى يبيـــت مُشـــتّت الأهـــداف!

ويلـــوك ذل الحـــب يقتلـــه الجـــوى ... يشـــكو العنـــا بالمَـــدمع الـــذرّاف

(ذل الجمـــال) جنـــى عليـــه حقيقـــة ... ورمـــاه - رغـــم الأنـــف - بالأســـياف

ألقـــاه مـــن جبـــل عظـــيم شـــاهق ... والصـــخرُ منحـــدرٌ مـــن الأكتـــاف

فغـــدا قتـــيلاً مـــا لـــه مـــن ديّـــةٍ ... واســـتهلك المســـكينُ باســـتنزاف

وقضـــية الولهـــان فـــي أرشـــيفها! ... لا حـــق للمقتـــول فـــي اســـتئناف

حكـــمَ الجمـــال بقتلـــه وبدفنـــه ... مـــا قيمـــة التـــوبيخ باستعطـــاف؟

رب اكفنـــا (ذل الجمـــال) وأهلـــه ... ومَـــن الـــذي نـــدعوه غيـــرُ الكـــافي؟

والـــذل للغـــادات أكبـــر غلطـــةٍ ... رب اشـــفنا منهـــا ، فأنـــت الشـــافي!

المقدمة

حمـــداً لربـــي الـــذي عليـــهِ أعتمـــدُ ولـــيس ـ مـــن دونـــه للعبـــد ـ مُلتحَـــدُ

يـــارب فاقبـــلْ صـــلاتي والســـلامَ علـــى خيـــر النبيـــين يـــا رحمـــنُ يـــا أحَـــد

وامْـــننْ علينـــا بعـــز نســـتعز بـــه بـــين الأنـــام ، فمنـــك العـــونُ والمَـــدد

تعِـــز مَـــن شـــئت ـ بالطاعـــات ـ نبـــذلها فـــالعز مصـــدرُه الإيمـــانُ والرشَـــد

وكـــم تـــذل الـــذي العصـــيانُ ديدنـــه! فلـــيس ينفعُـــه مـــالٌ ولا ولـــد

صـــغت الجمـــال ، ولـــم تشـــرعْ عبادتـــه إن الجـــدير ـ بـــذي العبـــادة ـ الصـــمد

(ذل الجمـــال) عـــذابٌ لا يُطاولـــه شـــيءٌ ، ففيـــه جـــوى القلـــوب والكَمـــد

وكيـــف يقـــوى علـــى الإذلال مُفتـــتنٌ بمـــن أحـــبّ ، وفـــي الغـــرام مضـــطهد

أحـــب مِـــن قلبـــه مَـــن كـــان يحسَـــبُها بمـــا يـــدين بـــه لله تعتقـــد

مَـــن كـــان يعهـــدُها بـــالله مؤمنـــة ترعـــي الإخـــاء ، وفـــي الإســـلام تجتهـــد

ولا تعيـــبُ بـــلا حـــق ، فـــذا خبـــل ولا تســـب ، ولا تظـــل تنتقـــد

بـــل تنصـــحُ الـــزوج فـــي ســـر وفـــي علـــن وعـــن تحدّيـــه ـ بـــين النـــاس ـ تبتعـــد

لا تســـتهينُ بمـــا يأتيـــه مـــن عمـــل وفـــي المعـــاش بقـــدر الوُسْـــع تقتصـــد

ولا تـــــؤخر إطلاقـــــاً لهـــــا طلبـــــاً ... مـــادام فـــي شـــرعنا ـ حقـــاً ـ لـــه سَـــند

لكنهـــــا انطلقـــــتْ تعصـــــيه دون حيـــــا ... وحكّمـــتْ فيـــه مَـــن ضـــلوا ومَـــن فســـدوا

وكبدتـــــــه تكاليفـــــاً ينـــــوءُ بهـــــا ... وأصـــــبحتْ ـ ويحهـــــا ـ للعـــــدل تفتقـــــد

وســـــــــربلته بأصـــــــــفادٍ تزلزلـــــــه ... فبـــــات يبكـــــي لمَـــــا يـــــرى ومـــــا يجـــــد

فعاهـــــــد الله أن ينـــــــأى بعزتـــــــه ... ولا يـــــــذل لمـــــــن وصـــــــالها نكِـــــــد

(ذل الجمـــــــال) غيابـــــــاتٌ ومهزلـــــــة ... ولـــــيس يقـــــوى علـــــى عـــــذابها أحـــــد

إلا الـــــذي نفسُـــــه لله قـــــد خلصَـــــتْ ... فلـــــم يفارقـــــه إخـــــلاصٌ ولا سَـــــدد

والله مـــــولى الـــــذي يُعـــــز شِـــــرعته ... ودائمـــــــاً أبـــــــداً عليـــــــه يعتمـــــــد

الافتتاح

حمـــــدتُ اللهَ مـــــولايَ الجلـــــيلا وأشـــكرُ خـــالقي شـــكراً جـــزيلا

وأهـــدي المصـــطفى أحلـــى صـــلاةٍ وتســـليماً مِـــن المـــولى جمـــيلا

وآلُ المصـــــطفى لهـــــمُ التحايـــــا وأصـــــحابٌ سَـــــمَوْا فِعـــــلاً وقِـــــيلا

وباســـــم الله مُفتتحـــــي ، وظنـــــي بـــأن ألقـــى - لـــدى التـــالي - قبـــولا

وأحســـبني بـــذلتُ كثيـــرَ جهـــدٍ ومَـــن يقـــرأ فســـوف يـــرى الـــدليلا

ونقحـــــتُ القصـــــائدَ باجتهـــــادٍ وراجعـــــتُ المصـــــادرَ والأصـــــولا

ليخـــــرج ذلـــــك الـــــديوانُ نجمـــــاً يُضـــــيء دروب مَـــــن ضـــــل الســـــبيلا

ومَحّصْـــــتُ التجـــــاربَ دون يـــــأس لأتحـــــفَ – بالمصـــــارحة - العقـــــولا

وناصـــحتُ الـــذي يرجـــو انتصـــاحاً ليُـــدرك - فـــي مشـــاكله - الحُلـــولا

وبينـــــتُ الحقـــــائقَ مُســـــتبيناً لأرشـــــدَ مَـــــن غـــــوى ، وأذل جـــــيلا

أريـــــد الجيـــــل أن يحيـــــا كريمـــــاً ولســـــتُ أريـــــده يومـــــاً ذلـــــيلا

ألا يـــا راغبـــاً فـــي الحُســـن فـــاعلمْ بـــأن الحســـنَ يَمـــتحن الأصـــيلا

وصـــــاحبة الجمـــــال لهـــــا دلالٌ فحـــــاذرْ أن تهـــــيم وأن تمـــــيلا

ولا تـــــرضَ الدنيّـــــة ذات يـــــوم ولا تنشـــدْ ـ عـــن العليـــا ـ عُـــدولا

ولا تبـــذلْ إبـــاءك فـــي غـــرام إذا كـــان التكلـــفُ مســـتحيلا

ولا تـــكُ ـ للجمـــال العـــذب ـ عبـــداً تتـــوق إليـــه ، والـــتمس البـــديلا

وحـــاذرْ مـــن مغازلـــة الغـــواني ولا تســـتعذب الطـــرفَ الكحـــيلا

فـــإن ســـهامَهن تميـــتُ صَـــباً فكـــم مـــن عاشـــق أمســـى قتـــيلا!

وكـــم للحســـن يـــا كـــم مـــن ضـــحايا! شـــباباً أو شـــيوخاً أو كهـــولا

جنـــى (ذل الجمـــال) علـــى فئـــام وكـــان عـــذابُ مَـــن خضـــعوا وبـــيلا

وقانـــا الله ذل مَـــن اســـتكانوا ولـــم يـــكُ مـــا أصـــابهمُ قلـــيلا

ومَـــن يعـــدل بحـــب الـــرب شخصـــاً يعـــشْ – مـــا عـــاش فـــي الـــدنيا ـ ذلـــيلا

تمهيد

لــرب الأنــام الحمــدُ والفضــلُ والشــكرُ ومَــن يشــكرِ المــولي يُضــاعَفْ لــه الأجــرُ

وصــلى مليــكُ النــاس أزكــى صــلاته وســلّم تســليماً هــو الجُــودُ والخيــر

علــى خيــر خلــق الله أعنــي (محمــداً) وآل وأصــحاب هــمُ الأهــلُ والــذخر

وبعــد (فتمهيــدي) أخــط حروفــه وفــي صــفحة الــديوان يــأتلقُ الشــعر

أوَفــي بأشــعاري ديونــاً لأمتــي وأطــرحُ آلامــاً بهــا اعــتلجَ الصــدر

وأنصــحُ - بالتــذكير - قومــاً أجلّهــمُ لقــد ينفــعُ الأقــوامَ - فــي الغفلــة - الــذكر

وأجعــلُ مِــن (ذل الجمــال) وصــية يُزيّنهــا الإخــلاصُ والحــبُ والبشْــر

ولســت بأســرار أبــوحُ تنقصــاً لأصــحابها ، إذ لا يُفــارقني الســر

وأمقــتُ إذلالَ الخلائــق ، إنــه بــلاءٌ يُــدَنّيهم ، نهايتُــه الخُسْــر

ومَــن يعشــق الإذلالَ يصــطحب الشــقا ويُجهــزْ عليــه البــؤسُ والوَجــدُ والقهــر

وللعــز - بــين النــاس - أغلــى ضــريبةٍ تكبّــدَها - عِشــقاً وحبــاً لهــا - الحُــر

تشــامَخ عــن (ذل الجمــال) تعففــاً فكــان لــه - عنــد المواجهــة - النصــر

ولــم يــرتض العــيشَ الــذليلَ وإن حــلا فمُــر الإبــا حلــوٌ ، وحلــوُ الشــقا مُــر

ألا إننـــــى ضـــمَّختُ شِـــعري بعِـــزةٍ تقاصـــرَ عـــن إدراك رونقهـــا العطـــر

وأســـــميته (ذل الجمـــــال) تنـــــدّراً وأجـــري علـــى رب لـــه الخلـــق والأمـــر

لينفـــعْ بـــه المـــولى المُحبـــين كلهـــم فشِـــعري - وربـــي - قـــد أنـــيط بـــه الخيـــر

بلـــوْتُ بهـــذا الشـــعر عيشـــاً وصُـــحبة ومـــا مسّـــني فيمـــا بُليـــتُ بـــه الضـــر

فقـــد ألِـــفَ القلـــبُ التجاريـــبَ مُـــرة فأمســـي لـــه بـــأسٌ يتوّجُـــه الصـــبر

ومـــا عضـــني (ذلُ الجمـــال) لحيظـــة لأن إبـــــائي لا يُسَـــــربله أســـــر

وأرجـــو لمـــن يهـــوى إبـــاءً وعِـــزة فـــلا يشـــتكي بلـــوى يَـــدل بهـــا الغـــدر

ومـــا قيمـــة الحـــب الـــذي يُـــذهب الإبـــا؟ وكيـــف يـــروقُ العـــيشُ إنْ عظـــم المكـــر؟

وهـــل أصـــبحتْ ليثـــاً هصـــوراً حليلـــة فمنهاجُهـــا فـــي العِيشـــة الختـــلُ والجبـــر؟

ســـلامٌ علـــى الـــدنيا ومَـــن يحتفـــي بهـــا إذا كـــان - بالســـوآى وبالنقمـــة - الفخـــر

وأولـــى بحُـــر - فـــي العبابيـــد - قبـــرُه فقـــد ضـــاقتِ الـــدنيا ليتســـعَ القبـــر

تنبيه هام

جميع حقوق الطبع والتأليف والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر ، ولا يجوز طبعُ أو إعادة طبع كل أو جزء من قصائد هذا الديوان ، أو تخزينه في أي نظام لتخزين المعلومات واسترجاعها ثانية ، أو نقله على أية هيئة أو بأية وسيلة أخرى: سواء كانت إلكترونية أو كمبيوترية أو حتى شرائط ممغنطة أو ميكانيكية أو استنساخاً أو تسجيلاً ، أو الترجمة لأي لغة من لغات العالم ، أو تحويله إلى أي عمل إذاعي أو مرئي ، أو نشره في صورة فقرات في جريدة أو مجلة أو دورية ، أو غير ذلك: إلا بإذن أو كتاب خطي من المؤلف مادام حياً يُرزق أو من ورثته بعد موته.

ويطيب لي أن أذكر ما قاله الشاعر الحكيم قديماً:

وما من كاتب إلا سيفنى ... ويُبلي الدهرُ ما كتبتْ يداهُ

فلا تكتبْ بكفك غير شيءٍ ... يَسرّك - في القيامة - أن تراه

رحلتي مع الشعر

حمداً لله وكفى وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد...

لقد حافظت على القصيدة بشكلها العربي الأصيل بوزنها وقافيتها ووحدتها! إن اللاشعر المتفلت ليس شعراً وليس نثراً. إذ لكل منهما خصائصه التي يُخالف عن كل هذا الهراء المسمى بتفعيلة الشعر. ومن أراد المزيد فليطالع ما كتبه أستاذنا النحوي في كتابه (الحداثة في منظور إيماني)! وفيه يُفرد فصلاً كاملاً عن النثر والشعر ، ويُعرّف لكل منهما ويُثبت أنه لا مكان لشعر التفعيلة في أي منهما. والشعر في لغة العرب هو الكلام الموزون ذو القافية. وإنّ أغلب مَن كتبوا تفعيلة الشعر انتهوْا إلى مسخ آخر هو النثر المشعور أو الشعر المنثور على حد ما يتشدقون.

وأحمد الله أنني ما كتبتُ في حياتي كلها قصيدة على نمطه إلا (قراءة في أوراق الماضي) في ديوان (عزيز النفس) ، ولم أسَمّها شعراً. وإنما كتبتُ هذه الخاطرة في ظروفٍ معينة كنمط أجاري أهله في التصنيف ليس إلا. فلم ينتظمْ هذه الخواطر قالبٌ شعريٌ بعينه أو بحر شعري بعينه ، بل كانت مجموعة من المترادفات الإيقاعية تراءتْ لي ، ورحتُ أسطرها كما كانت ترد على خاطري ، وأحيط قارئي علماً بأنني لم أول هذه الخواطر الاهتمام الكبير من التدقيق والتمحيص والمراجعة ، ورفض مراجعتها الراسخون في معرفتي كذلك.

إن الدافع لشعر الحداثة أو اللاشعر كان الترغيب والهجمة الاستشراقية الخبيثة الماكرة. تلك التي تمّتْ على أيدي سدنة الاستعمار وأذناب المغرضين الحاقدين على اللغة العربية. فيا أيها القارئ في ديواني هذا وغيره من الدواوين الشعرية: لك غنمُه وعلى كاتبه غرمُه ، ولك صفوُه وعليه كَدرُه ، وهذه بضاعته المزجاة تُعْرَضُ عليك ، وبناتُ أفكاره تُزف إليك وقد وضعتْ على طبق من ذهب ، ومن ألّف فقد استهدف! ومن ألّف فقد وضع عقله على طبق من الأطباق لقرائه!

فإن صادفت أيها القارئ كفؤاً كريماً لم تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان ، وإن كان غير ذلك فالله المستعان ، وما كان منه من صواب فمن الله الواحد المنان ، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان ، والله تعالى برئ منه ورسوله – صلى الله عليه وسلم - ، وأنا راجعٌ عنه بإذن الله متى ترجح عندي ذلك الخطأ! هذا واللهَ أسأل أن يُعلِّمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما عَلَّمنا ، وأن يزيدَنا عِلمًا ، وأن يجعل هذا الكتاب حُجةً لنا لا علينا ، وأن يتقبله عنده بقبولٍ حسن ، وأن ينفع به من انتهى إليه ، إنه خير مسئول وأكرم مأمول ، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وسبباً لنيلِ جناتِ النعيم ، وأن يعصمني وقارئه من الشيطان الرجيم ، كما أسأله سبحانه الله أن يحملنا على فضله ولا يحملنا على عدله ، إنه سبحانه على من يشاءُ قدير وبالإجابة جدير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأزواجه وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

موجز

سيرة وتاريخ

حمداً لله وكفى. وصلاة وسلاماً على نبيه المصطفى. وبعد.. فإنني اسجل هذه الكُليمات الآن من قبيل الوصية التي أوصي بها أبنائي فأقول: (إن تركَتي الحقيقية هي ذلك الشعر الذي كتبته بدمي ، وعانيتْ فيه الكثير. أيها الأبناء إن كان الشعرُ ديوانَ العرب الذي حوى مساجلاتهم ووقائعهم وعاداتهم ، ودونت فيه تقاليدهم وأعرافهم ، فإنه كذلك بالنسبة لأبيكم ، لقد احتوى ذلك الشعر الكثير والكثير من حياة أبيكم وجانباً كبيراً من حقائق لطالما كان يحلم بخروجها من صدره للدنيا ألا فلتقرأوه ، ولتعلموا الحق والعدل والخير الذي احتواه ولتعملوا به. ولتجتنبوا السوء الذي حواه. فما كان فيه من حق وعدل وصواب وخير وبر فمن الله وحده ، وليس لأبيكم فيه نصيب ، وما حوى من سوء أو تطاول أو قبح أو سوء أدب أو تزايد على الشرع الحنيف أو الأدب العربي الأصيل الموافق لروح العقيدة والتوحيد ، فمن الهوى والنفس والشيطان! وأستغفر الله من كل سوء حواه شعري ، كما أعوذ به أن يكون سبباً في إغواء أحد من خلقه. كما وإني لأشكر الله على أن خصني بكتابة الشعر العربي الأصيل. إن موقفي من الهراء الذي يطلق عليه زوراً وبهتاناً شعرالتفعيلة ، وما هو عندي بالشعر ، موقفي منه أنني أرفضه وأمقته. كما أنني لا أسمح لنفسي أبداً بأن أسمّيه بالشعر ولا حتى بشعر التفعيلة ، لا تفعيلة الشعر. ولعل قراءة متأنية لقصيدتنا (اللاشعر المتفلت) في ديواننا (الأمل الفواح) لتبصّر القاريء الحبيب بموقفي منه ومن أهله. إنني في قصيدتي تلك أردّ على أحدهم ، وقد افترى إثماً عظيماً على اللغة العربية. ومن هنا يتجلى الدورُ البارز للأديب المسلم في التصدي لما يعتورُ الأدب العربي عامة والأدب الإسلامي على وجه الخصوص! ففي سؤال سُئله الدكتور عدنان النحوي عن دور الأديب المسلم اليوم فكان السؤال: (ما الدور الذي يمكن أن يقوم به الأديب المسلم في تنقية الأدب العربي مما علق به من شوائب التغريب والإلحاد؟) فكان من جوابه: (دَورُ الأديب المسلم دورٌ مهم وعظيم ، ويُمكن أن يؤتي أطيب الثمار كلما صفا الإيمان والتوحيد ، وصدّق العلم بمنهاج الله تعالى ، وصدّق وعي الواقع من خلال منهاج الله ، وكلما صدقت الموهبة الغنية بما تحمل من زادٍ إيماني صادق. مهمة الأديب المسلم أن يُثبت للعالم أنه حامل رسالة حق لا باطل فيها ، وأن الأرض كلها بحاجةٍ إلى رسالته هذه حاجة ماسّة ، ومهمته كذلك أن ينقي أدبه من العصبيات الجاهلية التي حرّمها الإسلام ، ومن الهبوط إلى طلب الدنيا وتنافسها تحت شعاراتٍ وزخارف متعددة ، وأن يبني نفسه أولاً ، وأن يحاسبها ويجاهدها حتى تستقيم على أمر الله. الأديب المسلم الذي يريد أن يقوم بدور التنقية عليه هو أن يصفو إيمانه ، ويصدق عمله بمناهج الله في صحبة منهجية ، صحبة عمر وحياة ، وأن يرد قضاياه كلها إلى منهاج الله كما أمره الله ، وأن يفهم الواقع من خلال منهاج الله.)هـ. جزا الله خيراً أستاذنا الدكتور عدنان على هذه الدرر والنفحات ، وجعل ذلك كله في ميزانه يوم يلقى الله! والحقيقة أنني منذ عرفتُ الدكتور عدنان والتقيته هنا في عجمان وتجاذبنا أطراف الحديث حول عدد من القضايا ، وأنا أحاول أن أتمثل ما يقوله ويراه على نفسي أولاً! إذ كيف يصلح الآخرين من لا يستطيع أن يكون صالحاً في نفسه؟!

الشاعر المفترى عليه

(لم يربحْ شعرُ هذا الشاعر المالَ ولا الشهرة لقدر من الله ولحكمةٍ يعلمها سبحانه وتعالى. ولأن هذا الشاعر ليس على دين مجتمعه عانى الأمرين في محاولة إظهار شعره للنور وافتريَ عليه كثيراً رغم جَودة شعره. إنه يحافظ على القيم ويدعو إليها ويُغلبها في شعره! يقول الأستاذ سعد عبد الله الحُمَيّد تحت عنوان: (القيم الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة) ما نصه: (إن الإسلام دينٌ شامل لكل مجالات الحياة ، ودينٌ صالحٌ لكل زمان ومكان ، ولم يكتسبْ ديننا الحنيف هاتين الصفتين الرئيسيتين ، إلا بسبب وجود المرونة بين ما هو ثابت في هذا الدين ، وما هو متغير بتغير الأحوال والأزمان ، وبسبب وجود ما هو كليات عامة ، وضعها القرآن والسنة في تعاملات معينة في مجال من المجالات ، وبين دقائق وتفصيلات دقيقة لمجال آخر).هـ. فعزيته!)

لا تسَلْ في خوض مَن يُزجي الكذبْ ... يَرجحُ الشعرُ اللآليْ والذهبْ

أنظِم الشعر يُداوي جرحَنا ... إن نظم الشعر يسمو بالأدب

وارجُ بالأشعار مرضاة الذي ... منحَ الإلهامَ ، والشعرَ وهب

واترك الشهرة ، لا تحفل بها ... كيف يرجو شهرة مَن يحتسب؟

واهجر المالَ لأرباب الغنى ... كم عظيم في هوى المال رسب!

إن أهل الحق أسمى عِزة ... ولهم - رغم النكايات - الغلب

أنت لا ترجو متاعاً عاجلاً ... عند أهل الزيغ دوماً يُطلب

أنت أسمى مِن سراب زائفٍ ... سيق للغادين مِن أهل الريَب

صاح لا تعبأ بما قال الغثا ... كل ما قالوه لهوٌ ولعب

كذبٌ هذا ، وظلمٌ ، وافترا ... خابَ قومٌ قد تمادَوْا في الكذب

اهجُهم بالشعر يفري كيدَهم ... إن للشعر سعيراً يلتهب

يحرق الزيف ، ويغتال العِدا ... إنه أبلغ مِن أمضى الخطب

سوف يمضي مكرُهم مهما غلا ... سوف يُكوى بقريض كالشهب

عشْ كما أنت أديباً شاعراً ... إنما يكفيك هاذاك اللقب

صدقت يا أبتاه

(أقدم على الزواج من امراة. وكان أبوه قد حذره منها ومن أهلها ، ونصحه بالبُعد عنها وعنهم ، فلم ينتصحْ ولم يتبينْ له صدقُ أبيه إلا بعد الزواج فندم ، إذ غلّب هواه! ولله در من قال: (الهوى وما أدراك ما الهوى ، المفسد العظيم من مفسدات القلوب ، هو عن الخير صاد ، وللعقل مضاد ؛ لأنه يُنتج من الأخلاق قبائحها ، ويُظهر من الأفعال فضائحها ، ويجعل ستر المروءة مدلوكاً ، ومدخل الشر مسلوكاً ، والهوى مطية الفتنة ، والدنيا دار المحنة ، فانزل عن الهوى تسلمْ ، وأعرضْ عن الدنيا تغنمْ ، ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي ، ولا تفسدنك دنياك بحسن العوافي ، فمدة اللهو تنقطع ، وعارية الله ترتجع ، ويبقى عليك ما ترتكبه من المحارم وتكتسبه من الجرائم).هـ. فتخيلته يعتذر لأبيه في خجل ووجل وتأنيب ضمير. فأنشدتُ هذه القصيدة.)

بصـــــرتُ بنصـــــحكَ لمّـــــا اكتـــــوى ... فـــــؤادي بمُـــــرِّ الأســـــى والجـــــوى

فيـــــا ليتنـــــي كنـــــتُ مسترشـــــداً ... بنصـــــحٍ جميـــــعَ الرشـــــاد احتـــــوى

أســـــاتُ الظنـــــون ، فلـــــم أكتـــــرثْ ... وصـــــرتُ ضـــــحيّة هـــــذا الهـــــوى

وغلّبـــــتُ رأيـــــي بـــــلا حجـــــةٍ ... فتاهـــــتْ معـــــالمُ أهـــــدى صُـــــوى

وذقـــــتُ الهـــــوانَ بـــــلا رحمـــــةٍ ... وواجهـــتُ فـــي الـــدرب أعتـــى القـــوى

فمـــا الظـــن بالعبـــد يـــأبى الهُـــدى ... وينصـــاع طوعـــاً لمـــا قـــد غـــوى؟

صـــدقتَ أبـــي فـــي الـــذي قلتـــه ... ويـــا ليـــت قلبـــي إليـــه أوى!

لقـــد جرعَتنـــي العـــروس الأذى ... وقلبـــي - مِـــن العائـــدات - ارتـــوى

وكنـــتُ أؤمـــلُ فيهـــا الهنـــا ... وأرفـــع طاعـــة ربـــي لِـــوا

وعشـــتُ أطبّـــب أمراضـــها ... وكانـــت دمـــائي ودمعـــي الـــدوا

وجئـــتُ لهـــا بالـــذي تشـــتهي ... وكنـــا علـــى الخيـــر - حقـــاً - ســـوا

وغيَّـــر أخلاقهـــا أهلهـــا ... فباتـــت تبـــالغ فـــي الالتـــوا

وأضـــحَوْا جميعـــاً شـــقائي الـــذي ... طـــلاقَ الحِيلـــة كـــان انتـــوى

لـــيَ الله ممـــا ألاقـــي هنـــا ... فيـــا ربنـــا الطـــفْ بعبـــدٍ هـــوى

احترموا صاحب القلم

(كلما جلسوا تجاذبوا أطراف الحديث بجهالةٍ حول عدد من الموضوعات. وكلما يُدلي صاحب فكر واجتهاد وقلم برأيه الصواب مصححاً أخطاء هؤلاء الجهلاء ومقوّماً اعوجاجهم ، فإذا بهم يسخرون منه ويستهزئون برؤيته ونقده وتصوره. فكتبتُ أحذرهم! وصدق من قال: (إننا نلحظ إصراراً بالغاً من الوحي - بشقيه: الإلهي ، والنبوي - على إعلاء شأن القلم ، والتوكيد على دوره البارز في مسيرة الحياة ، والحض على تعلم فن الكتابة من قبل كافة المسلمين ، رجالهم ونسائهم. فهل كان هذا كله ، من أجل محو صبغة (الأمية) عن هذه الأمة؟ أبداً ، إن هذه الأمة كانت (أمية) قبل انتشار الكتابة فيها ، وظلت أمّية بعد ذيوع هذا الفن بين أبنائها ، وستظل أمية إلى قيام الساعة. ذلك أن (الأمية) صفة لازمة لهذه الأمة إلى قيام الساعة).هـ.)

أحـــذركم تطـــاولَ مَـــن يُلاحـــي ... بلفـــظٍ كالأســـنة والصِـــفاح

وألقِـــي الاحتجـــاجَ بســـاح قـــوم ... علـــى الإيمـــان والتقـــوى شِـــحاح

وأعْلِمكـــم بـــأن الهُـــزءَ عـــارٌ ... ومَخبثـــة تهـــدّد بافتضـــاح

ومَـــدْعاة لســـخرية البرايـــا ... ومَهْلكـــة لداعيـــة الصـــلاح

ومـــوتٌ - للمبـــاديء - فـــي نفـــوس ... تـــذرّ القـــبحَ فـــي ســـاح المِـــزاح

وقتـــلٌ للعقيـــدة فـــي قلـــوب ... مـــن الأخـــلاق مُطلقـــة الســـراح

ألا احترمـــوا الشـــريعة إن أتـــتكم ... علـــى يـــد مَـــن يريـــد ذوي الفـــلاح

يُناصـــحكم بحِـــرص واجتهـــادٍ ... ويَحملكـــم علـــى الحـــق الصـــراح

ويرجـــو الخيـــر للكـــل احتســـاباً ... ويُنـــذر فـــي المســـاء وفـــي الصـــباح

بلفـــظٍ مِـــن شـــعاع الشـــمس أصـــفى ... وقـــول ضـــاء كـــالقمر الليـــاح

وأحيانـــاً يُـــدوّن بعـــد نصـــح ... يريـــد بـــه مُـــداواة الجـــراح

ففـــي اليُمنـــى اليراعـــة لا تحـــابي ... وفـــي اليُســـرى مِـــن الـــورق المتـــاح

ألا اتبعـــوه ، إن الحـــق أولـــى ... وعُـــدة مَـــن يُجـــادل أو يُلاحـــي

عســـاكم تقبلـــون الـــوعظ هـــذا ... وتنتفعـــون - صـــدقاً – بـــاقتراحي!

ليس هذا من صعيد مصر!

(إن المسلم الصعيدي الأصيل لا يتنازل عن عاداته وتقاليده وأعرافه الموافقة للشريعة أبداً. إذ هي جزءٌ من هذا الإنسان. وهذه مَحمدة فيه. يقول الأستاذ سعد الحُميّد: (لا شك أن القيم التي يحملها الإنسان تترك أثرها في سلوكه سلبًا أو إيجابًا ، وللقيم الإسلامية آثارٌ في بناء الشخصية وبناء المجتمع ، وأول هذه الآثار هو تقوية صلة الإنسان المسلم بالله - عز وجل - إلى الدرجة التي تجعله يراقبه في السر والعلن ، في كل حركاته وسكناته ، فهو لا يُقدم على شيء إلا وهو يُراعي حُرمة الله ويرجو له وقارًا ، والقيم تمثل أساساً في تكوين العلاقات بين الناس ، وتسهم بشكل فعال في تحديد طبيعة التفاعل بينهم ، إضافة إلى أنها تشكل معايير وأهدافًا تنظم سلوك الإنسان).هـ. وإنني أكتب هذه القصيدة من البحر المضارع لكل صعيدي تنازل عن صعيديته.)

إن التقاليـــــــــــدَ زينـــــــــــةَ ... وحِليـــــــــــة مُســـــــــــتبينةَ

إن وافقـــــــتْ شـــــــرعَ ربـــــــي ... وآيَ ربـــــــي المُبينـــــــة

وللصـــــــــعيد سَـــــــــجايا ... مهمـــــا اســـــتبيحتْ مَصـــــونة

لهـــــا التنكـــــرُ عـــــارٌ ... وخيبـــــة ورعونـــــة

ومـــــا التنـــــازلُ عنهـــــا ... تُمليـــــه ذاتٌ رزينـــــة

إن المبـــــــاديء كنـــــز ... وكـــــم كنـــــوز ثمينـــــة!

ولا يُفـــــــرّط فيهـــــا ... غيـــــر النفـــــوس الغبينـــــة

وللمعـــــــالى ليـــــوثٌ ... تمـــــيط عنهـــــا الدجونـــــة

إن الصـــــــعيد انتمـــــاءٌ ... إنْ كـــــان الأسْـــــلام دينـــــه

يقـــــود ركـــــبَ التســـــامي ... إلـــــى الهُـــــدى فـــــي ســـــفينة

وفـــــي خِضـــــمّ التـــــدني ... علـــــى الصـــــعيد الســـــكينة

هـــــذي حقيقـــــة دار ... أعرافهـــــا - اليـــــومَ - زينـــــة

لهـــــا شـــــعارٌ وزِيٌ ... ومَكرمـــــاتٌ حســـــينة

يشـــــدو بهـــــا كـــــل حـــــي ... لـــــولا الهـــــوى والضـــــغينة

ماذا دهاك يا خالد؟!

(أحد أصحابي من أبناء الصعيد الأعزاء الأشاوس قدّم لي خدمات جليلة. ولمّا وفيتُ له بخدمةٍ واحدة إذا به ينهال عليّ شكراً. وأنا الذي آثرته على نفسي! يقول الأستاذ خالد مصطفى عن الإيثار: (الإيثار في أيسر معانيه: هو أن تُقدِّم منافع غيرك على منافعك ، أن تحبَّ لأخيك ما تحب لنفسك ، وذلك رغبة في رضا الله تعالى ، فقد يجوع المؤثِر ليُشبع غيره ، ويَعطش ليَروي سواه ، بل قد يموت في سبيل حياة الآخرين ، وبهذا الشعور النبيل يُجدِّد حقيقة إيمانه ، فيُطهِّر نفسه من الأَثرة والأنانية التي هي حبُّ النفس وتفضيلها على غيرها ، وهي صفة ذميمة عند مَن كَمُل إيمانه ، فاختار مراقيَ السُّؤدد ؛ ابتغاء الأجر الأخروي).هـ. فأخجل خالد الصعيدي تواضعي بين فريق العمل بمعهد عجمان. فأنشدتُ له من السريع ، إذ شكر الشعراء يكون شعراً.)

فـــي الأمـــر - عمـــا قلـــت - متســـعُ ... يـــا طيّـــب الأخـــلاق يـــا وَرعُ

أخجلتنـــــي بالمـــــدح يغمرنـــــي ... وســـط الألـــى فـــي (المعهـــد) اجتمعـــوا

مازلـــــت بالأمـــــداح تأســـــرني ... وأنـــــا لمـــــا تزجيـــــه أســـــتمع

وأقـــــول: يـــــا ربـــــاه مغفـــــرة ... والقـــوم - عنـــي – المـــدحَ مـــا دفعـــوا

وجمـــيلكم - يـــا صـــاحبي - جلـــلٌ ... وأنـــــا بـــــه مازلـــــت أنتفـــــع

فـــي غربـــةٍ – حقـــاً - شـــقيتُ بهـــا ... فيهـــا قلانـــى الأهـــلُ والشـــيع

فبقيـــــت ملتاعـــــاً ، يُعـــــذبني ... فيهـــا الجـــوى والوجـــدُ والجـــزع

أشـــكو ، ومَـــن يُصـــغي لنـــائبتي؟ ... وصِـــحابُنا أهـــواءَهم تبعـــوا

رفـــاق دربـــيْ الحقـــدُ ســـربلهم ... وتأصـــلتْ بـــين الـــورى البـــدع

وتنكـــــرتْ – للـــــدين - شـــــرذمة ... ودعاتهـــا - فـــي ديننـــا - ابتـــدعوا

جـــــاؤوا بأفكـــــار مُعلمنـــــةٍ ... وكـــــأنهم أصـــــداءَها اخترعـــــوا

حتـــى أتيـــتَ فقلـــت: ينصـــرني ... بعـــدَ المليـــك ، يصـــد مـــا صـــنعوا

امـــــدد إلـــــيَّ يـــــداً معاهِـــــدة ... أنـــــا - عـــــن الخـــــذلان - نرتفـــــع

حتـــــى نـــــرى آثـــــار خلتنـــــا ... ودّا لـــــه فـــــي الخيـــــر متســـــع

قلب يعذب

(الشعور بالضيم حريٌ أن يُصيب المرء باليأس. ولكن الإيمان بالله يصرفه عن ذلك ويحميه. يقول الأستاذ أحمد أمين تحت عنوان: (عذاب المصلحين) ما نصه: (لقد قرأتُ كثيراً من سير المصلحين المجددين ، فرأيتُ اضطهاد الناس لهم ، دعوة حارة إلى الإصلاح يتبعها تألب العامة عليهم ، واضطهادُ الرأي العام لهم ، والتنكيل بالمصلح ، ثم انتصار الأفكار الجديدة التي أتى بها هذا المصلح. لماذا كل هذا؟ ولماذا يتشابه التاريخ حتى كأنه قانون طبيعي؟ ولماذا يتكرر هذا المنظر في الشرق والغرب وكل مكان حل به الإنسان؟ السبب في هذا أن الفكرة الجديدة تأتي فلا تجد مكاناً بيننا).هـ. فعن زوج مخيّر بن طلاق زوجته الناشز ، وبذلك يُضحّي بابنته الوحيدة - التي تشكو هي الأخرى - وبيته أو يتحمل ويعيش بقلب يعذب ، أنشد من المجتث هذه القصيدة!)

أراغـــــبٌ فـــــي الســـــعادةْ ... ولا يطيـــــــق الجـــــــلادةْ ؟

ألا تحمَّـــــــلْ ، وجاهـــــــدْ ... وكـــــــنْ قـــــــويَ الإرادة

وازرعْ جمـــــــيلاً ، وأحســـــــنْ ... فســـــوف تجنـــــي حصـــــاده

واصـــــبر علـــــى مـــــا تلاقـــــي ... فالصـــــبرُ نعـــــم العبـــــادة!

واحلـــــمْ علـــــى شـــــر زوج ... أمســـــى لهـــــا الســـــوءُ عـــــادة

نشـــــــوزها لا يبـــــــارى ... فتلـــــك تهـــــوى النكـــــادة

وكـــــم نصـــــحتَ! ولكـــــن ... أنـــــى لهـــــذي الإفـــــادة؟

وكـــــم تحمّلـــــتَ منهـــــا ... حتـــــى قلتـــــك الرغـــــادة!

ورغـــــم هـــــذا تجلـــــدْ ... تلـــــق الرخـــــا والســـــعادة

فبيتـــــك اليـــــوم أولـــــى ... مـــــن الرخـــــا بالزيـــــادة

وبنتـــــك - الآن - تشـــــكو ... مـــــا عاينـــــتْ مـــــن بـــــلادة

فضَـــــحٌ حتـــــى تراهـــــا ... بـــــين الـــــورى خيـــــرَ غـــــادة

إنـــــا عهـــــدناك فـــــذاً ... وتلـــــك منـــــا شـــــهادة

لـــــذلك اصـــــبرْ ، وصـــــابرْ ... وارجُ الهنـــــا فـــــي الزهـــــادة

أبشر يا وليم

(كان يهودياً ، ثم تحول إلى النصرانية بحثاً عن الحق. ثم أسلم في النهاية وحسُن إسلامه وأبلى في الإسلام الحنيف البلاء الحسن. فراح ذووه يُقرّعونه ويسخرون منه وهو صابر. فأنشدتُ له من المتدارك مواسياً ومشجّعاً على الحق ، وناصحاً له بأن يستبشر ويظن بالله ظن الخير ، من باب تفاءلوا بالخير تجدوه! يقول محمد المنجد: (قال تعالى: {لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ} تسرية عن المؤمنين وتثبيت لهم. وفي قوله عز وجل: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء} عبرة لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له. ومن طريقة القرآن فضحُ أهل الباطل وتعرية أهدافهم ووسائلهم: {وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غِرة ، وحتى يعرفوا من أين يؤتى الإسلام.).هـ. فأبشر يا وليم!)

البئـــرُ بمـــا يحـــوى ينضـــحْ ... فتـــذوّدْ بالصـــبر لـــتفلحْ

وتحمـــلْ مـــا تلقـــى ، واصـــبرْ ... إن الإســـلام هـــو المَـــربح

وادع الكفـــار إلـــى التقـــوى ... جـــادلهم بالحســـنى ، وانصـــح

أنـــذرهم عقبـــى مـــا ارتكبـــوا ... واغفـــرْ ذلاتِهـــمُ ، واصـــفح

إنْ هـــم صـــدّوك ، فـــلا تحفـــل ... واشـــحذ همتـــك لكـــي تصـــلح

إن هـــم ســـبّوك ، فســـامحْهم ... ومشـــاعرَ قومـــك لا تجـــرح

إن هـــم عـــابوك تحمّلهـــم ... ولســـانك عـــنهم فلتكـــبح

وأعـــرْهم معروفـــك تنجـــو ... بينكمـــا الـــرحمنُ ســـيفتح

وســـتأتي البُشـــرى ، فتمهـــل ... أوَلســـت إلـــى البشـــرى تطمـــح؟

ودوامُ الأحـــوال مُحـــالٌ ... لـــن يبقـــى بـــاطلهم يمـــرح

وبـــلاؤك فـــيهم تجربـــة ... والصـــبرُ هـــو الحـــلُ الأرجـــح

يـــا (ولـــيمُ) أبشـــر ، لا تقـــنط ... وإلـــى مَطلـــبهم لا تجـــنح

والفتنـــة تنفـــي باطلهـــا ... ليَميـــز الـــديّانُ الأصـــلح

وتقبـــلْ يـــا (ولـــيمُ) نصـــحي ... وكلامـــي عـــن حبـــي يُفصـــح

مكانك يا خديجة

(ابتليتْ خديجة تلك الفتاة المؤمنة المحتسبة بحفنةٍ من صُويحبات الفضائيات والإنترنت والإعلام الغربي ، ومن هنا راحت خديجة تنصح ، ولا فائدة. فاشتكت من الحال المزري فقلتُ: مكانك وتمسّكي بعقيدتك وتسامي عليهن بدينك للنهاية ، ومذكّراً لها بأن تستمر في دعوتها إلى الخير غير مبالية بالنتائج لأنها بيد الله وحده! يقول الأستاذ عبد الرحمن آل يحيا التركي ما نصه: (ولما كانت الهداية أعظم نعمة في الوجود كان ثمنها الجنة ولذلك أقسم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا) فمن يريد الجنة فليشترها بالهداية! وهناك أناس يريدون الجنة ولا يدفعون فلساً كما قال يحيي بن معاذ "أعمال كالسراب وقلوب من التقوى خراب ويطمعون في الكواعب الأتراب وفي جوار الملك الوهاب هيهات هيهات!").هـ.)

عُلـــواً - بالعقيـــدة - يـــا خديجـــة ... أتتخـــــذين مِـــــن رُدُدٍ وَليجـــــة؟

أراكِ - بشـــرعة الـــرحمن - أســـمى ... وأنـــتِ بـــوازع التقـــوى بهيجـــة

وإن قيـــام ليلـــكِ بـــات ســـمتاً ... ومَـــن منـــا يُقـــيم - ولـــو – هزيجـــه!؟

وصـــــومُك للنوافـــــل لا يُبـــــارى ... وبالصـــوم التقـــى يُطـــري عُروجـــه

وبَـــذلك للشـــريعة بـــذلُ فضـــلى ... كـــزوج نبينـــا الكبـــري (خديجـــة)

ولكـــنّ الصـــواحبَ فـــي ضـــلال ... يُنـــادمن المعانـــدة المَريجـــة

وهـــل أرضٌ مُجلمـــدة عَـــزاز ... كـــأرض خصـــبةٍ بكـــر عزيجـــة؟

وهـــل قفـــر عـــوت فيـــه الضـــواري ... كـــروض بـــات ممتـــدحاً مُروجـــه؟

ألا فلتثبتـــــي إذ أنـــــت ذخـــــرٌ ... ودومـــاً ناصـــحي الهمـــم المزيجـــة

صـــواحبك افتتـــنّ بشـــر قـــوم ... عشـــقن الغـــرب مُحتضـــناً علوجـــه

ورحبـــتِ المَـــوائسُ بالتـــدني ... أتـــى عبـــر الأثيـــر يلـــي ضـــجيجه

فمـــن شـــط المحـــيط إلـــى خلـــيج ... ومـــن قـــيظ القفـــار لبحـــر (إيجـــة)!

غـــزا البـــث المباشـــر كـــل بيـــت ... وأردى العـــز بالحِيَـــل المُهيجـــة

كـــأن الـــدُّور لـــم تـــكُ ذات يـــوم ... لهـــا - بمعـــالم التقـــوى - وشـــيجة

عتاب

(كان عند هذه المرأة قناعات ومُسَلمات عن أناس هنا بأعيانهم. وفجأة تغيرت قناعاتها ومسلماتها وطاشت موازينها برغم أن الناس لم يتغيروا. فهل هي التي تغيرت؟ أم كانت تخدع من حولها؟ يقول عبد الله الدوسري ما نصه: (إن المتأمل في واقعنا هذه الأيام يجد أنها أيام عصيبة تموج بها الفتن والمنكرات ، إنه عندما قَدِم الإسلام على أقوام قد غرقوا في مستنقعات الجهل والضلال ، ثم انتشلتهم الشريعة الإسلامية من هذه المستنقعات الفاسدة حتى أوردتهم على المَحَجّة البيضاء ليلها كنهارها لا ينكرها إلا جاهل ، ولا يَحيد عنها إلا هالك ، لقد طفق أهل البدع يمجّون من فساد معتقداتهم المستمدة من تحريف الأديان السابقة ومن عبث الشيطان في أفكارهم حتى مازجت نفخات الشيطان نفحات الإيمان ، ثم بدأ يلثم صفاءُ العقيدة كدَر البدع).هـ. والأصل أن نأخذ الناس بالظاهر والله يتولى السرائر! أكتب لها شعراً على البحر المنسرح معاتباً.)

إن الـــــــــرؤى مُســـــــــترابة! والقلـــــــبُ جـــــافى عتابـــــهْ

يشـــــكو اضـــــطراب النوايـــــا مُعرّضـــــــــاً بالقرابـــــــــة

وناصـــــــحاً مَـــــن تعامـــــتْ مُبينـــــــاً مـــــا أصـــــابه

مُجـــــــدّداً كـــــل ذكـــــرى عســـــاه يلقـــــى اســـــتجابة

يـــــا هـــــذه كيـــــف راجـــــت لـــــك الزيـــــوفُ المُعابـــــة؟

وكيـــــف زالـــــت أصـــــولٌ لـــــم تشْـــــكُ يومـــــاً ـ غرابـــــة؟

وكيـــــف ضـــــاعت ســـــجايا كانـــــت دليـــــلَ النجابـــــة؟

أم قـــــد خـــــدعتِ البرايـــــا؟ تمهلـــــي فـــــي الإجابـــــة

وأفصـــــحي عـــــن خفايـــــا ولا تطيلـــــي الدعابـــــة

فالجـــــد أولـــــى بفضـــــلى مِـــــن الهُـــــدى فـــــي الذؤابـــــة

هـــــديُ النبـــــي هـــــداها ومـــــا ارتأتـــــه الصـــــحابة

تراقـــــبُ الله قطعـــــاً ونعـــــم هـــــذي الرقابـــــة!

وتقبّـــــل النصـــــحَ يهـــــدي وبعـــــدُ يُزجـــــي عتابـــــه

ليقبـــــل اللهُ منهـــــا بـــــدعوةٍ مســـــتجابة

مستكبر

(أشيب تجاوز الحدود ، وادّعى ما ليس له ، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل. ومنعه استكباره من أن يعتذر وينهى بذلك الاعتذار حرباً ضروساً تكاد تحرق الأخضر واليابس من حوله. قال السعدي في الفواكه الشهية في الخطب المنبرية: (إن إعجاب المرء بنفسه من أعظم المهلكات وفظائع الأمور ؛ لأن العُجب باب إلى الكبر والزهو والغرور ، ووسيلة إلى الفخر والخيلاء واحتقار الخلق الذي هو من أعظم الشرور ، فهذه الثلاث: الهوى المتبع ، والشح المطاع والإعجاب بالنفس ، من جمعها فهو من الهالكين ، ومن اتصف بها فقد باء بغضب من الله واستحق العذاب المهين ، فطوبى لمن كان هواه تبعاً لمَراضي الله ، وطوبى لمن وُقيَ شح نفسه فكان من المفلحين ، وعرّف نفسه حقيقته فتواضع).هـ. أكتب على المتقارب له ولكل مستكبر.)

هـــو الكِبْـــرُ يجلـــبُ أعتـــى الضـــررْ ... ويُزهـــق بـــأسَ الـــورى والظفـــرْ

وكـــم للتواضـــع مِـــن ميـــزةٍ ... تحَلّـــى بهـــا أهلـــه فـــي البشـــر!

وإن أخطـــأ العبـــد فليعتـــرفْ ... ومـــاذا عليـــه إذا مـــا اعتـــذر؟

ألا أيهـــا الأشـــيبُ انـــس اللقـــا ... فإنـــك اشـــعلت نـــار الغِيَـــر

وجرَّعتنـــا مـــن صـــنوف الأذى ... وأســـقيتنا المُـــر بعـــد الكـــدر

وأيقظـــت ـ فـــي بيتنـــا ـ فتنـــة ... تطـــال مغاويرنـــا ، لا تـــذر

وأنـــت ســـعيدٌ بهـــذا الـــبلا ... تســـائل: مـــا حـــالكم؟ مـــا الخبـــر؟

كأنـــك لـــم ترتكـــبْ جُنحـــة ... هـــداديك يـــا ذا الكـــذوب الأشـــر!

ألســـت تـــرى النـــار مـــن حولنـــا؟ ... ألســـت تـــرى نارنـــا تســـتعر؟

أمـــا قلـــتُ: تـــبْ ، وانتصـــحْ ، وانتبـــهْ ... وخـــذ ـ مـــن فعالـــك ـ بعـــض العبـــر

وأحســـنْ إلـــى مَـــن أســـات ، ولا ... تكـــن ســـبباً فـــي ازديـــاد الضـــرر

إذا مـــا قـــدرت علـــى ظلمنـــا ... فخـــفْ نقمـــة القـــادر المقتـــدر

ألا فـــاعتبرْ بالعُتـــاة الألـــى ... مضَـــوْا ، إنْ يكـــن لـــك مِـــن مزدجـــر

فيومـــاً يُهـــال عليـــك الثـــرى ... وفـــي المـــوت – يـــا غـــافلاً ـ مُعتبـــر

العاصفة

(تزوجها يحسبها صالحة ، فإذا بها غير ذلك. فكانت حياته معها كالبحر مداً وجزراً ، في أول الطريق. ثم تحولتِ إلى عاصفةٍ لا تهدأ ، ومداً لا يتحول. ولله دَرّ من وصف الدنيا قائلاً: (الدنيا دار ابتلاء ، فهي بمثابة المكان الذي يجري فيه الاختبار ، وهي أيضاً الزمن المقرر لهذا الاختبار! أما مجالات هذا الاختبار ، ومواد ذلك الامتحان ، فتتلخص فيما على هذه الأرض من ثروات ومنتجات وزينة وما يجري فوقها من عمران ، يقول تعالى: {إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}. والابتلاء يكون أيضاً في الأنفس من نحو الصحة والسقم ، والقوة والضعف ، والسعادة والشقاوة ، كما يكون في الأموال من نحو الفقر والغنى ، والعوز والرفاهية). فتخيلتُ نفسي أحكي عن ذلك الزوج هذه القصة المأساوية على البحر الخفيف.)

لستُ أدري كيف ابتداءُ الحكاية ... كم دهتني – والله - تلك البداية!

وحياتي كالبحر مداً وجزراً ... ثم ذقتُ من الزواج النكاية

إي وربي ، كان ابتلاءً شديداً ... لا يُبارى – صدقاً - بأعتى جناية

غرّني ما قد أظهرتْ مِن سَجايا ... والتلاواتُ آيةٌ تلو آية

والحجابُ إذ أسدلته يُغطي ... كل حُسن ، إن الحجاب وقاية

وقيامٌ لليل دون انقطاع ... زانه البُعدُ عن دروب الغواية

واستماعٌ لكل درس تحلى ... بالبيان في عَرضه والهداية

غرّني النصحُ دون خوف البرايا ... باجتهادٍ يَهدي الورى ، وعناية

ما ظننت أني خدعتُ ، وربي ... ثم كان الزواج أشقى نهاية

حيث بات العيش المَرير عِقابي ... ثم هذي مِن مُفردات الرواية

ما لزوجي بالدين أدنى انتساب ... ما لديها بالشرع أي دراية

بالخيار إن شئتُ طلقتُ زهداً ... أو تحملتُ كربتي والإذاية

كم شكوتُ منها إليها رضياً ... بالقرار تقضيه بعد الشكاية!

كيف يحيا على العواصف زوجٌ ... زوجُه لا توليه بعض الرعاية؟

وعظتَ الناس

(وعظ ذلك الداعية مجموعة من الناس ولكنهم جحدوا ما عاينوا. حيث وجدوا أن تكاليف الإيمان تتناقض مع هزلهم وجاهليتهم. فآثروا الجحود مثل ثمود (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) ، ومثل مشركي قريش (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون). إنه الداعية المتحرك في كل صوب ، المتقن لدعوته في كل ثوب ، إن كان في بيته فنعم العائل والمربي ، فإن نزل الشارع وخالط الناس ، وسعهم بدعوته ، فإن ركب وسيلة مواصلات تناثرت بركاتُ دعوته على من حوله من الركاب ، إذا دخل مصلحة لم يخرج منها إلا بغنيمة دعوية ، نصيحة يُسرّ بها موظفٌ ، أو موعظة يُسمعُها لسافرة ، أو كلمة معروفٍ يذكّر بها من يقف معه ، إنه المبارك في حِله وترحاله ، كالغيث أينما وقع نفع. فكتبتُ في هذا من البحر الوافر.)

عهدتكَ عن سنا التقوى تذودُ ... وقومُك صدهم عنك الجحودُ

حملتهمُ - على الإيمان - حَملاً ... وتشهد بالذي قلتُ الجهود

وأخلصتَ النصيحة لم تخنها ... ونصحُك زانه اللفظ النضيد

وأنكرت القبائحَ والدنايا ... فكل زيارةٍ فيها المَزيد

ونقحْتَ البيان لكي يتوبوا ... وأوصلت الرشاد كما تريد

وهذي حُجة قامت عليهم ... فقال القوم ما قال الجدود

ألا إنا نقلد كل أمر ... أتاه السابقون ، ولا نزيد

ونوقنُ أنّ ما تلقيه حقٌ ... وأنك بيننا الرجلُ الرشيد

ونجزمُ أن ما نأتيه فسقٌ ... يحث عليه شيطان مريد

ونقطع أننا في شر حال ... ويوماً سوف تطوينا اللحود

ولكنا تعشقنا التدني ... وللشهوات سجنٌ ، بل قيود

فأ قصرْ مِن مواعظ أحرجتنا ... وأنت - على الذي قلنا - شهيد

وعظت الناس ، لكنْ ما استجابوا ... لأن سُعار فتنتهم شديد

تقول لنا: السعادة في المعالي ... ونحن نرى الخليعَ هو السعيد

دمعة تأبين على الشهداء

(وهذه دمعة تأبين على مجاهدي (مقديشيو) الذين احتسبوا أنفسهم عند الله. وجاهدوا الطغيان حسب طاقاتهم حتى آخر قطرة دم. قال الأستاذ عارف الدوسري ما نصه: (قانون التضحية قانون جميل جداً قليلون الذين يعرفونه وأقل منهم الذين يطبقونه في حياتهم. كثير من الناس يضحّون ويضحون كثيراً ، لكن تضحيتهم تذهب هباءً منثوراً. إذ لا يعرفون معنى التضحية لأنهم يضحُّون بأنفسهم وبمستقبلهم وبكل الأشياء الجميلة في حياتهم لينتفع بها أشخاص آخرين. اقرأ: في تقدير الذات كل الحياة. وبدونه لا حياة! إذا أردت أن تضحّي ، فضحّ من أجل نفسك لا من أجل الآخرين ، وبذا تصبح أقوى وأقدر على دعم من كنت ستضحّي بنفسك من أجلهم).هـ. نسأل الله أن يرحمهم وأن يَخلفهم في زرايهم. إنه - عز وجل - ولي ذلك والقادر عليه.)

دمـــوعُ قريضـــي فـــي البليـــات شـــاهدي ... وحتمـــاً تعـــاني - فـــي الرزايـــا - قصـــائدي

أســـحّ دمـــوعي فـــي الـــدواهي مؤبنـــاً ... ويعلـــم رب النـــاس أنقـــى مَقاصـــدي

أشـــيّع - بالـــدمع الغزيـــر - أحِبّـــة ... قضَـــوْا فـــي التصـــدي للعـــدو المعانـــد

وخاضـــوا حروبـــاً فـــي التحـــدي مريـــرة ... ولاقـــوا كثيـــراً مـــن فظيـــع الشـــدائد

وســـالت دمـــاءُ الصِـــيد فيهـــا زكيّـــة ... بهـــا رُويـــتْ جمّـــاً رمـــالُ الفدائـــد

وســـاءلت (مقدشـــيو) عـــن الحـــرب دمـــرتْ ... بـــلاداً حَـــوَتْ مِـــن عبقـــري المشـــاهد

فقالـــت: يمـــينَ الله قـــومي ضـــحية ... فقـــد مـــارسَ الأعـــداءُ أعتـــى المكائـــد

ودكّـــوا بيوتـــاً قـــد تـــداعى بناؤهـــا ... وكـــم دمّـــروا - حقـــداً - عتيـــقَ المســـاجد

ويُـــتِّم أطفـــالٌ ، ورُمِلـــتِ النســـا ... ففاضـــت لمَـــا يَجـــري دمـــوعُ الولائـــد

ألا إن فـــي (الصـــومال) أشـــرسَ فتنـــة ... تقـــودُ الـــورى قســـراً لشـــتى المفاســـد

تطـــاولَ ليـــلُ الظـــالمين ومكـــرُهم ... وأهـــلُ المعـــالي بـــين تـــال وســـاجد

تخلّـــت عـــن النصـــر المُحَـــتم أمّـــة ... ولـــيس التخلـــي مـــن نبيـــل المحامـــد

ويومـــاً لنـــا يـــا غـــرب لقيـــا وموعـــدٌ ... تـــرى فيـــه مـــن يحبـــو كمثـــل المجاهـــد

مَـــددتم لنـــا كَفـــاً تكيـــل لنـــا الـــردى ... وإن لنـــا ثـــأراً بأيـــدي الأســـاود

حوار مع لبنانية

(راحت تدافع عن التبرج ، وتراه حقا من حقوق المرأة. ثم هاجمت الحجاب. واعتبرته عادة تركية عثمانية أتت من عصر الحريم وعالم الظلام وزمان الرجعية. والأصل أن نرد عليها وندحض حجتها! قال ابن القيم: (إذا حرّم الرب شيئاً وله طرق تفضي إليه وتؤدي إليه فإنه يحرم هذه الطرق والوسائل تحقيقاً لتحريمه وتثبيتاً له ومنعاً من الاقتراب من حِماه. وفي المقابل إذا أمر الله بشيء وأوجبه فإن الشريعة جاءت لفتح الطرق إليه ، لفتح الذرائع إلى هذا الأمر! فمثلاً النظر إلى الأجنبية ، لما كان ذريعة إلى الزنا صار محرّماً ، والسعي إلى البيت الحرام لما كان ذريعة للحج صار مأموراً به ، فالمنعُ من النظر إلى الأجنبية سدٌ للذريعة ، والسعي إلى البيت الحرام فتحٌ للذريعة).هـ. ولمّا كررتْ دعوتها العُهرية وصالت وجالت ، أنشدتُ لها أقول مبكتاً!)

خابت نفوسٌ لا تكِنّ سوى الهُرا ... وترى الحجاب مِن الحرائر منكرا

مادمتِ جاهلة بشِرعة ربنا ... لمَ تعمدين إلى التطاول والمِرا؟

لمَ تفرضين الجهلَ يغمر ساحة ... وبلا احتراز ، والهوى يُغري الورى؟

لمَ تجهرين اليوم بالسوء الذي ... يحوي الكثير من الأحاجي والفِرى؟

أحرجتِ مَن يهدي فؤادك للهُدى ... حتى اتبعت مَن الأكاذيبَ افترى؟

إن الحجاب شريعة لا عادة ... مهما تحايل مجرمٌ ، أو زوّرا

لا شيء يُدعى عادة في ديننا ... حتى تتابع مَن تمحّك وامترى

إن الأدلة في (الكتاب) كثيرة ... والسنة الغراء خيرٌ مصْدرا

إن لم يكن هذا الحجابُ شريعة ... مفروضة مثل المناسك والعُرى

لاختاره أهلُ الهدى لنسائهم ... وبناتهم ليَكُنّ حقاً في الذرى

سداً لكل ذريعةٍ في دارهم ... كيلا يعودوا بالديار القهقرى

كيلا يكون الدعر سمتاً والخنا ... كيلا يعم العهرُ أصقاع القرى

كيلا نروّج - في المدائن - للزنا ... ونبيت في الدنيا أضلّ وأفجرا

يا هذه توبي من الإفك الذي ... روّجته ، يوماً سيوبقك الهُرا

العاشقة وجحيم العشق

(مازال بها التطلع إلى الرجال والأنس بحديثهم حتى أصيبتْ (هند) بمرض العِشق ، وتلظت في جحيمه. وبالغت في القرب من الرجال أكثر بالمصافحة. ففتنتْ لأن هذا الداءُ العضال والمرض القتَّال (العشق) قد انتشر انتشار النار في الهشيم ، لذا وجب علينا التحذير منه لأن التساهل فيه يجرّ إلى الفواحش والآثام ومُواقعة الحرام ، ويشغل القلوب عن علام الغيوب ، فالعشق أذاقهم العذاب الأليم ، كم أزال من نعمة ، وأحل من نقمة! فلو سألت النِّعَمَ ما الذي أزالَكِ؟ والهمومَ والأحزانَ ما الذي جَلَبَكِ؟ والعافيةَ ما الذي أَبْعَدَكِ؟ والسترَ ما الذي كشفك؟ والوجهَ ما الذي أذهب نورك؟ لأجابتك بلسان الحال: هذا بجناية العشق الحرام على أصحابه! وعندما امتُهنت عاشقة قصيدتنا وباتت سلعة بائرة في عالم الرجال ، هجروها وملّوها فهجرتْهم فكتبتُ لها ألومها.)

مـــازال عشـــقكِ بـــين الجَـــزْرِ والمـــدِّ ... حتـــى اصـــطليتِ بنـــار الهجـــر والصـــدِّ

فكـم نظـرتِ إلـى (عمـرٍو) بكـل هـوى! ... وكـم نظـرتِ - بـلا تقـوى - إلـى (زيـد)!

عينـــاكِ أرســـلتا سِـــهام عاشـــقةٍ ... تصـيب مـن عشـقتْ كالصـارم الهنـدي

وكـــم تطلعـــتِ للرجـــال فـــي شـــبق ... حتـــى تعانقـــتِ الأرواح والأيـــدي!

لكـــل نـــذل رؤىً تُـــزري ومَخبثـــة ... فعاشـــقٌ منـــكِ بعـــضَ الحـــب يســـتجدي

وعاشـــقٌ وَدَّ لـــو ترضـــيْن رفقتـــه ... لـــذاك أبـــدى لحَمقـــا لمْســـة اللمـــد

وعاشـــقٌ أنسُـــه حـــديثُ آنســـةٍ ... يُصـــيبه صـــوتُها الصـــداحُ بالوجـــد

وعاشـــقٌ قلبـــه شـــوقاً يُـــداعبها ... ويســـتلذ إذا اقتربـــت ، وعـــن بُعـــد

وعاشـــقٌ لفظـــة منهـــا تســـربله ... حتـــى يبيـــت أســـيرَ الغُـــل والقيـــد

وعاشـــقٌ مِســـكُها يـــذيب عزتـــه ... وقـــد يُزلزلـــه منهـــا شـــذى الرنـــد

حتـــى غـــدوتِ لهـــم أضـــحوكة هزلـــتْ ... لمّـــا اســـتهنتِ بـــأمر الخـــالق المُبـــدي

لمّـــا اســـتبحتِ حـــرام الله دون حيـــا ... لمّـــا انحرفـــتِ عـــن الأخـــلاق والرشْـــد

لمّـــا اســـتجبتِ لأهـــواءٍ بُليـــتِ بهـــا ... رزقـــتِ يـــا (هنـــد) ســـوءَ الفعـــل والقصـــد

ونـــارُ عشـــقك قـــد أودت بمـــن عشـــقتْ ... ومـــا بكـــى عاشـــقٌ يومـــاً علـــى (هنـــد)

أيها الرضيع ، رفقا بنفسك!

(تفقد ذلك الصالح حياً كان عامراً بأهله ، ثم قصفه كله أعداءُ الحق ، فوجده ركاماً. وكانت المفاجأة أن وجد تحت بعض الأنقاض رضيعاً حياً ، فانتشله وأطعمه وسقاه. ولكنه لاحظ سيطرة البكاء عليه. فقال له: رفقاً بنفسك. يقول الله – تعالى -: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ). وهم يلعبون في ناديهم ، ومجتمعاتهم: (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ). ثم بيّن الله أمراً آخراً عظيماً ألا وهو قوله: (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ).)

هـل يُـداوي الـدمعُ الأسـي والجراحـا؟ أم يصـدّ كيـدَ العِـدا والسـلاحا؟

أم يُعيـدُ أرضـاً وداراً وقومـاً وحِمـىً بالهيجـا غـداً مسـتباحا؟

أم يـردّ العمـرانَ أضـحى حُطامـاً؟ أم يُزيـل الآلامَ والأتراحـا؟

يـا صـغيري رفقـاً بنفسـكَ ، واصـبرْ إنمـا الصـبرُ يُسـعدُ الأرواحـا

إن لليُـتم يـا صـغيري مزايـا كـم يتـيم نـال العُـلا والفلاحـا!

حقـقَ الآمـالَ التـي يشـتهيها فاسـتحق الإطـراءَ والأمـداحا

واسـتمى بـين النـاس سَـمتاً وهـدياً مطمئنـاً مستبصـراً مرتاحـا

أحـرز السـبق فـي العطـاء احتسـاباً جـاعلاً مِـن بـذل الهبـات سِـلاحا

يـا صـغيري فـيم البكـاءُ ، وهـذا أول الـدرب يسـتطيب الكفاحـا؟!

عـش عصـامياً تكسـب القـوتَ كـداً إن للشـهم همـة وطِماحـا

لسـت تحيـا هـذا الـبلاء وحيـداً كـي تقـول: وحـدي أقاسـي الجراحـا

كلنـا ـ مِـن هـذي الزرايـا ـ نعـاني رافضـين للشـر ، نرجـو الصـلاحا

طـال هـذا الليـلُ الشـديدُ علينـا فانتظرْنـا فجـراً يَـذرّ الصـباحا

أيهـذا الرضـيع أبشـر بخيـر نحـن أهـلٌ ، دع البكـا والصـياحا

الناقد الصادق

(ما أكثر النقاد في زماننا. وما أكثر كتب النقد المعاصرة ، ولكن أين الناقد الصادق الذي ينقد نقداً بناء يبين فيه بكل صدق ما للعمل الأدبي وما عليه؟ لقد كتبتُ أشعاري ونقدي بمداد المحبة والوفاء فلعلها تجد من القارئ تأملاً وتفكراً يعقبه تغير وتحول وهداية ، فغداً تظهر السرائر وينكشف المخفي في الضمائر ، قبرٌ وسؤالٌ ووقوفٌ بين يدي الواحد القهار وجنةٌ ونارٌ أجارنا الله من النار. نفع الله بهذه الأشعار من قرأها ونظر فيها ، أحيا بها قلباً ميتاً وأيقظ بها قلباً غافلاً وجعلها سبباً ناجحاً ، أراق بها دموع التوبة وأسكب بها عبرات الأوبة وغفر لمن أعان على نشرها وطباعتها! لكل ناقد صادق ابتغى بنقده النصيحة لمن ينقد أعماله. ولم يبتغ التشفيَ المَقيت والتجريح الفظ دون حق له في ذلك ، أكتب مبتغياً وجهَ الله تعالى على البحر المقتضب!)

السـيوفُ تمتشـقُ ... والجهـادُ مُنطلـقُ

والصـراعُ مُحتـدِمٌ ... والرشـادُ يـأتلق

والـرؤى مُنشّـرة ... تزدهـى بهـا الفِـرق

ذاك مسـلمٌ فطـنٌ ... ثاقـبُ النهـى لبـق

ناقـدٌ لـه بصـرٌ ... لا يخـافُ مَـن حنقـوا

قـد دعـا لشِـرعته ... شـأن كـل مـن صـدقوا

فـي العطـاء محتسـبٌ ... فـي مليكـه يثـق

مبتلـىً بمَـن وهنـوا ... ثـم بالهُـدى ارتزقـوا

جرّعـوه فتنـتهم ... لـم يضـقْ بـه الأفـق

بـه أزال مـا فرضـوا ... هازئـاً بمـا نطقـوا

ناقـداً لمَـا اعتقـدوا ... لـم يَـردّه الفَـرق

ناشـراً مَـزاعمهم ... والتـي بهـا فسـقوا

فاضـحاً تخرّصـهم ... والـذي بـه مَرقـوا

ذاكـراً تعنـتهم ... والـذي لـه انطلقـوا

انحدار عواقبه وخيمة

(اعتاد على قيام الليل وقراءة القرآن والصدقة وغير ذلك من أعمال البر والخير والإحسان. ثم لم يلبث حتى فتن وانحدر إلى حضيض الخمر والنساء. فناشدته العودة غير مرة فلم يقبل. فرحتُ أنذر من عواقب هذا الانحدار. وصدق السكندري حينما شخص الداء فقال: (إن أعداء الله يريدونك ضعيف الإيمان والبنيان ، مرتعش اليدين ، أجوف القلب ، تافه الأحلام. ألم يأتك نبأ قنوات الفيديو كليب المليء بالغناء الماجن والرقص الخليع ونحوه؟ ألم تعلم أنهم صمموا آلاف بل ملايين المواقع الإباحية وغيرها لهذه الأغراض. لو لم تكن مهماً لهذا الحد ما اهتموا بتدميرك وإبعادك عن دينك ، إلا أنك غافل. ألم يأت الأوان الذي تعرف فيه أن دينك بحاجةٍ إليك؟ والأصل أن الذي أنعم الله عليه بالهداية ينبغي أن يأخذ بأسباب تزكية النفس. وعلى المنسرح أقول:)

هـــــذا انحـــــدارٌ بئـــــيسُ ... لا تصـــــطفيه النفـــــوسُ

ولـــــيس يَرضـــــى التـــــدني ... إلا الحقيـــــرُ الخســـــيس

وأيـــــن مـــــا كنـــــت تـــــأتي؟ ... أيـــــن الهُـــــدى والـــــدروس؟

أيـــــن القـــــراءاتُ ولّـــــت؟ ... والـــــذكرُ نعـــــم الجلـــــيس!

أيـــــن اليـــــراعُ؟ أجبنـــــي! ... وأيـــــن منـــــك الطـــــروس؟

وأيـــــن صَـــــولة فـــــذٍ ... إذا تـــــداعى الـــــوطيس؟

وأيـــــن أحلـــــى الأمـــــاني ... وأنـــــت فيهـــــا الأنـــــيس؟

وأيـــــن عُصـــــبة خيـــــر ... وأنـــــت فيهـــــا الـــــرئيس؟

فـــــيم انحـــــدارك حتـــــى ... تقـــــول: إنـــــي تعـــــيس؟

خـــــفْ مـــــن عُقوبـــــة هـــــزل ... فيهـــــا العـــــذابُ البئـــــيس

وعُـــــدْ لســـــابق عهـــــد ... فلـــــن تفيـــــد الكـــــؤوس

وخـــــلِّ (هنـــــداً) و(لبنـــــى) ... إذ للغـــــرام حَســـــيس

(لمـــــيسُ) زوجُـــــك غـــــارت ... وقـــــد كفتـــــك (لمـــــيس)

مَعـــــذورة فـــــي رؤاهـــــا ... والوجـــــهُ - جـــــداً – عبـــــوس!

فأين حق الجوار؟

(عندما تفتقد الأخوة بين شقيقين ، نسأل فنقول: فأين حق الجوار؟ ولا جواب. لأن الشعار هو(عشْ نذلاً تعش أو تمت مستوراً) ، وأيضا (نفسي ومِن ورائي الطوفان). وقد سرق هذا الشقيق الغادرالمفتقد لمعاني الأخوة كُتب شقيقه وأسفارَ عِلمه وشرائطه المسجلة علانية بلا حياء. فليته إذ افتقد الأخوة حافظ على الجوار العام. وصف الله المؤمنين بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ). يقول القرطبي: (والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال. والأمانة تشمل كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً والأمانة هي أداء الحقوق ، والمحافظة عليها. والأمانة خلق جليل من أخلاق الإسلام! فهي فريضة عظيمة حملها الإنسان ، بينما أبتِ السماوات والأرض والجبال أن يحملنها).هـ. وابتلي الإنسان فحملها!)

كم تلظت في بلاويها ضمائرْ! ... واستكانت لمآسيها سرائرْ!

وافترى في ظلمه نذلٌ خسيسٌ ... أضرم الكيدَ ، وضحّى بالأواصر

وامترى الإفكَ يغطي ما تبدّى ... مِن عَوار لم يكن إلا بوادر

حاز أسفاري، كأني زرتُ قبري ... ومضى بالسطو يزهو ويفاخر

يخدعُ الناسَ لكي يلقى التحايا ... أو يقال: عالمٌ جمّ المآثر

أنتَ - والله - جهولٌ لا تساوي ... مِدحة غبراءَ يُلقيها مُقامر

فلماذا تلبسُ العِلم رداءً؟ ... يا سفيها ، هل غدا العِلمُ مظاهر؟

أنت عبد للدنايا والأغاني ... لم تكن طالب علم أو مُناظِر

أنت للأزياء عبدٌ مستكينٌ ... أنت بالعِصيان للمولى تجاهر

يا أبا جهل أعِدْ أسفار علمي ... وتفرَّغ لأغاني كل سامر

إن للعلم رجالاً لستَ منهم ... طهُروا سَمتاً وهَدياً وسرائر

وله ضحَّوْا بأوقاتٍ ومال ... وديار ، بل ودُور وعشائر

أنت لم تنفقْ على العلم ريالاً ... إنما تسرقُ أسفار المسافر

لو تراني لستُ للساطي شقيقاً ... أين حقُ الجار للجار المجاور؟

ارجعي كما عهدناك

(تعلقت (نائلة) الزوجة الرقيقة العطوفة بزوجها كل التعلق ، إلى الحد الذي لم تكن تتصور الحياة بدونه. وكان من قدر الله عز وجل أن يُتوفى عنها. فتأثرتْ جداً لحد القنوط وحساب القدر والعياذ بالله. وذلك منها رغم صلاحها وتقواها. فطلبتُ منها الحزن على فقيدها ولكنْ بحدود ، والبكاء على زوجها الراحل ولكنْ باعتدال. وناشدتها العودة لما كانت عليه من الوقار والهدوء والسكينة والطمانينة. ذلك أنها وإن كانت قد فقدتْ زوجها فلم تفقدْ حياءها ودينها وتقواها. ولتقل كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يؤبن ولده إبراهيم: إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولتصبر ولتحتسب! قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ). وقال: (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ). وقال: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ). وقال: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ). وقال: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ.) فكتبتُ أعزيها!)

أواسيكِ في هذه النازلة ... وهذي دموعُ الجوى هاطلة

ولن يُرجعَ الدمعُ مَن قد ثوى ... ولكنها الرحمة الهاملة

فخلّ الكروبَ ، وخلّ الأسي ... فقد صرتِ كالوردة الذابلة

لماذا القنوط؟ ألمْ تعلمي ... بأنك مِن بعده راحلة؟

لماذا المِرا وحسابُ القضا؟ ... أما زلت شاردة ذاهلة؟

حنانيكِ ، أين الرشادُ الذى ... تمرّق مُذ حَلتِ النازلة؟

هداديكِ ، والعلم أين انتحى ... لكي تطرحي الرّيبَ الجاهلة؟

إذا ما رُزئتِ بزوج مضى ... فما الرُزءُ في الشِرعة الفاضلة؟

وصبرُ الورى في البلا واجبٌ ... فهل الاحتساب غدا نافلة؟

كما قد عهدناك فلترجعي ... بوحي مليكِ السما عاملة

مجاهدة في سبيل الهُدى ... وقائلة بالهُدى فاعلة

بربك أنتِ لنا قدوة ... فعودي لرشدكِ يا (نائلة)

يا أسفى على جميلة!

(اختارتْ أن تدرس في كلية الفنون الجميلة. فنصحتُها بالإقلاع عن هذا الاختيار وترشيح كلية أخرى أقل سوءاً وخطراً ، فأبتْ. ولمّا كانت إحدى المواد العملية وهي الطبيعة الحية ، جيء بامرأة عارية مستأجره ليرسمها الطلبة والطالبات ، فاستحت ، وقررتْ ترك الكلية. فتأسفتُ لترددها منذ البدء! إنه لا يجوز للإنسان تركُ الواجبات ، ولا الاستهانة بالمحرّمات فكذلك لا يليق به أن يتهاون بالطاعات اليسيرة ؛ بحجة أنه واقع في كبائر ؛ فقد يعمل عملاً يسيراً في نظره كإماطة الأذى عن الطريق ، وكصلة الأرحام ، فيكون ذلك سبباً لمغفرة ذنوبه ، خصوصاً إذا قام بقلبه الإخلاص ، وصدق الإقبال ؛ فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها ، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب ؛ فتكون صورتها العملية واحدة ، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض.)

نصحتُكِ راجياً أن تستجيبي ... فآثرتِ التخبط في الدروبِ

وقلتُ: دعي التهتك والدنايا ... وإن الرشْدَ أصلحُ للقلوب

وقلتُ: ذري السفولَ لمن تردتْ ... ولم تعبأ بكارثة الذنوب

ولمتك يا جميلة في اختيار ... دنيء ، بل وضيع ، بل مُريب!

فغلبتِ الهوى ، وله استكانتْ ... وقالت تشتكي: هذا نصيبي!

فقلتُ مبكّتاً: قد كنتِ أولى ... بأن تصغي إليَّ وتستجيبي

فواأسفى عليكِ ، غدوتِ صَيداً ... لمن قد أسلموكِ إلى الخطوب

فخضتِ إلى النجا حرباً ضروساً ... وما عِلمُ الخرائد بالحروب؟

صراعٌ دار من أجل المعالي ... فما هذي التقيّة باللعوب

(جميلة) أنتِ عاينت التردي ... فلم تتقبلي ، أو تستطيبي

فضحّي اليومَ مهما قيل حمقا ... لأن الشمس تؤذنُ بالغروب

ضياعُ العام أهونُ من سقوطٍ ... يسوؤك يا جميلة في المشيب

لعلك قد أخذت اليوم درساً ... به تتخلصين من العيوب

وتعتصمين بالله احتساباً ... عسى المولى يُعينكِ أن تتوبي

إلى عالم الدنس تذهبون!

(عائلة واحدة ، ودربان متباينان. والذي يوضّح هذا للعيان أن نصف أفرادها - عند حلول العطلة الدراسية - يذهبون إلى مكة للعمرة. وأما النصف الثاني فيعتمر في بانكوك! إنها معركة الإنسان مع غريزته المستترة في أغوار نفسه ، والهالكون في أغوار هذه المعركة من البشر كثيرون ، والناجون قليلون ، يجتمع للمنتصر في معركته إقامة المروءة وصون العرض وحفظ الجاه وراحة البدن وقوة القلب وطيب النفس وإقامة الفؤاد على الدين وانشراح الصدر وقلة الهم والغم والحُزن وعز المكانة ونضرة الوجه ومهابة في قلوب العباد وزوال الوحشة وقرب الملائكة وبعد الشياطين وذوق حلاوة الطاعة وطعم حلاوة الإيمان وزيادة في العقل والفهم ، حاكياً عن الفريق المعتمر في مكة متخيلاً إياه ينصح عبيد بانكوك فيقول لهم على البحر المضارع:)

خلوا طريق الفسادِ ... واستمسكوا بالرشادِ

أنتم بهذا التدني ... تطمّعون الأعادي

ماذا وراء التردي ... إلا الفنا والعوادي؟

أما اعتبرتم بقوم ... باعوا التقى في المزاد؟

وعربدوا دون خوفٍ ... وأفسدوا في البلاد

وأرخصوا كل غال ... وأمعنوا في العناد

وأخرسوا كل داع ... لله رب العباد

فنالهم بطشُ ربي ... فشرّدوا في البوادي

من بعد عز ويُسر ... يختال في كل واد

اليومَ هم في عذاب ... يجنون مُرَّ الحصاد

وبينهم حالَ ربي ... جبراً وبين الزاد

يا قوم توبوا ، وجدّوا ... وفاصلوا كل عاد

(بانكوكُ) ليست داراً ... تحوي نقيَ النوادي

لكنَّ (مكة) أولى ... بذلكم في اجتهاد

شموخ ناقة

(كانت تسير هذه الناقة على الطريق مع رفيقاتٍ لها ، وفجاة عبرت النوق الطريق الملئ بالسيارات العابرة. أما هذه الناقة فتخلفت ، لتواجه الموت وحدها في شموخ وشجاعة. حيث ارتطمت مؤخرتها بسيارة صدمتها فماتت في التو. وبلا قطرة دم ، ثم اضّجعتْ على الأرض رافعة رأسها في عزة وشموخ لم أر مثلهما على ناقة في حياتي. نعم ، ولم أر مثلهما على ناقة حية فضلاً عن أن تكون ميتة. فلله الأمر من قبل ومن بعد. والعجيب أنني مررتُ بهذه الناقة على هذا الوضع عقيب صلاة العصر هنا في عجمان ، وعلى طريق الحليو بجوار مقلب القمامة ، وظننتها حية تتأمل شيئاً أو تشرد بخيالها بعيداً عن الواقع شأن كثير من النوق. وإن كنتُ قد انفعلتُ بما حدث للناقة وهي تواجه الموت ، إلا أنني أريد أن أسوق أسباب النجاة لكل قارئ! ففي محاضرة له بعنوان: (لو تكلم الموتى) يقول الشيخ سليمان الماجد ـ حفظه الله – مستعرضاً عشرة معالم للنجاة ما نصه بتصرف: (لعل رجلاً من الموتى وقف على أصحابه بأكفان بالية مترّبة وهم في استراحتهم ، هؤلاء الأصدقاء الذين كان يقضي معهم جُلّ وقته ، هؤلاء الأصدقاء الذين كانوا يقدم محبتهم على محبة والده ووالدته وأخوته ، حيث كان يتفقد أحوالهم ولا يتفقد أحوال أقاربه! كان يأنس بلقياهم ولا يأنس بلقيا أقرب مقرّبيه كان لا ينام حتى يهاتفوا بعضهم ، لقد كانوا ملء سمعه وبصره ولعله لو خرج من قبره وذهب إليهم في ناديهم لتذكر كم كانت الأوقات تذهب سُدى لقد كان يقطع في طريقه إليهم ما يقارب نصف ساعة ، كان يستطيع أن يسبّح في هذا الطريق أكثر من ألف تسبيحة ولعله أن يقول: كم كانت الأوقات تذهب سدى هذه ألف تسبيحة في طريق الذهاب فقط بكل تسبيحة صدقة فلماذا كنا نضيّع الوقت فيما لا ينفع ، ونحن من أحوج الناس إلى هذه الحسنات والصدقات ، لتكفير عظيم السيئات؟ لقد قضيت معهم من عمري أكثر من عشر سنوات لم أمسك بيدي فائدة واحدة في ديني ودنياي فيما كان أهل الخير يخرجون بنتائج باهرة ، فمرّة بمذاكرة علم ، ومرّة بمؤانسة محببة ، ومرّة بتعاونٍ على مشاريع الخير والبر ويشجع بعضهم بعضاً عليها ، هكذا يكون قضاء الأعمال فيما ينفع في الدين والدنيا ولعله لو أطلّ على مجلسهم لتخيل نفسه بينهم ، هذا مكانه هذا موضع مرحه هذه قوته هذا شبابه ، آه ليتني أعود إلى هذه الدنيا في تلك القوة والنشاط لأعبد الله حق عبادته لأتوب من ذنوبي لأستكثر من الحسنات ، آه ليتني أعود لهذه الدنيا لأقول لهم لقد عودتموني على كل عادة قبيحة وعلمتموني كل معصية لله ـ عز وجل ـ سوف أترككم إلى الأبد لأبدأ حياتي من جديد في طاعته ورضوانه في كنفه وقربه لقد كانت الآيات تطرق سمعي وكأنه يُعنى بها غيري {ومن يعشُ عن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَنْ يَنفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} {الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}. والآن يصف الماجد معالم النجاة فيقول: * المَعْلم الأول: لا تُعجب بحالك الراهنة فإن الأعمال بالخواتيم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم). * المَعْلم الثاني: زيارة القبور خير طريق لتذكر الموت وما بعده فقد صحّ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا

فزوروها فإنها تذكركم الآخرة)! جاء في تبصرة القرطبي - رحمه الله - قوله: كم من ظالم تعدى وجار فما راع الأهل ولا الجار بينما هو قد عقد الإصرار حلّ به الموت فحلّ من حُلته الإزار فاعتبروا يا أولي الأبصار ، ما صحبه سوى الكفن إلى بيت البلى والعفن فلو رأيته وقد حلّت به الفتن وشين ذلك الوجه الحسن فلا تسأل كيف صار فاعتبروا يا أولي الأبصار ، سال في اللحد صديده وبلى في القبر جديده وهجره نسيبه ووديده وتفرق شحمه وعبيده وتخلى عن الأنصار فاعتبروا يا أولي الأبصار ، أين مجالسه العالية أين عيشته الصافية أين لذته الخالية كم تسفي على قبره السافية ذهبت العين وأُخفيت الأثار فاعتبروا يا أولي الأبصار ، تقطعت به جميع الأسباب وهجره القرناء والأتراب وربما فُتح له في اللحد باب النار فاعتبروا يا أولي الأبصار ، خلا والله بما صنع واحتوشه الندم وما نفع وتمنى الخلاص وهيهات قد وقع وخلاّه الخليل المصافي وانقطع واشتغل الأهل بما كان جمع وتملّك أعداءه المال والدار فاعتبروا يا أولي الأبصار ، نادمٌ بلا شك ولا خفى باكٍ على مازلّ وهفا ، يود أن صافي اللذات ما صفى وعلم أنه كان يبني من جرفٍ هارٍ على شفى فاعتبروا يا أولي الأبصار. * المَعلم الثالث: إذا رأيت ميتاً فتصور أنك أنت الطريح بين يدي الإمام أو على النعش أو من يُنزل في حفرة القبر فحريٌ بنا حينئذٍ أن نراجع أنفسنا. * المَعلم الرابع: لا تصاحب أهل اللهو والبطالة. * المَعلم الخامس: تذكر أنه مع حلاوة المتعة فإنه يعقبها مرارة الندم. * المعلم السادس: لعلك قد كُتبت الآن في الأموات بعد مدة يسيرة وأنت تسرح وتمرح بلا توبة ولا مراجعة. * المَعلم السابع: كل متعة تعتبر هباءً عند حلول الموت فلماذا نعصي الله - عز وجل - من أجل هذه المتعة؟ {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ}. * المَعلم الثامن: السعيد من وُعظ بغيره ، قال زين الدين المعبّري - رحمه الله - اعلم أن مما يعينك على ذكر الموت أن تذكر من مضى من أقاربك وإخوانك وأصحابك وأترابك الذين مضوا قبلك كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ويعملون في الدنيا عملك فقصفت المنون أعناقهم وقلعت أعراقهم وقصمت أصلابهم وفجعت فيهم أحبابهم فأُفردوا في قبور مُوحشة وصاروا جيفاً مدهشة والأحداق سالت والألوان حالت والفصاحة زالت والرؤوس تغيرت ومالت مع فتان يُقعدهم يسألهم عما كانوا يعتقدون ثم يكشف لهم من الجنة والنار مقعدهم إلى يوم يبعثون فيرون أرضاً مبدلة وسماء مشققة وشمساً مكوّرة ونجوماً منكرة وملائكته منزلة وأهوالاً مذعرة وصحفٌ منشرة وناراً زافرة وجنة مزخرفة فعُدّ نفسك منهم ولا تغفل عن زاد معادك ولا تهمل نفسك سدىً كالبهائم ترتع ولا تدري {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمْ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}. * المَعلم التاسع: الأيام خزائن وما مضى فإنه لا يعود {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}. المَعلم العاشر: لا ذكرى بغير إنابة ولا انتفاع بغير استجابة {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} يهتدي المرء إذا تهيأ قلبه للهدى).هـ.)

شُـــموخ فـــي الحيـــاة وفـــي الممـــاتِ وقانـــــا الله شـــــر النائبـــــاتِ

تـــوارتْ شـــمسُ عمـــركِ فـــي صـــباها وخـــط المـــوت دائـــرة الفـــوات

مفاجـــأة تحيّـــر مـــن رآهـــا ... ففيهـــا عِبـــرة تزجـــي العِظـــات

وذكـــرى تســـتقيمُ بهـــا النوايـــا ... إذا انحرفـــتْ بـــبعض الـــذكريات

ودرسٌ فـــي المصـــائر لا يُبـــارى ... ولغـــز فـــي ممارســـة الحيـــاة

ومـــا ســـلمتْ دواب الأرض يومـــاً ... ولا الآنـــام مـــن أخـــذ الممـــات

سَـــبرتُ العـــيش جـــداً واجتهـــاداً ... وحللـــتُ الـــرؤى والتضـــحيات

وصـــاحبتُ الكبـــار أريـــد هـــدياً ... يُبلغنـــي ســـبيل الأمنيـــات

وطالعـــتُ الكتابـــات احتســـاباً ... وفيهـــا كـــم أطلـــتُ تـــأملاتي!

وعاملـــتُ الخلائـــق بـــاحترام ... وآثـــرتُ العَطـــا والمَكرمـــات

وصـــغتُ الشـــعرَ فيمـــا كنـــت ألقـــى ... وحبّـــرتُ الصـــدى فـــي الأمســـيات

فألفيـــتُ الحيـــاة تقـــيمُ شـــأناً ... لقـــوم مِـــن هُـــواة الترّهـــات

وتخفـــضُ آخـــرين لهـــم عطـــاءٌ ... يفـــوقُ اليـــومَ كـــل الأعطيـــات

وســـيفُ المـــوت مـــاض لا يُحـــابي ... كـــأن الخلـــق بـــاتوا أضْـــحيات

لـــه كـــل الخلائـــق فـــي ارتقـــاب ... وإن ســـكنوا بروجـــاً فـــي الفـــلاة

وإن عاشـــوا مـــن الأعـــوام ردحـــاً ... وإن لـــم يشـــتكوا أدنـــى شـــكاة

وإن غفلـــوا عـــن الرُجعـــى تمامـــاً ... فمـــوتُهُمُ - بـــرغم الأنـــف - آت

ودنيـــا النـــوق تأســـرُ كـــل لـــب ... وتُعجـــز كـــل ألســـنة الـــرواة

وتفـــتن مـــن تأملهـــا مليـــاً ... وتهـــدي الـــذكر غضـــاً للغفـــاة

فســـعيٌ دون كَـــلٍّ فـــي البـــراري ... وســـيرُ تغـــنج حَـــذِرُ الأنـــاة

وأســـفارٌ تنـــوء بهـــا أســـودٌ ... وأحمـــالٌ كمثـــل المُعضـــلات

وطاقـــاتٌ تفـــوقُ حـــدودَ وصـــفٍ! ... أديـــبٌ مَـــن يصـــوغ لهـــا الصـــفات!

وخلـــــقٌ فيـــــه آيـــــاتٌ تجلـــــتْ ... تســـــبّح رب كـــــل الكائنـــــات

تعـــــالى الله أبـــــدع كـــــل خلـــــق ... ويهديـــــــهِ لفعـــــل الطيبـــــات

تحـــــدى الله بـــــالخلق البرايـــــا ... فـــأخرس – بالتحـــدي - كـــل عـــات

فهـــم لـــن يَخلقـــوا حتـــى ذبابـــاً ... وإن جمعـــوا لـــذا أعتـــى العتـــاة

وإن يســـــلبهم شـــــيئاً ذبـــــابٌ ... فلـــن يســـتنقذوا بعـــض الفتـــات

وخلـــق النـــوق يُبهـــر كـــل عـــين ... ويَعيـــا العقـــل عـــن ذكـــر السِـــمات

فلمـــا امتـــدّ ســـهمُ المـــوت غاصـــت ... قوائمُهـــــا بـــــدون مُقـــــدمات

وكـــنّ يســـرن فـــي أبهـــى احتفـــال ... مســـيراً فـــاق أحلـــى الأغنيـــات

يُســـــلين الخـــــواطر فـــــي دلال ... ويهـــــدين التـــــرنم للحُـــــداة

كمثـــل الغِيـــد ســـارت نـــوقُ قـــوم ... علـــــى كثبـــــانهم مُتبخـــــرات

خرائـــــدُ حســـــنُهن لـــــه بريـــــقٌ ... فهـــل للنـــوق دندنـــة البنـــات؟

وزار المـــــوتُ إحـــــداهن عصـــــراً ... إذ اصـــــطدمتْ بإحـــــدى الشـــــاحنات

فمـــا ارتجفـــتْ ، ومـــا سَـــحّتْ دموعـــاً ... ومـــــا قبلـــــتْ أراجيـــــف النعـــــاة

ومـــــا نظـــــرتْ ببارقـــــة اعتـــــراض ... علـــــى مـــــوت جنـــــى زهـــــر الحيـــــاة

ومـــا رضـــختْ بـــذل مَـــن اســـتكانتْ ... ومـــــا قنطـــــتْ لفعـــــل العائـــــدات

ولكـــــنْ واجهـــــتْ بـــــالعز موتـــــاً ... تحـــــدى كـــــل أســـــباب النجـــــاة

وقـــــد قبلـــــتْ قضـــــاء الله فيهـــــا ... بقلـــــب مُفعـــــم بشـــــذى الثبـــــات

ورأسٍ لـــــم تنكسْـــــه المنايـــــا ... وعـــــزمِ المؤمنـــــات الخيّـــــرات

وجســـــمٍ لـــــم تحطمْـــــه الرزايـــــا ... وبـــــأسِ الصـــــالحات الفضـــــليات

ومَـــن يرَهـــا يظـــن بهـــا حيـــاة ... فقـــد جلســـتْ جلـــوس المُتعبـــات

وقـــد بركَـــتْ ، وحـــنّ لهـــا أديـــمٌ ... ومـــا باحـــت بشـــيءٍ مـــن شَـــكاة

وكنـــتُ حســـبتها ترتـــاح قســـطاً ... لتصـــطحب النيـــاقَ إلـــى الفـــلاة

ولـــم أرهـــا تقلـــب أي طـــرفٍ ... كمؤمنـــةٍ ترتّـــل فـــي الصـــلاة

لهـــا صـــمتٌ يُحيّـــر مَـــن يراهـــا ... وفيهـــا لـــن يُصـــدّق شـــائعات

لأن العـــين تبصـــرُ فـــي اعتبـــار ... ورؤيـــا العـــين أوقـــعُ للثقـــات

شـــموخ الناقـــة العصـــماء يُبكـــي ... ويأســـرُ وعْـــيَ ألبـــاب التقـــاة

بصـــرتُ بهـــا ، ولـــم أبـــرحْ مكـــاني ... وكـــررتُ الســـؤالَ علـــى الرعـــاة

فقيـــل: إذا علمـــوا لأتـــوْا سِـــراعاً ... فهـــم للنـــوق مِـــن خيـــر الحُمـــاة!

فأمســـكتُ اليـــراع ، وقلـــتُ مرحـــى ... بخيـــر قصـــيدةٍ تتشـــجي رُواتـــي

ورحـــتُ أصـــوّر المأســـاة شِـــعراً ... فمـــا قلبـــي المعـــذبُ مِـــن صَـــفاة

وعنـــد غـــروب شـــمس اليـــوم كانـــت ... قصـــيدتنا تخـــط الـــدائرات

وكـــان الصـــوم ضـــيفاً لكلينـــا ... يُلِـــين الصـــومُ أفئـــدة القســـاة

فـــذي صـــامت عـــن العـــيش امتثـــالاً ... لأمـــر الله رب الكائنـــات

وصُـــمتُ اليـــوم للمـــولى احتســـاباً ... فصـــومُ الشـــهر أرجـــى الطيبـــات

ولان الشـــعرُ حتـــى نلـــت قصـــدي ... وطابـــت فيـــه ســـيدة اللغـــات

وأبّنـــتُ الفقيـــدة بالتحايـــا ... وجاملـــتُ النيـــاق النيـــرات

كمـــا شـــمختْ نويقتنـــا لمـــوتٍ ... نقشـــتُ الشـــعرَ دون تأوّهـــات

فكـــان عزاؤنـــا بالشـــعر عِـــزاً ... وتـــأبيني لهـــا خيـــرُ الهبـــات

شـــموخكِ بـــات ـ فـــي الـــدنيا ـ نشـــيداً ... ســـيذكرُه التقـــاة مـــع العُصـــاة

همسة عتاب باكية

(صدق علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - عندما قال: عاتب أخاك بالإحسان إليه ، واردد شره بالإنعام عليه). ودائماً يتعزى المعاتب الذي لا يجد من ينصت له بقول ابن الوردي:

وليس عتاب الناس للمرء نافعاً **** إذا لم يكن - للمـرء - لبٌّ يعاتـبُ

وصدق الشاعر ابن هانيء الأندلسي في بيته المشهور الذي هو في أغلب التصانيف الشعرية:-

أقلل عتـاب من استربت بـوده **** ليست تنـال مـــــودة بعـتـــاب

وإنني في هذه القصيدة أعزي رجلاً كان إذا عاتب لا يُسمع له قط. وذلك عندما اجتمعت الآراء من حوله على تطليق زوجته وخراب بيته وإغراق سفينته ، فاستشار واستخار ، وهداه الله ربه إلى الإقلاع عن فكرة الطلاق. وكان لزاماً عليه أن يدفع الثمن من دمه ودموعه وعزته ، حتى يحافظ على نفسه وزوجه وولده. ووصل الحال إلى تقبيل قدم زوجه بدون إكراه إبقاءً للمودة والعشرة وترغيماً للشيطان واحتساباً للأجرعند الله الذي لا يضيع أجر كل محسن موحد مؤمن. ونكاية في المخبين ومحبي الفتنة من الذين يُفرّقون بين المرء وزوجه. فاحترمتُ ذلك الزوج المخلص القانت وأنشدت فيه هذي القصيدة المعلقة. ووجهت العتاب في جُل أبياتها للدار بأطلالها. إذ قلوب من نتكلم عنهم ولهم قد أعماها الهوى عن الحق فأمست لا ترى ولا تسمع ولا تعي قط. وأخذت أحكي على لسان هذا الزوج الضحية تلك الخواطر التي قد يتطرق إليها خياله. وكنت في كل مرة أضرب على أوتار الذكريات الحانية الوادعة التي كانت تربط ذلك الزوج بتلك الزوجة التي تلعب اليوم بالنار ، والله أعلم هل ستحترق أم لا؟ وعلى كل حال إن هو العتاب الطويل العريض الذي قد لا يثمر شيئاً. المهم أنني في هذه المرة وأنا أتكلم عن هذا الزوج أقدّم بالشعر أنموذجاً حياً للعتاب بين المحبين الذين يمكن أن يكون بينهم سبيل لمراجعة النفس والعودة إلى حظيرة الانضباط وأداء الحقوق إلى أصحابها دون جور ولا حيف وظلم. وكم من عتاب أثمر عندما وجد الآذان الصاغية والعقول التي تعي حجم المسؤولية وتدرك دورها في الحياة. وطوبي لعباد من خلق الله جعلهم الله مفاتيح للخير مغاليق للشر. وإن نصيحتى لكل زوجين متحابين في الله أن لا يُغلّبا جانب السماع والإنصات للمغرضين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، كما أهيب وأحذر من الانفراد بالرأي دو ن مشورة أهل الحب فى الله والموالاة على دينه وأهل العلم ، الذين هم خلصاء الناس وصفوتهم. إن الحياة لا يصلحها أبداً حفنة المُخبّبين المفرّقين بين كل زوجين نشب بينهما خلاف. إن أي خلاف مهما عظم له في ديننا حل وثان وثالث ورابع. ومن هنا فلنفِق جميعاً لندرك مسؤلياتنا ودورنا في الحياة. وأكتفي بهذا التقديم الطويل الذي قد يكون مملاً في نظر البعض.)

يـــا دارَ (لبنـــى) بـــالمُخيّم سَـــلّمي واســتبعدي غــرق الســفينة ، واسْــلمي

وتـــذكّري (شـــربينَ) أيـــامَ الهنـــا و(الألــفَ) تســطع فــي بريــق الأنجــم

وبكفـــر ســـعدٍ ذكريـــاتٌ تشـــتهى وخـــواطرٌ بالحـــب كانـــت تســـتمي

وعلى ضفاف النيل كم سرنا معاً! وحبورُنا - فوق المزارع - يرتمي

والماءُ فياضٌ على شُطآنه والخضرة النشوى تثير تبسّمي

والطيرُ تشدو في الفضاء مَشُوقة وتطيلُ شقشقة المُحِب المُغرم

وجداولُ الماء الضحوك عطيرة وحلاوة القطرات منه كزمزم

وحمائمُ الدوح المنغمة الصدى أمست تغني مثل كل مُتَيم

أما السواقي والفحولُ تديرُها فرجيعُ صوت غِنائها كالملهم

تروي الحقول بَعيدَها وقَريبَها وتعمّها بالماء خير المغنم

والنحلُ يمتص الرحيق مُسبّحاً ومعظماً وممجداً للمُنعم

وشذى الورود بكل أنفٍ فائحٌ يزجي الشِفا ، ويفوقُ أنفع بلسم

يا دار (لبنى) إن حكمتِ فاسجحي وتذكّري العهدَ الذي لكِ ينتمي

فلقد خططتِ شروطه وبنوده حباً ، وما أهملتِ مِن متردَّم

لمَ تغدرين؟ وأنت أجدرُ بالوفا صدقاً أقول ، ولستُ بالمتوهم

لمَ تخلفين الوعدَ أنتِ قطعته؟ أم تجهلين بما له من مأثم؟

لمَ تكذبين ، وكنتِ أول صادق؟ والصدقُ يزْكِي عزة المتكلم

ولمَ الخصامُ يزيل صفو ودادنا ويُحيلُ طعمَ العيش مثلَ العلقم؟

ولمَ الخيانة للأمانة بيننا؟ والظلمُ يُزري بالتقيّ المسلم

يا دارُ ما قصّرتُ في حق الورى فلم التذرع بالنفاق المبرم؟

يا دارُ أكبرتُ الجميع ، فلامَني رهْط عن الأخلاق والتقوى عمي

وبذلتُ خيراً لا حُدودَ لوصفه وندمتُ ، هل تجدي سُويعة منـدم؟

وتحمّلَ القلبُ الكثيرَ من الأسي والعيشُ أضحى مثلَ لغز مُبهم

وطفقتُ أجترّ المَرارَ تكلفاً ... وألوكُ كيدَ الشامتين اللوّم

وأرَجّع التفعيل مكروبَ الرؤى ... ومَن الذي يُصغي لدمع تحمحُمي

وسلي إذا شئتِ انكسارَ مشاعري ... وعواطفاً في وخزها لم ترحم

وسلي الأحاسيسَ التي قد جندلتْ ... حزناً على هذا المصاب المؤلم

وسلي ضمير الحب خمّشه الجوى ... فشكا الحبيبَ بلوعةٍ وتلوم

وسلي دروب الحب تعتب في شجىً ... وتعففي في الموقف المتأزم

يا دار (لبنى) واسالي مَن أحرقوا ... قلبين بالدّسّ البغيض المُجرم

مَن حطموا حباً تعاظم شأنه ... وله بدنيا الناس لم يكُ مِن سَمي!

مَن أوجدوا شبح الطلاق ليغنموا ... ولكي يعيش الزوجُ عيش المُعْدِم

مَن أفسدوا بين الحليل وزوجه ... والأمر أدركه الذي لم يفهم

مَن أوقدوا ناراً لبيت وادع ... حتى غدا كالمنزل المتفحم

مَن أيقظوا ظلماً دواعيَ فتنة ... طعنوا بها أرجَ الوداد بمِخذم

مَن جرّعوا الأبرار سُم نفاقهم ... مَن شوّهوا بالجور أجمل بُرعم

مَن خالفوا ديناً إليه تحاكموا ... وتنكّبوا آي الكتاب المُحكم

مَن عندما قد جودلوا طرحوا الحيا ... واستسخروا بتخرص وتهكم

مَن يحملون لكل شهم حربة ... وإذا استطاعوا جاهروا بالصمصم

مَن يجعلون جزا الجميل تنكراً ... مَن دَورُهم في الناس كابن العلقمي

مَن ظنهم بالخلق ظنٌ سيءٌ ... شتان بين تحقق وتوهم!

مَن سعيُهم مِن أجل دنيا زينتْ ... مَن كدُّهم مِن أجل نيل الدرهم

مَن غدرُهم فوق الرؤوس إشارة ... والغدرُ أقبحُ ما يُرى من ديلم

مـــن قـــد ســـبرتُ غـــرورهم وزيـــوفهم ... مَـــن بُغضُـــهم مَـــلءُ الســـرائر والـــدم

مـــن ينصِـــبون لـــيَ الشـــباك تشـــفياً ... مَـــن كممـــوا بلظـــى تعنـــتهم فمـــي

مـــن أشـــمتوا فـــيَّ الأعـــادي غيلـــة ... حتـــى غـــدوتُ فريســـة للـــوم

بينـــي وبيـــنهمُ المليـــكُ محاسِـــباً ... كُـــلاً ، وفـــي يـــوم عســـير أيـــوم

يـــا دار (لبنـــى) قـــد عتبـــتُ ، فأنصـــتي ... وعـــن البـــريء فـــدافعي ، وتكلمـــي

أنـــا ثابـــت رغـــم الخطـــوب ومـــن طغـــى ... وإلـــى الـــرحيم شـــكوت مُـــرّ تـــألمي

والخيـــرُ أبقـــى عنـــد ربـــك دائمـــاً ... شـــتان بـــين مـــؤخر خيـــراً وبـــين مقـــدم!

لـــم أنســـحبْ مـــن حـــربهم مـــتململاً ... أنـــا لســـت بـــالمُتحرج المُتلعـــثم

بـــل قـــد جهـــرتُ بحجتـــي وقضـــيتي ... واجتـــزتُ بحـــراً مـــن جحـــيم مضـــرم

دافعـــتُ عـــن نفســـي ، ولـــم أكُ كاذبـــاً ... وبـــرغم كـــل مخـــادع مـــتجهم

ولفظـــتُ مـــن قلبـــي الجـــريح أدلـــة ... لتكـــون فـــي ســـاح القضـــا كـــالمَعلم

وحـــدي انطلقـــتُ ، ولـــم أكـــنْ متخوفـــاً ... وبـــرغم ليـــل فـــي الكريهـــة حُلكُـــم

وحـــدي تحـــديتُ الألـــى لـــم يُـــذعنوا ... للحـــق ، والإقنـــاعَ لـــم أتوسّـــم

وحـــدي فجَـــرتُ دغـــاولاً كـــم أزمنـــتْ! ... والأمـــرُ أكبـــرُ مـــن مجـــرّد مَـــرهم

سَـــرطانُها أضـــحى يُكـــدِّر صـــفونا ... وبقاؤهـــا يُفضِـــي لجســـر جهـــنم

وحـــدي تحمّلـــتُ العـــذابَ منافحـــاً ... عمـــا أديـــن بـــه كمثـــل الضـــيغم

لـــم أرض فـــي دينـــي الدنيـــة لحظـــة ... وبـــرغم لســـع الأرقـــم

وحـــدي قهـــرتُ جمـــوعَهم وفلـــولَهم ... وبـــرغم غـــل مُكفهـــر مُعـــتم

هـــي صـــورة للختـــل لـــم أر مثلهـــا ... وإن ارتقيـــت إلـــى الســـماء بسُـــلم

رجـــلٌ أحـــبَ ، فعـــفَ لـــم يـــكُ هـــازلاً ... يومـــاً ، ولـــم يَعمَـــد لأي مُحَـــرم

خبَــرَ الحيـــاة ، وكـــان مِـــن صُـــناعها ... ولـــــه اجتهـــــادٌ بالكِتـــــاب القـــيم

شـــــهد الجميـــــعُ بعدلـــــه وجهـــــاده ... وبأنـــــه فـــي الحـــق لـــيس بـــأبكم

بـــل ينصـــر الـــدين الحنيـــف بخطبـــةٍ ... شـــــرعيةٍ تلقـــــى بلهجـــــة خـــــثعم

والضـــــادُ مركبـــــة تبلّغـــــه المنـــــى ... ولـــــه لســـــانٌ فـــــوق ذلـــــك أعجمـــــي

فـــإذا بـــــه يُصـــــلى بلعنـــــة جهلكـــــم ... هـــذا ابـــتلاءٌ فـــوق طاقـــة مرقمـــي

والشـــــعر يَعجـــــز أن يصـــــور كيـــــدكم ... لـــــولا مصـــــارعة الأســـــى لـــــم أنظـــــم

فلقـــد ســـخرتم مـــن قريضـــي ســـخطة ... والشـــعرُ يـــا جُهـــال لـــيس بطِلســـم

هـــو عُـــدتي فـــي حـــربكم ونـــزالكم ... مهمـــــا تعاضـــــدتم بكـــــل تشـــــرذم

هـــو ســـيفُ عبـــدٍ لـــيس يملـــك غيـــره ... بعـــــد الـــــدعاء علـــــيكمُ بـــــتحلم

وعلـــى مرورالـــدهر شـــعري شـــاهدي ... بلســـــان عـــــدنان ولهجـــــة جُـــــرهم

هـــو داحـــضُ الشـــبهات قـــد علقـــتْ بنـــا ... مـــــن حفنـــــة المتزيّـــــدين الهُـــــوم

هـــو غـــيظ أعـــداء علينـــا كـــم بغـــوا! ... والنـــــارُ صـــــبتْ فـــــوق حقـــــد الســـــوم

هـــو مَـــن ســـيروي قصـــة مكلومـــة ... لـــــولا مواجهـــــة العِـــــدا لـــــم تكْلـــــم

هـــو مـــن سيصـــفح عـــن رمـــوز أشـــكلتْ ... هـــو مـــن سيكشـــف كـــل لغـــز مُعْجـــم

هـــو مـــن ســـيعطي للعتـــاب طيوفـــه ... كـــيلا يـــراه القـــوم غيـــر ملـــوم

يـــا دار (لبنـــى) بُحـــتُ بالســـر الـــذي ... منـــذ افترقنـــا لـــم أقلـــه لتعلمـــي

واللهَ اســـــألُ أن يُقيـــــل عثارنـــــا ... فمَـــن الـــذي أدعـــوه غيـــر المـــنعم؟!

جعلوني مغنماً

(تزوج من ابنتهم ، يحسبها صالحة سوف تتقي الله عز وجل فيه. وكان ينوي بزواجه منها إحصان فرجه وإعفاف نفسه وغض بصره وإقامة بيت مؤمن مسلم موحّد على كتاب الله عز وجل – وسُنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ! فإذا بالزوج بعد حين ينقلب إلى صفقة تجارية محددة الأهداف من جهة واحدة ، من جهة الأصهار غير الشرفاء ، فلقد حرصوا على تحقيق كل مآربهم فانتفعوا كل الانتفاع. وظلوا يتصرفون في كل شأن من شؤونه! فقال لهم: لن يكون لكم ذلك بعد اليوم ، وأمرهم بأن يردوا القوس إلى باريها والأمر إلى نصابه والحق إلى صاحبه ، وعندئذٍ كشّروا له عن ساق العداوة وناب الكراهية. وأشهروا سيوفهم الغادرة في وجه الرجل وكأنه عدوٌ لهم. ودفع الزوج المسكين البائس الثمن من دمه وأعصابه ودموعه ، بينما راحت الزوجة الحمقاء غير الوفية ولا الصالحة تنضم للفريق الأقوى على حساب بيتها وأولادها وزوجها. فكانت زوجة غاشة خائنة وغادرة مضيّعة. وقد تناست كل حقوق ذلك الزوج وما يجب في حقه وما ينبغي عمله وتلافي الأزمة الطاحنة التي أودت بالجميع. وكانت الأسرة بحاجة إلى حكمين عدلين ، لا إلى سفهاء يُخربون البيت! ولندرس مسألة اختيار الحكمين كما يتناولها الأستاذ محمد المنجد: {وَإِنْ خِفْتُمْ} يا أيها الحكام ومنهم القضاة والأولياء أو يا أيها المؤمنون عموماً ، {وَإِنْ خِفْتُمْ} يدخل في ذلك الزوجات: {فابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا} أرسلوا والأمر للوجوب ، لأن مصلحة الأسرة في حكم الشرع مهمة جداً ، {فَابْعَثُوا} شفقة المسلمين لبعضهم البعض ، شفقة الحكام وولاة الأمر ، والقضاة وأهل الحل والعقد ، ووجهاء الناس ، يا أيها المؤمنون عموماً ، يجب أن يقام بهذا الحكم ، ممن يستطيع إقامته ، الخطاب موجه له ، {فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا} المؤمنون أهل الإسلام يدٌ واحدة ، يسعى بعضهم في إصلاح بعض {حَكَماً} رجلاً حراً ثقة عدلاً خبيراً بدقائق الأمور ، بصيراً بطرائق الإصلاح ، عارفاً بالأحكام أميناً يكتم الأسرار. حكماً ينبغي حسن اختياره ليكون قادراً على إنجاح المهمة ، حكماً كلمة كبيرة ، أولاً {مِنْ أَهْلِهِ}: من أقارب الزوج ، {وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا}: من أقارب الزوجة. لماذا؟ قال المفسرون: لأنّ الأقارب أعرف ببواطن الأحوال ، وأطلب للصلاح ، ـ وآمن وأحفظ للأسرار فتحصل بهما طمأنينةٌ أكثر! ونفوس الزوجين تسكن إليهم ، ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة ، وموجبات ذلك ومقتضياته وما يخفيانه عن الأجانب ، ولا يحبان أن يطلعوا عليه. الكشاف (407/1). ومن هنا رحت أكتب على لسانه هذه القصيدة التأبينية من البحر الخفيف. أعزي ذلك البائس المبتلى. وإن هى إلا نفثة واحدة من نفثات محموم ، وإن هي إلا قطرة من بحر ، وإن هي إلا أنة واحدة من أنات جريح. ألا فلتتق الله كل زوجة في زوجها الذي هو جنتها ونارها. والذي لو كان كله ينزف صديداً من أعلى ذؤابة شعره إلى أخمص قدميه ولعقته ما أدت حقه عليها بنص معنى حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وكذا أقول لكل خطيب عليه أنْ لا يفترض في عروسه أنها أم المؤمنين ، بل عليه أن يكون واقعياً.)

دمّرونـــــي بالكيـــــد والخـــــذلانِ واســـــتطالوا علـــــيَّ بالطغيـــــان

واســـــتبدوا فـــــي كـــــل أمـــــر وشـــــان واســـــتهانوا بحُرمـــــة الإنســـــان

واستمرّوا في الجور عقدين حتى ... حطموني بالصد والهجران

واستحلوا مالي وعِرضي وداري ... ثم حثوا الأعدا على العدوان

واعتلى كلّ صهوة الغِل يُشفِي ... ما اعتراه مِن صَولة الهيجان

وتشفى كلّ ، وأدلى بدلو ... ممسكاً في الفتون بالأشطان

وتعدّى كلّ عليَّ جهاراً ... وأذاقوني حسرة الإمتهان

وتمادَوْا في النيْل مني عياناً ... وظلِلتُ مما افترَوْه أعاني

لم يراعوا ديناً ولا عُرف شعب ... وابتليتُ منهم بأقسى امتحان

جعلوا مني مغنماً دون حق ... فشربتُ التشريد كأس هوان

كالطفيليات التي لا تحابي ... أو كمثل الهوام والذبان

ثم جدّوا في الانتقام ، وشطوا ... واستطابوا وساوسَ الشيطان

كيف غالوا وشوّشوا ، واستمالوا ... في تحدّيهم أنبل الأقران؟

كم كظمتُ غيظي وسامحتُ خصمي ... فرمَوْني بالخوف والإذعان!

كم بذلتُ المعروفَ لم آلُ جهداً ... وخصَصْتُ الباغين بالإحسان!

كم شقيتُ كي يستريحوا طويلاً ... واحتسبتُ ، لم أفرهم بامتنان!

واصطليتُ بالنار كيلا يُلاموا ... أو يُصابوا منها ببعض دخان

واحتملتُ الكثير من كل عاتٍ ... ثم بُؤتُ في العيش بالخسران

واصطبرتُ حتى قلاني اصطباري ... وانقهرتُ من هجمة الذؤبان

عذبوني كلّ بموقف لوم ... وعباراتٍ تحتفي بالبيان

نحن أهلٌ لا تبتئسْ بالزرايا ... سوف تحيا في ذِروة التحنان

نحن نفديك بالعزيز لدينا ... أنت غال يا سيد الأعيان

فادخِرْنـــا ليـــوم بـــؤس وضـــنكٍ نحـــن أهـــلُ الإنقـــاذ والســـلطان

لـــو أتـــاك رَيـــبُ المنـــون أتيْنـــا كـــي نزيـــل مَرثيّـــة الأشـــجان

فـــاحتوتني الألفـــاظ كالســـحر تســـبي فـــي دهـــاءٍ مـــا لاح فـــي الأذهـــان

خـــدعوني بـــالقول يقطـــر صـــدقاً وهْـــو لـــونٌ مـــن ســـامر الصـــبيان

خـــدعوني بالوعـــد فـــاض يقينـــاً وهْـــو زيـــفٌ عليـــه بعـــضُ الـــدهان

خـــدعوني بالترّهـــات تبـــدّتْ فـــي ثيـــاب الأخـــلاق والرجحـــان

خـــدعوني بالطيبـــات ادّعَوْهـــا بيننـــا فـــي سِـــر ، وفـــى إعـــلان

خـــدعوني بالصـــالحات أتوْهـــا بعـــدما هـــدّوا أعظـــم الأركـــان

خـــدعوني إذ أظهـــروا الـــودّ زوراً فاشـــتكى الـــودّ ســـطوة الخـــذلان

خـــدعوني إذ ردّدوا كـــل ذكـــر للمليـــك المهـــيمن الـــديان

أوهمـــونى أن الحيـــاة كـــلامٌ تســـتطابُ فيـــه الـــرؤى والمَعـــاني

ثـــم زادوا مـــن فتنتـــي وانبهـــاري بالبكـــا فـــي تـــلاوة القـــرآن

ليـــت شـــعري كيـــف انخـــدعتُ بقـــوم هـــم ومـــن يســـتعدي المَـــلا سِـــيان؟

والمصـــابُ أنكـــى بـــزوج تناســـت مـــا تلاشـــى فـــي ســـالف الأزمـــان

لغبـــاءٍ فـــي عقلهـــا لا يُبـــارى أرخصـــتْ وداً غـــاليَ الأثمـــان

خانـــتِ العهـــدَ ، لـــم تحكّـــم ضـــميراً واســـتهانت بشـــرعة الـــرحمن

وعليهـــا هانـــت يواقيـــتُ عُمْـــر أخمـــدتها بالغِـــل والشـــنآن

أســـهمتْ فـــي تـــدمير زوج تعـــيس وتقـــوَّت بـــالحَيف والعِصـــيان

ثـــم أرســـتْ دعـــائمَ الـــبُغض عمـــداً بعـــدما شـــادت أســـوأ الأضـــغان

واســـتعانتْ بأهلهـــا فـــي التحـــدي ثـــم جالـــت بالســـيف فـــي الميـــدان

مَـــن رآهـــا فـــي كرّهـــا لـــم يُصـــدّق ... فلهـــا طعـــنُ الفـــارس الطعـــان

أشـــهرتْ فـــي اللقـــاء ســـيفَ عـــدو ... والعـــداءُ أضـــحى مِـــن العرفـــان

حاربـــت هـــذا الـــزوج حربـــاً ضروســـاً ... واســـتعانت بالوُلـــد والنســـوان

واســـتطابتْ إذلالـــه دون ذنـــب ... واستســـاغتْ تعنيفـــه بتفـــان

كـــم تمنّـــت إخضـــاعه لهواهـــا! ... حسِـــبته عبـــداً مـــن العُبـــدان

فـــارعوى دهـــراً للـــذي كـــان منهـــا ... كالـــذي فـــي الأنثـــى مِـــن النقصـــان

قـــال: علّـــي أحظـــى بحـــب يُـــدواي ... مـــا أصـــاب الـــودادَ مِـــن يَرَقـــان

علّنـــي أرضِـــي زوجتـــي باحتمـــالي ... وأبـــاهي بالأمنيـــات الحـــواني

وأزفّ الأشـــعارَ بـــين يـــديها ... تفـــرحُ القلـــب ، غضـــة الأوزان

ثـــم أهـــدي الأشـــعار مـــن لا تســـاوي ... بيـــت شـــعر قـــد ضـــمّه ديـــواني

هـــو عنـــدي أغلـــى مـــن المـــال قطعـــاً ... وأجـــلّ شـــأناً مِـــن العقبـــان

فـــاق حســـناً قلائـــدَ المـــاس ضـــاءت ... فـــي الـــدياجي أعنـــاقَ أحلـــى الغـــوانى

دونـــه عنـــدي كـــلُ كنـــز ثمـــين ... حـــازه أهـــلُ المُلـــك والصَـــوْلجان

إن شـــعري روحـــي ونفســـي وجـــاهي ... وانطلاقـــي وعزتـــي وصِـــياني

وأرى أبيـــات القـــريض ديـــاري ... والقصـــيدَ فـــي الحســـن كـــالإيوان

كـــل بيـــتٍ دمـــعٌ وجـــرحٌ وفحـــوى ... وشـــعورٌ يصـــبو إلـــى الســـلوان

كـــل بيـــتٍ شـــذىً يفـــوحُ عبيـــراً ... مِـــن عتيـــق النســـرين والريحـــان

كـــل بيـــتٍ ثغـــرٌ يُرَجِّـــع لحنـــاً ... فـــي حيـــاتي مـــن أعـــذب الألحـــان

كـــل بيـــتٍ دنيـــا تهـــادى صـــباها ... فاســـتحالت رُبـــاً عليهـــا المغـــاني

كـــل بيـــتٍ أهـــلٌ وقـــومٌ ونـــاسٌ ... إن بُلينـــا بقســـوة الخـــلان

كـــل بيـــتٍ جُـــودٌ وبـــذلٌ وعطـــفٌ ... إن أصِـــبنا بـــالمنع والحرمـــان

كـــل بيـــتٍ ســـيفٌ يـــدافع عنـــي ... كـــي أعـــيش فـــي رفعـــةٍ وأمـــان

كـــل بيـــتٍ طيـــفٌ يـــروح ويغـــدو ... حـــاملاً ذكـــرى مـــن قـــديم الزمـــان

كـــل بيـــتٍ إرهاصـــة للمعـــالي ... وانتصـــارٌ للسِـــلم والإيمـــان

كـــل بيـــتٍ مـــن لؤلـــؤ عســـجدي ... لفظـــه ، والتصـــويرُ مِـــن مَرجـــان

فالمِـــدادُ مـــن دمعتـــي قبـــل حِبـــري ... واليـــراعُ جـــلاه دون تـــوان

وأراهـــا لا تســـتحقّ صـــداهُ ... كيـــف تبكـــي هـــذي علـــى أحزانـــي؟

زوجـــة باعـــت حبنـــا اليـــوم بخســـاً ... أتراهـــا ترثـــي لســـوءٍ دهـــاني؟

زوجـــة بَلهـــا ، فرَّطـــتْ فـــي حقـــوقي ... وحقـــوقِ الأهلـــين والوُلـــدان

زوجـــة خانـــت أســـرة وحلـــيلاً ... ثـــم أزجـــت للشـــامتين التهـــاني

واستعاضـــت عـــن زوجهـــا بالأعـــادي ... غـــدرُها لا يحتـــاج للبرهـــان

حســـبنا الله فـــي المصـــاب ، ويكفـــي ... رب فـــامنُنْ بالصـــفح والغفـــران

كـــن نصـــيرَ المظلـــوم ، والطـــفْ ويَسِّـــرْ ... ثـــم حقـــقْ لنـــا عظـــيم الأمـــاني

يـــا ولـــي الألـــى إليـــك اســـتجابوا ... جُـــدْ علينـــا بـــالعفو والرضـــوان

مـــا اســـتطال الأنـــذالُ إلا بـــذنبي ... سُـــنة هـــذي فـــي الهـــدى الربـــاني

تبـــتُ يـــا ربـــي مـــن ذنـــوب دهتنـــي ... واعترفـــتُ بالـــذنب والكفـــران

والمليـــكُ بـــالعفو والصـــفح أولـــى ... مـــن لنـــا فـــي البلـــوى ســـوى المنـــان؟

قـــد رفعـــتُ لله مُـــرَّ اشـــتكائي ... مُوقنـــاً بالنصـــر المبـــين الـــداني

والإلـــهُ الـــرحمنُ أدرى بحـــالي ... مَـــن علـــيمٌ بالحـــال كـــالرحمن؟

لبيك يا ابنة العم!

(تزوّج ، وكان له من زوجته الأولاد والبنات. وفي إحدى رحلاته لبلدته في الصعيد عرضتْ عليه (ست البنات) ابنة عمه الزواج منهما. ورغم غِناها وصِباها إلا أنه ـ لقدر من الله تعالى ـ فاتها قطارُ الزواج ، وجاوزت الثلاثين من العمر. فوافق ذلك الصعيدي الشهم على مرادها غير عابيء بما تخبئه أيامه من المفاجآت على يد زوجه (أم الأولاد). إنما هو أحسن النية لله عز وجل. ودعاه أن يُزلل العقابيل والعراقيل ، ويجعل زواجه برداً وسلاماً على زوجه. وتحت عنوان: (العدل بين الزوجات) قال الأستاذ إحسان العتيبي ما نصه: (لا شك ولا ريب أن الله تعالى لم يترك للزوج ـ ولا سيما المعدّد ـ حبله على غاربه ، بل أوجب عليه واجبات لإصلاح نفسه وإصلاح بيته ، فبتركها تحصل الفوضى مع الإثم وتنقطع أواصر المحبة بين الزوج ونسائه ، وقد تخرب من جرّائه البيوتُ التي سعى الإسلامُ لإقامتها بتشريع التعدد. وهذه الواجبات هي: النفقة والمبيت والإيواء. عن عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى: {وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً} أنزلت في المرأة تكون عند الرجل ، فتطول صحبتها فيريد طلاقها ، فتقول: لا تطلقني وأمسكني وأنت في حِل من النفقة عليَّ والقسْم لي ، فذلك قوله: {فلا جناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحاً والصلح خير}. رواه البخاري ومسلم. قال مجاهد: لا تتعمدوا الإساءة. بل الزموا التسوية في القسم والنفقة ، لأن هذا مما يُستطاع.أهـ. "تفسير القرطبي". قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وأما العدلُ في النفقة والكسوة فهو السُنة أيضاً اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان يعدل بين أزواجه في النفقة كما كان يعدل في القسمة.أ.هـ. "مجموع الفتاوى" (269/32). وقال ابن القيم رحمه الله: (وكان يُقسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينهن في المبيت والإيواء والنفقة.... ولا تجب التسوية في ذلك ـ أي الحب والجماع ـ لأنه مما لا يملك).أ.هـ. "زاد المعاد" (151/1). قال الحافظ: فإذا وفّى لكل واحدة منهن كسوتها ونفقتها والإيواء إليها: لم يضرّه ما زاد على ذلك من ميل قلب أو تبرع بتحفة.أهـ."الفتح" (391/9).هـ. وتزوج صاحبنا زوجه الثانية ابنة عمه وكانت جامعة بين خصال خمس ما اجتمعن في الأولى قط ، وقل أن يجتمعن قي امرأة: (الدين والصبا والأدب والمال والقرابة لكونها ابنة عم). وكان زواجاً موفقاً ، رغم ما أحدث من مشاكل. فالنبي صلى الله عليه وسلم رغم عداوة قريش وإيذائها للمؤمنين ، لما جاءه أبو سفيان يطلب منه الاستسقاء لم يرفض لحسن خلقه ، وشهامته ، ورغبته في هدايتهم ، فإنَّ الشهامة ومكارم الأخلاق مع الأعداء ، لها أثر كبير في ذهاب العداوة ، أو تخفيفها. والشهامة من مكارم الأخلاق الفاضلة. إنها من صفات الرجال العظماء. تشيع المحبة في النفوس. تزيل العداوة بين الناس. فيها حفظ الأعراض ، ونشر الأمن في المجتمع. إنَّها علامة على علو الهمة ، وشرف النفس. موانع اكتساب صفة الشهامة: قسوة القلب. الأنانية ، وخذلان المسلمين ، واللامبالاة بمعاناتهم: ورحت وعلى بحري البسيط أتغنى بهذا وأسطر شعراً أهنيء به العريس إذ هو أحد أصحابي من الصعيد. وتخيلته وهو يلبي طلب ابنة عمه ست البنات.)

(ســـت البنـــات) ، أنـــا للأمـــر أمتثـــلُ وســـوف أشـــكرُ للمـــولى ، وأبتهـــلُ

إن الـــزواج ـ بـــذات الـــدين ـ مَنقبـــة تحْيـــي الفـــؤادَ الـــذي بالشـــرع يتصـــل

وذات مـــال يُعـــينُ المـــرء فـــي زمـــن ... المـــالُ عنـــد خزايـــا أهلـــه (هبـــل)

وذات حُســـن لـــه فـــي الـــنفس حِصّـــته ... والقلـــبُ يُعجبُـــه الجمـــالُ والغـــزل

وذات جـــاهٍ ، وهـــل كـــالعلم منزلـــة؟ ... وبالعمومـــة دومـــاً يُضـــرب المثـــل

وبعـــدُ بكـــرٌ ، لهـــا بـــين البنـــات شـــذىً ... وفـــي الفـــؤاد لهـــا الحنـــينُ والأمـــل

وبعـــد تطلـــب منـــي دونمـــا خجـــل ... لمثـــل هـــذا دمـــوعُ العـــين تنهمـــل!

كيـــف انشـــغلتُ إلـــى أن أشـــهرتْ طلبـــاً؟ ... والحـــق أنـــيَ - بالأســـفار - مُشـــتغل

كيـــف اهتممـــتُ بـــأمري دون كُربتهـــا؟ ... هـــل هـــذه – يـــا تـــرى - الأخـــلاقُ والمُثَـــل؟

هـــل التعـــددُ يـــا أقـــوامُ مَخبثـــة؟ ... أم سُـــنة أصـــبحت فـــي النـــاس تبتـــذل؟

هـــل الـــزواجُ مـــن الأخـــرى مُراهنـــة ... علـــى الضـــياع كمـــا يـــرى الألـــى سَـــفلوا؟

أم أنـــه خـــوضُ مَـــن بالـــدين قـــد لعبـــوا ... وفريـــة صـــاغها فـــي النـــاس مَـــن هزلـــوا؟

إن التعـــــدد شـــــرعُ الله يـــــا همـــــجٌ ... والشـــــرعُ عنـــــد تقـــــاة النـــــاس يُمتثـــــل

(ســـت البنـــات) أرانـــي لســـتُ معتـــذراً ... إنـــي بمـــا قـــد عرضـــتِ اليـــوم أحتفـــل

أجِـــلّ شـــأنك فـــي آفـــاق عـــاطفتي ... فـــذي مفاجـــأة ، والعقـــلُ منـــذهل

أنـــت الكريمـــة فـــي أهـــل وفـــي بلـــدٍ ... وإن أيامنـــــا يـــــا غـــــادتي دول

ولـــم تغَيـــرْك أيـــامٌ تمـــرّ بنـــا ... والـــدهرُ بـــالمرء - رغـــم الأنـــف - يرتحـــل

مضـــى القطـــار ، ولـــم يأخـــذ مســـافرة ... وتركُـــه لـــك أمـــرٌ ســـييء جَلـــل

والشـــائعاتُ علـــى مـــا قلـــتُ شـــاهدة ... يَحيكُيهـــا - فـــي الـــدجى - الأوبـــاشُ والســـفل

يُلفقـــــون أغاليطـــــاً مُزيفـــــة ... والله يشـــهد مـــا قـــالوا ومـــا فعلـــوا

وأنـــت ثابتـــة كـــالطود راســـخة ... لا تعبئـــين بمـــا جُهـــالهم عملـــوا

كمـــالُ دينـــكِ أســـمى مِـــن تخرّصـــهم ... ونبـــلُ أصـــلكِ بـــالأخلاق مكتمـــل

(ســـت البنـــات) عليـــك العـــينُ باكيـــة ... إذ العنوســـة عـــيشٌ كلـــه خلـــل

مذمومـــة منـــذ عـــاش النـــاسُ فـــي أسَـــر ... مهمـــا تعـــددتِ الأســـبابُ والعِلـــل

هـــي الفـــراغ سَـــرتْ بلـــوى مصـــائبه ... ولـــيس يمـــدحُها يومـــاً مَـــن اعتـــدلوا

هـــي الجحـــيمُ لأنثـــى تشـــتهي رجـــلاً ... علـــى شـــريعة رب النـــاس ذا الرجـــل

هـــي الســـعيرُ تعـــاني منـــه صـــالحة ... مهمـــا تحملـــتِ البلـــواءَ تشـــتعل

هـــي الـــدمارُ وإن حلّـــت مســـاربُه ... بـــئس المســـاربُ والأنحـــاءُ والســـبل!

هـــي الضـــياعُ زهـــا للمعجبـــات بـــه ... ولـــم تجـــيء للـــورى - كـــلا - بـــه الرســـل

هـــي الهـــواجسُ راجـــت ســـوقُ ســـطوتها ... وحولهـــا يكثـــر النقـــاشُ والجـــدل

هـــي المَـــرارُ ، وللبِنـــا حلاوتـــه ... هـــل يســـتوي الشـــيحُ فـــي الطعـــوم والعســـل؟

هـــي الضـــلالُ ، وفـــي البِنـــا اســـتقامتنا ... هـــل الاســـتقامة يُطفـــي نورَهـــا الضـــلل؟

(ســـت البنـــات) هبينـــي قلـــت: واحـــدة ... تكفـــي: فتلـــك لهـــا فـــي خـــاطري شـــغل

ولســـت أقـــوى علـــى نيـــران غيْرتهـــا ... وقـــد يكـــون مـــن العنيـــدة الزلـــل

ولا أريـــد لمـــن أعـــول تفرقـــة ... مـــاذا يقولـــون عـــن أب إذا ســـئلوا؟

ولا أحـــبّ مـــن الأعـــدا شـــماتتهم ... فالعـــذلُ مِـــن جانـــب الأعـــداء مُحتمـــل

ولا أودّ حيـــاة كلهـــا كـــدرٌ ... أمَلهـــا ، ودمـــار العيشـــة المَلـــل

فســـامحيني ، وأنـــتِ اليـــوم مُخجلتـــي ... ولـــن يُغيّـــر مـــن إجـــابتي الخجـــل

فلتعـــذريني إذ الســـؤالُ فاجـــأني ... وإننـــي - عنـــدما أجيبُـــه - بطـــل

وبالصـــراحة تُجْلـــى كـــل غاشـــيةٍ ... إن الـــذي يُفســـد القرابـــة الختـــل

وأنـــت أخبـــرُ بـــالظروف تخنقنـــي ... ولـــيس يقـــوى - علـــى مُهمّتـــي - الجَمـــل

بيـــتٌ وزوجٌ وأعبـــاءٌ وعائلـــة ... ينهـــار - مِـــن حَملهـــن - التـــلّ والجبـــل

(ســـت البنـــات) هبينـــي بـــتّ مُعتـــذراً ... عـــن الـــزواج كمـــا يحـــتجّ مَـــن جهلـــوا

خـــوفَ المشـــاكل يحتـــار الحلـــيمُ بهـــا ... يقـــولُ: إنْ عظـــم الـــبلاءُ مـــا العمـــل؟

والضـــــرتان شِـــــجارٌ لا حـــــدود لـــــه ... ولا حلـــــول لهـــــا جـــــدوى ولا حِيـــــل

إلا الرحيـــــل عـــــن البيتـــــين إذ جمَعـــــا ... كيـــداً يضـــيق بشـــيء منـــه مُرتحِـــل

فهـــل ســـتقبلُ بنـــتُ العـــمّ معـــذرتي؟ ... وهـــل سيصـــحب حكـــمَ الغـــادة الوجـــل؟

أم أنهـــا ســـتقول: الصـــبّ يَكرهنـــي ... وإنْ تزوجتـــــه نهـــــايتي الفشـــــل؟

ولـــن يكـــون لنـــا مســـتقبلٌ غـــردٌ ... بـــل إن عاقبـــة البنـــاء بـــي المَيَـــل؟

توســـمتْ فـــيَّ خيـــراً لا يُضـــاهئه ... خيـــرٌ ، وتـــزعمُ أن الفـــرحَ يكتمـــل

لكنهـــا فجعـــت فـــي ابـــن العمومـــة لا ... يريـــدها زوجـــة ، واســـتنوق الجمـــل

(ســـت البنـــات) جـــزاكِ الله مَكرمـــة ... ولا دهـــاكِ الأســـي - يومـــاً - ولا الغِيَـــل

فقـــد أعـــدْتِ لنـــا ذكـــرى (خـــديجتنا) ... يـــوم انتقـــتْ ســـيداً مـــا مثلـــه رجـــل

(محمـــدُ الحـــق) ، خيـــرُ الخلـــق ســـيدُهم ... وخيـــرُ مَـــن لرضـــا ملـــيكهم عملـــوا

وافقـــتُ يـــا غـــادتي ، مهمـــا الصـــداقُ غـــلا ... وقـــدوتي - فـــي زواجـــي - الســـادة الأوَل

فأبشـــري ، ســـيكون الحـــق رائـــدنا ... والنصـــر سِـــترٌ - علـــى الـــزوجين - ينســـدل

إن المليـــك علـــى الأعـــداء ينصـــرُنا ... والله منقـــذنا مِـــن حِقـــد مَـــن جهلـــوا

لبيـــكِ لبيـــكِ ، لا تخشَـــي ضـــغائنهم ... فـــالرب ناصـــرُ مَـــن عليـــه يكتـــل

لبيـــكِ لبيـــكِ ، لا تأسَـــي ولا تهنـــي ... مـــا كـــان لله فهْـــو اليـــوم متصـــل

لا يزال في العمر بقية

(إنها قصة (عادل حسني) ، الشاب المصري الذي بقي تحت الأنقاض 10 ساعات في زلزال القاهرة 1992م. ولم ييأسْ ، وتم انتشاله سالماً بفضل الله ورحمته. وقصته في مجلة آخر ساعة المصرية العدد 3027.)

خـــيّم المـــوتُ ، فهـــل مـــن مَهـــربِ؟ ... ولـــــه الأحيـــــاءُ أنـــــدى مطلـــــبِ

فالبنايـــــاتُ علـــــى الأرض هـــــوتْ ... والعمـــــــاراتُ كغيـــــثٍ صـــــيِّب

وإذا بـــــالأرض – فـــــوراً - زُلزلـــــت ... ربِّ ســـــلمْ مِـــــن دمـــــار مُرعـــــب

وإذا بالنـــــاس فـــــوجٌ يَمنـــــة! ... ثـــــم فـــــوجٌ يَســـــرة كالجنـــــدب

وإذا بـــــالخوف يعلـــــو صـــــوته ... وإذا الصـــــرعى أتَـــــوْا فـــــي موكـــــب

وإذا فـــــي كـــــل قلـــــب حســـــرةٌ ... ودمـــــوعُ العـــــين لمّـــــا تنضـــــب

وإذا فـــــي كـــــل نفـــــس كربـــــة ... لـــــيس يمحوهـــــا بريـــــقُ المَنصـــــب

وكنـــــوز الأرض لا تغنـــــي أبـــــداً ... ذرف الـــــدمع ، ولمّـــــا يُـــــذنب

لكـــــنِ الزلـــــزالُ أردى أهلـــــه ... فـــــي ثـــــرى الـــــوداي الســـــحيق الطيـــــب

وكـــــذا الأمّ يُعزيهـــــا الجـــــوى ... فـــــي بُنيـــــات كمثـــــل الكوكـــــب

وكـــــذا الأخـــــت بكـــــتْ إخوانهـــــا ... حـــــين زارتهـــــا طيـــــوفُ الغيَّـــــب

وكـــــذا إبـــــن ذووه جُنـــــدِلوا ... عنـــــدما لمّـــــا يكـــــنْ مِـــــن مُـــــذهب

وإذا العمـــــر انتهـــــى حـــــل الفنـــــا ... ومضـــــى عـــــيشٌ كبـــــرق خلـــــب

وإذا كانـــــت ثـــــوان للفتـــــى ... عاشـــــها مـــــن قبـــــل طـــــي الغيهـــــب

هكـــــذا الـــــدنيا ، فهـــــل مـــــن عِبـــــرةٍ؟ ... إنـــــه المـــــوت ، ومـــــا مـــــن مهـــــرب!

مكالمة مغرضة تقود إلى التوبة

(لقد كان من سلبيات الحضارة الغربية الجاهلية المنكودة المعاصرة أن يسَّرتْ سبل الانحراف والضلال والتهتك والإباحية ، مسموعة ومقروءة ومرئية ، بصورةٍ لم يسبق لها مثيل في التاريخ الإنساني كله. ولا يعجب المرءُ في زماننا من الذي هلك ـ بشؤم هذه الممارسات السيئة المُسيئة ـ كيف هلك؟ ولكن ليعجب المرء ممن نجا منها كيف نجا؟ وعلى كل حال ، نحمد الله أننا نعبده ، وندين له بدين واضح كالشمس. حلاله بيِّن وكذلك الحرام. دين هو المحجَّة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولا يسلكها إلا كل مُنيب عفّ سالك. وما تشتتَ شملُ الأسر ، وما انحدرتِ القيم من نفوس الناس بقدر ما انحرفت في مثل زماننا. وإن زمان التتار والمغول أخف وطاة من الهجمة الإلكترونية الشرسة الموجهة للحيلولة بين الخلائق وبين القيم والأخلاق والمُثل والفضائل. نعم لقد غلِب القوم ، وانبهروا أمام حضارة الغرب الإباحية الملعونة. ونسوا أو قل: تناسوا أن الغرب بحاجة ماسة لحضارتهم القيَمية العظيمة حضارة الروح والجسد معا ، تلك الحضارة التي تشبع في المرء كل شيء فيه: تشبع روحه وعواطفه وأحاسيسه ومشاعره من قبل أن تشبع بالضرورة جسمه ومطالبه. نشرتْ مجلة المجتمع الكويتية في عددها (1050) قصة مضحكة مبكية عن إحدى الهازلات سابقاً اتصلت بشاب تريد مغازلته. فإذا بها تقع هذه المرة على تقي ورع يُجادلها ثم يعظها ويخوفها بالله ويذكرها النار ، ويُطمعُها في الجنة. وما زال بها حتى اعترفتْ وتابت وأنابت. والعُهدة عليه في هذه الرواية التي بعث بها لمجلة المجتمع. ثم قدمتها المجلة للناس. إنها باختصار مكالمة مغرضة خبيثة ما أريد بها وجه الله كسابقاتها من المكالمات التي اعتادت صاحبتها سابقاً إجراءها للهزل والمتعة الحرام. قال العلامة المباركفوري في "تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ) أَيْ كَثِيرُ الْخَطَأِ أَفْرَدَ نَظَرًا إِلَى لَفْظِ الْكُلِّ ، وَفِي رِوَايَةٍ خَطَّاءُونَ نَظَرًا إِلَى مَعْنَى الْكُلِّ ، قِيلَ أَرَادَ الْكُلَّ مِنْ حَيْثُ هُوَ كُلٌّ أَوْ كُلَّ وَاحِدٍ. وَأَمَّا الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَإِمَّا مَخْصُوصُونَ عَنْ ذَلِكَ ، وَإِمَّا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ صَغَائِرَ. وَالْأَوَّلُ أَوْلَى فَإِنَّ مَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنْ بَابِ تَرْكِ الْأَوْلَى ، أَوْ يُقَالُ: الزَّلَّاتُ الْمَنْقُولَةُ عَنْ بَعْضِهِمْ مَحْمُولَةٌ عَلَى الْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قَصْدٌ إِلَى الْعِصْيَانِ قَالَهُ الْقَارِي. (وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) أَيِ الرَّجَّاعُونَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ).هـ. والسهو والتقصير من طبع الإنسان ، ومن رحمة الله بهذا الإنسان الضعيف أن يفتح له باب التوبة ، وأمره بالإنابة إليه ، والإقبال عليه ، كلما غلبته الذنوب ولوثته المعاصي. ولولا ذلك لوقع الإنسان في حرج شديد ، وقصُرتْ همته عن طلب التقرب من ربه ، وانقطع رجاؤه من عفوه ومغفرته. أورد الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عن الفضل بن موسى قال كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوَاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَمَا نزل من الحق). "فلما سمعها قال: بلى يا رب قد آن فرجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة فقال بعضهم: نرحل وقال بعضهم حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا ، قال: ففكرتُ وقلت أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين ها هنا يخافونني وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام. قال الإمام الذهبي تعليقاً على القصة: وبكل حال: فالشرك أعظم من

قطع الطريق ، وقد تاب من الشرك خلق صاروا أفضل الأمة ، فنواصي العباد بيد الله ، وهو يضل من يشاء ، ويهدي إليه من أناب. إن التوبة وظيفة العمر ، وبداية العبد ونهايته ، وأول منازل العبودية ، وأوسطها ، وآخرها! وحاجتنا إلى التوبة حاجةً ماسَّة ، بل إن ضرورتنا إليها مُلِحَّة ؛ فنحن نذنب كثيراً ، ونفرّط في جنب الله ليلاً ونهاراً ؛ فنحتاج إلى ما يصقل القلوب ، وينقيها من رين الذنوب! ثم إن كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ؛ فالعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية. وإن من أعظم نعم الله عز وجل أن فتح باب التوبة ، وجعله فجراً تبدأ معه رحلة العودة بقلوب منكسرة ، ودموع منسكبة ، وجباه خاضعة. وكتبتُ على البحر الخفيف هذه القصيدة من أجل سَوْق العبرة والعظة لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد. وعسى الله أن يتوب على كل تائب وتائبة.)

رُب ذنـــــب أودى بكـــــل الـــــذنوبِ ... ثـــم أحيـــا مـــا قـــد غفـــا مـــن قلـــوبِ

لا يـــزال الشـــيطانُ بـــالنفس حتـــى ... لا تـــرى فـــي تقصـــيرها أي حُـــوب

وتعـــيش عـــن الرشـــاد بمَنـــأى ... وتنمـــي مـــا عنـــدها مـــن عيـــوب

وتُجـــافي الأخـــلاق فـــي كـــل أمـــر! ... وتَجـــافي الأخـــلاق أسُّ اللغـــوب

وتـــرى فـــي فعـــل المعاصـــي حيـــاة ... والمعاصـــي تقودهـــا للخطـــوب

والخطايـــا تفنـــي الحيـــا والتســـامي ... وتدسِّـــى أفهـــامَ كـــل لبيـــب

والتـــدني بـــالنفس يُـــورث ذلا ... مـــا لَـــه فـــي دنيـــا الـــورى مـــن ضـــريب

ودروب الإفـــلاس لا خيـــر فيهـــا ... والضـــحايا كـــم أثقِلـــوا بالـــذنوب

وكثيـــر مـــن النســـا كالســـبايا ... قـــد تـــبعن أهـــواء أهـــل الصـــليب

فـــالتعري فـــي كـــل صُـــقع شِـــعار ... مُـــؤْذنٌ يومـــاً بانحطـــاط اللعـــوب

والأغـــاني إلـــى الفجـــور بريـــدٌ ... والتجنـــي يكـــوي فـــؤاد الحبيـــب

والبنـــاتُ مـــا بـــين (ليلـــى) غـــرام ... أو بغـــيٍّ ، كـــم أجّجـــتْ مـــن لهيـــب!

أو لعـــوب تبيـــع بالمـــال عِرضـــاً ... والـــردى فـــي إغـــراء تلـــك اللعـــوب

أو عجـــوز تـــأوي لـــروح التصـــابي! ... والتجاعيـــدُ فـــي الجبـــين القطـــوب

رَخُـــصَ العِـــرضُ ، والمعـــاييرُ ضـــاعتْ ... والـــدواهي الـــدهياءُ طـــي الغيـــوب

وتوسّـــمْنا أن يُفيـــق الســـكارى ... وتكـــونَ الـــذكرى كغيـــثٍ سَـــكوب

ويفيـــدَ التـــذكيرُ غـــاداتِ قـــومي ... مِـــن صـــبايا غـــافلن عـــين الرقيـــب

وانطلقـــن - نحـــو الضـــياع - سِـــراعاً ... والكـــروبُ تســـعى وراء الكـــروب

والكـــلامُ - عبـــر الهواتـــف - أودى ... بحيـــاءٍ - زان العـــذارى - مَهيـــب

زخرفتـــه الآهـــاتُ عبـــرَ أثيـــر ... ثـــم رشـــتْ عليـــه بعـــضَ الطيـــب

زفـــراتٌ فيهـــا الحنـــينُ ، ونجـــوى! ... ولهـــاتٌ يُزجـــي الصـــبا للمشـــيب

والتســـلي - عبـــر الهواتـــف - دنيـــا ... تختـــلُ القلـــبَ بـــالكلام الرطيـــب

ربمـــا اصـــطاد الصـــوتُ أنـــدى عشـــيق ... صـــوته للأســـقام خيـــرُ طبيـــب

كـــم أجـــاب الجـــوالُ حاجـــة حيـــرى ... ظنـــتِ النـــذلَ الوغـــدَ خيـــرَ خطيـــب!

حِيـــلٌ كـــم قـــد خربـــتْ مـــن بيـــوت! ... وكـــلامٌ يلغـــو بـــه كـــل ذيـــب

والشـــبابُ فـــي ذي الـــدهاليز صَـــيدٌ ... والســـعيدُ مَـــن قـــد نجـــا بـــالهروب

ثـــم شـــطتْ فـــي الاتصـــال خَـــرودٌ ... فـــإذا بـــالوعظ اللطيـــفِ الأديـــب

وإذا بـــالتقوى أشـــدّ بياضـــا ... فـــي مُحَيّاهـــا مِـــن بيـــاض الحليـــب

وإذا بـــالطهر الـــذي لا يبـــارى ... وإذا بالصـــدر الســـليم الرحيـــب

وإذا بـــالأخلاق فـــي كـــل حـــرفٍ ... وإذا بالإقنـــاع غيـــرُ المُريـــب

وإذا بـــالجوّال يُغضـــي حيـــاءً ... مـــن كـــلام الشـــهم التقـــي المُنيـــب

وإذا بالغيـــداء تُطـــرقُ صـــمتاً ... حيـــث لـــم تنصـــتْ قبلهـــا لنحيـــب

وإذا بـــالمغوار يُلقـــي الوصـــايا ... فـــي رداءٍ مـــن الصـــفاء خصـــيب

وإذا بالهيفـــاء تعلـــنُ توبـــاً ... ثـــم حُـــب الـــرب الســـميع القريـــب

أبشر بالزلفى يا زلفى

(زلفى هو مغنٍ صومالي عالمي ، ذاع صيته في كل أنحاء العالم. وشهد الكل له بالنجومية - والعياذ بالله تعالى - في الغناء. أراد الله له الهداية ، فهيأ بحوله وقوته – عز وجل - أسبابها. واهتدى إلى الحق وإلى الصراط المستقيم ذلك المغني ، ولله الحمد. وقامت جريدة (المسلمون) السعودية في عددها (4116) بنشر قصة زلفى كاملة من النجومية في الغناء – وما هي عندنا بنجومية - إنّ النجومية في الالتزام بالإسلام ، وهذه هي فعلاً النجومية الحقيقية. ورحتُ أبشره في هذه القصيدة. قال ابن الجوزي: (الحذر الحذر من المعاصي فإنها سيئة العواقب ، خصوصًا ذنوب الخلوات فإن المبارزة لله تَعَالَى تسقط الْعَبْد من عينه سُبْحَانَهُ ولا ينال لذة المعاصي إلا دائم الغَفْلَة ، فأما المُؤْمِن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عَنْدَ التذاذه يقف بإزائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها ، فإن قويتْ معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي وَهُوَ الله فيتنغص عيشه في حال التذاذه ، وإن كَانَ الطبع في شهوته فما هِيَ إلا لحظة ثُمَّ خزي دائم وندم ملازم وبُكَاء متواصل وأسف على ما كان).هـ. وأيضاً قصة المرأة المُتَعَبِدة البصرية: كانت هناك عابدة بصرية جميلة وكانت تُخْطَبُ فتأبى ، وأنها وقعتْ في نفس رجل مهلبي فبلغ المهلبي أنها تريد الحج فاشترى ثلاثمائة بعير ونادى من أراد الحج فليكتر من فلان المهلبي فاكترت منه فلما كان في بعض الطريق جاءها ليلاً فقال: إما أن تزوجيني نفسك وإما غير ذلك فقالت: ويحك اتق الله! فقال: ما هو إلا ما تسمعين والله ما أنا بِجَمَّال ولا خرجت في هذا إلا من أجلك. فلما خافت على نفسها قالت: ويحك انظر أبقي في الرجال أحد لم ينم؟ قال: لا! قالت: عُدْ فانظر ، فمضى وجاء فقال: ما بقي أحد إلا وقد نام. فقالت: ويحك أنام رب العالمين؟ ثم شهقت شهقة وخرت ميتة ، وخرَّ المهلبي مغشياً عليه ثم قال: ويحي قتلت نفساً ، ولم أبلغ شهوتي فخرج هارباً.)

أســـعدِ العمـــرُ ، فالبلايـــا تولـــتْ ... إنمـــا الـــنفس بالمعـــالي تحلـــتْ

إيـــه (يـــا زلفـــى) عيشُـــك اليـــوم أرقـــى ... والرزايـــا - عـــن الفـــؤاد - تنحَّـــت

والحيـــــاة بطاعـــــة الله أبقـــــى ... مـــن حيـــاةٍ فيهـــا المعاصـــي اســـتبدت

والتســـامي فـــي عـــالم الطهـــر أحلـــى ... مـــن تـــردٍ مـــن كـــل طهـــر تفلـــت

والتحلـــي بـــالخير فـــي النـــاس أســـمى ... مـــن تـــدنٍ فيـــه الضـــياعُ مبيَّـــت

والغنـــــاءُ أس الخنـــــا والـــــدنايا ... والأغـــــاني بالمُوبقـــــات أقـــــرت

روّجوهـــا ، والجيـــلُ فيهـــا غريـــقٌ ... والـــذي لا يهـــوى الغنـــا مُتعنـــت

وهـــواة الإيقـــاع عُصـــبة شـــر ... بالأغـــاني والمُعجبـــين اســـتعزت

دنـــدنت فـــي الأصـــقاع شـــرقاً وغربـــاً ... وبأجنـــادٍ الفاســـقين تقـــوَّت

إيــه (يــا زلفــى) ، أبشــرْ بعـيش سـعيدٍ ... وحيـــاةٍ عمـــا يشـــين اســـتقلت

لـــم تكـــن منـــا يـــوم كنـــت تغنـــي ... فـــإذا بالغنـــاء يخبـــو ويخفـــت

وإذا بالشـــحرور يَعـــزف لحنـــاً ... مـــن جميـــع الألحـــان أحلـــى وأنكـــت

وإذا بـــالكورال يمضـــي بعيـــداً ... يشـــحذ الســـوآى ، والعـــداءَ يُبيِّـــت

لـــم يعـــد يســـتهويه لحـــنُ التســـامي ... عـــن دنايـــا مـــن الحيـــاء تعـــرّت

مستســـيغاً مـــا فـــي الخنـــا مـــن تـــردٍّ ... والنفـــوسُ بكـــل طـــاغ تأسّـــت

هبطـــتْ مِـــن عليـــاءِ سَـــمْتٍ كـــريم ... لطبـــاع منهـــا الســـجايا اشـــمأزت

ولـــذا (زلفـــى) قـــد تـــأبى علـــيهم ... ثـــم أمســـي يـــدعو المليـــك ، ويقنـــت

ورمـــــى آلاتِ الملاهـــــي بعيـــــداً ... ثـــم أضـــحى يهجـــو الغنـــاء ، ويَمقـــت

عِبـــرة هـــذي ، بـــل ودرسٌ جليـــلٌ ... مِـــن ســـناه كـــلُ الأغاريـــد تنبـــت

فعســـى المـــولى أن يتـــوب علـــى مـــن ... نفســـه عـــن قـــبح الغنـــاء تخلّـــت

إن نفســـاً لـــم تطـــرح القـــبحَ أرضـــاً ... بـــل أراهـــا علـــى المليـــك تألـــت

لا تســـاوي إشـــفاق قلـــب عليهـــا ... أو أيـــادٍ علـــى الضـــلال تربّـــت

ونفـــوسُ الأبـــرار مهمـــا تمـــادت ... فلهـــا عَـــودٌ – للمحامـــد - مُخْبـــت

واتبـــاعٌ للحـــق دون انحـــرافٍ ... والتـــزامٌ يخـــزي العـــدو ، ويَكبـــت

واحتـــرامٌ للشـــرع يُشـــجي قلوبـــاً ... لـــم تكـــابر ، ومـــا عليـــه تأبّـــت

تـــدرك الـــنفسُ بالرشـــاد المعـــالي ... والتمـــادي فـــي الغـــي يُشـــقي ويُغْنِـــت

ومطيـــعُ الـــنفس الدنيئـــة يحيـــا ... فـــي انحطـــاطِ المســـتهزء المتفلـــت

رب جنبنـــا كـــل غـــر رقيـــع ... إنْ رأى عُـــريَ القانيـــات تلفـــت

بارك الله فيك يا نورية!

(إنها (نورية سليمان). الفنانة المسرحية الإماراتية سابقاً. قد تابت إلى الله وعزمتْ على أن لا تعود إلى العفن الفنى. وأدركت نفسها من أولى دركات الحضيض. وقصتها كاملة في جريدة (المسلمون - ص3 من العدد 430). والإنسان إذا اتبع هواه وسار أسيراً ذليلاً وراء شهواته تراه يقيم العذر لنفسه ويلتمس لها الدليل وَيُلَفِق لها بزعمِهِ التأويل ، ويريد أن يُحَمِلَّ الناس جميعاً السبب في خطئهِ ويقول: هم السبب في زَلتي وهم الذين دفعوني إلى شِقْوَتي فيُعَلِق ذنبه ومعاصيه على شماعاتٍ وهمية ، وأحياناً يلقي اللوم على القدر فيقول: هو السبب في ذلك كما حصل في عهد عمر ابن الخطاب حينما أتوْا بسارق فسأله عمر: ما حَمَلَك على ذلك؟ فقال له: قَدَرُ الله. فقال له: ونحن نقطع يدك بِقَدِرِ الله! وقد كتبتُ هذي القصيدة أحيي نورية وأدعو لها!)

نوريـــة الخيـــر ، بـــرُ المَكرمـــات أتـــى ... يفـــوقُ - فـــوق الرُبـــا - واللهِ غيـــثَ شـــتا

وأشـــرقَ النـــورُ فـــي قلـــب إليـــه ســـعى ... والســـعدُ دَف ، وفـــي درب الهُـــدى نبتـــا

والفجـــرُ أســـفرَ عـــن صـــبح لـــه ألـــقٌ ... كـــم فـــي دروب الهـــوى ضـــياؤه خفتـــا!

خـــاب الضـــلالُ ، ومَـــن يـــأوي لظلمتـــه! ... وخـــاب مَـــن قلبـــه فيـــه الهـــوى نكِتـــا!

وخـــاب مـــن جعـــل المُجـــونَ قبلتـــه ... وفـــي الأنـــام علـــى الفضـــيلة افتأتـــا!

وعـــاش فـــي حَمـــأة الفســـوق مُرتكســـاً ... ولـــم نجـــدْه علـــى شـــرع الهُـــدى ثبتـــا

دنيـــا الفنـــون جنـــت فحـــوى شـــبيبته ... والمســـتكينُ لهـــا عـــن فضـــحها ســـكتا

ومـــا رســـالة فـــن كلـــه ســـفهٌ؟ ... والمســـرحُ اليـــوم يُزجـــي الفســـق والنكتـــا

إن يفقـــدِ المـــرءُ - فـــي الفنـــون - غيرتـــه ... فإنـــه قـــد هـــوى ، وللـــدمار أتـــى

والرشْـــدُ بيّـــنه ربُ الأنـــام لمـــن ... يرجـــو النجـــاة ، لـــذا قـــد زايـــل العنتـــا

واللهُ منقـــذ مَـــن ســـعى لطاعتـــه ... ومَـــن دعـــاه ، وفـــي ضـــنك الـــبلا قنتـــا

(نوريـــة الطهـــر) لا تأسَـــيْ ، ولا تهنـــي ... ولا تبـــالي بمـــن قـــد عـــاب أو بهتـــا

وبـــارك الله فـــي تـــوب خصصـــتِ بـــه ... إن العـــدو - بهـــذا العَـــود - قـــد كُبتـــا

بـــك (الإمـــاراتُ) - فـــي أهـــل الـــدنا - فخـــرتْ ... فخـــراً يصـــدّ الـــذي فـــي التـــوب قـــد شـــمتا

وإن تعفوا أقرب للتقوى!

(هناك في جريدة عكاظ السعودية العدد رقم (9861) نشر خبر ملخصه: أن محكمة شرعية أصدرت حكمها على رجل قتل مسلماً خطأ. وحاول أهل القاتل حمْل أهل القتيل على قبول الفدية والعفو فأبوا غير مرة. وتحدد يوم تنفيذ القصاص. فإذا بأهل القتيل يعلنون العفو ابتغاء وجه الله تعالى. وذلك قبل أن يهوي السيافُ على عنق القاتل بدقائق معدودة وصدق الله ربي إذ يقول: (وأن تعفوا أقرب للتقوى). وكنت قد طالعتُ الخبر فأخذتني على الفور قشَعريرة الشعر ، فكانت هذه القصيدة ترجمة لما أحسستُ به. وجعلت هذه الآية القرآنية العظيمة عنواناً لها. وخضت في البحر العروضي الوافر لأصوغ عليه ما أحسست به. ورحت أشكر لهؤلاء الأماجد جميلهم العظيم الذي لا يُقدّر بثمن. وقد بلغ من منزلة حسن الخلق يوم القيامة أن يكون صاحبه من أثقل الناس وزناً ، كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق). وهو أكثر ما يُدخل الناس الجنة ، كما قال عليه الصلاة والسلام عندما سئل عن ذلك: (تقوى الله وحسن الخلق) وميزان الكمال عند المؤمنين بكمال أخلاقهم: (إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) حديث صحيح. وهذا الأمر هو الذي يدرك به الإنسان حقاً درجات العبادة الكبار ، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن المؤمن ليُدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم). رواه أبو داود ، وهو حديث صحيح. وأبشرْ يا صاحب حسن الخلق ببيت في أعلى الجنة ، فإنه عليه الصلاة والسلام قال: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه). رواه الطبراني. فالبيت العلوي جزاءٌ لأعلى المقامات الثلاثة وهي حسن الخلق. وصاحب الخلق الحسن أقرب الناس مجلساً من النبي عليه الصلاة والسلام يوم القيامة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً). رواه الترمذي ، وهو حديث صحيح. فهذا الخلق الحسن أثقلُ شيءٍ في ميزان العبد ؛ لأن الأعمال توزن يوم القيامة وزناً حقيقياً ترجح الكفة بها ، وأثقلُ شيء في الميزان الخلق الحسن ، وهي وصيته صلى الله عليه وسلم للمؤمن في معاملة الناس حين قال: (وخالق الناس بخلق حسن).إنها التضحية بما في النفس من بواعث الانتقام وكوامن التشفي ، لكي تميل إلى ما فضله الله.)

ألا بـــــالأجر قـــــد فـــــاز الأبـــــاةُ ... وبـــــالخيراتِ قـــــد ظفـــــر التقـــــاةُ

وإن مكـــــارم الأخـــــلاق تبقـــــى! ... وتبقـــــى للأنـــــام الطيبـــــات

ويـــؤجر كـــل مـــن فعـــل الســـجايا ... وتحتســـب الخُطـــا والصـــالحات

وإن صـــنائعَ المعـــروف تُعلـــي! ... وترفـــعُ مَـــن أتاهـــا التضـــحيات

وإن جمائـــل الشـــهم انطـــلاقٌ ... تـــبشّ لـــه الخلائـــقُ والحيـــاة

وإن فضـــائل العـــادات يســـمو ... بهـــا فينـــا المغـــاويرُ الهُـــداة

وإن ثمـــار أهـــل الخيـــر تحلـــو ... لآكلهـــا ، فهـــل علـــم الغفـــاة؟

وإن النـــاس تمـــدحُ مَـــن تزكّـــى ... وتفخـــرُ بـــالكريم المَكرمـــات

وإن العفـــو مِـــن أنـــدى العطايـــا ... إذا ذكـــرت لأقـــوام هبـــات

وإحيـــاءُ النفـــوس لـــه ثـــوابٌ ... تفـــوز بـــه النفـــوسُ الخيّـــرات

وإن الصـــفح - فـــي الميـــزان - أســـمى ... إذا وزنـــتْ بكِفتـــه الصـــفات

وإن الجـــود بالصـــفح احتســـاباً ... تهـــون بـــه الخطـــوبُ المعضـــلات

وشِـــرعة ربنـــا نفـــسٌ بـــنفس ... وبالأحكـــام يرتـــدعُ الجنـــاة

وفـــي هـــذا القصـــاص لنـــا حيـــاة ... وأيـــامُ الخلائـــف شـــاهدات

هـــو القـــرآن يحيـــي كـــل مَيْـــتٍ ... ومـــا اســـتويتْ حيـــاة والممـــات

بـــه التشـــريعُ فصـــلٌ مُســـتبينٌ ... وآيـــاتُ الفـــرائض بينـــات

بـــه الآيـــاتُ عـــن حـــق اليتـــامى ... وآيٌ للقصـــاص مفصـــلات

بـــه الآيـــاتُ عـــن دنيـــا وأخـــرى ... وآيـــاتُ العقائـــد نيّـــرات

وسُـــنة (أحمـــدٍ) نـــورٌ وبشـــرى ... تجشّـــم نقلهـــا الشُـــمُّ الثقـــات

بهـــا تفســـيرُ مـــا فـــي الـــذكر قطعـــاً ... يواقيـــتٌ تجمّلهـــا العِظـــات

أحاديـــثٌ تنـــوّر كـــل قلـــب ... وتغمرُهـــا الـــرؤى والمعجـــزات

وفيهـــا النـــورُ يجتـــاحُ الـــدياجي ... ويشـــهدُ بالـــذي قلـــتُ الـــدعاة

وفيهـــا الرشـــدُ محبـــورُ المُحيـــا ... وقـــد ضـــبط المعـــاييرَ النحـــاة

لمـــن تبـــع الهُـــدى أزكـــى التحايـــا ... مُنغمـــة يُردّدهـــا الحُـــداة

علـــى (المختـــار) مـــن ربـــي ســـلام ... تصـــاحبُه التحيـــة والصـــلاة

ومـــن تبـــع النبـــيَ فســـاق عفـــواً ... فـــنعم العفـــو! بـــل نعـــم الســـمات!

لقـــد أهـــدى الحيـــاة لمبتغيهـــا ... وســـاومَه الرجـــا والأمنيـــات

وعنّـــف نفســـه جمـــرُ انتقـــام ... وســـيفُ المـــوت ضـــاق بـــه الثبـــات

وقـــاوم ثـــورة بلغـــتْ مَـــداها ... وكـــم أزتْ جـــواه المُغريـــات!

وأقنـــعَ غيـــره بـــالعفو كـــيلا ... يقـــول النـــاس هـــدّده الكُمـــاة

وأغـــرى الأهـــلَ بالصـــفح احتســـاباً ... ولـــن تبقـــى مـــع الصـــفح الشـــكاة

هـــي الآلامُ تـــذبل بعـــد حـــين ... وينتحـــرُ الأذى والعائـــدات

كمثـــل الزهـــرة الفيحـــاء تـــزوي ... ويـــذبل بعـــد خضـــرته النبـــات

ويبقـــى العفـــوُ فـــي الـــدنيا قريـــراً ... يتيـــه كمـــا تتيـــه الـــذكريات

ويرســـمُه القـــريضُ لنـــا قصـــيداً ... يُـــردّده العبـــاقرة الـــرواة

وينشـــره بـــرغم الأنـــف شـــهمٌ ... عفيـــفٌ لا تلـــين لـــه قنـــاة

ومـــن أحيـــاه عفـــوُ النـــاس يحيـــا ... كســـيرَ القلـــب دمعتـــه فـــرات

إذا مـــا عـــاين العـــافين أغضـــى ... حيـــاءً ، إنّ عفـــوَهم النجـــاة

ويـــذكرُ صـــفحَهم ، فيســـحّ دمعـــاً ... وفـــي القلـــب الحـــزين تأوهـــات

فقـــد كـــانوا كِرامـــاً وهـــو عـــاتٍ ... فهـــل مثـــلُ الكـــرام غـــدا العتـــاة؟

وخيـــرَ النـــاس كـــانوا رغـــم جُـــرح ... تخـــرّ لـــه الجبـــالُ الراســـيات

وشـــرّ النـــاس كـــان بـــلا جـــدال ... وتنقصُـــه الرويّـــة والأنـــاة

تقبّـــل ربنـــا ممـــن تســـامى ... ولـــيس كمثـــل عفـــوك أعطيـــات

ورحمـــة ربنـــا أبـــداً علـــى مـــن ... ثـــوى ، والآنَ جُثتـــه رُفـــات

دموع تائبة

(كانت إحدى الساقطات – لا كثرهن الله – قد أوقفتْ سيارتها في موقفٍ ما أمام متجر للعطور. تاركة إحدى صويحباتها ممن على شاكلتها في الهزل سابقاً. وأنصتت هذه الباقية في السيارة لشريط في سيارة أخرى مجاورة ، هو (توبة صادقة للأستاذ / سعد البريك). وكان صاحب السيارة قد تركها تعمل ريثما يعود عودة خاطفة سريعة على عادة البعض. وتأثرت الفتاة بالشريط جداً. وعادت صاحبتها بعد حين. وهمّت بالانصراف فقالت: دعيني أستمع ، أرجوك. فأخذت الثانية تسخر وتستهزء. وصاحبتها ليست معها ، إنها في عالم آخر ، ولما عاد صاحب السيارة طلبتْ منه الشريط ، فأعطاها الشريط وخمسين أخرى ، واستمعتْ للكل وأرسلتِ الدمع وتابت وأنابت والتزمت حجابها. قال الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي: (وما هو الحجابُ إلا حفظ روحانية المرأة للمرأة ، وإغلاء سعرها في الاجتماع ، وصونها من التبذل الممقوت. وقال أيضاً: وأساس الفضيلة في الأنوثة الحياء ؛ فيجب أن تعلم الفتاة أن الأنثى متى خرجت من حيائها وتهجَّمت ؛ أي توقَّحت ، أي تبذَّلت استوى عندها أن تذهب يميناً ، أو تذهب شمالاً ، وتهيأت لكل منهما ولأيهما اتفق. وصاحبات اليمين في كنف الزوج ، وظل الأسرة ، وشرف الحياة ، وصاحبات الشمال ما صاحبات الشمال...؟ وقال أيضاً :فكل ما تراه من أساليب التجميل والزينة على وجوه الفتيات وأجسامهن في الطرق فلا تَعُدَّنَّه من فرط الجمال ، بل من قلة الحياء. وإذا كان الأمر كذلك فإنه يجب على الأمَّة المسلمة أن تتوب من التبرج والسفور ، وأن تحاربه بكل ما أوتيت من قوة ، وأن تدعو في الوقت نفسه إلى لزوم الحجاب والحشمة للمرأة المسلمة ؛ ففي الحجاب العفة ، والستر ، والطهر ، والسلامة من الفتنة ، والنجاة من الوعيد وغير ذلك من فضائل الحجاب. كما يجب على المرأة المسلمة أن تحافظ على حجابها ، وأن تعتز به ، وأن لا تلتفت إلى دعاوى المبطلين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ويضرون ولا ينفعون ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، وأن يكون حجابه مستوعباً جميع بدنها بما في ذلك الوجه والكفان ، وألا يكون الحجاب زينة في نفسه ، وأن يكون صفيقاً لا يشف ، وأن يكون فضفاضاً غير ضيق ، وأن لا يكون مُبخَّراً مطيباً ، وألا يشبه لباس الرجل ، أو الكافرات ، وألا يكون لباس شهرة. فإذا كانت كذلك فأحْرى بها أن تسعد في نفسها ، وأن تَسعدَ الأمةُ بها).هـ. تقبل الله منا ومن هذه التائبة ونسأل الله أن تكون توبتها لله وحدهه ، إذ كما يقول الأستاذ المنجد: (أن يكون ترك الذنب لله لا لشيء آخر ، كعدم القدرة عليه أو على معاودته ، أو خوف كلام الناس مثلاً. فلا يسمى تائباً من ترك الذنوب لأنها تؤثر على جاهه وسمعته بين الناس ، أو ربما طرد من وظيفته. ولا يسمى تائباً من ترك الذنوب لحفظ صحته وقوته ، كمن ترك الزنا أو الفاحشة خشية الأمراض الفتاكة المعدية أو أنها تضعف جسمه وذاكرته. ولا يسمى تائباً من ترك أخذ الرشوة لأنه خشي أن يكون معطيها من هيئة مكافحة الرشوة مثلاً. ولا يسمى تائباً من ترك شرب الخمر وتعاطي المخدرات لإفلاسه. وكذلك لا يسمى تائباً من عجز عن فعل معصية لأمر خارج عن إرادته ، كالكاذب إذا أصيب بشلل أفقده النطق ، أو الزاني إذا فقد القدرة على الوقاع ، أو السارق إذا أصيب بحادث أفقده أطرافه ، بل لا بد لمثل هذا من الندم والإقلاع عن تمني المعصية أو التأسف على فواتها ولمثل هذا يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (الندم توبة) رواه أحمد وابن ماجه).هـ. وهناك ثمانية عشر

مفتاحاً للتوبة تناولها في خطبة له الأستاذ جمّاز بن عبد الرحمن الجمّاز وكان السبب سؤالاً من أحد العازمين على التوبة ثم تولى الأستاذ الجواب ، ونحن هنا نورد السؤال والجواب! أما السؤال فهو: (أنا مسلم ولكن بالاسم أريد أن أتوب وأرجع إلى الله وإلى الإسلام ، ولكني أتوب ثم أعود إلى ما كنت عليه ، فأرجو منكم إعطائي نصيحة لكي أتوب ولا أعود لما كنت عليه. وأما الإجابة: هناك سبل وطرق معينة على الاستمرار في التوبة ، بل هي مفتاح التوبة ، فالزمها واحرص على تطبيقها ، ومنها: (1- الإخلاص لله تبارك وتعالى: فهو أنفع الأدوية ، فمتى أخلصتَ لله - جل وعلا - وصدَقْتَ في توبتك أعانك الله عليها ، ويسّرها لك وصَرف عنك الآفات التي تعترض طريقك ، وتصدّك عن التوبة ، من السوء والفحشاء ، قال – تعالى - في حق يوسف - عليه السلام -: "كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ". قال ابن القيم: "فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً ، وأنعمهم بالاً ، وأشرحهم صدراً ، وأسرهم قلباً ، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة"ا.هـ. فليكن مقصدك صحيحاً ، وتوبتك صالحة نصوحاً. 2 – امتلاء القلب من محبة الله تبارك وتعالى إذ هي أعظم محركات القلوب ، فالقلب إذا خلا من محبة الله - جل وعلا - تناوشته الأخطار ، وتسلّطت عليه الشرور ، فذهبت به كل مذهب ، ومتى امتلأ القلب من محبة الله - جل وعلا - بسبب العلوم النافعة والأعمال الصالحة كَمُل أنْسُه ، وطاب نعيمه ، وسلم من الشهوات ، وهان عليه فعل الطاعات. فاملأ قلبك من محبة الله - تبارك وتعالى - وبها يحيا قلبك. 3 – المجاهدة لنفسك: فمجاهدتك إياها عظيمة النفع ، كثيرة الجدوى ، معينة على الإقصار عن الشر ، دافعة إلى المبادرة إلى الخير ، قال – تعالى -: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ". فإذا كابدت نفسك وألزمتها الطاعة ، ومنعتها عن المعصية ، فلتُبشر بالخير ، وسوف تُقبل عليك الخيرات ، وتنهال عليك البركات ، كل ما كان كريهاً عندك بالأمس صار عندك اليوم محبوباً ، وكل ما كان بالأمس ثقيلاً ، صار اليوم خفيفاً ، واعلم أن مجاهدتك لنفسك ، ليست مرة ولا مرتين ، بل هي حتى الممات. 4– قِصَر الأمل وتذكّر الآخرة: فإذا تذكّرت قِصَر الدنيا ، وسرعة زوالها ، وأدركتَ أنها مزرعة للآخرة ، وفرصة لكسب الأعمال الصالحة ، وتذكّرت الجنة وما فيها من النعيم المقيم ، والنار وما فيها من العذاب الأليم ، ابتعدتَ عن الاسترسال في الشهوات وانبعثت إلى التوبة النصوح ورصّعتها بالأعمال الصالحات. 5– العلم: إذ العلم نور يُستضاء به ، بل يشغل صاحبه بكل خير ، ويشغله عن كل شر! والناس في هذا مراتب ، وكل بحسبه وما يناسبه ، فاحرص على تعلم ما ينفعك ومن العلم أن تعلم وجوب التوبة ، وما ورد في فضلها ، وشيئاً من أحكامها ، ومن العلم أن تعلم عاقبة المعاصي وقبحها ، ورذالتها ، ودناءتها. 6– الاشتغال بما ينفع وتجنّب الوحدة والفراغ: فالفراغ عند الإنسان السبب المباشر للانحراف ، فإذا اشتغلتَ بما ينفعك في دينك ودنياك ، قلّتْ بطالتك ، ولم تجد فرصة للفساد والإفساد ، ونفسك أيها الإنسان إن لم تشغلها بما ينفعها شغلتك بما يضرك. 7– البعد عن المثيرات ، وما يذكّر بالمعصية: فكل ما من شأنه يثير فيك دواعي المعصية ونوازع الشر ، ويحرّك فيك الغريزة لمزاولة الحرام ، قولاً وعملاً ، سواء سماعاً أو مشاهدة أو قراءة ، ابتعد عنه ، واقطع صلتك به ، كالأشخاص بعامة ، والأصدقاء بخاصة ، وهكذا النساء الأجانب عنك ، وهكذا الأماكن التي يكثر ارتيادها وتُضعف إيمانك ، كالنوادي والاستراحات والمطاعم ، وهكذا الابتعاد عن مجالس اللغو واللغط ، والابتعاد عن الفتن ، وضبط النفس فيها ، ومنه إخراج كل

معصية تُبتَ منها ، وعدم إبقائها معك ، في منزلك أو عملك. 8 – مصاحبة الأخيار: فإذا صاحبت خيّراً حياً قلبك ، وانشرح صدرك ، واستنار فكرك ، وبصّرك بعيوبك ، وأعانك على الطاعة ، ودلّك على أهل الخير. وجليس الخير يذكرك بالله ، ويحفظك في حضرتك ومغيبك ، ويحافظ على سمعتك ، واعلم أن مجالس الخير تغشاها الرحمة وتحفّها الملائكة ، وتتنزّل عليها السكينة ، فاحرص على رفقة الطيبين المستقيمين ، ولا تعد عيناك عنهم ، فإنهم أمناء. 9 – مجانبة الأشرار: فاحذر رفيق السوء ، فإنه يُفسد عليك دينك ، ويخفي عنك عيوبك ، يُحسّن لك القبيح ، ويُقبّح لك الحسن ، يجرّك إلى الرذيلة ، ويباعدك من كل فضيلة ، حتى يُجرّئك على فعل الموبقات والآثام ، فقد يقودك إلى الفضيحة والخزي والعار ، وليست الخطورة فقط في إيقاعك في التدخين أو الخمر أو المخدرات ، بل الخطورة كل الخطورة في الأفكار المنحرفة والعقائد الضالة ، فهذه أخطر وأشد من طغيان الشهوة ؛ لأن زائغ العقيدة قد يستهين بشعائر الإسلام ، ومحاسن الآداب ، فهو لا يتورع عن المناكر ، ولا يُؤتمن على المصالح ، بل يُلبس الحق بالباطل ، فهو ليس عضواً أشل ، بل عضو مسموم حقير يسري فساده كالهشيم في النار. 10– النظر في العواقب: فعندما تفكر في مقارفة سيئة ، تأمّل عاقبة أمرك ، واخشَ من سوء العاقبة فكما أنك تتلذذ بمقارفة المنكر ساعة ، ليكن في خَلَدك أنك سوف تتجرّع مرارات الأسى ، ساعات وساعات ، فجريمة الزنا ، فضيحة وحَدّ ، والحدّ إما جلد وتغريب أو قتل ، وجريمة السرقة ، عقوبة وقطع ، وجريمة المسكر ويلات وجلد ، وجريمة الإفساد ، صلب أو قطع أو قتل هذا في الدنيا ، أما الآخرة فالله تعالى بالمرصاد ، ولن يخلف الميعاد. 11– هجر العوائد: فينبغي لك أيها الصادق ، ترك ما اعتدته من السكون إلى الدعة والراحة ؛ لأنك إن أردت أن تصل إلى مطلوبك ، فتحوّل عنها ؛ لأنها من أعظم الحُجُب والمواقع التي تقف أمام العبد في مواصلة سيره إلى ربه ، وتعظم تلك العوائد حينما تُجعل بمنزلة الشرع أو الرسوم التي لا تُخالف. وكذلك يصنع أقوياء العزيمة ، وأبطال التوبة ، فكن منهم. 12– هجر العلائق: فكل شيء تعلّق به قلبك دون الله ورسوله من ملاذ الدنيا وشهواتها ورياساتها ومصاحبة الناس والتعلق بهم ، والركون إليهم وذلك على حساب دينك ، اهجره واتركه ، واستبدله بغير ذلك ، وقوِّ علاقتك بربِّك ، واجعله محبوبك ، حتى يضعف تعلّق قلبك بغير الله – تعالى -. 13– إصلاح الخواطر والأفكار: إذ هي تجول وتصول في نفس الإنسان وتنازعه ، فإن هي صلحت صلح قلبك ، وإن هي فسدت فسد قلبك. واعلم أن أنفع الدواء لك أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك ، فالفكر فيم لا يعني باب كل شر ، ومن فكّر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة لدينه. وإياك أن تمكِّن الشيطان من بيت أفكارك وخواطرك ، فإن فعلتَ فإنه يُفسدها عليك فساداً يصعب تداركه ، فافهم ذلك جيداً. 14 – استحضار فوائد ترك المعاصي: فكلما همّت نفسك باقتراف منكر أو مزاولة شر ، تذكّر أنك إن أعرضتَ عنها واجتهدت في اجتنابها ، ولم تقرب أسبابها ، فسوف تنال قوة القلب ، وراحة البدن ، وطيب النفس ، ونعيم القلب ، وانشراح الصدر وقلة الهم والغم والحزن ، وصلاح المعاش ، ومحبة الخلق ، وحفظ الجاه ، وصون العرض ، وبقاء المروءة ، والمخرج من كل شيء مما ضاق على الفساق والفجار ، وتيسير الرزق عليك من حيث لا تحتسب ، وتيسير ما عَسُر على أرباب الفسوق والمعاصي ، وتسهيل الطاعات عليك وتيسير العلم ، فضلاً أن تسمع الثناء الحسن من الناس ، وكثرة الدعاء لك ، والحلاوة التي يكتسبها

وجهك ، والمهابة التي تُلقى لك في قلوب الناس ، وسرعة إجابة دعائك ، وزوال الوحشة التي بينك وبين الله ، وقرب الملائكة منك ، وبُعد شياطين الإنس والجن منك ، هذا في الدنيا ، أما الآخرة فإذا مِتَّ تلقتك الملائكة بالبشرى من ربك بالجنة ، وأنه لا خوف عليك ولا حزن ، تنتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة ، تنعم فيها إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة وكان الناس في الحر والعَرَق ، كنتَ في ظل العرش ، فإذا انصرفوا من بين يدي الله - تبارك وتعالى - ، أخذ الله بك ذات اليمين مع أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين و"ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ". إنك إن استحضرت ذلك كله ، فأيقن بالخلاص من الولوغ في مستنقع الرذيلة. 15 – استحضار أضرار الذنوب والمعاصي: فكلما أردتَ مزاولة الحرام ، ذكِّر نفسك أنك إن فعلت شيئاً من ذلك فسوف تُحرم من العلم والرزق ، وسوف تَلقى وحشة في قلبك بينك وبين ربك ، وبينك وبين الناس ، وأن المعصية تلو المعصية تجلب لك تعسير الأمور ، وسواد الوجه ، ووهن البدن ، وحرمان الطاعة ، وتقصير العمر ، ومحق بركته وأنها سبب رئيس لظلمة القلب ، وضيقه ، وحزنه ، وألمه ، وانحصاره ، وشدة قلقه ، واضطرابه ، وتمزّق شمله ، وضعفه عن مقاومة عدوه ، وتعرِّيه من زينته. استحضر أنّ المعصية تورث الذل ، وتفسد العقل ، وتقوي إرادة المعصية ، وتضعف إرادة التوبة ، وتزرع أمثالها ، وتدخلك تحت اللعنة ، وتحرمك من دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ودعوة المؤمنين ، ودعوة الملائكة. استحضر أنك إن كنت مصاحباً للمعصية ، فالله يُنزل الرعب في قلبك ويزيل أمنك ، وتُبدَّل به مخافة ، فلا ترى نفسك إلا خائفاً مرعوباً. تذكّر ذلك جيداً قبل اقترافك للسيئة. 16– الحياء: إذ الحياء كله خير ، والحياء لا يأتي إلا بخير ، فمتى انقبضت نفسك عما تُذم عليه ، وارتدعت عما تنزع إليه من القبائح ، فاعلم أنك سوف تفعل الجميل تلو الجميل ، وتترك القبيح تلو القبيح ، وحياءٌ مثل هذا هو أصل العقل ، وبذر الخير ، وأعظمه أن تستحي من ربك - تبارك وتعالى - بأن تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه ، فإنك متى علمتَ بنظر الله إليك ، وأنك بمرأى ومسمع منه ، استحييت أن تتعرّض لمساخطه ، قولاً وعملاً واعتقاداً. ومن الحياء المحمود ، الحياء من الناس ، بترك المجاهرة بالقبيح أمامهم. ومن الحياء المحمود ، الحياء بأن لا ترضى لنفسك بمراتب الدون. واستحضر مراقبة الله – تعالى - ، عندها سوف تمتلك الحياء ، فتقترب من الكمال ، وتتباعد عن النقائص. 17– تزكية النفس: طهِّر نفسك وأصلحها بالعمل الصالح والعلم النافع ، وافعل المأمورات واترك المحظورات ، وأنتَ إذا قمتَ بطاعةٍ ما ، فإنما هي صورة من صور انتصارك على نفسك ، وتحرّرك من قيودها ، وهكذا كلما كسرتَ قيداً ، كلما تقدمت خطوة ، والخير دائماً يلد الخير ، واعلم أن شرف النفس وزكائها ، يقود إلى التسامي والعفة. 18– الدعاء: فهو من أعظم الأسباب ، وأنفع الأدوية ، بل الدعاء عدو البلاء ، يدافعه ويعالجه).هـ. فتخيلتني في مكان هذه الفتاة التائبة - وكلنا ذوي خطايا وذنوب – فطفقتُ أحكي حكايتها شعراً وعلى لسانها هي.)

دمـــعٌ تحـــدّر مِـــن عينـــي بـــلا ســـببِ فاقـــــت إبانتـــــه روائـــــعَ الخُطـــــبِ

والحـــزنُ أخجـــلَ إحساســـي وعـــاطفتي وحطـم الكـرب مـا فـي الـنفس مـن طـرب

وأغـــرق القلـــبَ مـــا عاينـــتُ مِـــن أســـفٍ فكيـــف أحيـــا بقلـــب لاعـــج لجـــب؟

والـــــروحُ آلمهـــــا ضـــــياعُ تائهـــــةٍ فـــي عـــالم فاقـــدِ الأخـــلاق مُضـــطرب

ففـــي المشـــاعر - مِـــن تـــدميره - كـــدرٌ يســـــوقها لســـــراب الشـــــك والرّيَـــــب

وفـــي الخـــواطر - مـــن ركامهـــا - أثـــرٌ يقودُهـــا لـــدجى التخريـــب والنـــوب

وفـــي الضـــمير - مـــن التغريـــب - مَلهبـــة مَـــن يلـــتمسْ وصـــفها فـــي التـــو يلتهـــب

وفـــي الفـــؤاد - مِـــن التضـــليل - زلزلـــة تزيـــد مـــا فيـــه مِـــن شَـــوائب الكـــرب

وفـــي الجـــوارح مِـــن ســـوء المصـــير أســـىً أمســـــى يُهـــــدّدها بســـــوء منقلـــــب

كـــم ذا أقمـــتُ علـــى فســـق ومعصـــيةٍ! نيرانهـــا تحـــرقُ الأخـــلاقَ كالشـــهب

كـــم مـــن أغـــان علـــى قلبـــي البئـــيس جثـــتْ! وأنشـــبتْ سُـــمها فـــي الفكـــر والعصـــب

حتـــى غـــدوتُ لهـــا أســـيرة فقـــدتْ إحساسَـــها بالـــذي فـــي الزيـــف مِـــن لهـــب

وعيتهـــا ، فاصـــطلتْ بـــالقبح ذاكرتـــي وحـــزتُ أشـــرطة تـــدعو إلـــى الـــوَدَب

وعشـــتُ أطـــرب للفنـــون فـــي ولـــهٍ والعمـــرُ قضـــيته فـــي اللهـــو واللعـــب

وكـــم تخبطـــتْ فـــي درب شَـــقيتُ بـــه! تخـــبط العُمـــي فـــي وادي الشـــقا الخـــرب

ومـــا فطنـــتُ لأوبـــاش بليـــتُ بهـــم ومـــا علـــيهم - إذا حققـــتُ - مِـــن عتـــب

حطمـــــتُ قلبـــــي بـــــأفلام معلمنـــــةٍ لـــم تُبـــق - فـــي الـــنفس - مِـــن علـــم ولا أدب

وجُبـــتُ دنيـــا الهـــوى الفتـــان هائمـــة وكـــان فعـــلُ الـــدنايا منتهـــى طلبـــي

واســـتعذب الخـــاطرُ المفتـــونُ مـــا ارتكبـــتْ نفســـي اللجـــوجُ بـــلا جبـــر ولا ســـبب

منقـــــادة كنـــــتُ للـــــزلات أركبُهـــــا ولـــم يعقنـــي - عـــن الســـفول - مـــن أرب

وقـــد ألفـــتُ الـــذي غشـــيتُ مـــن عمـــهٍ ولـــم أكـــنْ أشـــتكي شـــيئاً مـــن النصـــب

حتـــى أتتْنـــي مـــن (البريـــك) موعظـــة تفـــوقُ كـــل الـــذي فـــي الأرض مـــن ذهـــب

صـــادت فـــؤادي وإحساســـي وعـــاطفتي ... وهتكـــتُ مـــا أحـــاط القلـــب مـــن حُجُـــب

ونـــورتْ خـــاطراً مـــا كـــان أظلمـــه! ... فلـــم يعـــد - للـــدجى - شـــيءٌ مـــن الغلـــب

وبصـــرتني بمـــا أعـــيش مـــن ســـفهٍ ... أصـــاب قلبـــي بســـهم الطـــيش والعطـــب

وأرشـــدتني لـــدرب كلـــه رشـــدٌ ... والرشـــدُ ينبـــعُ مِـــن ذخـــائر الكتـــب

قـــادت كُليماتـــه للخيـــر عابثـــة ... لمَّـــا يقـــدْها - إلـــى الرشـــاد - نصـــحُ أب

وقـــد هـــدتْني إلـــى التقـــوى عبارتُـــه ... إذ تـــدخل القلـــبَ والإحســـاسَ عـــن رغـــب

وأثـــرتْ - فـــي النهـــى - فحـــوى طريقتـــه ... إن الترفـــق يطفـــي ثـــورة الغضـــب

وأدمعـــتْ مُقلتـــي - فـــي التـــو - نبرتـــه ... وســـال دمـــعُ الجـــوى فـــي كـــل منســـرب

وأشـــرقتْ شـــمسُ أحلامـــي مبـــددة ... مـــا أضـــلل الـــنفسَ مـــن زيـــفٍ ومـــن كـــذب

فتبـــتُ عـــن كـــل مـــا قارفـــت عازمـــة ... أن لا أرى قـــدوة (حمّالـــة الحطـــب)!

وكـــان دمعـــي علـــى ذا التـــوب ترجمـــة ... كالغيـــث جـــادت بـــه خـــزائنُ الســـحب

دمـــوعُ تائبـــةٍ عـــادتْ لشِـــرعتها ... مـــن بعـــد عمـــر مضـــى كـــأطول الحقـــب

تبكـــي الشـــباب ثـــوتْ طيـــوفُ جذوتـــه ... ولـــم يعـــد لـــي - مـــن الســـلوى - ســـوى اللقـــب

تبكـــي وأناتهـــا - فـــي القلـــب - ثاويـــة ... والـــذنبُ منجـــدلٌ يزيـــد فـــي الرهـــب

تبكـــي ، وقـــد نـــدمتْ علـــى الـــذي اكتســـبتْ ... وتشـــفقُ اليـــوم مـــن ســـعير منقلـــب

وتســـتعيذ - بـــرب النـــاس - لائـــذة ... كـــيلا تكـــون بأصـــل النـــار كالحطـــب

ويَعجـــب الـــدهرَ منهـــا مَـــن يُعاينهـــا ... وحُـــقّ للنـــاس مـــا ســـاقوا مـــن العجـــب

دمـــوع تائبـــةٍ قـــد أدركـــتْ ووعـــتْ ... أن المثوبـــة قـــد تُهـــدى لمحتســـب

لـــذلك احتســـبتْ دمعـــاً تعاورهـــا ... أنقـــى مـــن الشـــهد ، بـــل أشـــهى مـــن الحلـــب

والتـــائبون لهـــم دمـــعٌ بـــه عُرفـــوا ... ومَـــن يعاينْـــه - رغـــم الأنـــف - يكتئـــب

وللـــــدموع جـــــوىً يكـــــوي ومســـــكنة ... ومـــن يُـــرِدْ أجـــر هـــذا الحـــال يحتســـب

والتـــوب أليـــقُ بالإنســـان فـــي زمـــن ... أهـــلُ الضـــلال بـــه مـــن أفجـــر العُصُـــب

وعـــودة المـــرء للـــرحمن واجبـــة ... إن اللجـــوء لـــه مـــن أفضـــل القُـــرَب

والـــدمعُ أحـــرى بـــأن يـــذيبَ أفئـــدة ... مـــن واعـــظ الحـــق لـــم تخشـــع ، ولـــم تـــذب

دمـــوعُ تائبـــة - فـــي المقلتـــين - جـــرتْ ... أحلـــى مـــن التـــين والرمـــان والعنـــب

تعيـــدُ للعـــين قِســـطاً مـــن بصـــيرتها ... تلـــك التـــي أذنبـــتْ دهـــراً ، ولـــم تتـــب

وتبعـــث الأمـــلَ الرقـــراقَ فـــي كبـــدٍ ... حَـرَّى ، طواهـا الهـوى فـي سُـوء مغتـرب

وتبـــذر الشـــوقَ فـــي نفـــس مُســـربلةٍ ... لـــولا الركـــونُ إلـــى العـــادين لـــم تخِـــب

وتنشـــر الخيـــرَ فـــي الأجـــواء ماحقـــة ... إصـــر الركـــون إلـــى الإفـــلاس والجـــدب

دمـــــوعُ تائبـــــةٍ كانـــــت مُضـــــللة ... بالمغريـــــات وبـــــالفنون والصـــــخب

مـــا فرّقـــتْ بعـــدُ بـــين المُـــر يُلجمُهـــا ... حتـــى تقـــيء ، وبـــين المـــوز والرطـــب

قـــد اســـتوى عنـــدها هـــدوءُ عِيشـــتها ... بالطيبـــات أو أن تعُـــجّ بالشـــغب

ظنـــت لهـــاثَ الخنـــا يومـــاً سيســـعدُها ... واليـــومَ مِـــن نـــاره تلـــوذ بـــالهرب

حتـــى أصـــيبتْ بســـهم الطـــيش فـــي كبـــدٍ ... يـــا ليتـــه إذ عـــلا الأحشـــاء لـــم يُصـــب

هـــي الضـــحية مهمـــا قيـــل مغرمـــة ... بـــالفن ، تلـــك التـــي تبلـــوه عـــن كثـــب

دمـــوعُ تائبـــةٍ ، تابـــت ، وتوبتهـــا ... جلّـــت عـــن الزيـــف والبهتـــان والرّيَـــب

ليقبـــل الله منـــي توبـــة صـــدقتْ ... حتـــى يـــزولَ الـــذي ألقـــى مـــن الكُـــرب

وتـــوبتي - بغزيـــر الـــدمع - أغمرُهـــا ... والـــدمعُ أثمـــنُ مـــا أزجيـــه مـــن ســـبب

ربـــاه تبـــتُ فـــأدركْ قلـــبَ تائبـــةٍ! ... وتوبـــة القلـــب مـــن فضـــائل الحِسَـــب

انحدار

(كانت مؤمنة صالحة تحت زوج صالح تقي. ولما طلقتْ منه لحكمة يعلمها الله ، انحدرتْ فأهملتِ الصلاة والحجاب. وكأنها كانت له تصلي وترتدي الحجاب ، ولسواد عينيه تلتزم بالإسلام والحق. والأصل أن ذلك كله لله. (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له). فلا تصح أبداً معاقبة الزوج بترك شيء منه. عن سعد رضي الله عنه قال: كنا نذكر بعض الأمر وأنا حديث عهد بجاهلية ، فحلفتُ باللات والعزى ، فقال لي أصحاب رسول الله: بئس ما قلت ؛ كلهم قاموا عليَّ في المجلس وقالوا: إئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأتيته فأخبرته فقال لي – صلى الله عليه وسلم -: (قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات وتعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات ، واتفل عن يسارك ثلاث مرات ، ولا تعد له). رواه النسائي.)

تخلتْ على التقوى ، وحادت عن الهُدى ... فأشمتتِ العُذال والعِيرَ والعِدا

ومالت إلى الأهواء في كل شأنها ... ومدّت - إلى شيطان خيبتها - يدا

وحنت إلى ماضٍ تولى زمانه ... حنينَ التي تستعذب الشوق والصدى

وعادت إلى ذكرى تمرّق عهدها ... تُرَجّع فحواها ، وتختصر المدى

تبعثِر - فوق الدرب - ما شاد بعلها ... لتدْحر مجهوداً ، وتُذهبَه سُدى

وتنحدر الحمقاءُ ، تُزري بنفسها ... وصِنوان ما تهوى: الغواية والردى

أللزوج كانت يا ترى صلواتها ... فباتت بهذا الترك أهنا وأسعدا؟

أللزوج قد كان الحجاب تكلفاً ... وجلبابُها كان للزوج أسودا؟

أللزوج كانت تستقيم تجمّلاً؟ ... ألم تستقم - بين البرايا - تعبدا؟

أللزوج صامت شهرها؟ يا لحمقها! ... ألم تكُ يوماً بالأدلة أرشدا؟

أللزوج قد كان التزامٌ وطاعة؟ ... وكيف ستلقى الله إن جُندلتْ غدا؟

ألا إن هذا الانحدار مدمرٌ ... لأن لنا عند المهيمن موعدا

فتوبي إلى مولاكِ طوعاً ، وأحسني ... وصوني كتاب الله والشرعَ والهُدى

ولا تلعبي بالنار كيلا تحَرّقي ... وعيشي لهذا الدين ، كوني له الفدا

العزة بالعلم

(في إحدى المشادات الكلامية ، استهجن حفنة من البُله موقف رجل محترم كان قد اعتز بعلمه على الجهلاء. فلم يسمح لنفسه أبداً بالهبوط إلى مستوى السفول والسباب والشتائم قط ، وإن تطاول غيره بذات الأساليب ، فكانت عزة بالعلم لا تباري. إن الناظر في الواقع لا بد من أن يعرف ويخرج بنتيجة واضحة وهي: أن الناس جُلهم لا يمكن أن يكونوا طلبة علم. فهناك اختلافات في السن والوظيفة والدراسة. فمنهم من يدرس الطب والهندسة ، ومنهم من يدرس الشريعة ، وحتى في الذكاء والفطنة والرغبة والميول يتفاوتون ، وفي التفرغ منهم من يكون عزباً عمله قصير ، أو جدوله قليل ، ومنهم من يكون صاحب أسرة وأولاد ، وقد يعمل عملاً إضافياً ، وهذه القيود من التفرغ والتخصص والميول والتفاوت في القدرات العقلية!)

بعلمـــــي سأصـــــمدُ مســـــتعففا ... ولـــن تســـمعوا مـــن لســـاني (كفـــى)

فزيـــدوا مـــن الســـبّ ، واســـتهجنوا ... فلـــــن أســـــتفَز بهـــــذا الجفـــــا

وكِيلـــوا الشـــتائمَ ، شـــأنَ الألـــى ... فضـــائحُهم لـــيس فيهـــا خفـــا

وهـــاتوا مـــن الكيـــد مـــا يُـــزدرى ... ولـــــن أتراجـــــعَ مُســـــتنكفا

ســـأحلم مهمـــا جهلـــتم ، ولـــي ... مليـــكٌ ســـيُوجد لـــي مصـــرفا

هـــو العلـــمُ يســـمو بأربابـــه ... وحـــــقُ المعلـــــم أن يُنصـــــفا

هـــو العلـــمُ يرفـــعُ شـــأن الـــذي ... بـــــه قـــــد تســـــلّح مســـــتعففا

وهـــل كالـــذي بـــالعلوم اهتـــدى ... وسُـــنة خيـــر الأنـــام اقتفـــى؟

فطَـــــوراً يُتـــــابع أســـــتاذه ... وطـــــوراً يـــــودّ لـــــو اســـــتأنفا

وطـــــوراً يعـــــود علـــــى غيـــــره ... بعلـــــم عـــــن الجـــــاهلين اختفـــــى

وطـــــوراً يُراجـــــع أفكـــــاره ... ومـــــن علمـــــه لحظـــــة مـــــا اكتفـــــى

لـــــذا لـــــن أردّ علـــــى مُعتـــــدٍ ... يُخـــــالف عـــــن سُـــــنة المصـــــطفى

فسَـــــمتي التـــــأدبُ مهمـــــا جـــــرى ... وفـــــي حـــــق مثلـــــي الضـــــلال انتفـــــى

وأجـــــري علـــــى الله ربـــــي الـــــذي ... يخـــــصّ الفـــــؤادَ ببـــــرد الصـــــفا

رسائل

(كان اسمها الأول (مارجريت ماركوس) وهي أمريكية الأصل. أمريكية من أصل يهودي ، وضعت كتباً منها (الإسلام في مواجهة الغرب) ، و(رحلتي من الكفر إلى الإيمان) و(الإسلام والتجدد) و(الإسلام بين النظرية والتطبيق). تقول: "لقد وضع الإسلام حلولاً لكل مشكلاتي وتساؤلاتي الحائرة حول الموت والحياة ، وأعتقد أن الإسلام هو السبيل الوحيد للصدق ، وهو أنجع علاج للنفس الإنسانية". "منذ بدأت أقرأ القرآن عرفتُ أن الدين ليس ضرورياً للحياة فحسب ، بل هو الحياة بعينها ، وكنتُ كلما تعمّقت في دراسته ازددت يقيناً أن الإسلام وحده هو الذي جعل من العرب أمة عظيمة متحضرة قد سادت العالم". "كيف يمكن الدخول إلى القرآن الكريم إلا من خلال السنة النبوية؟! فمن يكفر بالسنة لا بد أنه سيكفر بالقرآن". "على النساء المسلمات أن يعرفن نعمة الله عليهن بهذا الدين الذي جاءت أحكامه صائنة لحُرُماتهن ، راعية لكرامتهن ، محافظة على عفافهن وحياتهن من الانتهاك ومن ضياع الأسرة". انتهى من(مقدمات العلوم والمناهج) للعلامة أنور الجندي (مجلد6/ ص199). وأما بداية قصتها مع الإسلام فلقد بدأت بمرضها بعد الثانوية لمدة عامين ، وكان هذا المرض فعلاً فاتحة خير لها إذ قرأت في هذين العامين (ترجمة معانى القرآن) – وكتاب (نمساوي نصراني يتحول إلى الإسلام) وهو للأستاذ / محمد أسد - وكتاب (الإسلام عند مفترق الطرق) لمحمد أسد كذلك. وكانت قراءتها واعية دقيقة. حيث أثمرت ، وعادت عليها بالخير. وقررت بعد ذلك أن تراسل كبار علماء المسلمين في ذلك الحين. وبعد حين من الرسائل المتبادلة والمشاورات التي كانت تجريها وإعمال الفكر والتدبر والتمعن أسلمت على يد الأستاذ / داود أحمد فيصل ، هناك في نيويورك ، والذي غيّر اسمها إلى (مريم جميلة). وقامت بمراسلة الأستاذ الكبير مولانا أبا الأعلى المودودي - رحمة الله عليه -. وكانت رسائلها فكرية بحتة حول الإسلام والنصرانية ، ودعاها الأستاذ المودودي لزيارة باكستان. وهناك جاءت ، وتزوجت من الأستاذ محمد يوسف خان. والذي نشر كل مؤلفاتها الفكرية ومراسلاتها حول الإسلام. وقد قمت بالاطلاع على رسائلها العظيمة للأستاذ المودودي ، وقرأت كذلك ردود الأستاذ المودوي عليها. فألفيتها رسائل تستحق منا التقدير والدراسة ، وذهلت من أسلوب كلٍّ. إذ كيف لطالبةٍ لا تزال في مستهل حياتها الجامعية تضارع قمة القمم الأستاذ المودودي. وكذلك ينزل الأستاذ المودوي إلى مستوى طلابه في الحوار المثمر البناء. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ونشرتْ هذه الرسائل بالإنجليزية. كما أنها ترجمت إلى العربية على يد الأستاذ / طارق السيد خاطر. فكتبتُ هذه القصيدة مادحاً هذه الرسائل العظيمة.)

هـــذه الرســـائل تثـــري العِلـــم والأدبـــا ... والحمـــد لله أن قـــد أصـــبحتْ كتبـــا

فيهـــا مـــن الخُلـــق الرفيـــع أعذبـــه ... ومـــن وضـــوح الصـــوى مـــا يبعـــث الطربـــا

ومِـــن تعفّـــفِ مَـــن صـــاغت عبارتهـــا ... مـــا يســـتثير أريـــجَ الفـــأل والأربـــا

قـــد كنـــتِ يـــا (مـــريمَ التوحيـــد) رائـــدة ... فـــي حَبـــك نـــص يفـــوقُ المـــاسَ والـــذهبا

وكـــان عالِمنـــا فـــي الـــردّ مدرســـة ... تـــا اللهِ مـــا دلـــس (الأســـتاذ) ، أو كـــذبا

بـــل خـــط مـــا قـــد حـــواه القلـــبُ فـــي ثقـــةٍ ... والصـــدقُ يختـــرمُ الشـــكوكَ والرّيبـــا

ومَـــن يُطـــالعْ يقـــلْ: (بنـــتٌ ووالـــدها) ... هـــل كنـــتِ بنتـــاً وكـــان (المـــودوديُّ) أبـــا؟!

تصـــارحين بمـــا فـــي الـــنفس مـــن شـــجن ... وكـــل حـــرفٍ يُزيـــل الهـــمّ والنصَـــبا

وتكتبـــين - عـــن الأوضـــاع - ناقـــدة ... وتســـلكين إلـــى - ديـــن الهُـــدى - ســـببا

وتقـــرئين - عـــن الإســـلام - فـــي نهـــم ... ودمـــعُ عينيـــك - فـــوق المصـــحف - انســـكبا

وتســـألين بـــلا لـــوم ولا حـــرج ... وإن فـــي الســـؤل - يـــا أختَ الهُـــدى - لببـــا

وتـــذكرين الـــذي فـــي الغـــرب مـــن غصـــص ... تذيقـــه الضـــنك والتـــدمير والنوبـــا

وكـــل قـــول تقوّيـــهِ أدلتـــه ... ممـــا يـــؤججُ الاســـتغراب والعجبـــا

والـــرد أبلـــغ مـــن أســـتاذ صـــحوتنا ... إذ حـــاز ســـمتَ العُـــلا فـــي فكـــره لقبـــا

لـــم يـــألُ جهـــداً ، ولـــم يكـــتمْ معارفـــه ... بـــل جـــاد بالنصـــح للفتـــاة محتســـبا

ونقـــح الـــوعظ والتبيـــين مُحـــتملاً ... مَشـــقة البحـــث والتنظيـــر والتعبـــا

لمّـــا تعقـــه عـــن التـــدوين عِلتـــه ... إذ عزمـــه بســـنا إخلاصـــه اختضـــبا

وفـــي الجـــدال لـــه حِلـــمٌ يُجَمّلـــه ... إذ لا يُجنـــد - فـــي جدالـــه - الغضـــبا

وللعبـــارة فـــي القرطـــاس رونقهـــا ... بـــلا مبالغـــةٍ ، ســـبحان مـــن وهبـــا!

وللأســـاليب إيحـــاءٌ يُميزهـــا ... وكـــل قلـــب إذا مـــا طـــالع انجـــذبا

ليـــرحم الله شـــيخاً كـــان قـــدوتنا ... ويحفـــظ الله أختـــاً حبُّهـــا وجبـــا

زواجٌ بالإكراه!

(صدم ذلك المسرع بسيارته رجلاً آخر ، ومات المصدوم لتوّه. وحكمتْ على الجاني القاتل المحكمة الشرعية بالقصاص إلا أن يعفو أولياء الدم. وحكم عليه شيخ القبيله بتعويض أسرة القتيل الفقيد في عائلها. وذلك بالزواج من ابنتهم التي هي زوجة القتيل. وذلك لمَا لمس شيخ القبيلة الحكيم من أخلاق ودين الجاني. فاحتار الجانى بين الحُكمين: حكم المحكمة الشرعية الذي يعنى الموت ، وحكم شيخ القبيلة الذي يعنى الحياة والعروس. فقال عاتباً: (ولكنني لا أريد ابنتكم ولا حاجة لي في الزواج منها أو من غيرها فعندي زوجتي وأولادي). وعند ئذٍ أفصحَ شيخ القبيلة وحكيمها قائلاً: (إذا كنت لا تريد الزواج من ابنتنا فنحن نريد رقبتك). وبعد مشاورات ومناورات ، وأخذ ورد ، قبلَ بالزواج منها ، وتم العقد بعد انقضاء عدتها ، وعفا أولياء الدم وصفحوا عن هذا الجاني الذي أصبح زوج ابنتهم. وأبدل الله على الأسرة المنكوبة من خوفٍ أمناً ومن ضيق فرجاً ، ومن حزن فرحاً ، وكان هذا الحدث العجيب خبراً طار في الآفاق ، من قبيلةٍ الى قبيلة ، ومن صُقع إلى صقع ، وذلك إلى أن حُكي لى ، فانفعلتُ به جداً ، وتخيلتُ شيخ القبيلة والجاني في حوار ، ليس فيه أنصافُ حلول أو ترقيع. وإنما هي مساومة بين نقيضين: الحياة أو الموت. فهل هو زواج بالإكراه؟ وكان لشيخ القبيلة معارضون من قبيلته ، حيث كانوا يرون أن الزواج من ابنتهم الشابة ما هو إلا مكافأة للقاتل الذي أودى بحياة زوجها ، وأن هذا يستحيل قبوله ، لا عندهم ولا عند الزوجة التي كلما نظرتْ في وجهه تذكرت زوجها الأول. وصمم الشيخ على رأيه محتجاً بأن تديُنهما وكرّ الأيام وتعاقبَ الليالي ومعتركَ الحياة جديرون بحل ذلك الإشكال وتجاوزه؟ حُكي أن الوزير أبا شجاع استدعى بعض أخصائه في يوم بارد ، وعرض عليه رقعة من بعض الصالحين ، يذكر فيها أن في الدار الفلانية امرأة معها أربعة أطفال أيتام ، وهم عُراة جياع. فقال له: امض الآن ، وابتع لهم جميع ما يصلح لهم. ثم خلع أثوابه ، وقال: والله لا لبستها ولا أكلت حتى تعود وتخبرني أنك كسوتهم ، وأشبعتهم. وبقي يرعد بالبرد إلى حيث قضى الأمر ، وعاد إليه وأخبره. وكان للقاضي أبي بكر الشامي كراء بيت في الشهر بدينار ونصف ، كان منه قوته ، فلما ولي القضاء ، جاء إنسان ، فدفع فيه أربعة دنانير ، فأبى ، وقال: لا أغير ساكني ، وقد ارتبت فيك ، لم لا كانت هذه الزيادة قبل القضاء؟ و لما رجع عبد الله بن طاهر الخزاعي إلى الشام ، ارتفع فوق سطح قصره فنظر إلى دخان يرتفع من جواره ، فقال: ما هذا الدخان؟ فقيل: إن الجيران يخبزون. فقال: إن من اللؤم أن نقيم بمكان فنكلف جيرانه بالخبز ، فاقصدوا الدور ، واكسروا التنانير ، وأحضروا ما بها من رجل وامرأة. فأجرى على كل إنسان خبزه ولحمه ، وما يحتاج إليه ، فسميت أيامه أيام الكفاية. ولما باع أعرابي ناقة له من مالك بن أسماء ، فلما صار الثمن في يده ، نظر إليها فذرفت عيناه ، فقال له مالك: خذ ناقتك وقد سوغتك الثمن. قال سبحانه: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّـهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}. قال ابن عباس رضي الله عنه: من ترك القصاص وأصلح بينه وبين الظالم بالعفو {فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّـهِ} أي إن الله يأجره على ذلك. قال مقاتل: فكان العفو من الأعمال الصالحة". (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي). قال السعدي: "ذكر الله في هذه الآية ، مراتب العقوبات ، وأنها على ثلاث مراتب: عدل ، وفضل ، وظلم. فمرتبة العدل: جزاء السيئة بسيئة مثلها ، لا زيادة ولا نقص ، فالنفس

بالنفس ، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها ، والمال يضمن بمثله. ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء ، ولهذا قال: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّـهِ} يجزيه أجرًا عظيمًا ، وثوابًا كثيرًا ، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه ؛ ليدلَّ ذلك على أنَّه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه ، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته ، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورًا به. وفي جعل أجر العافي على الله ما يُهيِّج على العفو ، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به ، فكما يحب أن يعفو الله عنه ، فَلْيَعْفُ عنهم ، وكما يحب أن يسامحه الله ، فليسامحهم ؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل. وفي معرض حديثه عن العفو يقول الأستاذ الكاتب: صلاح نجيب الدق ما نصه: (إن الغفران يقتضي إسقاط العقاب ونَيْلُ الثواب ، ولا يستحقه إلا المؤمن ، ولا يكون إلا في حق الله تعالى. أما العفو فإنه يقتضي إسقاطَ اللَّومِ والذم ، ولا يقتضي نيل الثواب ويُستعملُ في العبد أيضًا. العفو قد يكون قبل العقوبة أو بعدها ، أما الغفران ، فإنه لا يكون معه عقوبة البَتَّة ، ولا يُوصفُ بالعفو إلا القادرُ عليه. في العفو إسقاط للعقاب ، وفي المغفرة سَتْرٌ للذنب وصون من عذاب الخزي والفضيحة (نضرة النعيم). الفرق بين الصفح والعفو: الصفح والعفو متقاربان في المعنى فَيُقالُ صَفَحْتُ عنه أَعْرَضْتُ عن ذنبه وعن تَثْرِيبِهِ ، إلا أن الصفح أبلغ من العفو ، فقد يعفو الإنسان ولا يصفح ، وصَفَحْتُ عنه أَوْلَيْتُهُ صَفْحَةً جَمِيلَةً (نضرة النعيم). العفو عن الناس وصية رب العالمين: حثنا الله تعالى في كتابه العزيز على العفو عن المخطئين ، وذلك في مواضع عديدة منها: قال الله تعالى: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}. قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: "إن تظهروا أيها الناس خيرًا ، أو أخفيتموه ، أو عفوتم عمن أساء إليكم ؛ فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه ، فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم ولهذا قال: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}". وقال الله تعالى لنبيه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}. وقال سبحانه: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}. قال ابن جرير الطبري عند تفسيره لهذه الآية: "فمن عفا عمن أساء إليه ، إساءته إليه ، فغفرها له ، ولم يعاقبه بها ، وهو على عقوبته عليها قادر ، ابتغاء وجه الله ؛ فأجر عفوه ذلك على الله ، والله مثيبه عليه ثوابه". وقال سبحانه لنبيه: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}. قال ابن جرير: "خذ العفو من أخلاق الناس ، واترك الغلظة عليهم ، وقد أُمر بذلك نبيّ الله في المشركين". عَوَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: "قَالَ النَّبِيّ – صلى الله عليه وسلم -: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنْ اللَّهِ ؛ يَدَّعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»" (البخاري). ولقد حثنا نبينا على العفو عن المخطئين في كثير من أحاديثه الشريفة ، ومنها: * عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ الأَنْصَارَ كَرِشِي وَعَيْبَتِي جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم ، وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» (مسلم). * عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «تَعَافَّوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ ؛ فَقَدْ وَجَبَ». (صحيح أبي داود للألباني). * عن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ نَعْفُو عَنْ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلامَ ، فَصَمَتَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ

قَالَ:{اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً} (صحيح أبي داود للألباني). * عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ». (مسلم). ومن أقوال السلف الصالح في العفو عن الناس: * أبو الدرداء: سُئل أبو الدرداء رضي الله عنه عن أعز الناس؟ قال: "الذي يعفو إذا قدر فاعفوا يعزكم الله". (إحياء علوم الدين للغزالي). * علي بن أبي طالب ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إذا قدرت على عدوك ، فاجعل العفو عنه ، شكرًا للقدرة عليه". (المستطرف للأبشيهي). * معاوية بن أبي سفيان: قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: "عليكم بالحِلْم والاحتمال حتى يُمْكِنُكُمُ الفُرصةُ ، فإذا أمكنكم ؛ فعليكم بالصفح والإفضال". (إحياء علوم الدين للغزالي). * الحسن البصري: قال الحسن البصري رحمه الله: "أفضلُ أخلاق المؤمن العفو". (الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي). * سعيد بن المسيب: قال سعيد بن المسيب رحمه الله: "ما من شيء إلا والله يُحبُّ أن يُعفَى عنه ما لم يكن حدًّا". (موطأ مالك ، كتاب الأشربة). * الأحنف بن قيس: قال الأحنف بن قيس رحمه الله: "إياكم ورأي الأوغاد ، قالوا وما رأي الأوغاد؟ قال الذين يرون الصفح والعفو عارًا". (المستطرف للأبشيهي). نبينا هو القدوة في العفو عن الناس: الله تعالى أمر نبينا محمدًا بالعفو عن الناس فامتثل أمره ، وكان نبينا هو القدوة في العفو عن الناس بقوله وفعله ، من ذلك: * عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَزْوَةَ نَجْدٍ ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا ، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ ؛ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ سيفي صَلْتًا» ، قَالَ: "مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟" قُلْتُ: «اللَّهُ» ، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ ، فَهُوَ هَذَا قَالَ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ». (البخاري). * عن عُرْوَةَ بن الزبير أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ: "هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟" قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ ؛ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي ، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ" فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ: "يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ"! فَقَالَ النَّبِيُّ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». (البخاري ومسلم). * عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود - رضي الله عنه – قال: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ". (البخاري ومسلم). * عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جذب جَبْذَةً شَدِيدَةً ، قَالَ أَنَسٌ: فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ: "يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ". (البخاري مسلم). * عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ

امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا ، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عز وجل". (مسلم). عفو الرسول عن ثُمامة بن أُثال: روى البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: "عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ" ؛ فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: "مَا قُلْتُ لَكَ ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ" ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: «عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ» ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» ، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ: "أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ ؛ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ ؛ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ ؛ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلاَدِ إِلَيَّ ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ ، فَمَاذَا تَرَى؟" فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ ؛ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: "صَبَوْتَ؟" قَالَ: "لاَ وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلاَ وَاللَّهِ لاَ يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ". (البخاري). عفو الرسول عن المرأة اليهودية: روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ ، فَأَكَلَ مِنْهَا ، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: "أَلاَ نَقْتُلُهَا؟" قَالَ: «لاَ ، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ». (البخاري). عفو الرسول عن أهل مكة: لما فتح الرسول مكة ، اجتمع له أهلها عند الكعبة ، ثُمّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تُرَوْنَ أَنّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟» قَالُوا: "خَيْراً ، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ" قَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ». (سيرة ابن هشام). ولقد ضرب أصحاب نبينا أمثلةً رائعةً في العفو عن الناس منها: * أبو بكر الصديق: كان أبو بكر ينفق على مِسْطح بن أثاثة لفقره وقرابته منه ، وكان مِسْطح من الذين خاضوا في حادث الإفك ، وتكلم في عِرض عائشة ، فلما عَلِمَ أبو بكر بذلك ، أقسم ألا ينفق عليه بعد ذلك ، فأنزل الله تعالى: {وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ، فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "بَلَى وَاللَّهِ يَا رَبَّنَا ، إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا ، وَعَادَ لمسطح بِمَا كَانَ يَصْنَعُ". (البخاري). *عمر بن الخطاب: روى البخاري عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنْ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا ؛ فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: "يَا ابْنَ أَخِي ، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ" قَالَ: "سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ" ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: "هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ ، وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ" ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ لِنَبِيِّهِ: {خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ} ، وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ. (البخاري). * عبد الله بن مسعود: جلس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في السوق يبتاع يشتري طعاماً ، فابتاع ثم طلب الدراهم ، وكانت في عمامته فوجدها قد سُرقت ؛ فقال: "لقد جلست وإنها لمعي" ، فجعلوا يدعون على مَن أخذها ، ويقولون: "اللهم

اقطع يد السارق الذي أخذها ، اللهم افعل به كذا" ، فقال عبد الله: "اللهم إن كان حَمَلَه على أَخْذِها حاجةٌ فبارك له فيها ، وإن كان حَمَلتْهُ جَرَاءَةٌ على الذنْب فاجعلها آخر ذنوبه". (إحياء علوم الدين للغزالي). * أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: قال أبو ذر لغلامه: "لم أرسلت الشاة على علفِ الفرس أي تأكل من طعام الفرس؟" قال: "أردت أن أغيظك" قال أبو ذر: "لأجمعن مع الغيظ أجراً ، أنت حَرٌ لوجه الله تعالى". (المستطرف للأبشيهي). * معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد يعملون فيها ، وإلى جانبها أرض لمعاوية بن أبي سفيان ، وفيها أيضًا عبيد يعملون فيها ، فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير ، فكتب عبد الله كتابًا إلى معاوية يقول له فيه: "أما بعد ، يا معاوية ، إن عبيدك قد دخلوا في أرضي ، فانههم عن ذلك ، وإلا كان لي ولك شأن ، والسلام" فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه ، دفعه إلى وَلَدِه يزيد ، فلما قرأه قال له معاوية: "يا بني ما ترى؟" قال: "أرى أن تبعث إليه جيشًا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه" ، فقال: "بل غير ذلك خير منه يا بني" ، ثم أخذ ورقة ، وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير ، يقول فيه: "أما بعد ، فقد وقفت على كتاب وَلَدِ حَوَاري رسول الله ، وساءني ما ساءه ، والدنيا بأسرها هَيِّنَةً عندي في جنب رضاه ، نزلت عن أرضي لك ، فأضفها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال ، والسلام". فلما وقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على كتاب معاوية رضي الله عنه ، كتب إليه: "قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، ولا أعدمه الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل ، والسلام" فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير ، وقرأه رمى به إلى ابنه يزيد، فلما قرأه تهلل وجهه ، وأسفر ، فقال له أبوه: "يا بني من عفا ساد ، ومن حَلِمَ عَظُمَ ، ومن تجاوز استمال إليه القلوب ، فإذا ابتليت بشيء من هذه الأدواء ، فَدَاوِهِ بمثل هذا الدواء" (المستطرف للأبشيهي). صور من عفو التابعين: ضرب التابعون أروع الأمثلة في العفو عن الناس ، منها: * عبد الملك بن مروان: طلب الخليفة عبد الملك بن مروان رجلاً أمر بالقبض عليه، فأعجزه ثم ظفر به ، فقال رجاء بن حَيْوَة: "يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببتَ من ظفرك به ، فاصنع ما أحبَّ الله من عفوك عنه" ، فعفا عنه (بهجة المجالس لابن عبد البر). الخليفة المأمون: أُحضِرَ إلي المأمون رَجُلٌ أذنب ذنبًا ، فقال له: "أنت الذي فعلت كذا وكذا؟" قال: "نعم يا أمير المؤمنين ، أنا ذاك الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك" ، فعفا عنه وخلى سبيله. (المستطرف للأبشيهي). * ميمون بن مهران: جاءت جارية ميمون بن مهران ذات يوم بصَفْحة وعاء فيها مرقة حارة وعنده أضياف ، فعثرت ، فصبت المرقة عليه فأراد ميمون أن يضربها ، فقالت الجارية: "يا مولاي استعمل قول الله تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ} قال لها: "قد فعلت" ، فقالت: "اعمل بما بعده {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} فقال: قد عفوت عنكِ: ، فقالت الجارية: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} قال ميمون: "قد أحسنت إليكِ ، فأنت حرة لوجه الله تعالى" (تفسير القرطبي).هـ. إنها المروءة تترجم إلى واقع معاش! فكتبت شعراً على لسان شيخ القبيلة أقول.)

اظفـــرْ بهـــا أو أن روحـــك تُزهَـــقُ واســمعْ هُـدِيتَ كـلام مَـن بـك يرفَـقُ

هــذي النصــيحة قــد درسْــتُ مفادهــا ورأيـــتُ منفعـــة بهـــا تتعلـــق

ورأيـــتُ كـــل الخيـــر فـــي تنفيـــذها ... ورأيـــــتُ آمـــــالاً بهـــــا تتحقـــــق

ورأيـــتُ أيتامـــاً سيسعـــد عيشـــهم ... ورأيـــت أرملـــة تـــئنّ وتُشـــفق

ورأيـــت عائلـــة تـــذوب توجُّعـــاً ... وتكـــاد - مـــن أثـــر الفجيعـــة - تصـــعق

ورأيـــتُ نـــار الثـــأر تختصـــرُ المـــدى ... والثـــأرُ بـــئس الـــرأيُ! بـــئس المنطـــق!

ورأيـــتُ أقوامـــاً تؤلّـــب بيننـــا ... حتـــى نحقّـــق مـــا الأراذلُ لفقـــوا

ورأيـــتُ قـــرن الشـــر يســـتبقُ الخطـــا ... وعلـــى نوايـــا الخيـــر فينـــا يُطبِـــق

ورأيـــتُ قاتلنـــا يهـــدّدُه الشـــقا ... وفـــؤادُه - ممـــا يُعـــاين - يخفـــق

ورأيـــتُ شِـــرذمتين فـــي غســـق الـــدجى ... ومصـــيرُ كـــلٍّ بـــات أمـــراً يُقلـــق

ورأيـــتُ قاضـــيَنا تحيّـــر بيننـــا ... ويقـــول: عفـــوُكمُ أجـــلٌ وأليـــق

ورأيـــتُ محكمـــة تجمّـــد حكمهـــا ... أكـــرم بشـــرع الله حـــين يُطبَّـــق!

ورأيـــتُ قومـــاً يَعرضـــون حلـــولهم ... مَـــن يـــا تـــرى مـــنهم يعـــف ويصـــدق؟

فطرحـــتُ حـــلاً لـــم يجُـــل فـــي خـــاطر ... كـــم غرّبـــوا فيمـــا ذكـــرْتُ ، وشـــرّقوا

واســـتهجنوا مـــا قلتـــه ، وتعجّبـــوا ... والـــبعض ظـــن بـــأنني أتحـــذلق

والـــبعضُ قـــال بـــأنني متعـــالمٌ! ... والـــبعضُ صـــرَّح أننـــي متفيهـــق

وأنـــا - ورب النـــاس - أرجـــو خيـــرهم ... فأنـــا بشِـــرعة ربنـــا أتخلـــق

حاشـــاي أظلـــم ، إن هـــذي رؤيتـــي ... وبهـــا جهـــرتُ ، ولـــم أكـــن أتملـــق

أنـــا لســـت أكرهـــه علـــى مـــا أدّعـــي ... أنـــا لـــم أهـــدّدْه بـــروح تزهـــق

لكننـــي خيّرتـــه مـــتحملاً ... لومـــاً كجمـــر - فـــي الكرامـــة - يحـــرق

ووجـــدت عـــائلتين: كـــلٌ يشـــتكي ... وبكـــفّ كـــلٍ فـــي المصـــيبة بيـــرق

أولاهمـــا فقـــدتْ حبيبـــاً غاليـــاً ... ووجـــدتُ أخـــرى - فـــي أســـاها - تغـــرق

ولـــذا اقترحـــت زواجـــه مـــن بنتنـــا ... وعلـــى اقتراحـــي جـــاء خِـــبٌ يبصـــق

أنـــا قـــد رحمـــتُ عيالـــه أن يُصـــدموا ... وعيالنـــــا أن يشـــــمتوا ، أو يَحنقـــــوا

وحقنـــتُ ـ محتســـباً ـ دمـــاءً أرخصَـــتْ ... قطراتهـــا ، وبهـــا المخـــاطرُ تحـــدق

وطلبـــتُ مـــن أهـــل الفتـــى أن يصـــفحوا ... وعلـــى الـــذي قتـــل الفتـــى يتصـــدقوا

وهـــداهمُ المـــولى لمـــا قـــد قلتـــه ... وهـــداه حقـــاً للـــذي هـــو أعمـــق

فالزوجتـــان معـــاً ببيـــتٍ واحـــدٍ ... وعيـــالُ كـــلٍّ بالتراضـــى أغـــدقوا

والكـــل بـــارك مـــا اقترحـــتُ مرحِّبـــاً ... والـــبعض جـــاء ـ لخيمتـــي ـ يســـتوثق

وزواجُـــــه منهـــــا أزال غمومنـــــا ... ورأيتهـــا كالشـــمس إذ هـــي تُشـــرق

وعلـــى المليـــك الأجـــرُ ، هـــذا حســـبنا ... إنـــي بمـــا ـ عنـــد المهـــيمن ـ أوثـــق

لـــولا رجـــائي فـــي جـــزاء مليكنـــا ... لأمـــرتُ بالـــدم يُســـتباح ويُهـــرق

ولمـــا وقفـــتُ أمـــام قـــوميَ منـــذراً ... وأنـــا الخطيـــبُ الألمعـــيّ المُصْـــلق

ولمَـــا تحـــديتُ الجميـــع منافحـــاً ... عمـــا ارتأيـــتُ مســـفهاً مـــن ضـــيّقوا

ولمَـــا تفهمـــتُ القضـــية مـــؤثراً ... عفـــواً كـــزرع يســـتطيل ويُـــورق

نفـــسٌ بـــنفسٍ! جَـــل مَـــن ذا شـــرعه! ... والعفـــوُ أقـــرب للتقـــى ، بـــل أســـبق

هـــذا بيـــانٌ فـــي الكتـــاب مُفصَّـــل ... مهمـــا تنقصـــه الـــدعي الأولـــق

يـــا رب فـــأجُرْني ، وثبـــتْ حُجّتـــي ... واجعلنـــيْ ممـــن ـ للشـــريعة ـ طبقـــوا

متعنت!

(اختلفا في قضيةٍ ما. فاحتكما إلى الكتاب والسنة. فلما أتاه بالدليل ظل على موقفه المعاند بعد وضوح الدليل. وأخذ يكيل السباب واتهامات النوايا. وراح يوغل في اللجاج والطعن دون فائدة. فكان تعنتاً لا مبرر له. إذ لا اجتهاد مع النص. يقول الدكتور سلمان العودة في محاضرة له بعنوان: (أدب الحوار) ما نصه: (فالحرب تكون – أحيانًا - وسيلة لحل الخلاف ، وإنهاء الخصومات ، وإثبات الحجة ، إلا أنها لا تصلح أن تكون الحل الأول في ذلك ؛ إذ إننا نجد أن كثيرًا من المبادئ والنظريات التي قامت على القوة ، وعلى الحديد والنار - كما يقال - ، سرعان ما تهاوت وسقطت).هـ. فتخيلتُ نفسي في مكان الخصم لذلك المجادل المتعنت ، وطفقتُ أوسعه ذماً عندما وضح الدليل أمامه فلم ينصع ويذعن للحق بل أعرض ونأى بجانبه! فأنشدت قائلاً:)

تعنــتْ كيــف شــئتَ ، فلــن أداجــي ... وأمعــنْ فــي التخــرّص والهيــاجِ

ورُدّ أدلتــي ، وادحــضْ جــوابي ... وأوغــلْ فــي التنكّــر والأحــاجي

وغــالط كيفمــا تهــوى ، وعانــدْ ... ولا تعبــأ بمــا يُزجــي احتجــاجي

وأوقــدْ - فــي التعنــت - شــرّ نــار ... وربــي لــن أجامــل أو أداجــي

فلــيس العبــدُ يقبــل حكــم ربــي ... كمثــل العبــد يعمَــد للّجــاج!

ولــيس المــاءُ طعمتُــه فــراتٌ ... كمثــل المــاء كــالملح الأجــاج

فعــارضْ بالجهالــة كــل حــق ... وشــاتم ، أنــت شــتام وهــاج

ولــن تلقــى ســوى الإيضــاح رداً ... بلفــظٍ - مِــن سَــنا التوحيــد - ســاج

فمــا لــي فــي اللعــائن والتــدني ... لأنــي عفــوَ رب النــاس راجــي

ومــا لــي فــي التطــاول والتــردي ... ومــا لــي فــي المعــامع والعَجــاج

ومــا لــي فــي التنطــع دون جــدوى ... وليــلُ تنطــع الضُــلال داج

وإنْ غيــري اســتبد بكــل رأي ... ونــال هُــراؤه كــل الــرواج

وإن أودى - بأفكــاري - ظــلامٌ ... فســوف أبيــده بســنا سِــراجي

وســوف أعــيش أنصــحُ دون كَــلٍّ ... علانيــة ، وأحيانــاً أنــاجي!

دمعة

(قرأ أحد القراء من سورة (يوسف) – عليه السلام - إلى أن وصل قوله: (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) ، فانفعلتُ إذ لم ألق من إخوتي الأشقاء غير ما لقي يوسف من إخوته من أبيه. فدمعتْ عيناي دمعة توجع. قال المعتمر بن سليمان: (إن الرجل يُصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته). قال ابن الجوزي: (نظرتُ في الأدلة على الحق سبحانه فوجدتها أكثر من الرمل ، ورأيت من أعجبها: أن الإنسان قد يُخفي ما لا يرضاه الله. فيُظهره الله عليه ولو بعد حين! ويُنطق الألسنة به ، وإن لم يشاهده الناس. وربما أوقع صاحبَه في آفةٍ يفضحُه بها بين الخلق ؛ فيكون جواباً لكل ما أخفى من الذنوب ، وذلك ليعلم الناس أن هنالك من يجازي على الزلل ، ولا ينفع من قَدَره وقدرته حجاب ولا استتار). وكانت هذه القصيدة ترجمة لدمعة العين!)

دمـــعُ عينـــي يرثـــي لحـــال الأشـــقا ... إن للـــدمع - فـــي مراثيـــه - حقـــا

والجـــراحُ كـــم أورثتنـــي همومـــاً! ... والعتـــابُ كـــم أورث القلـــب ضَـــيْقا!

كـــم لقيـــتُ مـــن حُرقـــة ومَـــرار ... مـــن أنـــاس فـــي حَمـــأة الخـــذل غرقـــى!

حطمـــــوني بخـــــذلهم دون حـــــق ... كـــم كـــريم - بالخـــذل - يعيـــا ويشـــقى!

كـــم بـــذلتُ للكـــل ، لمَّـــا أقصِّـــرْ! ... والجميـــلُ - عنـــد الأجاويـــد - يبقـــى

كـــم تفضـــلتُ ، كـــي يعيشـــوا كِرامـــاً! ... مـــا أقمـــت - بـــين الأشـــقاء - فرقـــا

غربتـــــي زادت بالأشـــــقاء ضـــــنكاً ... وأرانـــــي مازلـــــت ألقـــــى وألقـــــى!

كنـــــتُ أنـــــوي أخـــــوّة لا تبـــــارى ... وانطلاقـــاً - بـــالود - غربـــاً وشـــرقا

واعتصـــاماً بالشـــرع يُهـــدي المعـــالى ... وانتصـــــاراً للـــــدين يخفِـــــقُ خفقـــــا

والتزامـــــاً بـــــالحق يختـــــال فخـــــراً ... يســـحق الأعـــداء المُضـــلين سَـــحقا

واتباعـــــاً للـــــوحي فـــــي كـــــل شـــــأن ... واحترامـــــاً يفـــــيض حُبـــــاً وشَـــــوقا

فـــــإذا بـــــي ألقـــــى عَـــــداءً وكيـــــداً ... واحتقـــاراً ألقـــاه - فـــي الـــدرب - حمقـــى

محنتـــي فـــيهم ، فـــي الهُـــدى والســـجايا ... مَـــن رآهـــم يقـــول: ليســـوا أشِـــقا

رُبَّ شـــــهم يكـــــون للمـــــرء عونـــــاً ... هـــــو خيـــــرٌ دينـــــاً ، وأوسَـــــعُ أفقـــــا

صدقة هذه أم فضيحة؟!

(الفقرعندما يكون قدر امريء ما رغم كده وسعيه ، ليس عيباً ولا منقصة ولا عاراً ولا مخبثة. لأنه - والحال هكذا - يكون من إرادة الله لخير العبد الذي يجهله. وصدقة الغنى على الفقير هي حق الفقير عنده في ماله. والله- عز وجل- يوفق عباداً لرضوانه ، فيجعلهم يتصدقون على إخوانهم الفقراء. ويسخط الرب على أناس ، فيجعلهم يمنعون صدقاتهم عن إخوانهم من الفقراء شحاً وبخلاً. وعندما يتصدق العبد المؤمن ، فهو يمتثل قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في شأن السبعة المظلين يوم القيامة: (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما أنفقت يمينه). وفي الأثر (صدقة السر تطفيء غضب الرب). ولكن عندما يكون الوسيط الذي يحمل صدقات الأغنياء إلى الفقراء غير أمين ، بل يستلم صدقته منه ، مع أنه ليس صاحبها الأصلي ، إن هو إلا وسيط فقط. ثم يصوّر الفقير وهو يستلم الصدقة ، ثم بعد ذلك ينشر هذه الصورة في الجرائد والمجلات.إنها فضيحة لا حدود لشناعتها. وهو هنا يكون قد جمع على هذا الفقير الموحد ذل الفقر وذل التشهير والفضائح عبر المجلات والصحف المختلفة. وذلك من أجل الإعلان عن نزاهة وساطته ، ولحمل المتصدقين على الصدقة. وأسأل: (هل هذه صدقة يا ترى أم فضيحة؟) إن هؤلاء لهم نصيب من قول الله – سبحانه - (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حليم). وأي أذىً للفقير أعتى وأشنع وأحقر وأقذرمن تصويره متسولاً يتصدق عليه وسيط ليس المال من ماله ولا هو من مال أبيه وأمه؟ وتنشر الصور في الصحف السيارة التي تجوب العالم ، شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً. إنهم يؤدبون ذلك الفقيرالحقيقي (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً). يقول الله - عز وجل -: (إن تبدوا الصدقات فنعما هي ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) ، ويقول (وأنفقوا مما رزقكم الله سراً وعلانية). ويقول (قل لعباديَ الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً ولاعلانية من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولا خلال). إن هؤلاء العابثين الذين يصورون الفقراء ، وينشرون صورهم ، لهم نصيب من قول الله في ذم قوم: (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا). انتم أيها الأقوام لم تتصدقوا ، فلماذا تصوّرون وتشهرون وتنشرون؟ ألا إن أسلافنا قد حبذوا السر في الصدقات ، واختاروه ومدحوه. وبعضهم أجاز العلانية في حالتين فقط: * الأولى: أن الفقير إن طلب في ملأ فيعطى علانية. * والثانية: لحمل الآخرين على الاقتداء والتأسّي. ومن هنا لا يجوز تصوير الفقراء ، لأن هذا هتك لحُرُماتهم وفضحٌ لهم وتشهير بهم! ثم إن في تصوير الفقراء وهم يأخذون الصدقات إهانة لهم وأذى. والله يقول: (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس). فعلى جميع الوسطاء سواء كانوا أفراداً أو جمعيات أن يكونوا على حذر من حبوط الأعمال عند الله ، فيُخَيب الله سعيهم ، ويحبط أعمالهم ، إن هم قاموا بتصوير الفقراء ونشر صورهم يتسلمون الصدقات التى هي من أوساخ الأموال. إن الله سائلهم ومحاسبهم على ذلك ، مهما يكن التبرير المسوغ. ليعلموا أن الله يمكن أن يبتليهم في لحظة فيصبحون فقراء مثل هؤلاء ، فهل يقبلون أن يصوّروا ، وتنشر لهم الصور في الجرائد والمجلات التي تجوب الأرض ، وتنشر بين العالمين ويطلع عليها الناس؟ بالطبع كلا وألف كلا. ولذا فإن كان ولا بد ، فلتكن عملية التصوير اختيارية لا إجبارية ، لأنه نفاق ممقوت

سيىء. ولمّا عاينتُ هذا بنفسي ، ووجدته أمراً محسوساً ملموساً مشاهداً ، يقوم به بعض السفهاء ، رحتُ أعتبُ وألومُ ولم يسمع لي. وتخيلتُ نفسي واحدا من هؤلاء ، ثم تساءلت: هل هذا معقول؟ وإذن فالقضية قضية رجولة في مقامها الأول ، رجولة تعلموها في المدارس أو العوائل! رجولة في التوسط بين الفقير والغني! قال الحوالي في محاضرة: (الرجولة) ما نصه: (لا يجد الأبناء من يربيهم على هذه الرجولة. فتتلقفهم المدرسة ، أليس حراماً أن يمضي الطفل اثنتي عشرة سنة: ست في الابتدئية ، وست في متوسط وثانوي ، ثم يتخرج ولا تستطيع أن تصفه بأنه رجل! سبحان الله! أية تربية هذه؟! أين كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يربون؟! اثنتي عشر سنة كفيلة أن تحوله إلى طاقة ، إلى شعلة ، إلى قائد ، إلى مجاهد ، إلى عالم ، إلى مفتٍ ، إلى محدث ، إلى فقيه ، إلى نحوي ، إلى لغوي! واقرأوا سير العلماء ، في أي سن كانوا عندما بلغوا مبلغ الفتوى ، والعلم ، والحفظ ، والجهاد ، والدعوة؟! أي ظلم يُظلَمُه الفتى المسكين؟! الذي ولد وله نفس العقل الذي كان لأولئك ، وفي نفس البيئة ، ولكنه ظلم بأن يظل يدرس هذه السنوات ، ثم لا يكون مستحقاً أن يقال عنه رجل إلا القليل! فالرجولة أصل عظيم من أصول التربية على هذا الدين والإيمان به والدعوة إليه ، وإنه حيثما توجد الرجولة ، وحيثما تكون البطولة ، فإنه يكون عزالدين ومنعته ، وغلبة الحق وقيام الدعوة إلى الله ، وإحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويجب أن نفرق بين مجرد الذكورة وبين الرجولة ؛ فإن الله عز وجل خلق الزوجين الذكر والأنثى ، فجعل بني آدم زوجين إما ذكر أو أنثى ، لكن ليس كل الذكور رجالاً. والنبي – صلى الله عليه وسلم - يخبر أصحابه أنه لولا أن يشق عليهم لما بقي خلف سرية تخرج في سبيل الله ، ولما تخلف عنها قط! وقال أصحابه رضوان الله عليهم (كنا إذا حمي الوطيس (أي اشتدت المعركة) احتمينا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم).هـ. قال السعدي: ذكر سبحانه ما يقوِّي قلوب المؤمنين ، فذكر شيئين: الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم ، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم ، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك ؛ لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من توالت عليه الآلام ، وانتصر عليه الأعداء على الدوام ، لا من يدال مرة ، ويدال عليه أخرى. (تيسير الكريم الرحمن). ثانيًا: في السنة النبوية: عن أنس رضي الله عنه ، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتًا ، قال: فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ. عُرْيٍ: أي ليس عليه سرج ولا أداة ، ولا يقال في الآدميين إنما يقال عريان. (فتح الباري) لابن حجر ، وهو متقلِّد سيفه، فقال: لم تراعوا ، لم تراعوا: وهي كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيسًا ، وإظهارًا للرفق بالمخاطب. (فتح الباري) لابن حجر. فرحتُ أسجل هذه القصيدة ، وأنشدها على لسان فقير بائس عفيف ، لا يسأل الناس إلحافاً! وهو يستنكر تصويره والتشهير به وفضحه!)

الفقـــــرُ أهـــــونُ مـــــن أذىً لا يـــــرحمُ فهـــل اســـتجاب إلـــى النصـــيحة مَـــن عمُـــوا؟

وأراه أســـــترَ للـــــذين بـــــه ابتلـــــوا مِـــــن جـــــود مَـــــن باســـــم العطيّـــــة يَـــــنقم

وأراه أخيـــــرَ مـــــن ريـــــاءِ مَـــــن ابتغـــــوا بزكـــــاتهم دنيـــــا الأنـــــام ليســـــتموا

وأراه أجـــدرَ بـــالفقير مـــن الغنـــى ... إن كـــان يحمـــل أهلـــه أن يَظلمـــوا

وأراه أليـــقَ بـــالفقير تخوّفـــاً ... مـــن أن تكـــون لـــه الختـــامَ جهـــنم

وأراه أحلـــى مِـــن مذلـــة مُنفـــق ... شـــكتِ الأرامـــلُ عُجْبَـــه ، واليُـــتّم

وأراه أجمـــلَ مـــن ســـؤال معـــدّدٍ ... نعمـــاً ، وتبـــرأ مِـــن عطـــاهُ الأنعـــم

وأراه أحفـــظ للكرامـــة رتبـــة ... مِـــن جـــود مَـــن عـــن أي ســـتر يُحجِـــم

وأراه أحســـنَ للنفـــوس يردّهـــا ... عـــن كـــل كِبْـــر فـــي الخلائـــق يُـــذمم

وأراه بلســـمَ مـــن يَـــدِل بمالـــه ... وفـــق الهـــوى ، يُعطـــي المعـــوز ، ويَحـــرم

والمـــرءُ يســـعى فـــي الحيـــاة مجاهـــداً ... فتـــراه يَخســـر تـــارة ، أو يَغـــنم

ولقـــد يُصـــيب مـــن الثـــراء نصـــيبه ... ولقـــد يُشـــاركه الســـؤالَ العُـــدم

ولقـــد يكـــون الســـعيُ أصـــدقَ قائـــدٍ ... للفقـــر حتـــى لا يُحـــاز المَطعـــم

وتـــراه بعـــد غنـــاه أرذلَ ســـائل ... قـــد كبلتـــه ديونـــه والمَغـــرَم

وتـــراه محتاجـــاً يتـــوق إلـــى الغنـــى ... يحيـــا كمـــا يحيـــا الفقيـــر المُعـــدِم

والأثريـــاءُ اليـــوم أغلـــبهم غثـــا ... وَهِمـــوا ، كمـــا وَهِـــم الغفـــاةُ الهُـــوم

أن المليـــك لحُـــبّهم قـــد خصّـــهم ... بالمـــال ، والـــدنيا بـــذلك تعلـــم

والأمـــرُ لـــيس كمـــا يقـــول مَـــن افتـــرى ... فهـــمُ الـــذين تخرّصـــوا ، وتوهّمـــوا

فعطـــاءُ ربـــي لـــيس صـــنوَ رضـــائه ... فلقـــد يجـــود علـــى الألـــى قـــد أجرمـــوا

هـــل كـــان (فرعـــونٌ) حبيـــبَ مليكنـــا؟ ... هـــل مثـــلُ (قـــارونٍ) يُحَـــب ويُكـــرَم؟

وهـــل الإلـــه أحـــب (هامـــان) الـــذي ... إجرامُـــه فـــي الكفـــر شـــيءٌ يُعْلـــم؟

وإذن فـــرزقُ الله للعبـــد ابـــتِلا ... ولقـــد يُمـــرَّغ - فـــي النعـــائم - مُجـــرم

والفقـــرُ أفضـــلُ مـــن غِنـــىً يُطغـــي الـــورا ... فبـــه يُـــديمُ الـــذكرَ والـــوعظ الفـــم

وبـــــه الجـــــوارحُ تســـــتقيمُ أمورُهـــــا ... ويظـــــلُ يلهَـــــجُ بالـــــدعاء المســـــلم

وبـــــه النفـــوسُ مِـــن الهـــوى فـــي مـــأمن ... ويُعَـــزَّ ديـــنٌ فـــي الضـــمائر قـــيِّم

وبـــــه تصـــانُ عـــن الضـــلال ســـرائرٌ ... مـــــا كـــــان أقبحهـــــا إذا تـــــتحكم!

وبـــــه تُصَـــدُّ مقاصـــدٌ عـــن غيّهـــا ... والغـــيّ وســـواسٌ يحُـــث ويُلهِـــم

بـــــالفقر يلتـــــزم الشـــــريعة مُخبِـــــتٌ ... وتـــــراه يعمـــــل بالهُـــــدى ، ويُقَـــــيم

وتـــــراه أبعـــد مـــا يكـــون عـــن الزنـــا ... وتـــــراه بـــــالأهواء لا يـــــتكلم

وتـــــراه مجتنبـــــاً لألـــــوان الرّبـــــا ... إن الـــــذي يُطغـــــي المرابـــــيَ درهـــــم

وتـــــراه عفـــــاً عـــــن مقارفـــــة الخنـــــا ... إن الخنـــــا دربٌ بغـــــيضٌ مُظلـــــم

لا يحتســـي خمـــراً ، ولا يهـــوى الغِنـــا ... ففـــؤادُ مَـــن يهـــوي الأغـــانيَ مُعـــتم

لا يرتضـــي جَـــوْراً ، ولا يســـعى لـــه ... فـــالفقر - مِـــن جَـــور البرايـــا - يَعصـــم

ويحـــسّ بـــالفقراء إذ هـــو مـــنهمُ ... وإذا طوتـــــهُ حاجـــــة يتـــــألم

وتـــراه مـــن بـــين الـــورى متواضـــعاً ... وإذا اســـتبيحَ الحـــقُ فهْـــو الضـــيغم

أمـــا الغنـــيُّ فـــلا تســـل عـــن هزلـــه! ... لمّـــا يفتـــه - مـــن الهـــوى - متـــردَّم

هـــو ســـادرٌ فـــي غيّـــه بنقـــوده ... ولـــه - إلـــى بُـــرج الخطايـــا - سُـــلم

ولـــه جـــوادٌ فـــي الصـــراع ، وحَربـــة ... والـــدرعُ شـــدّتْ فـــي القنـــا ، والصمصـــم

هـــو فـــارسٌ يغشـــى الحيـــاة مُحقِقـــاً ... بالمـــال مـــا يصـــبو إليـــه ، ويَحلـــم

قـــد أقـــدرَ المـــالُ الغنـــيَّ علـــى الزنـــا ... وعلـــى الربـــا ، فالمـــال نعـــم المَغـــنم!

والمـــال صـــارفُ قلبـــه عـــن توبـــةٍ ... وتـــرى الفـــؤادَ لمـــا جـــرى لا ينـــدم

ويضـــجّ إنْ قـــومٌ أتـــوْهُ لحاجـــةٍ ... وتـــــراه لا يســـــخو ، ولا يتبســـــم

حتـــى إذا طلبـــوا تغيّـــر لونـــه ... وإذا بـــه - فـــي لحظـــةٍ - يـــتهجم

تعس الغنيّ ، ومَن سعى في دربه! إذ منعُ حق السائلين المأثم

ويشذ عما قلت بعضُ مَن اتقى لثواب أخراهم جزيلاً قدّموا

زهِدوا ، فكان المالُ تحت نعالهم وتعوّدوا إنْ يُسألوا أن يُكرموا

وكذاك مِن فقرائنا مَن نستحي مِن فعلهم ، وكأنهم لم يُسلموا

هجروا كتاب الله ، واعتادوا على فعل الدنايا ، ثم لم يستعصموا

لكنْ كلامي عن فقير بائس مُدتْ يداه لجوقةٍ لم يرحموا

فاستوثقوا من فقره وعياله وتثبّتوا في الأمر لم يتوهموا

حتى إذا ما كان ميعاد العطا عمدوا إلى التصوير ، وهْو مُحرَّم

والأمرُ في شرع المليك مفصَّل والفصلُ جاء به الكتاب المحكم

ما جاءكم هذا الرسول به خذوا ودعُوا الذي عنهُ نهى كي تسلموا

لعن النبي من الورى مَن صوّروا هل حُرمة التصوير أمرٌ مُبهم؟

لكنما قومٌ يُحبّون الريا ويُخالفون الشرعَ مهما عُلموا

جعلوا من الصدقات باب تنطع حتى يذل الحر ، وهْو مُكرّم

وإذا نصحتُ استكبروا ، وتنمدروا وإذا زجرتُ توعّدوا ، وتجهموا

أفضيحة هذي تؤدب سائلاً؟ أم جودُ مَن جادوا بكفٍ يلطم؟

يا قومنا توبوا ، ولا تتعمدوا فضح الفقير ، فإن ذاك محرم

عار عليكم ، والذي رفع السما فتورّعوا عن مثله ، وتعلموا

والفقرُ أقربُ من شِراك نعالكم إذ تطلبون من الأنام ، لتحْرموا

وتصورون لتفضحوا بين الورى والدَوْرُ قسِّم ، والضحايا ترسَم

أمومة بلا رصيد

(تزوج ذلك المسرف على نفسه ، والظالم لها ، والهارف بما لا يعرف ، من خادمته السرلانكية الحسناء الجميلة ذات القامة النحيلة والبشرة السمراء اللامعة ، وظن المتسرعُ الأبله أن لها رصيداً من الفطرة السليمة يمكن معه أن تجدَّ هذي وتستقيم. فإذا بها تضع وليدها الأول ، وتتركه في أسبوعه الثاني ، وتخرج بلا رجعة ولا عنوان. فكانت أمومة بلا رصيد. ورحت أتعجب عندما عرفت حقيقة هذه المرأة. وعندما أخبرني الراوي بأن هذه المسالة ليست الأولى ، ولن تكون الأخيرة ، وجدتني أمام ترجمة حية شعرية للحدث ، فأنشدت هذه القصيدة. وأتصور نفسي مكان ذلك الطفل الذي يواجه الحياة بهذه الأسلوبية الغريبة العجيبة. وكأني بهذا الطفل البائس يناشد أمه عودة سريعة ليعيش طفولته البريئة كأي طفل في الدنيا. وكأني به يسأل أمه التي كانت تعمل خادمة لا قيمة لها ولا كرامة ، ثم ذلك الأب الذي لما أعجبه جمالها وسباه حسنها لم يشأ أن يزلّ كما تزلّ البهائم الآدمية. بل على كتاب الله وسُنة نبيه – صلى الله عليه وسلم - تزوجها. آملاً حياة سعيدة هانئة. وكان قد بذل لها من المعروف والجميل ما يقصر اللسان عن وصفه وما تعجز الكلمات عن التعبيرعنه. ورفعها من حضيض الرق والنخاسة المقنعة إلى عز الزوجية والكرامة التي شرعها الله لعباده المؤمنين الموحدين. وجعل الله لها من السؤدد ما كان ينبغي فعلاً أن يصرفها عن الرحيل غير المبرر بالمرة. ألا إنها فعلاً أمومة بلا رصيد من الفطرة والإنسانية فضلاً عن أن نقول: لا رصيد لها من الإيمان والتوحيد ، والعقيدة والإسلام. وأعرف أن هذي القصيدة على طولها ستكون شيقة على من يطالعها ، ويحاول معي أن يعيش في مكان أو في مهد هذا الطفل البائس. إذ إنني أعتبره البطل الحقيقي لقصيدتي. والتي لولا أنينه ربما ما كنتُ فكرتُ في كتابتها ابتداء. إنه لحدث جلل. وإنني لأدعو الله العلي القدير أن يلطف بهذا الطفل وبكل طفل تخلتْ عنه أمه إما بالرحيل غير المبرر كهذه السيرلانكية ، أو بطلب الطلاق بدون بأس ليُعاني طفلها اليتيم وأبوه حي يرزق. ويثبت التاريخ أن الاسترقاق بدأ أولاً بالنساء ، فهن كن أغلب ضحاياه ، ولم يخضع الرجال للرق إلا بعد مرور زمن طويل عندما انتشر العمران وأراد الغالبون المزيد من الأيدي العاملة الرخيصة أو المجانية تقريبا أما استرقاق النساء فبدأ قبل ذلك لأنهن يقدمن المتعة والخدمة معًا كما أشرنا. وكانت شعوب - مثل اليهود - تقتل النساء كما تقتل الرجال ؛ لأنهم يتوهَّمون أن العِرْق اليهودي أنبل وأسمى من باقي الأعراق ، ولا يحبُّون أن يختلط دمهم بدماء شعوب أخرى أقل منهم شأنًا وأصالة! وهكذا لا تفقد النساء العرض والحرية والكرامة الإنسانية فقط بل تفقد الحياة أيضًا! وكانت المرأة تفقد أطفالها الذين يُباعون في أسواق العبيد المنتشرة في كل أنحاء العالم ولا تراهم بعد ذلك ولا تعرف عن مصيرهم شيئًا أبدًا! ولم يكن السيد وحده هو الذي يغتصب السبايا ، بل يقدمهن لضيوفه من قبيل كرم الضيافة! ومن الأمثلة على إهدار آدمية المرأة عندهم ما كان يسمى بـ"حزام العِفَّة" ؛ فقد كانت عادة فرسان أوروبا أن يربط كل منهم حزامًا حديديًّا حول فرج زوجته قبل انطلاقه إلى الجيش ، ليضمن عدم ممارستها الفاحشة مع رجل آخر أثناء فترة غيابه في الحروب!) وقضايا الخادمات لا تنتهي ، وقضايا المرأة المعاصرة بين الحريات الممنوحة والحريات المفتوحة لا تنتهي كذلك! وتحت عنوان: (المرأة بين التحرير والتغرير) تقول الدكتورة نهى قاطرجي ما نصه: (لقد أخذت قضية

تحرير المرأة حيزاً مهماً من تفكير الناس في العصر الحالي حتى عُقدت من أجل هذه القضية المؤتمرات والندوات التي تطالب برفع الظلم عن المرأة وإعطائها حقوقها التي حرمتها منها الأديان والأعراف والتقاليد. وقد استفحل هذا الأمر حتى خرج عن إطار اللهو والتسلية لبعض النساء الفارغات عن أي عمل لتنعكس آثاره الخطيرة على المرأة بالدرجة الأولى ، وإذا كنَّا في لحظة من اللحظات أُعجبنا بامرأة شابة تعمل شرطية على الطريق أو جندية تحمل السلاح ووجدنا في هذا الأمر قوة إرادة وتحدٍّ عند من فعلن هذا ، فإن الأمر خرج عن إطار التسلية عندما أصبحنا نرى امرأة أخرى عجوزاً تبحث في القمامة أو تجوب الشوارع تجر عربتها الثقيلة لتؤمن رغيف خبزها. إن الأمر ، لم يعد لعبة ومزحة تتسلى بها الفتاة التي تخرجت من الجامعة لتثبت للناس أنه لا فرق بينها وبين الرجل في الذكاء والعطاء فتنافس الرجل في وظيفة وتتساوى معه في أجر أو حتى تسلبه وظيفة بأجر أقل لتنفق ما تقبضه على الزينة والتبرج والترف بينما يكون الرجل الذي نافسته مسؤولاً عن أسرة ، أو على الأقل يسعى لبناء أسرة. إن العمل بالنسبة للفتاة يبقى في إطار تمضية الوقت وإثبات الذات فترة طويلة من الزمن ، حتى تصبح ذات يوم فتجد أن الوظيفة التي كانت تتسلى بها أصبحت تأخذ منها كل وقتها (من الفجر إلى الليل) فلا حياة اجتماعية ولا عائلية ، فهي تعود من العمل متعبة فتنام كالقتيل ، هذا الأمر لم يعد يرضي أحداً! كيف ستمضي بقية عمرها! ولكن لا بديل آخر ، فهي لا تستطيع أن تترك العمل وقد اعتادت أن تجد المال بين يديها ولا تستطيع أيضاً أن تعيش الفراغ في المنزل تنتظر فارس الأحلام الذي قد يتأخر في المجيء أو حتى لا يجيء! أما إذا جاء فانه يجيء بشروط ، ففيما كان هو الذي يأتي على حصان أبيض لينقذ المرأة من وضعها الأسري ، اختلف الوضع اليوم فأصبحت المرأة هي التي تأتي على حصان أبيض لتقدم للرجل حلولاً لمشاكله المادية ، فيعملان معاً (من الفجر إلى الليل) لكي يصبح العمل بالنسبة للمرأة واجباً وليس تطوعاً. بدأت القضية مع المرأة الغربية ، وهذا لا يعني أن المرأة المسلمة لم تكن تعاني من المشاكل والهموم ، فلو كان هذا الأمر صحيحاً لما وجد هؤلاء الغربيون ثغرة يدخلون بها إلى مجتمعاتنا ، ولكن الفرق بين الشرق والغرب شاسع ، ذلك أن المرأة في العالم الإسلامي لم يكن لها قضية خاصة إنما كانت القضية الحقيقية هي تخلف المجتمع وانحرافه عن حقيقة الإسلام ، وما نتج عن هذا التخلف في جميع مجالات الحياة ، وما تحقير المرأة وإهانتها وعدم إعطائها وصفها الإنساني الكريم إلا مجال من المجالات التي وقع فيها التخلف عن الصورة الحقيقة للإسلام. إن الصورة الحقيقية للإسلام يمكن أن تُقرأ واضحة في كتب السِّيَر والتاريخ الإسلامي التي ذكرت كيف كان للمرأة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كيان مستقل عن الرجل تطالب بحقها الذي أعطاها إياه الإسلام بكل جرأة ، فها هي تقف في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه تطالب بحقها في صلاة الجماعة في المسجد كما فعلت عاتكة بن زيد ، وها هي تمارس حقها بإدارة أموالها بمعزل عن زوجها كما فعلت ميمونة أم المؤمنين بجاريتها دون علم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكما فعلت أم سليم بنت ملحان التي أهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرسه هدية باسمها لا باسم زوجها ، فقالت: "يا أنيس ، اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل: بعثت بهذا إليك أمي ، وهي تقرئك السلام وتقول: إنّ هذا منّا قليل يا رسول الله". هذا في الإسلام أما في الغرب فإنه كان للمرأة بالفعل قضية ومعاناة ، إذ إنها كانت "في اعتقاد وعقيدة الأوروبيين حتى مئتي سنة

مطيّة الشيطان ، وهي العقرب الذي لا يتردد قط عن لدغ أي إنسان ، وهي الأفعى التي تنفث السم الرعاف! وفي أوروبا انعقد مؤتمر في فرنسا عام 568م ، أي أيام شباب النبي صلى الله عليه وسلم ، للبحث هل تعدّ المرأة إنساناً أم غير إنسان؟ وأخيراً قرروا: إنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب! والقانون الإنكليزي حتى عام 1805م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته بستة بنسات فقط ، حتى الثورة الفرنسية التي أعلنت تحرير الإنسان من العبودية والمهانة لم تشمل المرأة بحنوّها ، والقاصرون في عرفها: الصبي والمجنون والمرأة ، واستمر ذلك حتى عام 1938 م ، حيث عُدِّلت هذه النصوص لصالح المرأة". إن أصل القضية في الغرب يعود لاحتقار الكنيسة النصرانية للمرأة احتقاراً جعل رجالها يبحثون إذا كان ممكناً أن يكون للمرأة روح ، وهذا ما حصل "في مؤتمر ماكون" وما شفع بالمرأة آنذاك هو كون مريم أم يسوع امرأة ولا يجوز أن تكون أم يسوع بلا روح". إن أصل القضية إذاً بدأ من الديانة النصرانية حيث أساءت الكنيسة كمؤسسة في فهم الدين النصراني في روحيته وأخذت تطبقه وفقاً لذهنية القائمين عليها ومن هؤلاء القديس بولس الذي قال: إن المرأة خُلقت للرجل ، والقديس توما الأكويني الذي ذهب إلى أبعد من ذلك إذ صنّف المرأة بعد العبيد. ولقد استمرت الكنيسة النصرانية في تغيير التعاليم الدينية وَفْقاً للمفاهيم والاعتبارات السائدة في البلدان التي كانت تريد السيطرة عليها فقدّست "مفهوم الأمومة مثلاً عندما أرادت السيطرة على الحضارة اليونانية ، وألغت هذا التقديس عندما انتقلت إلى السيطرة على الحضارة الجرمانية ، واستبدلته بالاعتبارات المعمول بها في هذه الحضارة حيث كان التقديس للملكية الخاصة ولاعتبار المرأة ملك الرجل وفي مصاف القاصرين". من هنا يمكن أن نستشف أن الفرق بين المرأة الغربية والمرأة المسلمة يعود إلى الجذور ، ومن هنا عدم صحة إسقاط الحلول الغربية على الوضع الإسلامي ، فالوضع بين الحضارتين مختلف ، والمرأة هنا غير المرأة هناك ، وقد أكدت الراهبة "كارين أرمسترونغ" هذا الاختلاف بين ماضي المرأتين بما يلي: "إن رجال الغرب النصراني حين حبسوا نساءهم ومنعوهم من مخالطة الرجال ووضعوهن في غرف منعزلة في جوف البيوت إنما فعلوا ذلك لأنهم يكرهونهن ويخافونهن ولا يأمنون لهن وَيَرَوْنَ الخطيئة والغواية كامنة فيهن ، فهم يخرجوهن من الحياة بهذا الحبس إلى خارجها أو هامشها ، بينما حجز المسلمون نساءهم في البيوت ولم يخرجوهن إلى الشوارع تقديراً لهن ولأنهم يعتبرون زوجاتهم وأمهاتهم وبناتهم حَرَماً خاصاً وذاتاً مصونة وجواهر مقدسة يصونونهن ويحملون عنهن عبء الامتهان في الأسواق والطرق". إن هذا الاختلاف لم يفهمه دعاة التحرر الذين حاولوا إسقاط حلول المجتمع الغربي على المجتمع الإسلامي ، فلم يفهموا حرص الرجل على زوجته وحمايته لها بل اعتبروا أن حجاب المرأة وعدم اختلاطها بالرجل يعود إلى عدم ثقة الرجل بالمرأة وخوفه منها ، الأمر الذي جعلهم يرون أن المرأة مظلومة قد ظلمها الرجل عندما فرض عليها الحجاب وحرمها من إنسانيتها وقد تناسوا أنه "لم يكن الرجل هو الذي فرض الحجاب على المرأة فترفع المرأة قضيتها ضده لتتخلص من الظلم الذي أوقعه عليها ، كما كان وضع القضية في أوروبا بين المرأة والرجل ، إنما الذي فرض الحجاب على المرأة هو ربها وخالقها الذي لا تملك إن كانت مؤمنة أن تجادله سبحانه فيما أمر به ، ويكونَ لها الخِيَرَةُ من الأمر". ساعدت الثورة العلمية التي حصلت في أوائل القرن الماضي الإنسان بشكل عام والمرأة بشكل خاص على المطالبة بالتحرر من الظلم

الذي وقع عليها من الكنيسة ، حيث كان لاستعانة الثورة الصناعية بالنساء من أجل التحرر من مطالب الرجال المالية دور مهم في خروج المرأة من قمقمها وسعيها لتغيير واقعها المعاش ، فلم تجد عدواً تواجهه وتعتبره سبباً مباشراً لمعاناتها إلا الكنيسة التي كانت تحمي الرجال وتحثهم على ظلم النساء ، مما جعل عدو النساء الأول هو الدين ، فالمرأة هي التي "تدفع ضريبة الانتماء الديني في هذا الواقع وتتحمل مآسيه أكثر من الرجل" . ومن هنا جاءت ضرورة نبذ الدين وتأييد النظريات العلمانية الحديثة التي تعتبر أن "الدين هو أفيون الشعوب" ، وأن السبيل للنهوض بالأمم يكون بفصل الدين عن الدولة ، هذا الأمر الذي دعا إليه المسيح عليه السلام نفسه كما يدّعون عليه زورا وبهتانا عندما قال بزعمهم: "دع ما لقيصر لقيصر في أرض قيصر وما لله لله في الكنيسة". فالعلمنة إذاً هي نبذ الدين و "إحلال العلم ، في نموذجه الطبيعي ، محل النص والإله في تفسير كل ما يختص ويتصل بالإنسان" ، وقد بالغ كثير من العلماء في تقديس العلم إلى حد أن اعتبروه ديناً جديداً ، فقال أحدهم: "العلم الحديث هو إنجيل الحضارة الحديثة" ، وقال آخر: "العلم الصحيح ، أي العلم الاختياري ، دين أيضاً". وهكذا وجاءت نظرية التطور لـ "دارون" لتقول أن أصل الإنسان قرد تطور مع الزمن إلى أن وصل إلى الحالة التي هو عليها الآن ، لتعتمد على إيحاءين خطيرين كان لهما أثر في نصر نظرية المرأة الغربية الداعية إلى نبذ الدين ، وهذان الإيحاءان هما: (* الإيحاء بالتطور الدائم الذي يلغي فكرة الثبات. * الإيحاء بحيوانية الإنسان وماديته وإرجاعه إلى الأصل الحيواني وإغفال الجانب الروحي إغفالاً تاماً). وهكذا أصبح الإنسان الغربي بعد هذه النظرية العلمانية "لا يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً" كما أصبح " التفسير التطوري لكل شيء هو العقيدة الجديدة للغرب". وقد استفادت المرأة ومن تبعها من دعاة التحرر من الرجال من هذه العقيدة الجديدة استفادة كبيرة ، فاعتبرت أن النصوص التشريعية التي تختص بها لم تعد تصلح لهذا الزمن المتطور ، وقالوا بنسبية القوانين والتشريعات والأخلاق مما يعني عدم صلاحية هذه التشريعات للتطبيق في هذا الزمن ، لذلك كانت الدعوة من أجل الثورة ، هذه الثورة التي وإن كانت ممكنة بالنسبة للمرأة النصرانية التي تدرك تماماً أن التشريع الكنسي تابع لأقوال العلماء إلا أنها صعبة بالنسبة للمرأة المسلمة التي تدرك أن التشريعات الإسلامية مستمدة من النصوص القرآنية ، لذلك دعا أنصار تحرير المرأة إلى رفع راية التطور التاريخي في حال أرادت المرأة مهاجمة النصوص الدينية ، تقول إحدى دعاتهن: إنه "إذا ثارت المرأة المعاصرة وتعاونت المرأة النصرانية مع المرأة المحمدية استطاعتا رفض الدين الأولى باسم الدين نفسه والثانية بموجب الإيمان بسنة التطور التاريخي". وهذه الدعوة إلى الإيمان بالتطور التاريخي لوضع المرأة ذكرها أحد دعاتهم وهو سلامة موسى مخاطباً المرأة: "أنت ثمرة ألف مليون سنة من التطور". وبناء على ذلك كان "طبيعياً أن يفسر حجاب المرأة وعدم مخالفتها للرجل بأنه أثر من آثار الأمم الوحشية ونتيجة لتطور وظهور نظام العائلة ودخول المرأة فيه ، ووقوعها بذلك تحت سيطرة الرجل ، وهو التفسير الذي ذكره كل من تكلم من رواد تحرير المرأة". ثم هبط الغرب على العالم الإسلامي بجيوشه وعساكره وهو يعلم بتجربة الحروب الصليبية أن تطويع هذا العالم لن يكون بالحروب بل يكون بإيجاد جيل جديد ينتمي إليه فكراً وعقيدة ، فعمدوا من أجل ذلك إلى إنشاء المدارس الغربية التي تدرِّس اللغة والتاريخ والثقافة الغربية ، وبعد ذلك عمدوا إلى إرسال خريجي هذه المدارس في بعثات خارجية

إلى الجامعات التي تكفلت بما بقي من العقول الإسلامية كما تكفل الفساد المنتشر في البلاد التي سافرت إليها العقول بتضييع البقية الباقية من جيل شباب عاد ليخرب الأمة ويعمل على تحويل المجتمعات العربية الإسلامية إلى صورة من المجتمعات التي عاد منها. وكان من بين الخريجين "قاسم أمين" المخرّب الأول الذي عاد من الغرب بكل مفاهيمه ليطبقها على مجتمع لا يمت إليه بصِلة ، فطالب بتعليم المرأة وتحريرها على المنهج ذاته الذي وضعه الغرب لهدم الإسلام ، "وقاسم أمين شاب نشأ في أسرة تركية مصرية فيه ذكاء غير عادي ، حصل على ليسانس الحقوق الفرنسية من القاهرة وهو في سن العشرين. ومن هناك التقطه الذين يبحثون عن الكفاءات النادرة والعبقريات الفذة ليفسدوها ، ويفسدوا الأمة من ورائها! التقطوه وابتعثوه إلى فرنسا. اطلع قبل ذهابه إلى فرنسا على رسالة لمستشرق يتهم الإسلام باحتقار المرأة وعدم الاعتراف بكيانها الإنساني ، وغلى الدم في عروقه ، كما يصف في مذكراته ، وقرر أن يرد على هذا المستشرق ويفند افتراءاته على الإسلام. ولكنه عاد بوجه غير الذي ذهب به! لقد أثرت رحلته إلى فرنسا في هذه السن المبكرة تأثيراً بالغاً في كيانه كله ، فعاد إلى مصر بفكر جديد ووجهة جديدة ، عاد يدعو إلى تعليم المرأة وتحريرها على المنهج ذاته الذي وضعه المستشرقون وهم يخططون لهدم الإسلام". عاد ليطالب بنزع حجاب المرأة. عاد ليطالب بتعليم المرأة وخروجها من بيتها. عاد ليطالب باختلاط المرأة بالرجل. لقد أدرك قاسم أمين أن الوصول إلى الغاية لن تأتي مرة واحدة ، لذلك عمد هو ومن تبعه إلى أسلوبين: (* أسلوب التدرج حيث إنه لم يطالب في البداية بنزع حجاب الرأس كلياً ، بل نادى بسفور الوجه فقط ، ولم يطالب بتعليم المرأة لتصل إلى مستوى جامعي بل نادي بالتعليم الابتدائي ، ولكنه كان حريصاً في كل ما يكتب على أن يضع كلمة "الآن" التي تعني الاكتفاء بهذا الحد من المطلب وقت مطالبته به إلى آن آخر فيقول: "ربما يتوهم ناظر أنني أرى (الآن) رفع الحجاب بالمرة. إنني لا أقصد رفع الحجاب (الآن) دفعة واحدة والنساء على ما هن عليه اليوم. وإنما أطلب (الآن) ولا أتردد في الطلب أن توجد هذه المساواة في التعليم الابتدائي". وهكذا تتطور الدعوة مع الزمن فمن المطالبة "بالمساواة في التعليم إلى المطالبة بالمساواة في الميراث ، ومن المطالبة بحريتها في الدخول والخروج والتنزه إلى المطالبة بحريتها في السفر وقضاء السنوات الطوال منفردة ، وافق زوجها أو لم يوافق ، ومن المطالبة بتقييد حق الرجل في التعدد إلى المطالبة بحقها هي في التعدد ثم حقها أن يكون لها الصديق التي ترتضيه". * التشكيك في النصوص القرآنية والدعوة إلى اللحاق بركب التطور ، ومن هنا كانت دعواهم إلى إعادة قراءة النصوص قراءة جديدة مراعين مبدأ تاريخية النصوص ونسبيتها ، حيث إن كثيراً من الأحكام لم تعد تلائم العصر المتطور الحالي بزعمهم ، فكما كان هناك رجال فقهاء اجتهدوا وفهموا النصوص القرآنية فهماً يوافق عصرهم يوجد في عصرنا الحالي رجال "بل ونساء" يمكن أن يجتهدوا في النصوص اجتهاداً معاصراً ، لذلك كثيراً ما رفع هؤلاء شعار "هؤلاء رجال ونحن رجال" لرفض اجتهادات مثل اجتهاد الشافعي أبي حنيفة وأحمد ومالك وغيرهم من الفقهاء ، واعتماد فتوى معاصرة مثل فتوى محمد شحرور الذي يرى أن الجيب الذي ورد في القرآن (يدنين عليهن من جيوبهن) هو شِقُّ الإبط! ومن النماذج المعاصرة عن هجومهم على النصوص القرآنية قول أحدهم: "اعتبرت الشريعة المرأة نصف إنسان ، فشهادة امرأتين بشهادة رجل ونصيب الرجل من الميراث نصيب امرأتين ،

كان ذلك طفرة في العصر الذي نزلت فيه الشريعة الإسلامية ، بل إنه أكثر من طفرة ، غير أن 15 قرناً من الزمان كافية في الواقع أن تهيئ العقلية الإنسانية إلى خطوات أخرى في التشريع للمرأة". هذا باختصار السبيل الذي سلكوه من أجل الوصول إلى ما سَمَّوْهُ تحرير المرأة تحريراً كاملاً يجعلها متساوية مع الرجل في كل المجالات دون مراعاة للفروقات البيولوجية بين الاثنين ، ودون مراعاة لشرع أو دين ، لأن الشرائع تتطور أحكامها كما سبق أن أسلفنا. أما أبرز ما دعا إليه هؤلاء فيكمن في نبذ كل ما يمنع هذه المساواة بين الجنسين ويكرس التفرقة على أساس الجنس ، لهذا رَأَوْا في بنود المساواة رفع حجاب المرأة ، اختلاطها بالرجال ، وتعليمها. إن أصل هذا المطلب بدأ أيضاً مع الثورة النسوية في أوروبا حيث كان للمرأة بالفعل قضية ، قضية المساواة في الأجر مع الرجل الذي يعمل معها في المصنع نفسه وفي ساعات العمل نفسها بينما تتقاضى هي نصف ما يتقاضاه الرجل من الأجر. هذا المطلب كان في البداية يمثل منتهى العدل ، وهذا أمر لا يختلف عليه اثنان ، أما بعد ذلك فقد تطور هذا المطلب ليشمل المساواة في كل شيء وهذا أمر ، كما تعلمون ، مستحيل! والسبب ببساطة لأن بينهما اختلافات حقيقية جسمية ونفسية حتى ولو نجحت بعض النساء في أن يتبوأن المراكز العالية وفي القيام بأعمال جسدية شاقة إلا أن هذا لا يعني أن كافة النساء يمكنهن أداء ذلك العمل أو يرغبن فيه. فمهما ارتقت "المرأة في مستواها العلمي والثقافي ومهما كانت دوافعها النفسية أو الاقتصادية للخروج إلى العمل ، تبقى رغبة المشاركة في تكوين أسرة إحدى أهم مكونات فطرتها الأصلية ، كما يشير الاستبيان الذي أُجْرِي بين الفتيات في بعض الدول العربية". وقد أكدت الدكتورة إلهام منصور ، إحدى مناصرات تحرير المرأة ، على هذا الأمر فقالت: "إن الثقافة كما لم تفعل بعد في الرجل المعاصر فهي كذلك لم تفعل بعد في المرأة المعاصرة التي تعتبر مثقفة لأن أغلب النساء المثقفات هن راضيات بوضعهن ، ويعملن على ترسيخه ، وينادين بوجوب إعطاء حقوق للرجل تفوق حقوق المرأة ، وهذا الواقع يدلنا دلالة مباشرة واضحة أن العلم بالنسبة للمرأة المعاصرة ليس سوى وسيلة للحصول على الزوج الأفضل وذلك لأن أغلب الشبان قد أصبحوا اليوم مثقفين ويفضلون الزوجات المثقفات ، والثقافة هنا تأخذ طابع الزيادة الخارجية عند المرأة فهي لا تنصهر مع شخصيتها كي تغيرها من الداخل". هذه الحقيقة في تباين أهداف المرأة والرجل أكد عليها الفيلسوف "أوجست كونت" أحد فلاسفة الغرب المعاصرين حيث يقول: "إن الرجل والمرأة يهدفان إلى آيات متباينة في الحياة ، فمرمى الرجل هو العمل وآية المرأة الحب والحنان" ، ويقول الفيلسوف أيضاً: "حتى في الزواج لا يوجد مساواة بين الرجل والمرأة ، لأن لهما حقوقاً وواجبات مختلفة فالرجل قَوّامٌ على البيت وهو الذي يعول المرأة ، لأن المرأة يجب أن تجرّد من هموم المادة". هذا الكلام الذي ورد على ألسنتهن وألسنة فلاسفتهن يعتبر أكبر دليل على أن ما يطالبون به مخالف لفطرة الله سبحانه وتعالى ، والإسلام إنما جاء ليثبت هذه الحقيقة لا ليدعُوَ إلى أمر لا أساس له من الصحة ، فالإسلام كدين لا يهتم بمصالح فرد دون آخر ، وهو عندما بيَّن للمرأة حقوقها وواجباتها فرض على الرجل أيضاً حقوقاً وواجبات مغايرة تتناسب مع تركيب كل منهما البيولوجي والنفسي والجسدي ، كما تتناسب مع قواعد العدل والتوازن لا المساواة المطلقة ، فالمساواة المطلقة كما قلنا عدوة الفطرة ، "بينما العدل هو الذي يضع الموازين القسط لكل شيء ، ولكل علاقة ، فيعطي لكل شيء حقه ، حسب فطرته وأهليته ووظيفته التي وجد من

أجلها. فللمرأة إذن وظيفة تتناسب مع فطرتها التي فطرها الله عليها ، "وعناصر تكوينها أنها ذات بطن يلد وحضن يربي ، ومكانتها الفذة هي فيما فُطرت عليه فقط ، ومن الممكن توفير المساواة المطلوبة بينها وبين الرجل. ولكن ذلك يكون على حساب امتيازاتها . والنتيجة تحويلها إلى نوع جديد من الرجال". وهناك لطيفة وردت في القرآن الكريم تدل على قمة المساواة والعدل وعدم التفرقة بين المرأة والرجل حيث وردت كلمة رجل مفردة 24 مرة ، ووردت كلمة امرأة مفردة 24 مرة أيضاً ، قمة المساواة. إن أول حاجز حاول الغربيون وأتباعهم من أنصار تحرير المرأة اختراقه هو حاجز الحجاب ، إذ اعتبروا أن في ستر الرأس إهانة للمرأة ولكرامتها الإنسانية وعائقاً يمنعها من مشاركة الرجل في نهضته الفكرية والثقافية والاجتماعية ، ودعموا مزاعمهم في حالة التخلف الفكري والثقافي عند المرأة المحجبة اليوم في بعض أقطار الجزيرة العربية والخليج العربي ، والواقع أنه لا تلازم بين الاثنين فلا مجال للربط بين حجاب المرأة وتخلفها لأن ما حصل لهؤلاء النسوة ليس سببه الإسلام بل يعود إلى "ظروف استعمارية وفكرية معينة ، وليس أسهل على المصلحين إذا أرادوا الإصلاح الحقيقي من أن يفصلوا بين الواقعين بوعي إسلامي سديد ، يؤيد الستر والاحتشام ويدفع إلى التزود من العلوم والثقافة النافعة ، ويجعل من كل منهما عوناً للآخر". وأكبر دليل على هذا الفصل هو تفوق كثير من فتياتنا الجامعيات المحجبات بحجاب الإسلام ، المستمسكات بحكم الله عز وجل ، وهنّ مع ذلك "أسبق إلى النهضة العلمية والثقافية والنشاط الفكري والاجتماعي من سائر زميلاتهن المتحررات. وإن كل مُطَّلِع على التاريخ يعلم أن تاريخنا الإسلامي مليء بالنساء المسلمات اللواتي جمعن بين الإسلام أدباً واحتشاماً وستراً ، وعلماً وثقافة وفكراً ، وذلك بدءاً من عصر الصحابة فما دون ذلك إلى عصرنا الذي نعيش فيه". أما ثاني مزاعمهم فهو رفضهم الربط بين الحجاب والعفة ، فيقولون: إن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها ، وليست غطاء يلقى ويسدل على جسمها ، وكم من فتاة محجبة عن الرجال في ظاهرها هي تمارس معهم البغي والفجور في سلوكها ، وكم من فتاة حاسرة الرأس سافرة الوجه لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها وسلوكها. إن هذا الكلام فيه شيء من الصحة فما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفة مفقودة ، ولا أن تخلق له استقامة معدومة ، وربّ فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها ، ولكن من هذا الذي زعم أن الله إنما شرع الحجاب لجسم المرأة لتخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها؟ ومن هذا الذي يزعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلاناً بأن كل من تلتزمه فهي فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال؟ إن الله عز وجل إنما فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها ، لا حفاظاً على عفتها من الأعين التي تراها. فالمرأة عندما تستر زينتها بالحجاب ولا تتبرج تبرج الجاهلية تكون بذلك قد سدَّت باب الفتنة من ناحيتها ويكون لغض بصر الرجل دور في إخماد الفتنة ومنع تأجج الشهوات التي تؤدي إلى ارتكاب الفواحش والمنكرات ، ثم لنتساءل: هل المرأة التي لا تلتزم بالشرع وتخرج من بيتها سافرة قد غطت وجهها بالمساحيق ، هل هي حقاً حرة ؟" أم أنها أسيرة من حيث لا تدري ، وإلا فبماذا نفسر عدم قدرتها على مغادرة المنزل إلا بعد أن تسحق بشرتها بأنواع السحوق؟!". وبماذا نفسر العري الإباحي الذي يأبى أن يستر إلا مساحة قليلة من الجسد ، هل يدل تصرف مثل هذا على التحرر الفكري لمن تمارسه ، أم يدل على سعي حثيث للفت نظر شباب يجدون في اتباع موضةٍ رخيصةٍ تحرراً

وعصرنة؟ ويعتبرون من تحافظ على حشمتها مثالاً للرجعية والتخلف؟ إن مثل هذا النوع من النساء نوع جاهل إذ تعتقد الواحدة منهن أن ما تفعله من تبرج وزينة يمكن أن يجلب إليها الأنظار أو يجلب لها الأزواج ، لا ، إن الواقع غير هذا تماماً ، فالرجل الشرقي قد يعجب بالشكل واللباس الإباحي لمتعة النظر واللمس أحياناً أما عند الزواج فإن الأمر يختلف ، وقد وصف د. محمد سعيد رمضان البوطي حال رجل اليوم بقوله: إن الرجال اليوم "نظروا فوجدوا فرص المتعة الخلفية المستورة قد كثرت أمامهم بفعل بحث النساء عن أزواج لهن في المجتمع ، وأعجبهم الوضع. فازدادوا تثاقلاً وزهداً في الزواج ، لتزداد النساء بحثاً عنهم وسعياً وراءهم ، وهكذا كان سعي المرأة في البحث عن الزوج أهم سبب من أسباب فقدها له". وكلمة اختلاط لفظ مستحدث في عصرنا ، فهذه الكلمة لم تستعمل في أي موضع من القرآن الكريم سواء بلفظها أو مدلولها ، ولم ترد في أي حديث نبوي ولا في أي كتاب من كتب الفقه والتشريع ، ولكن بدأ الكلام يكثر عن الاختلاط بعد أن رأى رجال الإصلاح من المسلمين ما هي عليه المرأة الأوروبية من زينة وتجمّل" وحرية في الحركة والجولة ونشاط زائد في الاجتماع الغربي ، ولما رَأَوْا كل هذا بعيون مسحورة وعقول مندهشة تمنوا بدافع الطبيعة أن يجدوا مثل ذلك في نسائهم أيضاً ، حتى يجاري تمدنهم تمدن الغرب ، ثم أثّرت فيهم النظريات الجديدة من حرية المرأة وتعليم الإناث ومساواة الصنفين". إن المطالبين بحرية المرأة واختلاطها بالرجل هم فريقين ، "فريق يعلم جيداً أن الطريق الذي تسير فيه القضية سيؤدي إلى انحلال أخلاق المجتمع وتفككه كما حدث في أوروبا ، وهو يريد ذلك ويسعى إليه جاهداً لأنه من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وفريق آخر مخدوع مستغفَل لأنه مستعبَد للغرب لا يرى إلا ما يراه الغرب. وهذا وذاك مسخران معاً لخدمة الصليبية في المجتمع الإسلامي ، وخدمة اليهودية العالمية كذلك". إن مخطط الغرب في تدمير الإسلام ليس مخططاً حديثاً ، فقد شرح "شكيب أرسلان" في مقالةٍ نشرتها المنار 1925 م. هدف دعاة الحرية والمساواة المطلقة بين المرأة والرجل بقوله: "عند إعلان الدستور العثماني سنة 1908 م قال أحمد رضا بك من زعماء أحرار الترك: ما دام الرجل التركي لا يقدر أن يمشي علناً مع المرأة التركية على جسر "غلطة" وهي سافرة الوجه فلا أعد في تركيا دستوراً ولا حرية". لقد عمل هؤلاء منذ تلك الفترة على تنفيذ مخططاتهم التدميرية فنجحوا ، بعد أن أبعدوا المسلم عن دينه وعقيدته ، في بث الشكوك والتساؤلات حول القضايا الاجتماعية مستعينين بالنصوص الإسلامية من ناحية وبالجدل من ناحية أخرى. أما النصوص الإسلامية فقد اعتبروها حجة على المعارضين للاختلاط بحجة أن الإسلام أباح للمرأة الخروج للصلاة في المسجد كما سمح لها بالجهاد مع الرجال ومداواة الجرحى ، إن الرد على هذا الأمر بسيط ، ذلك أن مفهوم الاختلاط المباح في الإسلام هو ذلك الاختلاط " المأمون ، وهو الذي يكون لأسباب طبيعية. وتتحقق من خلاله مصالح اجتماعية أو اقتصادية ، وقد كفل الإسلام للمرأة حقوقها في طلب هذه المصالح في ظل الآداب والأخلاق ، وليس هو الاختلاط العابث الماجن المستهتر الذي من شأنه مضيعة الوقت والعبث بالفضيلة والانطلاق العابث بغير حدود وقيود" ، فإن مثل هذا النوع من الاختلاط لا يقره أي دين مهما بلغت درجة تقدمه وانفتاحه. أما أسلوب الجدل فاستخدموه لإثبات نظرياتهم النفسية الجنسية الحديثة التي لا ترضى عنها الشرائع ولا الأخلاق ، فيقولون: "إنه إذا شاع الاختلاط بين الرجل والمرأة تهذبت طباع كل منهما وقامت

بينهما بسبب ذلك صداقات بريئة لا تتجه إلى جنس ولا تنحرف نحو سوء! أما إذا ضُرب بينهما بسور من الاحتجاب فإن نوازع الجنس تلتهب بينهما وتغري كُلاً منهما بصاحبه! فتُشيع في ذلك الكبت في النفوس والسوء في الطباع. و(الجواب على هذا القول): إنه صحيح أن مظاهر الإغراء قد تفقد بعض تأثيراتها بسبب طول الاعتياد وكثرة الشيوع ، ولكنها إنما تفقد ذلك عند أولئك الذين خاضوا غمارها وجنوا من ثمارها خلال فترة طويلة من الزمن ، فعادوا بعد ذلك وهم لا يحفلون بها ، وبديهي أن ذلك ليس لأنهم قد تساموا بها بل لأنهم يشبعون كل يوم منها. من هنا نؤكد على أهمية اجتناب الاختلاط بغير سبب خاصة في الحفلات العامة والحفلات الخاصة ، والابتعاد عن مواطن الشبهات ومزالق الشهوات خاصة أن كثيراً من حفلات الاختلاط تشوبها الخلوات ، والإسلام لا يجيز أن تخلو المرأة برجل أجنبي عنها ولو كانت محتشمة في لباسها ومظهرها ، وفي ذلك جاء الحديث الشريف "ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما". لم يكن الذين يدعون إلى تحرير المرأة في بداية القرن يحلمون بالوصول إلى ما وصلت إليه المرأة اليوم من العلم ، بل إنهم كانوا يعترفون أن أقصى ما يطالبون به هو تعليم المرأة العلم الابتدائي الذي يساعدها على تربية أولادها ومساعدتهم على التعلم ، أما ما وصلت إليه المرأة الآن من الثقافة والعلم فهذا أمر لم يكن بالحسبان ، خاصة أن طموح المرأة لا يقف عند حد ، فهي تسعى لإزالة كل ما يمكن أن يؤدي إلى التفرقة في المساواة بينها وبين الرجل ، لهذا ليس من المستغرب أن نجد في بنود الاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة بنوداً تتعلق بواجب الدول الموقعة على الاتفاقيات في إيجاد المساواة بين الرجل والمرأة عبر تهيئة "نفس الظروف للتوجيه الوظيفي والمهني ، وللوصول إلى الدراسات والحصول على الدرجات العلمية في المؤسسات التعليمية في جميع الفئات ، في المناطق الريفية والحضرية على السواء". والواقع أن هذه الاتفاقيات إذا كان يمكن أن تتماشى مع المجتمعات الغربية الأخرى فإنها لا تتماشى مع المجتمعات العربية التي لا زالت الفطرة تغلب على شريحة كبيرة من نسائها ، حيث لازالت الفتاة تتعلم لمجرد أن تنال شهادة ما تؤمن لها الزوج المناسب وتقيها عثرات الأيام ، هذا ما تؤكد عليه الدكتورة إلهام منصور حيث تقول: عن المرأة المعاصرة: "إذا سألنا الأهل عن فائدة العلم بالنسبة للفتاة نسمع ، في أغلب الأحيان ، الجواب التالي: إن واجب المرأة الأول هو الزواج ، وإن لم توفق المرأة بزوج كما تريد ، أو إذا افتقر هذا الزوج أو إذا انقطع عن العمل لسبب من الأسباب فالمرأة المثقفة تستطيع العمل لتأمين العيش فقط ، فالعلم والعمل عند المرأة المعاصرة هما قوة احتياطية أكثر الأحيان لا تُستغل". لقد أنكر دعاة التحرر رغبات المرأة وحاجاتها الفطرية إلى تكوين الأسرة وإنجاب الأولاد ، وحاولوا الإثبات أنه ليس هناك فروق بيولوجية تمنع المرأة من العلم والعمل وإثبات الذات ، إنما الموانع هي موانع خارجية تتمثل في الإسلام الذي يقف حاجزاً في سبيل تعلم المرأة ، مع أن هذا مناف للحقيقة ، فالإسلام "لم يمنع المرأة من طلب العلم ، فهو الذي يدعوها إليه بل يفرضه عليها ، ولكن الإسلام يشترط في تعليمها وفي نشاطها كله شرطين اثنين: أن تحافظ على تربيتها وأخلاقها ، وأن تحافظ على وظيفتها الأولى التي خلقها الله من أجلها ، وهي رعاية الأسرة وتنشئة الأجيال ، وفي حدود هذين الشرطين تتحرك حركتها كلها". هذا هو المطلوب فقط ، المطلوب التعامل مع الأولويات ومع حاجات المرأة بصراحة لا كبتها كما تطلب إحداهن من زميلاتها المتحررات حيث تقول: "المتحررة حقاً هي التي تستطيع

أن ترفض أي تدبير يتنافى مع اكتمال شخصيتها وتحقيق استقلالها ، وبين الاستقلال والزواج تختار المرأة المدركة الواعية الاستقلال حتى ولو ضحت بحياتها الاجتماعية ، لأنها تعلم أن حياتها الحالية في حياة لا تحمل مقومات استمرارها إلا من حيث الناحية الحيوانية فقط". هل هذا الكلام مقبول؟ لا ، إن الإصلاح لا بد أن يراعي حاجات الإنسان والمجتمعات ، ولا يفكر في مصلحة فرد دون آخر ، فما ينفع النساء إن حصلن على الشهادات العالية وحُرمن من نعمة الأمومة ، التي لا تكتمل كيان المرأة إلا بها ، وصَدَقت يمان السباعي حين قالت: " ويل لأمة تفخر بنسائها في كليات الهندسة ورجالها على الأزقة لا يجدون عملاً ، ولا يفكرون في قضية ، ولا يحملون مسؤولية ، ويل لأمة أهانت رجالها لتثبت ذاتية نساء ضائعات". وهناك أسئلة لا بد من الإجابة عليها : ما هو مفهوم الحرية ؟ ومن هو الإنسان المتحرر (رجلاً كان أم امرأة)؟ هل هو ذلك الإنسان الذي أطلق العِنان لنفسه وشهواته يفعل ما يشاء متى شاء وفي أي وقت شاء؟ وهل الحرية تعني تفلت الإنسان من المسؤوليات والواجبات كي يصبح كالحيوان هدفه من الحياة إشباع غرائزه وشهواته؟ لا ، إن معنى التحرر هو ذلك " التفكير العقلي والمنطقي في التخطيط للحياة بعيداً عن غول المؤثرات الخارجية مثل الأجواء والبيئة والعادات والتقاليد ومتطلبات العصر وغيرها ، أو الداخلية مثل النفس ، والشهوات والغرائز وما شابه ، والتحرر أيضاً يعني العمل قدر الإمكان والمستطاع لإعطاء كل ذي حق حقه فللنفس حق. وللغرائز حق. وللمجتمع حق. وحدود كل ذلك هو عدم تجاوز حقوق النفس والآخرين ، وعدم الإسراف في ذلك". هذا المعنى لم يفهمه بعض دعاة التحرر من المسلمين الذين اعتبروا التحرر إطلاق العِنان للغرائز والشهوات دون اعتبار لمصلحة المرأة أو مصلحة عائلتها ، لقد فهموا التحرر بأنه التهجم على القيم والأخلاق والإسلام الحامي لهذه القيم ، لذلك اعتبروه العدو الأول للمرأة دون تفكير أو دراسة لتاريخه وتشريعه مكتفين بترداد ما نقله المستشرقون الحاقدون دون تمحيص ، مما يسهل على المطلعين على أقوالهم انتقادهم بسهولة لما فيها من كذب وتدجيل ، من هؤلاء أتباع الحركة النسوية العربية حيث تقول إحداهن: أن المرأة في الجاهلية كانت تتمتع بمزايا وحقوق سلبها منها الإسلام. وتقول أخرى أن السيدة خديجة رضي الله عنها منحت الرسول أول عمل له ليتاجر في دمشق وكان عمره 12 عاماً).هـ. ونعود إلى الخادمة التي رفضت إعزاز الله لها. إنه كما يقول الأستاذ المنجد: (إن فتنة الإغراء والإغواء التي تحصل من الخادمات للرجال في البيوت - وخصوصاً الشباب منهم - ، بوسائل التزين والخلوة ، وتتوالى القصص في أسباب انحراف بعض الشباب ، والسبب: دخلت عليه أو انتهز خلو البيت فجاء إليها ، وبعضهم يصارح أهله ولا من مجيب ، أو يكتشف بعض الأهل شيئاً فيأتي جواب عديم الغيرة: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} ، وتُترك النار بجانب الوقود ، والوضع هو هو لم يتغير ، ولقد وصل الأمر أيضاً ببعض الخادمات إلى نقل الشذوذ لبعض الفتيات في البيوت).هـ.

أغـــرى الســـفيهة - عـــن وليـــدها - الهـــربُ فلـــم تقـــم بالـــذي - فـــي حقـــه - يجـــبُ

والآدميـــــة - مـــــن أفعالهـــــا - برئـــــتْ لأنهـــــا - بســـــواد الغـــــدر - تختضـــــب

والعقـــل يبـــرأ مـــن أمومـــةٍ بخلـــتْ عـــن حـــق طفـــل بكـــى ، لهـــا بـــه نســـب

والرحمـــة انتزعـــتْ مـــن قلـــب هازلـــةٍ ... طغـــى عليهـــا الهـــوى واللهـــو واللعـــب

والحكمـــة انتثـــرتْ فـــي عقـــل مجرمـــةٍ ... حتـــى غـــدت بســـعير الطـــيش تعتصـــب

والرشْـــدُ جـــافى التـــي زاغـــت بصـــيرتها ... ولـــيس فـــي القلـــب أخـــلاقٌ ولا أدب

والزيـــفُ عشـــعش فـــي ضـــمير كاذبـــةٍ ... ألـــم يُـــربِّ التـــي ترمـــي الوليـــد أب؟

وللخـــداع مكـــانٌ فـــي مشـــاعرها ... ويفضـــح المـــرءَ - كـــم - شـــعورُهُ الخـــرب!

والغـــش يجـــري دمـــاءً فـــي ترائبهـــا ... والختـــلُ ديـــدنها والشـــك والريَـــب

والغـــدر طابعهـــا ، تعســـاً لغـــادرةٍ! ... والغـــدر يومـــاً - علـــى الغـــدَّار - ينقلـــب

والظلـــم ســـمتٌ بـــه بـــين الـــورى عُرفـــتْ ... والنـــار موعـــد مَـــن حـــقَ الـــورى ســـلبوا

مـــا ذنـــب طفـــل أتـــى الـــدنيا علـــى قـــدر ... أن تخذليـــه ، فيبكـــي ، ثـــم ينتحـــب؟

يقـــول: أمـــي ، فـــلا يلقـــاك حاضـــنة ... فيشـــتكي ثاويـــاً ، وبعـــدُ يكتئـــب

ولا يعزيـــه - فـــي مصـــابه - أحـــدٌ ... كأنـــه لـــيس – للأهلـــين - ينســـب

يذيقـــه الـــدمع مـــن آلام حرقتـــه ... وبُعـــدُكِ - اليـــوم - نـــارُ بعضُـــها اللهـــب

يشـــكوكِ لله ، عـــلّ الله يرحمـــه ... وقـــد يغالـــب مـــا يلقـــى ، فيحتســـب

ويســـتبد بـــه مَـــرارُ محنتـــه ... فيســـتكين لمـــا تـــأتي بـــه الكُـــرب

يبيـــت لـــيس يـــرى طيفـــاً لبارقـــةٍ ... وقلبُـــه يشـــتكي ، والعقـــلُ ، والعصـــب

ويرســـل الـــدمع مـــدراراً ، يحـــن لـــه ... قلـــبُ لمـــا يعتـــري هـــذا الفتـــى يَجِـــب

ويُرجِـــعُ البصـــر المشـــحون مســـكنة ... فـــي كـــل وجـــهٍ مـــن الســـرير يقتـــرب

يقـــول: أيـــن التـــي بـــالكَره قـــد حَملـــتْ؟ ... أمَـــا لهـــا بـــالفتى وصـــلٌ ولا نســـب؟

وثابـــتٌ حقـــه حتـــى لـــو ابـــن زنـــا ... فتلـــك أمٌ لـــه ، وبيننـــا الكتـــب

فيُرجـــع البصـــرَ الملهـــوفَ منكســـراً ... لأن أم الفتـــى حَـــلا لهـــا الهـــرب

وخلّفتـــــه وحيـــــداً فـــــي لفافتـــــه ... ويســـأل النـــاسُ كـــلُّ النـــاس ، مـــا الســـبب؟

ألســـتِ زوجـــاً علـــى الكتـــاب قـــد نكحَـــتْ ... ووفـــق شـــرع الهُـــدى ككـــل مـــن خطبـــوا؟

أم أن فـــــاجرة تـــــأوي لعاشـــــقها ... فمـــــرة بالرضـــــا ، أو لا فتغتصـــــب؟

ألـــم يجـــدك أبـــي يـــا أمّ خادمـــة ... علـــى جبينـــك ذلُ القهـــر منكتـــب؟

تُســـخرين بـــلا عطـــف ولا خلـــق ... وإن زللـــت فأهـــل البيـــت قـــد ضـــربوا؟

وقـــد تُسَـــبِّين بالألفـــاظ جارحـــة ... يزفهـــا الفحـــشُ والإيـــذاءُ والصـــخب؟

وقـــد تُهـــانين فـــي عِـــرض وفـــي شـــرفٍ ... والخادمـــاتُ إذا اشـــتد الأذى خُشُـــب

وقـــد تعـــارين بـــين النـــاس هينـــة ... وكـــل فـــردٍ لـــه فـــي أمـــره أرب

وقـــد تُـــزلين فـــي ســـر ، وفـــي علـــن ... ومـــن أذلـــك هـــذا الفـــارسُ الضـــرب!

وقـــد تبـــاعين ، والأثمـــان تافهـــة ... بيـــع النخاســـة ، لا ديـــنٌ ولا رُقـــب

حتـــى اشـــتراكِ أبـــي زوجـــاً مُكرمـــة ... يـــا حـــظ زوج - إلـــى الكِـــرام - تنتســـب!

فعشـــت زوجـــا لهـــا مكانـــة شـــرُفتْ ... ووالـــدي أسَـــدٌ - علـــى العِـــدا - حَـــرِب

وجـــاد ربـــكِ بـــالأولاد أولهـــم ... أتـــى ، ونـــورُ الحيـــاة الأشـــبُل النجُـــب

مـــاذا تريـــدين بعـــد العـــز قدّمـــه ... أبٌ أجـــارك ممـــن بـــالورى لعبـــوا؟

لـــو قـــد أرادكِ للفـــراش عاشـــقة ... لمـــا امتنعـــتِ ، وللأســـياد مـــا رغبـــوا

لكـــنْ: حـــرامٌ ، أبـــي - عـــن الحـــرام - نـــأى ... لـــذا تـــزوّج حتـــى يـــذهب الشـــبب

ألـــيس هـــذا أبـــي؟ ألســـت زوجتـــه؟ ... أم أن لغـــزاً - علينـــا اليـــومَ - يُحتجَـــب؟

ألا تحســـين بـــي فـــي كـــل خـــاطرةٍ؟ ... أم أن قلبـــك - يـــا أم الفتـــى - خَشَـــب؟

وفـــي المنـــام ألا تـــرين نـــازلتي؟ ... أم بيننـــا حالـــتِ الآمـــادُ والحُجُـــب؟

ألـــم تحـــدثك عنـــي نفـــسُ شـــاردةٍ ... أن قـــد طـــواني الأســـى والـــرزءُ والنـــوب؟

فـي غالـب الوقـت سـيفُ الجـوع يـذبحُني ... مـا حِيلـة الطفـل إذ ينتابـه السـغب؟

والحـزن يسـرق - مـن عمـري - مباهجـة ... وبـالجوى تـذهبُ الأفـراحُ والطـرب

نأيـت عنـي ، فمـن تعنيـه مصـلحتي؟ ... ومـن سـيلقمني ثـدياً بـه الحَلـب؟

ومـن سـيحنو بـلا مـنّ ولا ضـجر؟ ... ومـن سيصـبر ، لا يـؤزه الغضـب؟

ومَـن سـيحمل هـمّ الطفـل محتسـباً ... عنـد المليـك ، ألا قـد فـاز محتسـب

ومَـن يُضـمِّد جرحـاً فـي جوانحـه ... ومـن يواسـيه إن أودى بـه الرهـب؟

ومَـن سيمسـح دمعـاً سـال منحـدراً ... كأنـه الغيـث ، قـد جـادت بـه السـحب؟

ومَـن سـيكلأه بـالعطف مصـطبراً؟ ... والعطـفُ أثمـنُ مـا يُرجـي ويُطلـب!

ومَـن يجيـب علـى آلاف أسـئلة؟ ... شـأن الـذين إذا مـا جودلـوا طربـوا

ومَـن سـيُهدي لـه دُمـىً يُسـامرُها؟ ... وأنـسُ كـل فتـىً دُمـاهُ واللعـب!

ومَـن يلقنـه القـرآنَ فـي صِـغر؟ ... إذ الحيـاةُ لـه القـرآنُ والأدب

ومَـن يعلمـه الأخـلاق يرشـده؟ ... يُعلـي الفتـى رشـدُه ، لا المـال والحسـب

ومَـن يُسـليه إن دهتـه كارثـة؟ ... ومـن سـيعطيه إن أودى بـه الـوَدَب؟

ومَـن سيصـحبه فـي كـل معضـلةٍ؟ ... إن الأصـيل كِـرامَ النـاس يصـطحب

ومـن يبـاهي بـه إن كـان ذا قـيم ... شـأن الإبـاة الألـى مـن الهُـدى شـربوا؟

ومـن يضـيء لـه دروب عزتـه ... حتـى يكـون لـه علـى العِـدا الغلـب

ومـن يصـون لـه الحقـوق أهـدرها ... قـومٌ علـى ربهـم بالعمـد قـد كـذبوا؟

يـا أم عـودي: أنـا مازلـت منتظـراً ... وسـوف أبقـى مـدى الأيـام أرتقـب

أهفـو إليـك بأشـواق معطـرةٍ ... تـرى مجيئـك نعـم العَـودُ والطلـب!

إنـي أعيـذك أن تبقَـي مفارقـة ... فكـم يقاسـي جـوى الفـراق مغتـرب!

أراكِ أمعنتِ في بَينٍ دهى كبدي ... وهاك دمعي - على الخدين - ينسكب

كفاك بُعداً ، أحاسيسي تسائلني ... فهل علاجٌ لهذا الواقع الكذب؟

أين الأمومة يحتاج الصغير لها؟ ... هل الأمومة - يا أم الفتى - لقب؟

هل الأمومة صكٌ لا رصيد له؟ ... أم أنها واجبٌ ، ترجي به القرب؟

هل الأمومة طفلٌ بالنقود أتى؟ ... دون الأمومة مالُ الأرض والذهب!

هل الأمومة تشريفٌ بلا تعب؟ ... بل تضحياتٌ ، ففي طيَّاتها التعب

هل الأمومة أن ترتاح مُثقلة ... من المخاض ، فلا كدح ولا نصب؟

هل الأمومة أن يقال: أم فتىً ... تلك التي - عن رؤى الوليد - تغترب؟

يا أمّ منكِ معاني الأم قد برئتْ ... فراجعي النفس ، إن العقل يضطرب

فكم تحيَّرتُ في أعتى معادلةٍ ... لمَّا يجد مثلها عُجْمٌ ولا عرب!

أمٌ تزايلُ عن عمدٍ أمومتها ... هذا الذي لم يكن ، وتشهد الحقب

فالأمهاتُ - مدى الأيام - في شُغل ... وبالأمومة يا كم فاخر العَجَب!

بذلن ما اسطعن في حب وفي جَلد ... والدور تشهد ، والقُدور والقِرب

حتى الخيام بجهد الأمهات شدَتْ ... والأرضُ شاهدة ، والرمل والطنُب

عانين في العيش ، والتاريخ مرتصدٌ ... وعنده قصصٌ من بينها خُطب

يا أم فلتقرئي ، كي تنصفي ولداً ... يريد أمّاً ، لها يهفو وينجذب

عودي لكي تخرسي من فيكِ قد ولغوا ... وتُقنعي بشراً عليك كم عتبوا!

إني جهرتُ بحق - في الضمير - رسا ... وبالحقائق يُردَى النقصُ والعطب

بصرتُ قلبك - بالأحداث - مفترضاً ... أن ترجعي ، وعسى يردك العتب

ففي انتظارك بيتٌ ،أنت غادته ... والتين يُتحفه ، والموز والعنب

واثنـــان قـــد قـــتلا شـــوقاً لغائبـــةٍ ... ابـــنٌ يعزيـــه فـــي هـــذا المصـــير أب

فلترحمينـــا مـــن الفـــراق جنـــدلنا ... ولا يحـــس - بأنـــات الجـــوى - خشُـــب

لكننـــا بشـــرٌ ، تبكـــي جوارحُنـــا ... وفـــي الحنايـــا دمٌ يحيـــا بـــه عَصَـــب

لحـــمٌ وعظـــمٌ وإحســـاسٌ وعاطفـــة ... جســـم تســـير بـــه الأقـــدام والرُّكـــب

نحِـسٌّ بـالكرب يسـري فـي القلـوب أسـىً ... فنســـتعين بمولانـــا ، ونحتســـب

وإن بُعـــدَك قـــد أوهـــى عزائمنـــا ... كأنـــه النـــار ، والعـــزائمَ الحطـــب

أرجـــوكِ يـــا أم ، رُدي حـــق مبتـــئس ... فـــي المهـــد يشـــتاق للقيـــا ، ويرتغـــب

لـــولا رحيلـــك لـــم يغمـــر مدامعـــه ... دمـــعٌ ، ولـــم يُضـــنِهِ هـــمٌ ولا وَصَـــب

وأنـــت أخبَـــرُ بالســـهاد يَحرمُـــه ... طعـــمَ الرقـــاد ، لأن القلـــب يلتهـــب

يكابـــد الشـــوق ، والأطيـــافُ تحرقـــه ... كأنهـــا - فـــي دجـــى - أيامـــه شـــهب

يبكـــي حقوقـــاً لـــه باتـــت مضـــيّعة ... وأنـــتِ مـــن جعـــل الحقـــوق تُغتصـــب

لـــولا رحيلـــكِ عنـــي مـــا اعتصـــرتُ جـــوىً ... ولا الحقـــوق - أمـــام العـــين - تُنتهـــب

عـــودي لنحيـــا معـــاً بالحـــب يجعلنـــا ... نبنـــي الحيـــاة ، وبالأمـــال نختضـــب

هـــل اســـتوى الخلـــق قـــد نـــالوا كـــرامتهم ... والخلـــقُ رغمـــاً علـــى أبشـــارهم ضُـــربوا؟

إن الحقـــائق - يـــا أمـــاه - واضـــحة ... لا يســـتوي الحنظـــل البـــرّيّ والرطـــب!

لا يســـتوي الطفـــلُ ذو أم تداعبُـــه ... والطفـــلُ أعمـــى نوايـــا أمَـــه الهـــرب

جـــزا المليـــكُ أبـــاً أمســـى يُعَوّضـــني ... حنـــانَ أم قسَـــتْ ، ومـــا لـــذا ســـبب

صدقوا وهم الكاذبون!

(يغتر كثيرون بمدح بعض الغربيين للنبي - صلى الله عليه وسلم -. والحقيقة أن أمثال هؤلاء صدقوا فيما يقولونه من الحق عن الإسلام ونبيه وعقيدته وشريعته ، وفي الوقت ذاته هم الكاذبون. إذ لو كان كلامهم هذا عن كامل اقتناع فلنسأل: لماذا ظللتم على ما أنتم عليه من نسبة الولد والصاحبة إلى الله؟ إن المادح لمحمد النبي الرسول سيد ولد آدم – صلى الله عليه وسلم - يجب أن يؤمن به. وهذه باقة من أقوالهم: * برنارد شو يقول: (لو كان محمد موجوداً اليوم لاستطاع أن يحل مشكلات العالم في زمن يحتسي فيه فنجان قهوة). * لامارتين الشاعر الفرنسي يتساءل فيقول: (من مثل النبي محمد ، الفيلسوف والخطيب ، والرسول والمشرع ، والقائد وفاتح الأقطار ، ورائد الإنسان إلى العقل ومنشيء العقائد المعقولة الموافقة للقلب والذهن ، ومؤسس دين لا وثنية ولا صور ولا صكوك ولا غفران ولا رقيات باطلة فيه. إن محمداً ليرجح كل أهل المعمورة في الرجاحة والفكر والعلم). * وأما وليم موير وهوالمؤرخ الإنجليزي فيقول: (لقد امتاز محمد بيسر دينه ووضوح كل كلامه. ولقد أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة). * مايكل هارت ، العالم الأمريكي المعروف ، صاحب كتاب (الخالدون مائة ، وأولهم محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلل ذلك: (لقد اخترت أولهم محمداً لأنه الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح في فترة وجيزة على مستوى الدين والدنيا ، وبقى دينه وبقيت نبوته بعد 13 قرن من موته).هـ. * وأما تولستوي الروسي فيقول: (إن محمداً النبي أعظم الرجال ، بكل ما تعني الكلمة من معان). * وأما جوستاف لوبون فيقول: (لقد كان محمداً متسامحاً مع أهل الذمة). * وأما السير فلكد الأمريكي فيقول: (رجح عقل محمد النبي كل العقول التى خلقها الله من النبوات والعلماء والأدباء). أقول: وقد ننخدع كثيراً بهذه الأقوال منهم ، ويساعد علي ذلك أقوال المتمسلمين من الأدباء الذين ينتسبون إلى دينه وملته صلى الله عليه وسلم! أعني عندما يوقره - صلى الله عليه وسلم – الكافرون به ولا ينتسبون إليه في كثير ولا قليل ثم هؤلاء المنتسبون إليه ينالون منه ويؤذونه ويتطاولون عليه ، إن مثل هذه الممارسات تعتبر فتنة في الأرض ولا شك. ولكن لا يعني هذا أننا نوقر مذاهب الكفار من المادحين له. بل نقرّ ما قالوه فيه - صلى الله عليه وسلم. – من الحق فقط. ونقر بأنهم منصفون! وفي الوقت ذاته لا نقر لهم ديناً ولا رجاحة عقل. والسبب أنهم لو كانوا ناصحين لأنفسهم ولأممهم لاتبعوه ، وحملوا أممهم على ذلك.)

تـــوقيرُ (أحمـــدَ) يُبْـــرئُ عـــاتيَ الـــداءِ ... وشَـــرعُه - لجميـــع الخلـــق - كالمـــاءِ

فهـــل حيـــاة - بـــدون المـــاء - باقيـــة؟ ... وهـــل تســـاوى الضـــيا يومـــاً بظلمـــاء؟

شـــرائعُ العبـــد للعُبْـــدان قاصـــرة ... وشـــرع (أحمـــدَ) فـــي آفـــاق عليـــاء

هـــذي القـــوانينُ قـــد عمّـــت مصـــائبُها ... إذ مَهّـــدتْ - فـــي الـــدنا - لكـــل فحشـــاء

بهـــا تنكـــر للمعـــروف مَـــن فســـقوا ... كـــي يُفلتـــوا جهـــرة مِـــن أي أعبـــاء

بهـــا يجـــاهر - بالتضـــليل - شـــرذمة ... بلهجـــةٍ مِـــن دجـــى التزييـــف شـــنعاء

بهـــا الحقـــوقُ أمـــام الأعـــين انتهكـــتْ ... والنـــار شـــبتْ ، ولا ســـعيٌّ لإطفـــاء

بهـــا الـــدماءُ - علـــى الســـاحات - قـــد ســـفكتْ ... وغَيّـــب النـــاس فـــي رمـــال بطحـــاء

بهـــا الـــديارُ - علـــى ســـكانها - هُـــدمتْ ... وتحتهـــا بقيـــتْ آثـــارُ أشـــلاء

بهـــا اســـتحلّ حـــرامُ الله دون حيـــا ... والنـــاسُ عاشـــوا علـــى تضـــليل أهـــواء

قـــد اســـتبيحتْ - بهـــا - الأعـــراض هينـــة ... مـــن بعـــد مـــا حكّمـــت فـــي كـــل أرجـــاء

عـــارٌ علـــى أهلهـــا بيـــعُ النســـا علنـــاً ... وكـــل يـــوم بأخبـــار وأنبـــاء

عصـــرُ النخاســـة عـــادت كـــل ظلمتـــهِ ... وكـــل أنثـــى لهـــا ألـــوانُ حربـــاء

تحلـــلٌ مـــا لـــه حـــدٌ ولا مثـــل ... وفـــي الـــديار لـــه آلافُ أصـــداء

الغـــربُ قـــاد - إلـــى الفجـــور - خندمـــة ... والأمـــرُ أكبـــر مـــن طـــرح لآراء

وعتّـــق الخمـــرَ يُغـــوي مَـــن يناوئـــه ... وأهـــونُ النـــاس مَـــن يُغـــوَى بصـــهباء

وصـــدَّر الغيـــد عربونـــاً لحملتـــه ... حتـــى يُحـــرِّق أجيـــالاً بـــإغراء

مِـــن كـــل ســـاقطةٍ تغـــري بفتنتهـــا ... كأنهـــا توّجـــتْ بحســـن حَـــوْراء

والتـــابعون لهـــذا الغـــرب قـــد رضـــخوا ... رضـــوخ مستســـلم لشِـــدة الـــداء

فأيّـــدوه ، ومِـــن ألبانـــه رضـــعوا ... حتـــى غـــدت فتنـــة بـــدون أدواء

والمصـــلحون بـــأرض الغـــرب قـــد جهـــروا ... بـــالحق والخيـــر ، فـــي صُـــبح وإمســـاء

وبينـــوا ســـبُل النجـــاة تســـبقها ... بشـــائرُ النصـــر فـــي أهـــواء هيجـــاء

وجاهـــدوا مـــن طغـــى بـــدون مرحمـــةٍ ... وواجهـــوا ، رغـــم بأســـاءٍ وضـــراء

مـــا استســـلموا أبـــداً لكيـــد مَـــن مكـــروا ... أكـــرِمْ بصِـــيدٍ علـــى الـــبلاء أكفـــاء!

حتـــى رأينـــا - مـــن الكفـــار - كوكبـــة ... ســـاقوا المـــدائحَ أمواجـــاً بـــدأماء

كـــالوا التقـــاريظ والأمـــداحَ ناصـــعة ... فهـــل خـــلا القـــومُ مِـــن حقـــدٍ وبغضـــاء؟

وهـــل قلـــوبُهمُ - مِـــن كرههـــا - طهُـــرتْ ... حتـــى نقـــول خلـــتْ مِـــن كـــل شـــحناء؟

كـــــلٌّ يؤلـــــف أقـــــوالاً منمقـــــة ... كباقـــةٍ - مـــن عطيـــر الـــورد - غنـــاء

يُطـــرون (أحمـــدَ) فـــي ديـــن وفـــي خلـــق ... وحلّـــق المـــدحُ فـــي آفـــاق جـــوزاء

وإن (تومـــاس) فـــي كيـــل الثنـــا بطـــلٌ ... بلفظـــةٍ - مـــن شـــذى البيـــان - شـــهباء

فتـــــارة يمـــــدحُ الإســـــلامَ يجعلـــــه ... شـــريعة الحـــق فـــي حـــثٍ وإطـــراء

وتـــــارة يمـــــدحُ النبـــــيَ يُكْبِـــــره ... والمـــدحُ أوقـــعُ مـــن أفـــواه أعـــداء

وتـــــارة يمـــــدحُ الحـــــدودَ صـــــارمة ... تقـــي المـــدائنَ مـــن تهـــريج غوغـــاء

وتـــــارة يمـــــدحُ القـــــرآنَ يفرضُـــــه ... علـــي النصـــارى ، ويُطـــري خيـــر قـــراء

وتـــــارة يمـــــدحُ الأصـــــحابَ يمـــــنحُهم ... مـــن طيِّـــب القـــول مـــا يزهـــو بـــلألاء

وتـــــارة يمـــــدحُ الـــــديارَ يحسَـــــبُها ... تطبّـــق الشـــرع فـــي مصـــر وبيـــداء

وتـــــارة يمـــــدحُ الجهـــــادَ ينصـــــره ... ممـــــن عـــــلاه بتشـــــويهٍ وأقـــــذاء

وتـــــارة يتـــــولى كـــــل ذي شُـــــبَهٍ ... بخطبـــةٍ - مـــن صـــدى التحقيـــق - عصـــماء

لـــو قـــد صـــدقت لمـــا أقـــررتَ بـــاطلهم ... ولا اتبعـــت الهُـــدى ككـــل أســـواء

لـــم يجبـــروك علـــى مـــدح لمِلتنـــا ... بـــل حـــاربوك بـــأقوال لآبـــاء

وذي كنائسُـــــهم بـــــالحرب شـــــاهدة ... بـــأن (كَـــرْلايلاً) يهـــذي بأخطـــاء

واســـألْ (مُـــوَيراً) عـــن التـــاريخ حبّـــره ... عـــن النبـــي ، بلفـــظٍ - منـــه - بنـــاء

أمســـي يُصـــرّح أن الـــدين مُنقـــذهم ... مـــن كـــل داهيـــةٍ فـــي الـــدار دَهيـــاء

وأن فـــي شِـــرعة التقـــوى النجـــاةَ لهـــم ... مـــن كـــل قاصـــمةٍ تُـــردي وبأســـاء

وأن ديـــن الهُـــدى الأخـــلاقُ عُمدتُـــه ... تُغيـــث مـــن فتنـــةٍ - فـــي النـــاس - عميـــاء

هـــو الحضـــارة فـــي أنقـــى معالمهـــا ... فـــي عـــزةٍ تشـــتهيها الـــنفسُ شـــماء

هـــو الشـــموخ بمـــا فـــي الـــذات مِـــن قـــيم ... هـــو الســـموّ بزوجـــاتٍ وأبنـــاء

(مـــويرُ) صـــدَّقَ مـــا فـــي الســـلم مـــن أســـس ... ودينـــه ديـــنُ أجـــدادٍ وآبـــاء

فمـــا اســـتجاب لمـــا يُطريـــه مـــن رشَـــدٍ ... إذ مدحُـــه بعـــضُ أخبـــار وإنشـــاء

واســـأل (تولســـتويَ) عـــن مـــدح لأســـوتنا ... نبـــيّ ملحمـــةٍ كبـــرى وإســـراء

إذ عـــدّه أعظـــمُ الرجـــال قاطبـــة ... ولـــم يكـــن فـــي الـــذي أطـــرى بخطـــاء

لكـــنْ علـــى الكفـــر (تولســـتوي) ودّعنـــا ... برؤيـــةٍ فـــذةٍ لـــم تنفـــع الرائـــي

(ومايكـــل الهـــارت) مـــا خابـــت فِراســـتهُ ... ولـــم يكـــنْ قولـــه قـــرينَ أرجـــاء

أعطـــى النبـــوة تـــوقيراً يليـــقُ بهـــا ... فبـــات صِـــدقاً - بهـــذا خيـــرَ - مِعطـــاء

لكنـــه لـــم يـــدَعْ تثليـــث نِحْلتـــه ... بـــل لـــم يُثـــرْ حولهـــا قليـــل ضوضـــاء!

حتـــى ثـــوت ، وانتهـــتْ أعـــوامُ رحلتـــه ... علـــى ريـــاح مِـــن الإشـــراك هوجـــاء

واســـأل (لامـــارتينَ) مَـــن زكَّـــى محمـــدنا؟ ... فـــي جملـــةٍ مـــن ســـنا الأقـــوال فيحـــاء

زكـــى نبوتـــه مـــن بعـــد سُـــنته ... بهمـــةٍ مِـــن ضـــيا التصـــريح زهـــراء

وقـــد أدان الـــذي صـــاغوه مـــن دجـــل ... فـــي فتنـــةٍ - عصـــفتْ بـــالغرب - شعـــواء

فكـــل فـــردٍ لـــه صـــكٌ بمغـــفرة ... للـــذنب تجعلـــه فـــي كـــل ســـراء

وتلـــك زالـــت لأن العقـــل يرفضـــها ... وديـــن (أحمـــدَ) حـــيٌ بـــين أحيـــاء

لكـــنْ (لامـــارتينُ) لـــم يُســـلمْ فنغبطـــه ... لأنـــه عـــاش كالأنعـــام والشـــاء

لـــه أقـــول وللعيـــر الألـــى مَـــدحوا ... شـــريعة الحـــق فـــي جَهـــر وإفضـــاء

صـــدقتمُ رغـــم أن الكِـــذْبَ ديـــدنُكم ... وقـــولكم قمِـــنٌ حقـــاً بإصـــغاء

وصول أهل الصعيد

(مهما كتبنا عن صعيد مصرالعزيز ، وعن مناقب أهل القيم والمبادئ والأخلاق من أهل الصعيد ، فما أظننا وفيناهم وصعيدهم حقهم. وكانت لي محاولات عدة من قبل في الذود عن هؤلاء الأماجد الأعزة. وإن الذي يُطالع بعض المراجع التى تناولت الصعيد وأهله يدرك من كلامي الكثير. فعندنا مثلاً (كتاب تاريخ الصعيد للأستاذ / علي بن عبد العزيز شاكر– وكتاب الطالع السعيد الجامع لأسماء فضلاء الصعيد للأفودي – وكتاب العقيد فى تاريخ الصعيد لابن يونس- وكتاب القول المفيد في آثارالصعيد للأستاذ / محمد عاطف - وكتاب المفيد في أخبار الصعيد للإدريسي) ، وغير ذلك من المراجع والمصادر التي تحدثت عن الصعيد المصري بإنصاف. إن هذه المراجع والمصادر التي تحدثتْ عن الصعيد المصري بإنصاف. إن هذه المراجع تعتبر حجة دامغة في وجوه الأراذل الذين يستهزئون بمغاوير أهل الصعيد. وكنتُ قد كتبت من قبل قصيدة تحمل عنوان: (الصعايده وصلوا) في الرد على المتنطعين الهازلين لأوقفهم عند حد. واليوم أكتب هذه القصيدة تهنئة لأهل الصعيد وصولهم وإن كره الحاقدون. كما أعرّج فيها على ما ينبغي عليهم الالتفات إليه في مرحلتنا الحضارية. وضلت أقوام يعتبرون أهل الصعيد لا علاقة لهم بالعرب! وهذا محض كذب وإفك مفترى. فلقد سكنت الصعيد قبائل عربية معروفة إلى اليوم! وفي محاضرة بعنوان: (رسالة إلى الشرفاء) يقول الأستاذ سالم العجمي ما نصه: (إن الغيرة على العِرض والشرف ما تميز به العرب ؛ حتى قبل أن تشرق الشمس بنور الرسالة المحمدية ؛ فكان العرب يفخرون بذلك ويبذلون في سبيل الحِفاظ على عِرضهم الغالي والنفيس. فإن العرب الذين أنتم من سلالتهم ؛ كانوا يتميزون بالخلق العالي وهو الغيْرة على الشرف. والغيْرة على الشرف من أعظم المنازل ؛ وهي دليل على الفحولة والرجولة ؛ ومن أفلت زمام الأمر ؛ عُدَّ من سقط المتاع فلا قيمة له ولا قدر).هـ. يَنهى- تعالى - عن السخرية بالناس ، وهي احتقارُهم والاستهزاء بهم ؛ كما ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (الكِبْر بَطرُ الحق ، وغمص الناس - ويروى: وغمط الناس) ، والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام ؛ ولهذا قال - تعالى -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) ، وقوله - تبارك وتعالى -: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) ؛ أي: لا تلمزوا الناس ، والهمَّاز اللمَّاز من الرجال مذمومٌ ملعون ؛ كما قال - تعالى -: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) ، والهمزُ بالفعل ، واللمزُ بالقول ؛ كما قال - عز وجل -: (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) ؛ أي: يحتقر الناسَ ويهمزهم طاغيًا عليهم ، ويمشي بينهم بالنميمة ، وهي اللمز بالمقال! ولهذا قال ها هنا: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ)، كما قال: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) ؛ أي: لا يقتل بعضُكم بعضا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) ؛ أي: لا يطعن بعضكم على بعض. وقوله - تعالى: (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) ؛ أي: لا تدعوا بالألقاب ، وهي التي يسوء الشخصَ سماعُها. قال الإمام أحمد: قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينةَ وليس فينا رجل إلا وله اسمانِ أو ثلاثة ، فكان إذا دعا أحدًا منهم باسم من تلك الأسماء ، قالوا: يا رسول الله ، إنه يغضب من هذا ، فنزلت: (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) ، رواه أبو داود. والصعيد في أصل تكوينه قبائل عربية أصيلة لها ما للعرب من سؤدد وكرامة وأصالة! والأستاذ

محمود عبد الوارث يؤكّد أن هناك ستة عشر عائلة معروفة في صعيد مصر ، بعضها انحدر من شبه الجزيرة العربية ودول المغرب ، فيقول ما نصه: (بعيدًا عن تدهور الحياة المعيشية في بعض القرى الصعيدية ، والحفاظ على تقاليد وعادات بعضها غير مستحبة لمن يعيشون خارج تلك البقعة ، يظل الجنوب هو أصل للعديد من الشخصيات العامة المؤثرة في حركة البلاد بأسرها سياسيًا كان أو اقتصاديًا. على أرض الصعيد انحدرت عائلات من مختلف بقاع الأرض ، من شبه الجزيرة العربية وحتى دول المغرب ، لتصبح المنطقة أشبه بنقطة تلاقٍ للثقافات المختلفة. * العائلة الأولى: عائلة قرشي تعيش عائلة «قرشي» في محافظة أسيوط مركز ديروط ، وأساسها هو قطب باشا قرشي ، وشقيقه «أحمد» ، فكان الأول عضو بمجلس شورى القوانين ، والثاني عضو بمجلس النواب والشيوخ ، وتعود أصولها إلى شبه الجزيرة العربية. شاركت العائلة في ثورة 1919م ضد الاستعمار البريطاني ، حينما تربص أحمد باشا قرشي ، رفقة أهالي أسيوط ، بالقطار الإنجليزي ، وقضوا على ما به من قيادات إنجليزية. حرصت العائلة على التواجد تحت قبة البرلمان ، ومن أبرز أفرادها ، بجانب «قطب» و«أحمد» ، هو سيد بك قرشي ، الذي ظل عضوًا بمجلس الشيوخ حتى عام 1952م ، بينما كان إبراهيم بك عضوًا في مجلس الأمة ، وهو التواجد الذي استمر حتى مصطفى أحمد قرشي ، كنائب بمجلس الشعب ، وحمادة زين قرشي في مجلس الشورى عام 2010م. * العائلة الثانية: عائلة رضوان في قرية الزيتون بمركز ناصر شمال بني سويف ، تتواجد عائلة «رضوان» ، التي ينتمي إليها أحمد سالم رضوان خال المذيع الكروي محمد لطيف ، والذي عمل مديرًا عامًا لمصلحة الطرق في السابق ، وعضوًا بمجلس إدارة نادي الزمالك ، كما أنجب ولدين هما اللواء محمد أحمد سالم ، أحد أبطال حرب أكتوبر ، والثاني اللواء سعيد أحمد سالم. فيما يُعتبر شكري رضوان كبير العائلة ، من خلال جهوده الكبيرة في عقد جلسات الصلح واللقاءات العُرفية ، وذلك لكونه ابن عمدة القرية حسن رضوان ، كما أنه كان نائبًا بمجلس الشورى لدورة واحدة ، وفي مجلس الشعب دورتين. وسار نجله على نفس النهج، وهو المستشار محمد شكري رضوان ، الذي حافظ على وجود منصب العمودية في العائلة. نتيجة بحث الصور عن حمد باشا الباسل. * العائلة الثالثة: عائلة مؤمن بالانتقال إلى الفيوم ، تبرز عائلة «مؤمن» في قرية طبهار ، وهم من عرب الرماح الذين يرجع نسبهم إلى قبيلة الفوايد ، فيما يعود الأصل إلى الجبل الأخضر بليبيا. من الأسماء البارزة فيها حمد باشا الباسل ، المنفي مع سعد باشا زغلول إلى جزيرة سيشل ، بينما مثّل خالد مؤمن دائرة الفيوم بالمجلس النيابي عام 1935م ، وسبقه بـ 5 سنوات شعبان بك مؤمن ، عضو بمجلس الشيوخ ، وتبعهما الدكتور حافظ محمد مؤمن سنة 1936م ، وهي الرحلة التي امتدت حتى الألفية الثالثة. * العائلة الرابعة: عائلة العتامنة في مركز قوص بمحافظة قنا ، تتواجد عائلة «العتامنة» ، وهي الفرع الرئيسي لـ «آل عتمان» ، في حين تنحدر أصولها من إحدى القبائل المغربية التي ينسب إليهم عرب «السماعنة» ، والذين يقطنون شمال سيناء ، كما لها فروع كذلك في مركز إسنا ، وفي أسيوط وكوم أمبو ودشنا والشرقية ، ويصل تعدادها إلى 30 ألف نسمة. وعلى الجانب الآخر انتمى عتمان محمد عتمان إلى الاتحاد الاشتراكي على مستوى مركز قوص. * العائلة الخامسة: عائلة أبو ستين في محافظة سوهاج بمركز البلينا ، تتواجد عائلة «أبوستين» ، التي ينتسب إليها حيدر باشا أبو ستيت الذي نُفي إلى السودان لموقفه من

الاستعمار البريطاني ، بسبب تأييده لحزب الوفد. * العائلة الخامسة: عائلة عبد النور. وبالتوجه إلى جرجا ، تتواجد عائلة «عبدالنور» ، التي ينتسب إليها الوزير السابق منير فخري عبدالنور. * العائلة السادسة: عائلة الشريف. في سوهاج أيضًا ، بالتحديد في مركز أخميم ، تتواجد عائلة «الشريف» التي ينتسب إليها نقيب أشراف مصر السيد محمود الشريف. * العائلة السابعة: عائلة عاشور أما في مركز ساقلتة بسوهاج ، توجد عائلة «عاشور» ، التي انحدر منها سامح عاشور ، نقيب المحامين. * العائلة الثامنة: عائلة عامر في قرية أسطال بمحافظة المنيا ، تتواجد عائلة «عامر» ، وحسب المنشور طُبق على العمدة ، الذي ينتمي إليها ، قانون الإصلاح الزراعي ، وينتمي إليها كذلك الراحل مصطفى عامر صاحب المقعد الدائم في مجلس الأمة ، وحسن عامر ، رئيس الزمالك الراحل ، ونجله طارق عامر ، محافظ البنك المركزي. * العائلة التاسعة: عائلة الرفايعة. تنحدر عائلة الرفايعة من قبيلة العرينات في البحر الأحمر ، وينتسب إليها العديد من الفرسان والشعراء حسب المنشور ، منهم «جياش بن قيس العوربن ، الذي قُتل في معركة اليرموك ، ومنها أيضًا فارس بني عامر ، ومن أشهر نساء القبيلة أم المؤمنين زينب بنت خزيمة العامرية ، وأم المؤمنين ميمونة بنت يزيد العامرية». * العائلة العاشرة: المعازة. في البحر الأحمر أيضًا تتواجد قبيلة «المعازة» ، والتي تتواجد بين الزعفرانة حتى قرية النصر ، ويعيش أفرادها في صحراء القصير والصحراء الشرقية ، في المنطقة الواقعة بين البحر الأحمر ووادي النيل. * العائلة الحادية عشرة: عائلة الزمبيلي. تعيش في مدينة الزينية بمدينة الأقصر ، وتعود أصولها إلى شبه الجزيرة العربية ، ومن أشهر أفرادها العمدة إبراهيم الزمبيلي ، الذي أبعد قريته وعائلته عن الخصومات الثأرية. * العائلة الثانية عشرة: عائلة العماري. ترجع أصولها إلى شبه الجزيرة العربية ، ويعيش أفرادها في الكرنك بمدينة الأقصر ، وحسب المنشور كان «العماري» يرافق عبدالرحيم القنائي ، حتى استقر هو في الأقصر ، في حين أقام الأخير في قنا. من أبرز أفرادها الطاهر خليل العماري ، عضو بمجلس النواب عن حزب الوفد، والدكتور محمد أبوالمجد خليل العماري ، عضو مجلس الشعب في عام 2005م. * العائلة الثالثة عشرة: عائلة الذخيرة. في الوادي الجديد ، تتواجد عائلة «الذخيرة» ، التي تعود جذورها إلى المغرب العربي في الساقية الحمراء ، ومنها اتجهت إلى صحراء ليبيا ، ثم إلى الواحات بالوادي الجديد ، حسب المنشور. وحسب التقرير: «استقر ذخيرة الأول في البلاط الإسلامي وأصبح شيخًا من مشايخ المنطقة ، يقطن أحد أبناء العائلة في منطقة بعيدة عن البلاط ذات طبيعة صحراوية ، فاستخراج المياه من الآبار ، ومع مرور الزمن تجمعت الناس حوله واستقر هناك ، وعمل بالزراعة وتحول المكان إلى قرية ذات شأن إداري ، وكبيرها الآن الحاج عبد الوهاب ذخيرة ، وهو نائب أول لمركز ومدينة بلاط». * العائلة الرابعة عشرة: الدابودية. الدابودية هي من أشهر العائلات في محافظة أسوان ، وسُميت بذلك لإقامة أفرادها في قرية دابود. * العائلة الخامسة عشرة: عائلة وهبة. تعيش في مدينة أوسيم ، وتمتلك ربع مساحة الأراضي الزراعية ، وتقطن على وجه التحديد في منطقة المطحن ، ويصل عدد أفرعها إلى 21 فرعًا. * العائلة السادسة عشرة: عائلة الزمر هي أشهر عائلات جنوب الجيزة الموجودة في مركزي ناهيا والبدرشين).هـ. والصعيد ظل يحافظ على التقاليد الطيبة والعادات الأصيلة والأعراف العظيمة إلى اليوم! وتحت عنوان: (نساء الصعيد: التقاليد "مقدسة تقترب من قداسة الدين" تقول الكاتبة والصحافية

المصرية منى علاّم ما نصه: (يفرض مجتمع القرية على نسائه العديد من القيود والمحاذير من خلال العادات والتقاليد السائدة هنا ، تلك التي لا يسمح لهن بالخروج عليها ، فهي "مقدسة قداسة تقترب من الدين" على حد تعبير إحدى الفتيات في قريتي. يطال ذلك خيارات التعليم والعمل والزواج والأنشطة التي يمكن أن يمارسنها أو الأدوار التي يمكن أن يقمن بها ، وغير ذلك من تفاصيل تقابلها المرأة في حياتها اليومية. قد تختلف درجة التقييد أو الحرية المتاحة للمرأة من أسرة لأخرى لكن الجميع يخضع في النهاية لثقافة تميّز الذكر ، منذ الميلاد ، وتضغط على الأنثى وتفرض عليها إطاراً يجب أن لا تتجاوزه. وتزداد وطأة هذه الضغوط على غير المتعلمات وغير العاملات ، فالوظيفة تتيح للمرأة الاستقلال المادي وتعطي لها الحق في الخروج من المنزل بصورة يومية ، ومن ثم يتاح لها ، وإن "جزئياً" ، تجاوز الفكرة السائدة أن "كثرة خروج البنات مستنكَر" ، وهو أمر يعد مكسباً ثميناً هنا في ظل غياب أنشطة يمكن للمرأة أن تشارك فيها ، سواء رياضية أو ثقافية أو ترفيهية أو خيرية. قليل من هذه الأنشطة قد توجد في المدينة ، ولكن بعد المسافة ، ورفض الأهل يصعّب عليهن الذهاب والمشاركة ، لاسيما مع المسؤوليات المنزلية الكثيرة الملقاة على عاتقهن ، ومن ثم ينحصر نشاط الفتيات غير العاملات هنا في تأدية الأعمال المنزلية ومشاهدة التلفاز ، وقد يسمح لهن بالجلوس مع جارة أو زيارة صديقة أو الذهاب. وتنتشر الأمية بين كبيرات السن ، أما الأصغر فيلتحقن بالتعليم مع اختلاف الدرجة التي يصلن إليها فيه ، فهناك الجامعيات والحاصلات على مؤهلات متوسطة أو فوق المتوسطة ، وهناك متسرّبات من التعليم غالباً بعد إتمام المرحلة الإعدادية ، لأسباب اقتصادية أو ثقافية ، خاصة أن المدرسة الثانوية تقع خارج القرية ، فيمكثن في المنزل إلى أن يتزوجن. وتتحمل النساء المتزوجات أو المعيلات هنا قدراً ضخماً من مسؤوليات الأسرة ، خاصة مع سفر كثير من الأزواج والأبناء بحثاً عن عمل. وتبدو مسؤولياتهن المنزلية أكبر من مسؤوليات نظيراتهن في المدينة ، فهي تشمل أيضاً إعداد الخبز الشَّمسي أو "الخَبِيز" (مع وجود أفران تبيع الخبز "المصري") ورعاية البهائم إن وجدت ، وإن اقتضى الأمر إحضار طعامها من الحقول في غياب الأزواج والأبناء بل وحتى مع وجودهم! ثم تقوم منى علام بجولة ميدانية فتضيف: على دكة خشبية جلست "سارة" ساعةَ مغرب ، تريني رسومها على صفحات كراسة رسم. لم تكن كراستها المدرسية ، فقد تركت سارة المدرسة منذ عامين بعد أن أتمت المرحلة الإعدادية ، بل هي أُحضِرَتْ في الأصل لأختها الصغرى فأعجبتها وأخذتها لنفسها كي تخط على صفحاتها رسومها. كانت تلك الفراشة زاهية الألوان المطبوعة على غلاف الكراسة أول ما أعادت سارة رسمه على الصفحة الأولى ، وعلى الصفحات التالية تتابعت رسومها لشخصيات كرتونية تشاهدها في التلفاز أو لصور تضمها الكتب المدرسية الخاصة بإخوتها الصغار ، أو غير ذلك مما يستهويها ويدفعها لأن تمسك بالقلم لتعيد رسمه من مخيلتها أو من صورة أمامها. تخبرني ، وهي جالسة مرتدية عباءة وردية اللون ، وممسكة بكراستها بيدين مطليتي الأظافر ، أنها كانت تود لو أكملت تعليمها والتحقت بالثانوي الصناعي قسم الزخرفة ، فهو الأنسب لهوايتها التي لم تبدأ في ممارستها إلا بعد مغادرة المدرسة ، ولكنّ أباها قرر أن هذا القدر من التعليم يكفي ، ونفذت هي القرار بهدوء ، إذ لا يبدو عليها حزن أو حسرة. "الكثيرات من زميلاتي في المدرسة لم يكملن تعليمهن مثلي لأن آباءهن أو خطّابهن لم يسمحوا لهن بذلك".

تَقَدَّم لسارة ، التي تستيقظ يومياً في السادسة صباحاً لتؤدي الأعمال المنزلية الملقاة على عاتقها تقدّم لها أكثر من خاطب ، منهم هذا الذي كان يريد الزواج خلال شهرين فقط ، وكان يبحث عن عروس يتراوح عمرها بين 16 و20 عاماً ، أما سنه هو فمسألة لا تهم كثيراً. بل لأن القدرات المادية للأسرة وقتها لم تكن لتتحمل تكلفة زواج جديد بعد زواج أختها الكبرى مباشرة. وحدها "كراسة الرسم" تمثل فعل المقاومة الوحيد الذي تقوم به سارة ، دون وعي منها ، وبالتأكيد بصورة مؤقتة. وتحت ضوء مصباح خافت ، فقد جنّ علينا الليل ونحن جلوس ، تسترسل الأم في الحديث عن تفاصيل زواج ابنتها الكبرى ، وتشاركها سارة في رواية ما فعله أهل الزوج ، وقريباته خصوصاً ، أثناء التجهيز ، وما اشترته أختها العروس من أثاث وملابس. حديث لا يناسب ملامحها الطفولية. أما عن العريس المنتظر لها فتقول على استحياء إنها تريده "محترم ومن عائلة طيبة" ، وبينما الأم لا تهمها مسألة سِنه ، فإن الابنة تجادلها في ألا يزيد عمره عن 31 عاماً. يستمر الحديث إلى أن يقطعه صوت الوالد آتياً من منزل مجاور ، ينادي على "سارة" لتجهز له طعام العشاء ، كما هي العادة اليومية ، فتغادرنا على الفور مسرعة ، وتلحقها بعد فترة وجيزة أختها الصغرى. وأما زكيّة فهي امرأة سبعينية تراها دوماً بجلبابها الأسود وطرحتها ذات اللون نفسه. بعد وفاة زوجها منذ سنوات صارت تتولى زراعة الأرض التي تمتلكها الأسرة ، فعاودت نشاطاً قديماً كانت تمارسه قبل الزواج. تقوم بنفسها ـ بالرغم من السن والجسد النحيل ـ بالعديد من أعمال الزرع والحصاد للمحاصيل التي تزرعها من قصب وقمح وذرة وبرسيم ، وتؤجر أناساً للقيام بأعمال أخرى أكثر صعوبة. تذهب في الصباح الباكر إلى الحقل لإحضار ما يأكله بهائمها وتعود قبل الظهر ، وهو ما يعرف هنا بـ"الحشيش الأخضر". "كثيرات يذهبن إلى الحشيش معظمهن كبيرات السن ، وهناك فتيات أيضاً لكن من بنات العرب" أي من القبيلة الأخرى ، فالبعد القبلي هنا حاضر باستمرار. تتسم زكية بحسّ فكاهي ، فقد أضحكتنا عندما سألتها عن أحوال هؤلاء النسوة ومشاكلهن فأجابتني "مشاكلهم؟! شاربين المَرار في الحشيش". بالنسبة لنا كنساء لا يوجد أي مكان يتيح لنا ممارسة أي نشاط ، لا أستطيع مثلاً أن أصطحب صديقتي للخروج إلى أحد أندية المدينة ، سترفض أسرتي خوفاً من كلام الناس. تتولى زكية أيضاً البيع في محل للأسرة يحتلّ إحدى حجرات منزلها. وعلى الرغم من كونها أميّة فإنها تسجل بالقلم في دفتر خاص علامات بسيطة عبارة عن خطوط طولية ودوائر صغيرة تحسب بها إنتاج أرضها وما أنفقت عليها من مصروفات. وبحفاوة بالغة ، وكرم الناس هنا مما يُحْكَى عنه ، استقبلتنا "إيمان" وشقيقتها في منزلهما. فتاتان في أواخر العشرينيات حاصلتان على مؤهل جامعي. أشعرتني ابتسامتهما بالألفة وجعلت الحديث بيننا يمضي بأريحية بالرغم من أنه لقاؤنا الأول. ولكنّ ابتسامة "إيمان" تختفي ما إن يمس الحديث قصتها ، ويعكس وجهها على الفور شعوراً بالمرارة والحزن. تجسد قصة "إيمان" شكلاً آخر من أشكال القهر الذي تتعرض له النساء هنا ، تحديداً أولئك المنتميات إلى قبيلة "الهَوَّارَة" التي تبدو تقاليدها أكثر صرامة وتحكّما ، وتمتد عائلاتها عبر محافظات مختلفة في الصعيد ، وهم يمثلون نسبة معتبرة من سكان القرية ، إذ ترفض هذه العائلات تزويج بناتها من خارج القبيلة ، بل الأكثر من ذلك ، أن فرع "الهمّاميّة" ، أحد أفرع هذه القبيلة ، وهو الفرع السائد هنا ، يفرض على البنت أن تتزوج من الفرع نفسه ، أي لا بد أن يكون الخاطب "هوّاريّا همّاميا" كي يوافَق على طلبه. أما إيمان فقد

تقدم لها شاب رأت فيه الشخص المناسب والكفء لها من الناحيتين التعليمية والوظيفية ، ولكنه من فرع آخر ، بالرغم من انتمائه للقبيلة نفسها ، وافق الأخ ولكن الأعمام ، الذين يمثلون رؤوس العائلة ، رفضوا رفضاً تاماً. إن كنتِ إذاً مثل "إيمان" ، فتاة هوَّاريَّة همَّاميَّة ، فأنت وحظك ، إما أن تظفري بزوج مناسب من بين من يتوفر فيهم هذا الشرط الذي يسبق أي شرط آخر ، وإما أن ترضي بـ "المتاح" من أبناء فرع قبيلتك السامي ، حتى إن كان أقل في المستوى التعليمي أو المهني ، أو تبقين هكذا بدون زواج. بينما الرجل يمكنه أن يتزوج من يشاء ، وإن كانت الأغلبية تفضَّل الزواج بالطريقة نفسها. فالسائد الالتزام بهذا التقليد القَبَلي حتى من جانب الشباب الحاصلين على مؤهلات عليا الذين درسوا خارج القرية وزاروا مدناً أخرى ، بل لعلهم أول من يتعصبون له. الغريب أن بعض الفتيات يرفضن الزواج من خارج قبيلتهن ، بل إن إحداهن أخبرتني أنها رفضت أحدهم لأن أمه أو جدته ليست من قبيلة "الهوارة" وهو ما اعتبرته شيئاً يشينه. "الزواج عندنا تقليدي ، ففي الغالب يتم عبر المعارف والعائلات. مجتمعنا منغلق لا يتيح لك أن تتعرفي على أحد أو أن يعرف كل طرف شخصية وأفكار الطرف الآخر قبل الارتباط. والمعيار الأساسي في أي زواج مدى جهوزية العريس مادياً بغض النظر عن طباعه أو سلوكه". فبالرغم شعورها بالظلم فإن "إيمان" ما تزال متمسكة بالأمل ، تساندها نزعتها الإيمانية التي تلمسها من حديثها. وأما "عبير" فتاة في الثلاثين من عمرها ، تعمل بالتدريس ، تقول: بالنسبة لنا كنساء لا يوجد أي مكان يتيح لنا ممارسة أي نشاط ، لا أستطيع مثلاً أن أصطحب صديقتي للخروج إلى أحد أندية المدينة ، سترفض أسرتي خوفاً من كلام الناس. كل ما يمكنني ممارسته من نشاط بخلاف العمل ، وبعض الواجبات البيتية بطبيعة الحال ، تصفح الكتب على الإنترنت ، وأحياناً أطلب من أخي الذي يدرس في "قنا" أن يشتري لي بعض الكتب من هناك وأتبادلها مع صديقات هنا. ترى "عبير" التي لم تستطع خلال مسارها المدرسي الالتحاق بالتخصصات التي تتمناها لعدم توافرها إلا في المدينة البعيدة ، أن الأجيال الجديدة من البنات هنا تختلف عن جيلها: "الآن أصبح كل تفكيرهن في الزواج منذ المرحلة الإعدادية". تضيف: "الزواج عندنا تقليدي ، ففي الغالب يتم عبر المعارف والعائلات. مجتمعنا منغلق لا يتيح لك أن تتعرفي على أحد أو أن يعرف كل طرف شخصية وأفكار الطرف الآخر قبل الارتباط. والمعيار الأساسي في أي زواج مدى جهوزية العريس مادياً ، بغض النظر عن طباعه أو سلوكه حتى إن كان يتعاطى نوعاً من المخدرات. ما يهمني أن يكون الشخص ملتزماً أخلاقياً. معظم الشباب هنا مسافرون ، وأنا لا أريد أن أكرر تجربة أمي في الزواج من رجل دائم السفر والابتعاد عن أسرته مثل أبي ، كانت أمي تتحمل المسؤولية كاملة ، ولا أذكر على الإطلاق أنه حدثني ذات مرة في أي موضوع". تبحث "عبير" حالياً عن فرصة للسفر في إعارة إلى إحدى الدول العربية "سبقتني فتاتان من القرية هنا سافرتا منذ فترة للعمل ، لم يكن المال دافعهما فمستواهما المادي مرتفع ، بل كتجربة جديدة تتيح الخروج من هذا المجتمع الضاغط الذي ما يزال يجلدهما بالانتقاد والأقاويل ، حتى من قبل المتعلمات ، لسفرهما بمفردهما". ليست "عبير" متأكدة من موقف أهلها إزاء السفر، فزميلتها جاءتها فرصة للإعارة ولكن أخويها (أحدهما مهندس والآخر محاسب) رفضا لأنها غير متزوجة ، ولكنها تؤكد أنها سوف تصرّ على السفر إن وجدت الفرصة المناسبة "لم أعد أتحمل المزيد من الضغوط التي يمارسها عليّ هذا المجتمع". وهناك أخريات

يتحدين الواقع الصعب والتقاليد الخانقة ، يعملن لتطوير أنفسهن وتحقيق ما يطمحن إليه ، بدعم من أسرهن في الغالب أو على الأقل من أحد أفرادها. وهذي هند ، امرأة ثلاثينية تعمل موظفة حكومية ، وعلى وشك مناقشة رسالة الماجستير. قليلات هنا من يستكملن دراساتهن العليا ، فأقرب جامعة ، وهي جامعة قنا ، تبعد على الأقل مسافة ساعة ونصف ذهاباً ومثلها إياباً ، كانت هند تقطعها ثلاث مرّات أسبوعيّاً في رحلة تبدأ غالباً بعد ساعات العمل ، فتكون العودة في المساء ، ومن ثم تكثر أسئلة المحيطين "يسألون لماذا أكمل دراستي بالرغم من كوني موظفة؟ أنا أريد العلم لذاته ، أنا لا أستفيد مادياً من أبحاثي بل على العكس تكلّفني الكثير ، وأتمنى أن أكمل الدكتوراه بعد الماجستير". تحرص هند أيضاً على حضور بعض الدورات في نجع حمادي وقنا ، أو عبر الإنترنت ، ولا تتوانى عن السفر إلى القاهرة أو الإسكندرية للاطلاع على رسالة جامعية في تخصصها. مرت بتجربة زواج لم تستمر كثيراً من أحد الأقارب. المطلقة في مجتمع كهذا تتعرض لمزيد من الضغوط والتضييق وتكون دائماً "تحت النظر" ، مثل الأرملة التي خاصة إن كان لديها أطفال ، تتشح بالسواد حتى تلحق بزوجها. ولكنّ هند ، التي ترى أن أكثر ما يؤرّق المرأة الصعيدية تدخّل الناس في حياتها ، لم تستسلم للخوف من كلام الناس لأن ذلك سيجعلها عاجزة عن تحقيق ما تطمح إليه. كان زوجها السابق رافضاً لرغبتها في استكمال دراستها العليا ، وكان هذا أحد أوجه الخلاف بينهما ، ولعله ما جعلها متحفظة من تكرار التجربة "لا أريد أن يوقف أحد أحلامي مرة أخرى". تؤكد هند أن أهم شيء للمرأة دراستها وعملها ، وأن المرأة العاملة أكثر قدرة على تنظيم بيتها وإدارته. وتقول إن استقلالها المادي هو الذي ساعدها ، إلى جانب دعم أسرتها ، فهي على الأقل لم تمنعها من فعل ما تريد ، كما أنها قد تربّت وأخواتها على الاعتماد على الذات ، فالأب متوف والأخ الأكبر ظل لفترات طويلة غائباً إما للدراسة أو للعمل. "كنت أريد أن يصبح لحياتي معنى بعيداً عن دوامة الأعمال المنزلية التي أقوم بها ليل نهار ، أن أعيش لهدف ، وأطور نفسي للأفضل". أما نجلاء ، وهي في العشرينيات من عمرها ، فتقول: "أكثر ما أفتقده هنا الحرية الشخصية ، في كل شيء ، في الدخول والخروج ، في اختيار شريك الحياة. يؤمن الناس هنا أن الفتاة ليس من حقها أن ترد خاطباً ما دام جاهزاً مادياً ، وإن فعلت تصبح مادة للحديث خاصة إن تجاوزت سناً معينة. ولا يمكن أن يتفهموا رغبة الفتاة في أن تتوافر مواصفات معينة في شريك حياتها. لم يجبرني والدي على القبول ، ولكنه بدأ يسيء معاملتي أكثر بعد أن رفضت أكثر من خاطب لم أجد بينهم الشخص المناسب". تضيف نجلاء ، التي تعرضت للعنف البدني مرّات من قبل أبيها وأخيها الأكبر ، إن قراءة الكتب في مجال علم النفس وكيفية التعامل بين الناس وتفاهم المقبلين على الزواج ، التي ما كان لها أن تحصل عليها من مصدر آخر هنا. ولكن هذا جعلها أيضاً تشعر بالاغتراب عن مجتمعها لعدم قدرتها على تطبيق ما تتعلمه في هذا المجتمع الذي تصفه بالمتخلّف. ولذلك تشعر في بعض الأحيان بتفضيل الجهل على العلم. ونجلاء حاصلة على مؤهل متوسط ، ولكنها التحقت منذ فترة بالجامعة المفتوحة للحصول على مؤهل جامعي "كنت أريد أن يصبح لحياتي معنى بعيداً عن دوامة الأعمال المنزلية التي أقوم بها ليل نهار ، أن أعيش لهدف ، وأطور نفسي للأفضل". وإذا كانت الأم تمارس في بعض الأحيان دوراً سلبياً وتتحول إلى أداة لقهر بناتها ، فإن هناك أمهات يدعمن بناتهن. فعلى الرغم من أن والد نجلاء مقتدر مادياً فإنها تعتمد على أمها في توفير مصروفات

الدراسة المرتفعة: "لم أخبر والدي بالكثير من التفاصيل عن كليتي خشية أن يرفض الأمر ، ولو علم مقدار المصروفات سيمنعني من الذهاب ، لذلك أنا أعتمد على أمي ، هي لا تعمل ، ولكنها تبيع مما تمتلكه من خِراف ، وفي أحد الفصول الدراسية اضطرت لبيع قرطها الذهبي لتوفير المصروفات اللازمة". يجعلها ذلك تشعر بضغط عصبي كبير أثناء الامتحانات مخافة ألا تتمكن من النجاح. تتمنى نجلاء أن تكمل تعليمها وتحصل على الشهادة الجامعية ، وأن تجد وظيفة حكومية توفر لها دخلاً تستطيع أن تنفق منه على تعليمها، ولكنها ترى ذلك صعباً بسبب انتشار الوساطة ، فقد تقدمت الى أكثر من وظيفة حكومية دون جدوى ، كما أن أهلها ، ككثير من العائلات هنا ، يرفضون عمل بناتهم في القطاع الخاص ، في أحد المحال أو الصيدليات مثلاً ، إذ يرون في ذلك انتقاصاً. تجمّع في واقع هؤلاء النسوة مآل عقود طويلة ظُلِمَ خلالها الصعيد وأهمل بدرجة مضاعفة ، من تخلف ثقافي واجتماعي وتعليمي وخدمي ، ومن انتشار للبطالة وغياب للقانون وللتنمية الحقيقية. على رؤوسهن وقع النصيب الأكبر من كل ذلك ، يواجهنه وحيدات دون أن تُمَدّ لهن يد ، فلا الدولة قائمة بواجبها ولا المجتمع المدني له هنا وجود. كثيرات يبتلعهن المجتمع في دوامته دون أن يعين ، وأخريات يخترن الاستسلام لواقع يعجزن عن تغييره ، وهناك من يبحثن عن فرصة للهرب ، وهناك من تأكلهن الأمراض النفسية والعصبية جرّاء الضغوط ، ولا تزال هناك من يرفضن الانسحاق ويتحدين ظروفهن الصعبة ، على قدر إمكانهن ، آملات في مستقبل أفضل ، جميعهن له مستحقات. على جانبي طريق أسفلتي يربط بين القرى والمناطق ، تسير فوقه العربات وتصطفّ عليه بيوت ومحالّ ، يطلق عليه هنا "الجسر" ، تمتد وتتفرع منه بصورة عشوائية طرق ترابية غير مستوية ، تتفاوت ضيقاً واتساعاً ، تضم البيوت والحقول. تغيّر بيت جدي تماماً إذ أعيد بناؤه بالخرسانة المسلحة التي صارت السمة الغالبة على البيوت هنا ، وهي تتكون من طابقين في الغالب ، وأحيانا ثلاثة ، إذ يسود نظام الأسرة الممتدة. بدا البيت الجديد غريبا عليّ ولم أستطع الانفعال به. أفتقد البيت القديم الذي كان مبنيا بالطوب اللبن ، لم يبق من آثاره إلا القليل: الفرن الطيني الذي بات يزاحمه "فرن الأنبوبة" ، وهو فرن معدني كبير موصّل بأسطوانة غاز ، والحظيرة التي باتت خاوية إلّا من بعض طيور. بيعت البهائم بعد سفر الأنجال إلى الخليج إذ لم يعد هناك من يرعاها. وقد صار الفرن والحظيرة يحتلان فناءً خلفيا بعد أن كانا جزءاً طبيعياً من البيت. أفتقد الردهة الواسعة والحجرات والأثاث البسيط ، والباب الخشبي الكبير ذو المِزْلاج ، وعتبته الرخامية العريضة التي كانت لجدتي مجلساً ، ولنا في جلساتنا الليلية ، وكافة تفاصيله التي تحمل الذكريات. الأواني الفخارية الكبيرة (الزير والعِلاوة) التي كان ماؤها قادراً على إروائك كما لا يقدر أي ماء آخر ، حلّت محلها أوان بلاستيكية مخصصة لحفظ الماء بارداً. وصلَت المياه إلى معظم البيوت ولم تعد هناك. التركيبة السكانية هنا تتكون من عائلات قبيلتي الهوّارة والعرب ، وعدد من الأسر النصرانية. الاعتبارات القبلية والعائلية هي التي تحكم مجتمع القرية. فكل العائلات تعرف بعضها البعض إن لم تكن تربطها درجة ما من القرابة. كان يمكن لمهمة صحافية مستعصية أن تُسهَّل بمجرد أن أخبر من أحدّثه أنني من عائلة فلان أو "من بيت فلان" بالتعبير السائد هنا. ولكن مثّل هذا ضغط من نوع آخر ، فما يعدّ بالنسبة لي عملاً عادياً من مقتضيات العمل الصحافي ، قد يكون هنا سلوكاً غير معتاد ، يثير انتقاداً وامتعاضاً واسعين ، خاصة أن الأخبار في القرية تنتقل بسرعة ويحيط بها القاصي

والداني خلال مدة قصيرة! قصب السكر هو المحصول الأساسي هنا (وفي محافظة قنا بوجه عام) ولكنّ المزارعين يشكون من أن شركة السكر (وهي تابعة لوزارة التموين) تشتري منهم المحصول بثمن بخس لا يتناسب مع ما بذلوه من مجهود وما تحمّلوه من مصاريف. فمع قلة حصة السماد المدعّم وعدم كفايتها يضطرون لشراء السماد الحرّ بتكلفة أعلى ، إلى جانب مصاريف الريّ والوقود اللازمين لتشغيل الآلات، وأجرة العمال الزراعيين ، وأجرة الجِمال المستخدمة في النقل. حتى مصاريف نقل القصب على عربات خاصة ، صار المزارع هو من يتحملها بعد أن كانت الشركة هي التي تتحملها. والمقابل الذي تعطيه للمزارع ليس فقط قليلاً بل أيضا لا يُدفع مرة واحدة وإنما على دفعات تستغرق وقتاً طويلاً مما يعطّل المزارع عن شراء ما تحتاج إليه الأرض من سماد في الدورة الزراعية الجديدة. التركيبة السكانية هنا تتكون من عائلات قبيلتي الهوّارة والعرب ، وعدد من الأسر النصرانية. الاعتبارات القبلية والعائلية هي التي تحكم مجتمع القرية. فكل العائلات تعرف بعضها البعض إن لم تكن تربطها درجة ما من القرابة. وفي ظل واقع الزراعة هذا وغياب مشروعات تستوعب طاقات الشباب هنا ، وغلق باب التوظيف منذ سنوات في المصانع والشركات الموجودة ، كمصنع السكر ، أو مصنع الألومنيوم (الذي يعدّ من معالم نجع حمادي) ، فإن نسبة كبيرة منهم ، بمختلف مستوياتهم التعليمية ، تتجه للسفر للعمل بإحدى دول الخليج وعلى رأسها السعودية ، كي يستطيع الشاب الاستعداد للزواج من بناء بيت وتجهيزه وشراء مصوغات ذهبية تكون ، وفقا للتقاليد هنا، بقيمة مرتفعة. أو السفر إلى إحدى المدن الكبرى أو السياحية القريبة للعمل. مما تغير أيضاً هنا أزياء الفتيات. صرن لا يختلفن في مظهرهن عن فتيات المدينة ، مع غطاء الرأس ودرجة من الاحتشام تفرضها التقاليد ، وهذا لا يمنع وجود استثناءات. أذكر أنّه في الماضي كانت إحدى الفتيات هنا حديث الناس لأنها كانت تتجرّأ وترتدي البنطال! فُتِح عدد من محالّ الملابس النسائية في القرية بعدما كان وجودها مقتصراً على المدينة. وهناك أيضا امرأة من خارج القرية معروفة هنا ، يقال لها "الحَلَبِيّة"، تأتي أسبوعياً ، تفترش الأرض ببضائعها وتلتف حولها النسوة يتفرجن على ما تعرضه من ملابس بيتية. زيّ الكبيرات في السن كذلك أصابه التغيير، لم يعد لـ "البِرْدَة" إلا وجود نادر ، وهي ملاءة سوداء من قماش ثقيل كن يلتحفن بها في مشاويرهن البعيدة ، حتى وإن كانت في ظهيرة أشد أيام الصيف حرّاً. وفي ظل غياب مشروعات تستوعب طاقات الشباب هنا ، وغلق باب التوظيف منذ سنوات في المصانع والشركات الموجودة ، كمصنع السكر ، أو مصنع الألومنيوم الذي يعدّ من معالم نجع حمادي ، فإن نسبة كبيرة منهم ، بمختلف مستوياتهم التعليمية ، تتجه للسفر للعمل بإحدى دول الخليج وعلى رأسها السعودية. وفي ليلة الحنّة هناك من يستقدم من يعرف هنا بـ "الشاعر" الذي يغني على الربابة أمام جمهور من الرجال، أما النساء فلا يسمح لهن بحضوره بل يجلسن في مكان بعيد. في الأفراح تبذل النساء مجهوداً ضخماً لإعداد كميات هائلة من الأطعمة والمخبوزات ليأكل الرجال أولاً ، حيث يتم إطعام المدعوين اللحوم والأرز والمحاشي إلى جانب مخبوزات الفرح كالكعك والبسكويت ، والمشروبات الغازية. وتأتي النسوة ، خصوصا من الأقارب والجيران ، إلى بيت أصحاب الفرح للمساعدة في إعداد هذه المأكولات. لا توجد أماكن للترفيه هنا للكبار أو الصغار الذين يتخذون من طرقات القرية مكانا للعب واللهو ، إلى جانب الألعاب الإلكترونية على أجهزة الحاسب والهواتف لمن تتوفر له.

يخبرني أحد الشباب هنا بأنه كان هناك مركز شباب به نشاط كرة قدم وتنس ، عمل لفترة ثم توقف بسبب إهمال القائمين عليه ، وتحولت ساحته إلى مكان لإقامة الأفراح مع بقاء موظفيه! لا مكان لممارسة الرياضة هنا إذاً سوى ملاعب خاصة لكرة القدم يرتادها بعض الشباب (الذكور) نظير مبلغ مالي يتراوح بين 50 و70 جنيهاً لكل ساعة. لا تصل المطبوعات إلى هنا. فلا جرائد ولا مجلات ، وبالطبع لا كتب. والقطار يصاحب مجرى النيل لإحدى عشرة ساعة ، ويمر بمحطات عديدة وبالأراضي الزراعية التي يكدّ فيها رجالٌ ونساءٌ طول اليوم. هنا استعادة لذكريات الطفولة ورسم لملامح الريفيين ، وعلى رأسهم الجدة الرشيقة العاملة بلا كلل ، والمشرفة بصرامة على نظام الحياة. بعد انقطاعٍ دام 15 عاماً أو يزيد ، أعود لزيارة قرية الأجداد ، "الشَّاورِيّة"، إحدى قرى مركز "نجع حمادي" بمحافظة قِنا. المناسبة: حضور حفل زفاف أحد الأقارب ، وهي أيضا فرصة لرؤية أناس تجمعني بهم قرابة وذكريات ، أو لي بهم سابق معرفة. وهذه السّنوات الطويلة قد تركت آثارها على الوجوه والأجساد والشخصيات ربّما ، وعلى المباني والبيوت ، وجوانب أخرى كثيرة تستعصي على الحصر. يبدو الأمر مثيراً للاهتمام وللمشاعر أيضاً. فالصعيد نزوره صغاراً في الإجازات الصيفية ، وكانت زيارته مصدر فرح ، فهي تعني اللّعب واللهو والانطلاق في طرقاته الترابية الآمنة من مرور السيارات إلّا فيما ندر ، وفي الحقول ، حقول الشمّام والبطّيخ والقصب الذي كنا نستمتع بمصّ أعواده وتزعجنا أوراقه الحادة التي تؤذي وجوهنا ونحن نسير. نشارك بنات وأولاد في مثل أعمارنا في اللعب بالطين ، أو في لعبة السبع طوبات ، أو في ألعابٍ أخرى اخترعت هناك وجرى توارثها ، تعتمد على موادّ من البيئة المحيطة كالحصى ، أو البوص (وهو نبات من نباتات المستنقعات المعمَّرة من الفصيلة النجيليّة على هَيئة القَصَب والغاب) ، الذي كنا نصنع منه عرائس ، أو الأغطية المعدنية لزجاجات المياه الغازية المستعملة. تحت "النخيل" نبحث عن البلح الطازج أو ننتظر أصحاب المهارة في التصويب ليقذفوه بالطوب ثم نتسابق على البلح المتساقط على الأرض ، أصفر أو أحمر أو أخضر لم يطب بعد. بائع "شَعْر البنات" الذي كنا ننتظره بلهفة عصر كلّ أربعاء (ما زلت أذكر اليوم جيداً) ، يقف في مكانه المعتاد ونذهب فرحين لنشتري منه حلواه المميزة التي تختلف عن تلك التي كنا نبتاعها من الدُّكّان ، ودكاكين القرية ملحقة ببيوت أصحابها ، وأحيانا يجري الشراء من البيت مباشرة. حظيرة البهائم أو "الحُوش" كما تسمى هناك ، وما تحويه من جاموس أو بقر ، وأغنام تُؤخذ للرعي في الحقول ، وحَمير كنا نسعد بركوبها الذي لا يكون ـ مثل اللعب ـ مسموحاً للبنات بعد سن معينة. وطيور متنوعة: حمام ، وأوز ، وبطّ يسمّى هناك "بُحّ" ، وجمل وحيد في منطقتنا كان يخصص له أصحابه مكاناً يراه منه الذاهب والآتي. لم تكن تلك الهالة التي تُضفي على الآتين من "مصر" أو "الإسكندرية" ، مختلفي المظهر واللهجة ، تمنعنا من الاندماج والمشاركة في كل نشاط ، كملء مستوعبات المياه من صنبور عمومي قريب أو طلمبة (مضخة) أو بِركة بعيدة ، أو الخروج مع البنات في الصباح الباكر في رحلات "الحشيش" إلى الحقول البعيدة ، وبأيدينا غالباً أو بالمِحَشّ نقطع حشائش الأرض ونملأ بها أكياساً متفاوتة الأحجام. كنت أختار أصغرها ، ولم أقدر يوما على ملئها ، فقد كانت المهمة صعبة للغاية ، ولذلك كنت دائما موضع سخرية من الرفيقات الماهرات ، ونسير بها ، ونحن نضعها على رؤوسنا إلى البيت حيث تُقدَّم للبهائم. كانت بالنسبة لنا نزهة ولهواً أكثر من كونها مهمة جديّة كما كانت للرفيقات.

ذكريات كثيرة جداً مع أماكن وأشخاص تفرقت بهم سبل الحياة ، أو رحلوا عنها دون وداع. الآن أستطيع أن أستمتع بمشاهدة الحقول والنخيل والشجر والدوابّ. كانت تلك المشاهدة ونحن أطفالاً تزيدنا تحمساً للرحلة ، ولا تزال عندي موضع اهتمام. جدتي أو "سِتِّي" كما كنا نناديها ، أو "امرأة الحاج" كما لُقِبَتْ بعد أن أدّى جدي الفريضة منذ زمن بعيد ، كانت الأكبر سنّاً ، في عقدها السابع أو الثامن (فأعمار هذا الجيل تُقدّر ولا تعرَف على وجه الدقة) ، والأكثر نشاطاً بين قاطني البيت الواسع العديدين. كانت تسير في يومها وفق نظام دقيق لا تغيّره. أول من تنام مساء وأول من تستيقظ فجراً ، تُطعم الطيور والبهائم وتُحوّل المياه من الصنبور العمومي لتملأ جميع الأواني الفخارية والمعدنية ، وتعدّ لنا في بعض الصباحات إفطاراً لذيذاً عبارة عن معكرونة أو أرز باللبن والسكر. تغضبها الطيور إن تخطّت حدودها إلى ساحة الدار ويغضبها الصغار إن رأتهم وهي جالسة على العتبة ، كعادتها ، يعبثون بالصنبور فتنهرهم من بعيد بصوت مرتفع. وفي صفوها توزّع عليهم الحلوى التي لم يكن دولابها الخاص يخلو منها ، ولا أعرف من أين كانت تأتي بها. تصر على قضاء حوائجها بنفسها ولا تستهويها أبداً مشاهدة التلفاز ، فقد كانت على ما يبدو متمسكة بعالمها القديم. ترك الزمن انحناءة على الظهر ولكنه لم يسلب المقدرة والإقبال على الحياة. وعلى الرغم من أنّها كانت تغطّي شعرها طوال الوقت ، فقد كانت حريصة على صبغه بالأسود أو بالحنّاء. ملابسها عبارة عن فساتين قاتمة اللون ، ذات أكمام طويلة ، تضيق عند الخصر ثم تتسع مما يناسب قوامَها الرشيق ، وتُظهر جزءاً من الساقين. كانت ترتدي خَلخالاً فضيّاً عريضاً ، أو ما يسمونه بـ"الحِجْل" ، لا تخلعه حتى عند نومها. في وجهها كان البِشْر ، وعلى لسانها كانت الدعوات. على أيّة حال ، الطفلة أو المراهقة التي كنتُها ، والتي لم يكن يهمّها سوى التنزه واللعب والمزاح مع الأقران ، أو الشجار معهم إن لزم الأمر ، صار همها الآن التأمّل والسؤال. رحلة السفر طويلة جداً ومرهقة. كانت رحلة ليليّة ، لا نوم متصلاً أو عميقاً ، بكاء الأطفال مزعج للغاية ، المرور المتكرر لعامل الـ "بوفيه" وهو يجرّ عربته أمامه عبر عربات القطار: شاي ، نسكافيه ، سندويتشات. وآخرون يصعدون في كل محطة: مشبّك. عيش ، فلافل. أحاول النوم وتفادي صرصار صغير ، ليس الوحيد هنا ، يسير بجانب مقعدي المجاور للنافذة. كيف يكون الحال في قطارات الدرجة الثالثة إذاً؟ ما أجمل وقت الفجر ، وذاك الضوء الخافت الذي يفصل عتمة الليل عن سطوع الشمس في نهار حارّ. الآن أستطيع أن أستمتع بمشاهدة الحقول والنخيل والشجر والدوابّ. كانت تلك المشاهدة ونحن أطفالاً تزيدنا تحمساً للرحلة ، ولا تزال عندي موضع اهتمام. جدتي أو "سِتِّي" كما كنا نناديها ، أو "امرأة الحاج" كما لُقِبَتْ بعد أن أدّى جدي الفريضة منذ زمن بعيد ، كانت الأكبر سنّاً ، في عقدها السابع أو الثامن ، فأعمار هذا الجيل تُقدّر ولا تعرَف على وجه الدقة ، والأكثر نشاطاً بين قاطني البيت الواسع العديدين. أما الأراضي الزراعية ممتدة أمام ناظريّ ، بعض رجال يعملون بها ونساء. يصحبنا النيل حيناً وحيناً نفترق. أرقب حركة الناس في الطريق وأتأمل وجوههم على كل محطة: أسيوط، طِما، جِرجا.. في الصباح الباكر لكلّ مقصده ، فرادى أو جماعات: المدرسة أو الجامعة أو الغيط ، وهناك من يذهب للعلاج. كتلك المرأة الستينية التي مقابل مقعدي في القطار مقعدها في محطة أسيوط حيث يكون التوقف لمدة أطول ، ممتلئة القوام دون الوجه الذي بدا جامداً مضطرب العينين ، لا تدري إن كان جموده يعكس شخصية صارمة أم يعكس ضيقاً طارئاً سوف يزول. كانت تحمل أوراقاً يبدو أنها

تحاليل طبية ، ومعها أيضاً كيس بلاستيكي شفاف يضم علب الأدوية. لا أعرف لماذا استوقفتني واستأثرت بانتباهي؟ ألوجهها الأسمر الذي ينبئ بملامح صعيدية أصيلة؟ أم لطرحتها السوداء المطرزة بالتركواز والملفوفة بإتقان فوق طرحة أخرى مكوّرة أعلى الجبهة بطريقة تلفت النظر؟ أم لحركات يديها التي تصحب حديثها مع شاب يجلس بجوارها ، مما ذكّرني بحركات نساء الصعيد اللائي كنت أراهن في القرية وهن يثرثرن معاً؟ بعض الوجوه أشعر نحوها بمشاعر ود ورغبة في التواصل ولكنّ زجاج نافذتي المحكم لن يوصل صوتي ، وددت لو التقت عينانا كي ألوّح لها بيدي وأبتسم. "شاي، شاي" ينادي الرجل ذو الجلباب الذي صعد القطار للتو حاملاً برّاداً كبيراً يتبعه طفل بأكواب بلاستيكية. فتيات وسيدات وطفلات صغيرات تصعدن للتسول من الركّاب (ظاهرة لم تكن موجودة). ما زلت أرقب البشر والمنشآت التي تمر سريعاً وتمثل واجهة تُخفي وراءها القرى البعيدة. رجال بالجلباب والعِمامة على حمير ، وهناك من يركب التكتوك ، مقر أحد الأحزاب ، قاعة أفراح ، جمعية السيدات القبطية ، شونة غلال طَهْطَا. من على بُعدٍ يظهر مبنى مدرسة ، وأمامها طفلان ، ليس بزي مدرسي في طريقهما إليها ، بل على عربة خضروات خشبية تمتلئ بالباذنجان. بعد إحدى عشرة ساعة تقريباً استنفدت الليل كلّه وساعات من النهار ، وصلنا إلى محطة "نجع حمادي" ، ومدينة نجع حمادي وقراها تقع في محافظة قِنا على بعد 80 كيلومترا شمال غرب الأقصر. بعد السلام والترحاب ، توجهنا إلى سيارة مخصوصة تنتظرنا لتنقلنا إلى القرية، لا مواصلات نقل عام هنا، سيارات تؤجر بالراكب أو مخصوصة يمتلكها بعض رجال القرية ويعملون عليها بتوصيل الأهالي عند الطلب ، أو تكتوك للمسافات القصيرة ، ولها أيضا الحمير يركبها الرجال. بعد نصف ساعة وصلنا القرية. مرحباً! هنا عالم آخر).هـ. وأما مصطفى الأسواني الصحفي المعروف فيقول ما نصه: (يرتبط الصعيد في جنوب مصر ارتباطًا وثيقًا بعادة الثأر ، حتى إنها صارت واحدة من علاماته الشهيرة ، وترتبط هذه العادة بمجموعة من الممارسات والسمات المختلفة التي تصنع في مجملها ثقافة الثأر ؛ ومعروف أن العادات تشكل جنسًا أساسيًا من أجناس الثقافة الشعبية ، سواء كانت مأثورًا أو تراثًا ، وهي الأساليب التي يتبعها بعض السكان في معيشتهم. ومن أبرز السمات التي تُشكّل ثقافة الثأر ارتباطها بالمجتمع الذي يقوم على "القبَلية" بقيمها المختلفة ، وأبرزها قيمة "العار" حيث إنّ قتل فرد من القبيلة يعني سُبة في جبين تلك القبيلة تنال من تاريخها ومستقبلها أيضًا ، ومن ثمّ يتحرك رد الفعل في ذلك الفضاء الواسع ، ولا يصبح القصاص من شخص محدد هو الهدف ، بل محو العار ، ورد الاعتبار لتاريخ القبيلة وهيبتها. إن الثأر ببساطة شديدة دافع يُلزم الفرد من عصبية خاصة بالانتقام ، أي الثأر لأحد أقربائه ممن قتله ، ويصور في العادة إحدى مراحل تطور الجماعة عندما تكون القبيلة هي الرابطة الاجتماعية الوحيدة ، وصاحبة السلطان ، نافيًا عن السلطة أو الحكومة أو الدولة أن تنوب عن الفرد في القصاص ، أو أن يخشى الفرد أن تنوب عنه الدولة في نيل شرف القصاص فيلتصق به عار الجُبن وقصر اليد. وفي صعيد مصر ، نجد أن الثأر قيمة وممارسة اجتماعية لها مكوناتها وتقاليدها، إذ إنه مستقر في معظم أرجاء الصعيد ويُعدّ الوجه الآخر لهيبة العائلة وكرامتها داخل مجتمعها ، والعائلة بجميع أفرادها مسؤولة عن الأخذ بالثأر ، لما تحتله من مكانة متقدمة على أي انتماء آخر ، فالعائلة تأتي قبل الفرد وقبل الدولة ، فالأسرة هي المرجع الرئيسي لأفرادها ، وتُعدّ العائلة في

الصعيد المرجعية الوحيدة التي تحدد العلاقات مثل الزواج وشراء الأراضي والمساكن ، وغير ذلك. وكثيرون هم من يعتبرون أن الثأر عادة دموية وسلوك بدائي يتقهقر تحت نور التمدن والتحضر ، مستندين في ذلك إلى أن الثقافة والتعليم بما يصاحبه من رقي العقل وتنزهه وسموه عن العنف يحول دون انزلاق الفرد أو العائلة والقبيلة إلى هذا المستنقع الدموي ، إلا أنني أعتبر هؤلاء يعيشون في أكبر وَهْم للإنسان المعاصر ؛ حيث إن كل إمكانات العلم والثقافة ناقضت هذا المفهوم لديهم ، فهناك منظمات ذات تركيب عصري متطور قامت بمجازر ثأرية في قلب أكثر البلدان تعليمًا وتحضرا ، ونفذت مجازرها في المدن على وجه الخصوص ، وليس في البوادي أو القرى فقط ، مستغلة في ذلك كل إنجازات العقل الحديث من سلاح وتخطيط وحصار. ولا يمكن إنكار أن عادة الثأر اتصفت بها كل الشعوب دون استثناء ، وليس أهالي الصعيد فقط ، وفي كل المراحل التاريخية أيضًا. كذلك فإن البُعد الجماعي لعادة الثأر ، وقيامها على قيم مطلقة مثل قيمة العار لا يجعلان من واقعة القتل حدثًا منطقيًا يخضع لحسابات المكسب والخسارة ، ما يُسفر عن ممارسات أخرى يعود إليها استهجان تلك العادة بالدرجة الأولى مثل عدم عقد العزم على قتل القاتل شخصيًا في بعض الأحيان ، بل طلب الثأر من عائلته برمتها ، أو الأفضل فيها بشكل مطلق وهنا تكمن ثقافة القبَيلة ، فواقعة القتل ليست حدثًا فرديًا يمارسه فرد في حق فرد ، القاتل هنا فرد من قبيلة يقع عليها الوزر ، والمقتول كذلك فرد من قبيلة يقع عليها واجب الثأر ، فالعدوان حتى لو كان فرديًا إلا أنه يمثل انتهاكًا لحرمة القبيلة بأسرها ، ولذا فهي تطلب الثأر من قبيلة القاتل ، وإمعانًا في تأكيد المعنى ، قد يختار أهل القتيل رمزًا من رموز القبيلة الأخرى ، ذلك أن النظام الفعلي قَبَلي في جوهره ، فحق القتيل واجب القبيلة لا الدولة ، وهي لا تسعى كي تسترد حق المقتول فقط ، ولكنها تسترد هيبتها أيضًا ، ومن ثم تتجاوز عادة الثأر فكرة القصاص من القاتل. ويمكننا ملاحظة أن فعل القتل مجرد ذريعة لظهور عداء قائم أصلاً ، ولكنه بحاجة لعود كبريت كي تشتعل النار من جديد ، ومن هنا يتحول المقتول إلى ذلك العود الذي يفجر الأزمة بين تكوينين بشريين مهيئين ومستعدين للفرصة المواتية لإثبات المكانة التي ترى كل قبيلة أنها جديرة بها. كذلك فإن مرور الوقت لا يعني شيئًا لعادة الثأر ، فحفرة الدم تلك ليست حدثًا عابرًا يمكن نسيانه أو السكوت عنه ، بل تبقى الواقعة حيّة ونضرة باستمرار ، قد يمر الزمن ويطمس الكثير من الأحداث ، غير أنه ينحرف بعيدًا عن حفرة الدم ولا يستطيع أن يلمسها ، ومن ثمّ لا تسقط الواقعة بمضي المدة ، ومعروف أن هناك من يأخذ الثأر بعد مرور سنوات طويلة قد تصل إلى مئة عام! وأول الممارسات الشعبية في بلادي التي تنبئ بعقد العزم على الأخذ بالثأر وعدم ترك حق القتيل تتمثل في عدم إقامة مراسم العزاء أو قبوله حتى ، وهذا يعني قرارًا بأخذ الثأر في يوم من الأيام ، قد يكون في الغد أو بعد عقود ، وعندما يتم أخذ الثأر ، فهناك «التشريفة» حيث يقام سرادق العزاء في ظل أجواء من الفرح تبدأ بعد أخذ الثأر مباشرة ، ويتم التعبير عنها علانية بإطلاق الأعيرة النارية في الهواء. أما إن رضيت العائلة أو القبيلة بالصُلح وعدم الأخذ بالثأر فهناك مراسم تسمى بـ «الفُودة» سأتحدث عنها في مقال لاحق. ورسوخ عادة الثأر ينهض على تراث هائل لا يقتصر على التراث المعروف أو المحفوظ في الكتب التاريخية أو الفنون الشعبية ، بل إن تراث الثأر يحمل ما لا حصر له من الحكايات غير المعروفة ، إذ لكل قرية من القرى حكاياتها المرتبطة بالثأر والتي تنبع من أحداث حقيقية هي الأهم في حياة كل قرية ،

والأكثر حضورًا في مجالسها ، فالواقعة التي نقرأ عنها خبرًا في عدة أسطر صغيرة ، تشغل مساحة هائلة في حياة الجماعة المحيطة بمكانها ، وهنا يتحول فيها الأفراد إلى مؤرخين ورواة شعبيين لا يتوقفون أبدًا عند تناقل الخبر ، بل ويحيطونه بالكثير من التفاصيل والتصورات والتخمينات والمتابعات لسير أبطال الواقعة من الطرفين ، واستدعاء كل ما له علاقة بالثأر في ذاكرة تلك الجماعة ، وهكذا تتحول الواقعة الجديدة إلى نبع جديد يثري ويجدد ثقافة الثأر ويمد جذورها في أعماق الأجيال الطالعة).هـ. وطبعاً غير خاف أن عادة الثأر تلك مخالفة كل المخالفة للشريعة وللدين وللمنطق وللقيم ، ونسأل الله أن تزول هذه العادة من صعيد مصر إلى الأبد! والصعيد منذ خلقه الله شعبٌ يرفض الضيم والذل! وتتجلى مقاومة أهل الصعيد للمستعمر بشراسة ، فهذي ثورة القاهرة الأولي 1798م تثبت لنا مقاومة وصمود الصعيد / إذ لم تنخدع الجماهير بتظاهر نابليون بالتقوي وتقربه للمسلمين بمنشوراته الهزلية ، ولم ير شعب مصر في حملة الفرنسيس إلا جيش محتل لا يختلف عن الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع التي ضربت شواطئ دمياط منذ أكثر من خمسة قرون. وقد كانوا علي حق في ذلك ، فقد كتب بونابرت في مذاكراته في منفاه في سانت هيلانة أن هذه المنشورات كانت "قطعة من الدخل". وإذا كان بونابرت قد أراد بهذه المنشورات أن يتخفي في ثياب جيش التحرير القادم ليُحرر مصر من فساد المماليك ، فإن التاريخ القديم للحملات الصليبية علي الشرق كان حاضراً في ذهنه يأخذ منه العبر ويتجنب أخطاءه ، فهو يقول: "إن لويس التاسع (قائد الحملة الصليبية السابعة علي مصر) أنفق ثمانية أشهر في الصلاة ، و كان أجدي أن ينفقها في الزحف والقتال واحتلال البلاد". ولكن فات علي المماليك والمصريين أن فرنسيي الحملة الصليبية السابعة ليسوا هم فرنسيي الحملة البونابرتية! فالفرق بينهما تقدم صناعي وإداري وعلمي كبير علي الجانب الفرنسي يقابله غفلة تاريخية علي الجانب المصري المملوكي. عندما سمع المصريون بهزيمة الفرنسيين أمام أسوار عكا وقدوم أسطول العثمانيين إلي أبي قير ، استجمعوا قوتهم و ثاروا علي المحتل يوم 22 أكتوبر 1798، أي بعد حوالي 4 أشهر من قدوم الاحتلال ، ويمكن تلخيص أسباب خروجهم في الآتي: قتل الفرنسيس للسيد محمد كريم حاكم الاسكندرية لاتهامه بالعمل ضد الوجود الفرنسي في مصر. فرض الفرنسيين ضرائب علي الشعب وتدقيقهم في إحصاء الممتلكات الشخصية. فلقد هدم نابليون أبواب الحارات. وانهزم الفرنسيون في موقعة النيل أمام الاسطول الإنجليزي وسمع المصريون بأن الباب العالي أرسل جيشاً لفتح مصر ، فخرج المصريون بكل ما لديهم من سلاح وشوم وحِراب علي الجنود الفرنسيين يقتلوهم. وتحصنوا بأسوار الحارات وفي الأزقة، ونصبوا المتاريس علي مداخلها. ولكن فاتهم أن يحتلوا الأماكن المرتفعة المطلة علي الحارات. فسارع نابليون باحتلالها ونصب مدافعه فوق مآذن جامع السلطان حسن ، وانهالت القنابل منه ومن القلعة علي جامع الأزهر ، مبعث الثورة ، و كل ما يحيطه من بيوت و حوانيت. واستمر الضرب حتي المساء حتي تدخل اعضاء الديوان الذي شكله نابليون من المشايخ المتعاونين مع الفرنسيين " فركب المشايخ إلي كبير الفرنسيس ليرفع عنهم هذا النازل ، ويمنع عسكره من الرمي المتراسل ويكفهم ما انكف المسلمون عن القتال". فقبل نابليون وقف الضرب، ولكنه أرسل جنوده إلي الأزهر ، فدخلوا الجامع يخيولهم عنوة وربطوها بصحنه وكسروا القناديل وحطموا خزائن الكتب ونهبوا ما وجدوه من متاع. ولم يخرجوا منه إلا بعد أن ركب الشيخ محمد

الجوهري إلي نابليون وطلب منه متوسلاً أن يخرج جنوده من الجامع الأزهر. فقبل نابليون. ولكن هذا المشهد البربري هو أعمق مشهد في الحملة الفرنسية طوال فترة وجودها في مصر ، مشهد غاص في أعماق الذاكرة المصرية حتي اليوم وصبغ رؤية المصري للاحتلال الفرنسي والأوروبي بصفة عامة. حكم علي ثلاثة عشر شيخاً من الأزهر بالإعدام ، وأُعدم الكثير ممن قبض عليهم ومعهم سلاح وقدر عددهم بحوالي ثمانين شخصاً من قادة الثورة ، إلي جانب الكثيرين من عامة الشعب. كتب نابليون في مراسلاته لرينييه يقول " في كل ليلة نقطع نحو ثلاثين رأساً أكثرها لزعماء الثورة ، وفي اعتقادي أن هذا سيعلمهم درساً نافعاً". وعي المصريون الدرس وعرفوا أن الاحتلال هو الاحتلال مهما تلون بألوان مبهجة من تقدم علمي أو إداري أو تنظيمي ، فالتقدم إن لم يأت بأيدي وعقول أهل البلد ، فسوف يأتي تفضلاً من السيد المحتل إلي العبيد أو يأتي مشروطاً بخلع عباءة الهوية المصرية. وتلقت أقاليم مصر جيش نابليون المتوغل في الدلتا والصعيد بمقاومة شرسة لا تلين ، اضطر الفرنسيون معها للحرب والقتال من قرية إلي قرية ليخضعوا أقاليم مصر ، واستخدموا القتل و النهب والسلب و التحريق والتنكيل لكسر روح المقاومة ، فنجحوا حيناً و فشلوا أحياناً. ففي المنصورة ، ما إن رحل الجيش الفرنسي عنها بعد أن ترك فيها حامية من 120 جندياً ، حتي بدأ أهالي المنصورة ينصبون الكمائن لجنود الحامية ، فبدأوا بقنص ثلاثة منهم ، ثم حاصروهم في ثكنتهم التي تحصنوا بها ، حتي نفدت ذخيرة الفرنسيين ، فخرجوا من المدينة تحت وابل من الرصاص يأتيهم من كل مكان ويحصد أرواحهم ، وألقي بعضهم بنفسه في النيل هرباً من الطلق. ولو ينج من الحامية المكونة من 120 فارساً إلا جندي واحد فقط أسره الأهالي ثم أطلقوا سراحه ، وهو الجندي مورستون الذي كتب ما حدث في تقريره إلي كولونيل لوجييه ووردت تفاصيله في تأريخ كريستوفر هيرولد لحملة نابليون علي مصر في كتابه "بونابرت في مصر". وساعد أهالي الدلتا علي المقاومة أن كثيراً من قراهم كانت كالقلاع المنيعة لها أسوار وأبواب ، مثل قريتي غمرين وتتا شمالي منوف اللتين ثارتا علي المستعمر يوم 13 أغسطس 1798م و حملوا السلاح وأغلقوا الأبواب في وجه الجنود ، فحاول قائد الحامية اقتحام القريتين ففشل، فطل المدد من حامية منوف فأرسل له مدداً وبعد قتال دام ساعتين استطاعت الحامية اقتحام القريتين ، واستبسلت قرية غمرين حتي بعد الاقتحام وقاتل الأهالي في الطرقات حتي امتلأت بجثثهم، واستشهد منهم من أربعمائة إلي خمسمائة بينهم عدد من النساء. وما حدث في غمرين حدث في قري كثيرة في مصر ، في كفر شباس عمير وأبي زعبل ومدن طنطا والمحلة ودمياط ، ثم امتد إلي الصعيد حيث واجه الفرنسيون ثورة كبيرة بين جرجا وأسيوط وكذلك سوهاج وطهطا وغيرها. وكانت ثورات الأهالي تأخذ شكلين أساسيين ، وهما إما الهجوم علي الحامية الفرنسية المرابطة في القرية أو المدينة ، أو التربص بكتائب الفرنسيين المتوغلة في الأقاليم والمارة بالقري والمدن علي الطريق. وكانت أسلحة الأهالي لاتتعدي البنادق والمسدسات الشوم و الحراب. وكانوا يخرجون بالآلاف لمقاتلة الفرنسيين في هذه المواجهات ، وما أن تسمع القري المجاورة بخروجهم حتي ترسل النجدة من الرجال والعتاد لنصرة أخوانهم المجاهدين البررة. وفي كثير من الأحيان كانت الغلبة العسكرية للفرنسيين بفضل تفوقهم العسكري وتنظيم صفوفهم ، وكانت وسيلتهم في ردع القري هو إحراقها ونهبها وقتل وأسر مقاتليها. وتمثلت أبشع صور الردع في ما حدث في قرية بني عدي

في أسيوط ، فقد خرج أهلها يحملون السلاح ضد الفرنسيين في 18 أبريل 1799م ، وتحصنوا بأسوار القرية يريدون رد القوات الفرنسية عنها ، فلقي الفرنسيون مقاومة لم يلقوا مثلها في غيرها من القري ، فلجأوا إلي حرق القرية بأكملها وضربها بالمدافع ، حتي أن الجنرال بارتييه رئيس أركان حرب الحملة الفرنسية أورد في مذكراته الآتي" أصبحت بني عدي أكواماً من الخرائب ، وتكدست جثث القتلي في شوارعها ، ولم تقع مجزرة أشد هولاً مما حل ببني عدي "وقدر عدد القتلي من جانب الأهالي بحوالي ألفي قتيل". من أجل ذلك ، اتخذت محافظة أسيوط يوم الثامن عشر من أبريل عيداً قومياً لها تكريماً لشهداء بني عدي وتشريفاً لمقاومة أسيوط للاحتلال الفرنسي عام 1799م. واتفق كثير من المؤرخين علي أن صعيد مصر ظل مستقلا نسبياً ، ولم يستطع الفرنسيون إخضاعه كاملاً حتي رحلوا عن مصر 1801م.).هـ. ونناقش آفة أخرى هي التعصب للقبيلة حيث تحتل مكانة كبيرة في نفوس الكثيرين من أبناء الصعيد! يصف الأستاذ خالد اسماعيل محمد التعصب القبلي ويصفه بأنه مرض الصعيد المزمن فيقول: (التعصب هو التشدد وعكسه التسامح ، والتعصب القبلي هو نصرة القبيلة وأبنائها سواء كانوا علي حق أو علي باطل ، وسواء كانوا ظالمين أو مظلومين. وللتعصب أنواع كثيرة ؛ فمنه ما هو ديني ومذهبي وعرقي ورياضي وغيرها ، والمتأمل لأحوال صعيد مصر يجد أن المشكلة الرئيسية التي تقف حائلا بين أبناء الصعيد والتقدم والمستقبل المنشود هي مشكلة التعصب القبلي. فهو أكثر أنواع التعصب انتشارًا وتأثيرًا في المجتمع ، وهو المرض الذي استشري في جسد المجتمع ، ولا بد من التصدي له وعلاجه قبل فوات الأوان ، ولا مبالغة في ذلك. ومن خلال قراءاتي للواقع المجتمعي المحيط وبالتحديد في مركزالبلينا وبرديس استطعت الوقوف علي بعض مظاهر وأسباب هذه المشكلة. هناك مظاهر عديدة للتعصب القبلي ، مثل: مناصرة أي فرد من أبناء القبيلة بصرف النظر عن كونه علي حق أم علي باطل. إعلاء اسم القبيلة في كل المناسبات ؛ مثلا في المسيرات التي يتجمع فيها شباب القبيلة ويجوبون شوارع البلدة ويهتفون باسم القبيلة علي نغمات المزمار البلدي وقرع الطبول ، وهذه الظاهرة قد قلت بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة ، وأيضًا يتضح ذلك في الذهاب لتقديم التهنئة في الأفراح أو تقديم واجب العزاء ؛ حيث يدخل كبير العائلة متقدما ومفتخرًا وخلفه أبناء قبيلته ، وأغرب ما في الأمر أن كثيرًا ممن يذهبون مع أقاربهم لتقديم واجب العزاء أو التهنئة لا يعرفون صاحب المناسبة ، فهم – ببساطة – لم يأتوا تقديرًا لصاحب المناسبة وإنما أتوا من أجل القبيلة أو من أجل التعصب القبلي الذي أصيبوا به منذ الصغر! ، وأيضًا حينما يصل أحد أبناء القبيلة إلي مركز مرموق أو حصل علي درجة علمية كبيرة فتجد القبيلة تتحدث ليلا ونهارا عن هذا الإنجاز وينشرون ذلك في الإذاعة المحلية ، وتتعجب عندما تعلم أن صاحب الإنجاز نفسه لا تربطه بالقبيلة إلا الاسم فقط وبأنه ترك البلدة والقبيلة ويعيش في الخارج أو في محافظة أخري. المسميات القبلية مثل: فلاح – هواري – عربي – شريف - الخ ، تلك المسميات التي تنشط من وقت لآخر ، حيث يستخدمها البعض – بقصد أو بدون - من أجل تحقيق أهداف معينة ، في الانتخابات علي سبيل المثال ، وهي كلها مسميات باطلة ، إن دلت علي شئ فإنما تدل علي الجهل والتخلف والبعد عن الدين. التعرف علي الشخص والحكم عليه من خلال قبيلتة ؛ فعندما يتعرف عليك شخص يسألك (أنت من بيت من؟) وبذلك يتعرف عليك ويحكم عليك من خلال معرفته بقبيلتك في نفس الوقت بصرف النظر

عن شخصيتك وأخلاقك وسلوكك. التفاف القبيلة حول مرشحها لمجلس الشعب ودعمه بشتي الوسائل ؛ فإذا ترشح شخص من القبيلة في أي انتخابات تجد أبناء القبيلة في الخليج يرسلون الأموال اللازمة للدعاية والمصاريف ، وأيضًا بصرف النظر عن شخصية المرشح ومدي صلاحيته لهذا الترشيح ، فهم لا يرسلون أموالهم الي هذا الشخص ، وإنما يرسلونها إلي القبيلة نتيجة للتعصب الذي يعانون منه. الثأر ؛ حيث يساعد التعصب القبلي علي إشعال الفتن والمشكلات بين القبائل ، ويحصد أرواح أبرياء قد لا يكون لهم ذنب إلا أنهم أقارب للقاتل أو المقتول. ومنشأ التعصب القبلي هو التعصب الفكري ؛ أي أن أتعصب لرأيي وفكري فقط ولا أقبل حوارًا ولا نقاشًا طالما سيكون مخالفًا لرأيي وموقفي المسبق. والتعصب القبلي له تاريخ طويل منذ عصر الجاهلية ؛ حيث كانت القبيلة هي المحور الذي يدور حوله الجميع ، وعندما يظهر شاعر في القبيلة يقيمون الأفراح لأن هذا الشاعر سيروي أمجاد القبيلة ويعلي من قدرها أمام القبائل. إن أسباب التعصب القبلي مرتبطة بشكل كبير بأساليب التربية الخاطئة التي يتبعها الآباء والأمهات مع أبنائهم. سوء النظم التعليمية المتبعة منذ سنين ، وهو موضوع يطول شرحه لأنه يتعلق بالمناهج التعليمية ، وبالمعلم وشخصيته وثقافته ، وبالإدارة المدرسية ومدي اتباعها للنظم الديمقراطية في الإدارة ، والمحزن أن التعليم في مصر يعاني أشد المعاناة ، وبعض المعلمين يساعدون علي نشر التعصب نتيجة لإصابتهم بمرض التعصب منذ الصغر ؛ فالطفل يرضع التعصب قبل دخوله إلي المدرسة ، ويذهب للمدرسة ويتلقي العلم والمعرفة لساعات قليلة! وفي المقابل يستمر في تعصبه نتيجة وجوده داخل إطار القبيلة ، والذي لا يجب الخروج منه. هكذا ينشأ الفرد. ضعف دور المتعلمين (غير المتعصبين) والمثقفين في المجتمع ، فنجد كبير القبيلة يكون بالسن وليس بقدر العلم والمعرفة ، وأذكر أن أحد المتعلمين ذكر لي أن شيوخ وكبار قبيلته نهروه بشدة عندما أبدي رأيه في أمر كانوا يتناقشون فيه وقالوا له بأن يسكت وقال له كبيرهم (ماذا تفهم أنت؟) ، فالمتعلمون بشكل عام والمثقفون – علي قلتهم – يؤثرون الابتعاد عن التعصب ولكن لا يواجهونه. النظام الأبوي في التعامل ؛ وهو نظام يقوم علي حب النفوذ والسيطرة وفرض الرأي ، فمن المعروف أن المجتمع الصعيدي يعلي من شأن كبير الأسرة ، والذي يتمثل غالبا في الأب والذي يمتلك سلطة مطلقة ؛ فكل كلامه ينفذ حتي إن كان خطأ ولا يقبل النقاش ، كل ذلك يرتبط - بشكل أو بآخر – بالتعصب القبلي. فعلي سبيل المثال وقوف القبيلة بجانبه إذا تشاجر مع شخص ما أو قبيلة ما، أنه سيجد من يسانده في المواقف المختلفة. كانت هذه بعض مظاهر وأسباب التعصب القبلي ، يتبقي لنا أن نبحث ونتحدث عن حلول لهذه المشكلة ، وعلاجًا لهذا المرض. وفي النهاية أريد أن أسأل سؤالا وأتمني أن تجدوا له إجابة. لماذا لا يوجد تعصب قبلي في المدن وفي المناطق الراقية ، ؟!).هـ. وأنا أردتُ بهذه المقدمة الطويلة الحديث عن الصعيد من الداخل ليدرك الناس جمال الصعيد بطبيعته!)

هنيئـــا لأهـــل الصـــعيد الوصـــولْ وبشـــرى الصـــعود الثنـــاءُ الجميـــلْ

وصـــــلتمُ لقمـــــة أمجـــــادكم وبـــــارك ربـــــي اجتهـــــادَ العقـــــول

ونلـــتم - مـــن العـــز - أعلـــى الـــذرى وبـــان لأهـــل المُضِـــيِّ الســـبيل

وحققتمُ النصر في ساحةٍ ... وكم أسرجتْ للنزال الخيول!

وشِدتم صروحَ المعالي ، لذا ... أباركُ - بالشعر - أحلى الوصول

وهذي الحضارات من صنعكم ... تنالُ الرضا ، وتحوز القبول

حقيقون أنتم بكل العلا ... ومجدُ الغطاريف ليس يزول

ففي كل عِلم لكم حِصة ... عن الخوض فيها حديثي يطول

وفي كل فكر بلغتم مدىً ... له - في المخاليق - ليس مثيل

وفي كل فن مباح لكم ... عطاءٌ كمثل انهمار السيول

أراكم وصلتم برغم العِدا ... فنعم السُراة! ونعم الوصول!

ونعم الحُماة لإسلامنا! ... ونعم المقيمون هَديَ الرسول!

ونعم البُناة لأمجادنا! ... وتاريخهم شاهدٌ بالدليل

وسل ثورة الفكر مَن قادها ... ومازال في العالمين يصول

وسل نهضة العِلم مَن شادها ... وأصَّل للمعضلات الحلول

وسل ذروة المجد من نالها ... ومازال في كل مجد يجول

صناديد أهل الصعيد أتوْا ... بعز - لأهل المعالي - أثيل

أحبوا العلوم ، وكانوا لها ... حماة ، فنعم الحمى والمُيول!

وشارك كلٌّ بما استطاعه ... فكانوا بذلك من خير جيل

وسِفرُ التراجم كم خصّهم ... بمدح ، وأوردَ أحلى النقول!

وأهل الضلالات أزرَوْا بهم ... ولم يذكروهم بصيتٍ نبيل

ألا إن هذا هوىً يُزدرى ... وعن جانب الحق هذا عدول

وحقدٌ تمكّن من أنفس ... تحب الضلال ، وتهوى النكول

فمـــــا بـــــين مســـــتهزءٍ مُقـــــرفٍ ... يـــــدق علـــــى السُـــــخريات الطبـــــول

وثـــــان ينـــــاور لا يرعـــــوي ... أحاجيـــــه داءٌ علينـــــا وبيـــــل

وثالـــــث أهـــــل الخنـــــا كـــــاذبٌ ... إلـــــى مـــــا يُـــــدَني النشـــــامى يميـــــل

ورابعهـــــم كاتـــــبٌ ســـــافلٌ ... علـــــى المجـــــرمين وديـــــعٌ ذليـــــل

ولكـــــن علينـــــا كمثـــــل الـــــردى ... وفـــــي قلبـــــه بـــــات يغلـــــي الـــــذحول

وخامســـــهم - فـــــي التجنـــــي - فتـــــىً ... يواجـــــه - بالترّهـــــات - الفحـــــول

ويرســـــم سادســـــهم لوحـــــة ... ويصـــــبغها بالخِـــــداع الكليـــــل

ويكتـــــب ســـــابعهم قصـــــة ... وتطفـــــح بـــــالزيف كـــــل الفصـــــول

وأهـــــل الصـــــعيد علـــــى عـــــزهم ... وبـــــالغيظ يكبـــــت أشـــــقى عـــــذول

فـــــلا يحملـــــون علـــــى ســـــاقطٍ ... بمـــــا يدّعيـــــه غبـــــيٌ جهـــــول

ولا يعتبـــــون علـــــى حاقـــــدٍ ... فتـــــركُ الهلافيـــــت يشـــــفي الغليـــــل

وليســـــوا يلومـــــون مســـــتهزئاً ... فلـــــوْمُ المهازيـــــل حمـــــلٌ ثقيـــــل

ســـــيحكم - بـــــين الـــــورى - خـــــالقٌ ... فهـــــل حكـــــمُ ربـــــك عنـــــه بـــــديل؟

فشـــــاتمُ أهـــــل الصـــــعيد غـــــداً ... يحاســـــبه الله ربـــــي الجليـــــل

وينـــــدم أنْ لـــــم يكـــــن منصـــــفاً ... ويبكـــــي ، ولـــــيس يفيـــــد العويـــــل

وســـــوف يُكـــــال لـــــه بالـــــذي ... بـــــه - بيننـــــا اليـــــوم أضـــــحى - يكيـــــل

(ذل الجمال)

(تزوّجها ذلك المتوله المتشبب المراهق فقط لجمالها ، زاعماً أن الجمال يمكن أن يحل كل مشكلاته. وراح يفترض في هذه الجميلة التدين ، ويخلع عليها هالات الطهر والالتزام. وإذا بالأيام تسفرعن حقيقة زوجته هذي. وانتهى الحال بالطلاق الحتمي. وكان درساً عظيماً له. وتزوج من أخرى على منهج حق وعلم قويم ودين صحيح. فسعدَ بعد بلاء ، وفرحَ بعد كرب. فإذا به ينطلق بعد ركود. ولكنني هنا في قصيدتي هذي لست أبارك له الزوجة الثانية. بل أعزيه في الأولى ، وأبيّن للكثيرين من المفتونين بالجمال أنه لن يغني عنهم من الله شيئاً ما لم يكن مشفوعاً بدين وعقيدة وتوحيد. والقصص في حياتنا أكثر من أن تحصى كثرة. وقد بيّن لنا الرسول الكريم ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ مقاصد هذه الشريعة من الزواج حيث يقول في حديثه الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه: (تنكح المرأة لأبع: لمالها ولحسبها ولدينها ولجمالها ، فاظفر بذات الدين تربتْ يداك). وإذنْ فيجب على المسلم الموحد القانت أن لا يغفل عن وصية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وأن ذات الدين لا يُعدل بها امرأة. وأنه لا يجب عليه أن يفترض واقعا غير موجود وصفاتٍ ليست خطيبته عليها. وإلا فإنه سوف يدفع الثمن غالياً كما دفعه ضحية قصيدتنا. ذلك المغرم بالجمال والذي راح فيما بعد ضحية له وما أحقر أن يضيع الإنسان نفسه ويحرمها لذة المتعة بالزواج من امرأة متدينة تؤمن بالله واليوم الآخر وعلى بينة من أمر ربها. إنني أكتب (ذل الجمال) لأعزي بها كل ضحايا الجمال ، هؤلاء الذين لم يحكّموا عقولهم ولا دينهم عندما هم أحدهم بالزواج. إنها الطامة الكبرى التي يدمر المرء نفسه بالزواج من امراة كل مقومات الزواج ومؤهلاته عندها فقط الجمال. ألا إن الجمال وحده لا يكفي بلا إسلام إذ الإسلامُ هو الحياة وهو الحضارة. هوالحقيقة الربانية الخالدة. وما الإنسان بغيره بشيء. فعلى كل ناصح واع أن يستحضر وصية الله الخالق يهم بالزواج: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم. ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم. أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه). وتحت عنوان: (تذكر أيها الزوج ، زوجتك ليست جسداً بلا روح) يقول الأستاذ أحمد محمد عبد المنعم عبد الله ما نصه: (معظم الأزواج إلا من رحم الله. يتخذ زوجته مجرد جسداً يقيم فيه شهوته. ويتناسى أن هذه الزوجة لها حقوق عليه قبل الواجبات التي عليها. وكأنه متزوج فقط جسداً بلا روح. وحينما يمر الزمن ويذهب جمال هذا الجسد. نجد الزوج يتناسى الروح ويعيش مع جسد وروح بقلب ميت لا حياة به. ولا حب. ولا مشاعر. مجرد حياة روتينية مملة. ونجد بعدها الزوج يفكر في الزواج للمرة الثانية. لأنه يتزوج فقط من أجل الجنس. وليس من أجل أقامه حياة كاملة متكاملة. يبتغي بها وجه الله فيكون الجزاء من جنس العمل. فيجعل الله تعالى في حياته الرضا والسعادة ولكنه تزوج من أجل شهوته. فكانت النتيجة أن جمال الجسد الذي يشتهيه ذهب مع الزمن كما هو حال الدنيا. فذهبت العلاقة بأكملها. وأطلق العنان لقلبه الذي لا يشتهي إلا جمال الجسد. وبدل ما جعله الله في الزواج من مودة ورحمة. واختار ما وجهه إليه قلبه وعقله واختار الجنس فذهب الجمال وبقي الجسد الكبير الذي هو في مراحل انتقاليه من الشباب إلي الكبر ثم إلي الهرم. من يعرف الزواج على حقيقته لن يتركه. ولن يعيش بعد أن يعرف إلا في

سعادة. لأن الحياة الزوجية جزء من الواقع ومن الحياة التي نعيشها وجزء من علاقتنا بالله. فالمتزوج يتزوج لعمارة الكون كما أمرنا الله بذلك وأيضاً لكي يستمتع بحياته ويقاوم الظروف! لا بد من متعة خاصة تنسيه المتاعب والهموم وضيق العيش. فلذلك جعل الله اللذة في الجنس بين الزوجين. لأن هذه اللذة التي وضعها الله في العلاقة بين الزوج والزوجة هي المُعينة الأولى لكل من الزوج والزوجة على الاستمرار في هذه الحياة الصعبة. وكما قال الله تعالى: (وجعل بينكم مودة ورحمة). أنت أيها الزوج من تقتل هذه المودة والرحمة. فالله جعلها في الزواج فاستثمرها ولا تتركها. وتذكر أن الزواج لا بد أن يكون باختيار صحيح من البداية في الزوج الصالح والزوجة الصالحة. والعفة تكون للعفيف. فإذا كنت قبل الزواج ليس عفيفاً واستغفرت الله على ذنوبك. وطلبت من الله العون أن يجعل هذا الزواج معيناً لك على العفة. فسوف يكرمك الله. ولا تحزن ولا تغضب ولا تسخط إذا ابتلاك الله في زوجتك. فالزوجة الصالحة هبة من الله. والزوجة الأخرى سواء كانت نكدية أو أو أو....فهذا ابتلاء من الله. المتزوج يتزوج من أجل عمارة الكون. بالذرية التي سوف ينجبها بفضل الله. وأيضا ليعبد الله في الكون هو ومن هم في رعيته " الزوجة والأولاد" وأيضاً ليخرج للمجتمع نماذج من الأجيال التي تعبد الله حق عبادته وتتماشى مع تطورات العصر من تكنولوجيا وعلم. وأيضاً لتحقق نصر الأمة الإسلامية. فالأمة لن تنتصر ومازال بيننا زوج غليظ وزوجة نكدية وأبناء يجهلون تعاليم دينهم ولا يطبقون دينهم ويتماشون وراء هؤلاء وهؤلاء الذين لا يريدون إلا فساد أخلاقهم وهزيمة الدين بهم. الله جعل لك اللذة والمتعة في زوجتك. فإذا أردت أن تتمتع المتعة الكاملة عليك أن تعي أن المتعة ليست في علاقة زوجية جنسية فقط. ولكن المتعة الحقيقية في الزواج المتسقر الهادئ الذي به. زوجة وزوج يقيمان حدود الله. الزوجان ملتزمان بالصلاة في أوقاتها ومن خلفهم أبناء صالحين يتخذون الأب والأم قدوة صالحة. وقراءة القرآن أيضاً. والأستماع للقرآن في البيت. والعبادات الجميلة مثل الأذكار وقيام الليل ولو بركعتين. كل هذا لن يأخذ منك يومياً إلا ساعة أو أقل. وبهذه الأوقات الجميلة تعيش حياة كريمة جميلة مليئة بحب الله ورضاه عنك ومن يرضى الله عنه فقط فاز فوزاً كبيراً في الدنيا والأخرة. وفوزه في الدنيا بالراحة القلبية والنفسية وترك المستقبل وما به من قلق وخوف لصاحبه وعالم أمره رب العالمين. أخيراً. من يتزوج لمجرد أنه يعف نفسه عن الحرام بالزواج لا نلومه ولكن نلومه إذا كان تفكيره أن الزواج فقط مجرد جنس ويتناسى أن زوجته الإنسانة التي لها حقوق عليه. في الحب والحنان والرومانسية والإنفاق والكلمة الطيبة والمعاشرة الجنسية وفي المقابل سيجد. زوجة ترضيه وتحتضنه وتحتويه وتكون بجواره في كل خطوات حياته. فاحرص على أن تكون هذا الزوج الجميل الذي من صفاته الحسنة اقتداءً بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في بعض أخلاقه).هـ. ويُسأل الأستاذ محمد المنجد سؤالاً هو: (تقدمت لخطبة فتاة متدينة جداً وليست جميلة ، فهل أتزوجها؟ مع العلم بأنني أرغب في زوجة أجمل ، فما الصواب؟) فكان جواب المنجد: (من المقاصد العظيمة التي شرع الزواج لأجلها ، تحقيق العفة ، وإحصان النفس ، وقصر الطرف عن الحرام ، ولتحقيق ذلك جاءت الشريعة بالحث على النظر إلى المخطوبة قبل الزواج بها ، ليكون أدعى لتحقيق المودة والألفة والمحبة بينهما ، فتنشأ أسرة سعيدة ، أساسها المحبة والمودة والاحترام ، فلا تطمع نفس أحد الزوجين إلى غير ما أحل الله له ، ولهذا كان الجمال واحداً من الصفات التي يستحب الحرص عليها

والالتفات إليها. جاء في "شرح منتهى الإرادات" من كتب الحنابلة (ويسن أيضا تَخَيُّرُ الجميلة ، لأنه أسكن لنفسه ، وأغض لبصره ، وأكمل لمودته ؛ ولذلك شرع النظر قبل النكاح). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النِّسَاءِ خَيرٌ؟ قال: التِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِليهَا ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَر ، وَلا تُخَالِفُهُ فِي نَفسِهَا وَلا فِي مَالِهِ بِمَا يَكرَهُ). رواه أحمد وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة.انتهى. وقد استحب بعض أهل العلم إذا أراد الرجل حقاً خِطبة الفتاة أن يبدأ بالسؤال عن جمالها أولا ، ثم يسأل عن الدين ، وذلك لما عُلِمَ من رغبة الناس بالجمال في المقام الأول. يقول الإمام البهوتي في "شرح منتهى الإرادات": "ولا يسأل عن دينها حتى يُحمد له جمالها ، قال أحمد: إذا خطب رجل امرأة سأل عن جمالها أولاً ، فإن حُمد سأل عن دينها ، فإن حمد تزوج ، وإن لم يحمد يكون ردّها لأجل الدين ، ولا يسأل أولاً عن الدين ، فإن حُمد سأل عن الجمال ، فان لم يحمد ردَّها للجمال لا للدين" انتهى. وإنما المذموم أن يسعى المرء في طلب الجمال ، وينسى الخلق والدين ـ وهما أساس السعادة والصلاح ـ ، ولما كان هذا حال أكثر الناس جاء الحديث الشريف يحثهم على الظفر بذات الدين والخلق ، ليوقف اندفاع الناس إلى المظهر ، وغفلتهم عن الحقيقة والمخبر. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تُنكَحُ المرأةُ لأربَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا ، فَاظفَر بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَت يَدَاكَ) رواه البخاري ومسلم. قال النووي في "شرح مسلم." الصحيح في معنى هذا الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بما يفعله الناس في العادة ، فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع ، وآخرها عندهم ذات الدين فاظفر أنت أيها المسترشد بذات الدين"انتهى. وليس القول باستحباب قصد الجمال في المخطوبة يعني اشتراط الجمال الفائق ، فيضع الشاب في مخيلته صورة فتاة من أجمل نساء الدنيا ، ويقطع العمر بحثاً عن تلك الصورة التي يريد ، والغالب أنه لا يجدها ، وإن وجدها فقد تكون ضعيفة الدين والخلق. بل المراد من الجمال هو الجمال الذي يعف المرء به نفسه عن الحرام ، ويقصر به نظره عن غيرها من النساء ، ومقياسه يختلف في كل شخص بحسبه ، والفصل فيه يرجع إلى رأي المتقدم للخطبة. فالنصيحة لك ـ أخي السائل – أن لا تقدم على خطبة فتاة ، إلا إذا كنت تعلم أنها على المستوى الذي يكفيك من الجمال والقبول ، حتى لا تكون المسألة مجرد حماس في أول الأمر ، ثم تفتر نفسك ، أو تبدأ في التطلع إلى وضع جديد ، وهنا يبدأ مشوار عسير من المشكلات في الحياة الزوجية. ومع كل ذلك ، فليكن مقياس الدين حاكماً على كل ما سواه. وبهذه النظرة المتوازنة ، والتفكير المتزن ، تقوم الحياة الزوجية السعيدة).هـ. والأستاذ خالد بن عثمان السبت يتحدث في محاضرة عنوانها: (سوء الاختيار من الرجل) فيقول ما نصه: (إن من أهم هذه المشكلات هو سوء الاختيار منذ البداية ، وقلنا: إن سوء الاختيار يقع ويحصل من جهة الرجل حينما يبحث عن امرأة ، ويقع هذا الخطأ أيضاً من جهة المرأة ومن جهة أوليائها ، ولا زلنا نتحدث عن الخطأ الواقع من جهة الرجل ، وقلنا: إن المرأة كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (تنكح لأربع...) ، وبينا أثر التزوج بالمرأة من أجل مالها ، فكان آخر الحديث عند هذه القضية في المرة الماضية، وقد دفع إليّ أحد الإخوة اليوم أوراقاً من مجلة كتب فيها تقرير عن نساء خليجيات وعددهن سبع ، عانسات ، وقرأت في هذا التقرير عجائب وغرائب. يقول المحرر: إنه بمجرد ما نشروا هذا العدد انهالت عليهم مئات المكالمات من كل ناحية يطلبون التزوج من هؤلاء النساء الكبيرات ، ولا أقول: فتيات ، بل إن

بعض الاتصالات وبعض الرسائل وردتهم قبل نشر العدد ؛ لأنه يعلن عنه عادة في بعض الصحف فهم لا يعرفون شيئاً عنهن ، بعضهم يقول: أريد أن أتزوج واحدة أيا كانت من غير تحديد ، وبعضهم أرسل رسائل إلى جميع فروع هذه المجلة ومكاتبها ، واتصل بالهاتف ، وبعضهم أرسل سيرة ذاتية ، وقد نشرت بعض هذه السير الذاتية في هذه المجلة وقرأت بعضها ، يذكر عمره ووظيفته وحالته الاجتماعية ، والعجيب أن تسعين بالمائة من هؤلاء هم من المتزوجين ، وأما غير المتزوجين فقد رأيت بعض المضحكات المبكيات أحدهم تخطب له أمُّه وعمره لم يجاوز الرابعة عشرة ، فهذا يريد امرأة تربيه ، يريد أن يتزوج امرأة تبلغ الأربعين أو قريباً من ذلك ، وهو عمره أربع عشرة سنة ، أو لم يجاوزها ، وبعض المتزوجين يتعهد ويقول: حتى أثبت لكم حسن النوايا والطوايا أكتب لكم تعهداً أنني لا أرثها إذا ماتت ، مع أن قضية الميراث قضية محسومة شرعاً حتى ولو كتب هذا التعهد ، وكلهم يقول: سأسعدها وتعيش معي حياة مستقرة وسألبي لها ما تحتاج إليه ، وبعضهم يقول: إن زوجتي قد وافقت بشرط أن تنفق علينا وعلى أبنائنا ، وبعضهم يقول: أريد أن أتزوج منها لأحل مشكلة العنوسة التي وقعت لها ، وأنا لا أريد شيئاً من مالها ، وبعضهم لم يتزوج ويقول: أريد أن أتزوج امرأة أكبر مني من أجل أن يكون لديها شيء من التعقل والاتزان حتى نعيش حياة مستقرة. إنها عجائب وغرائب من المضحكات المبكيات التي تؤكد هذا المعنى الذي ذكرناه ، حيث مئات المكالمات على سبع نسوة ؛ لأنهن من الثريات. وقد طالعنا كثيرا في الصحف والمجلات تحريراً أو تحقيقاً قبل ذلك عن عانسات لسن من الثريات ، ولم يتصل عليهم أحد ، ولم يسأل عنهن أحد! فأقول: التزوج من أجل المال يورث مشاكل كثيرة. وأما الأمر الآخر الذي يتزوج من أجله بعض الناس ـ كما ذكر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو من أجل الحسب والمنزلة الاجتماعية أو المنصب والوظيفة الكبيرة وما إلى ذلك ، وهذا لا شك أنه يكون سبباً للمشاكل ، وذلك أن المرأة إذا كانت بهذه المرتبة وبهذه المنزلة فإنها تترفع غالباً على زوجها ، وليست مستعدة في الغالب أن ترضخ لهذا الزوج ، وأن تكون منقادة له يأمرها وينهاها ويتصرف بها كيف شاء هو. وأيضاً هذه المرأة ذات الحسب والمنصب والمكانة الاجتماعية قد لا يستطيع هذا الزوج أن يحقق لها مطالبها لأنها حتى في قضايا الطعام والشراب والمناسبات واللباس وما إلى ذلك تحتاج إلى شيء يناسب مرتبتها ، فهو لا يستطيع أن يحقق لها مثل هذه الأمور ، وقد تحتاج إلى بيت من نوع خاص فلا تكفيها شقة صغيرة أن يسكن معها فيها ، فيعجز ، وإذا عجز فهو أيضاً لا يستطيع أن يفارقها غالباً ؛ لأنها امرأة قوية ذات منصب وذات مكانة اجتماعية ، ولربما كان أهلها كذلك ، فهو يعجز ، ويضعف عن فراقها ، فيبقى معها على غير وفاق وعلى غير وئام ، فالأحسن أن يتزوج الإنسان امرأة تناسبه في مرتبته قريباً من حاله أو أقل من حاله ؛ ليتجنب هذه الإشكالات. وكذلك لو تزوجها من أجل ما يكون عندها من الشهادات العالية ، فقد تكون هذه المرأة تحمل مؤهلات عالية كالدكتوراه مثلاً أو فوق الدكتوراه وهو لا يحمل إلا المتوسطة مثلاً ، وهذا لا إشكال فيه لكن الغالب أن المرأة إذا حصلت هذه الأشياء لضعف عقلها فإنها تظن أنها قد ترفعت بمثل هذه الأمور. ونحن نعرف أن هذه الشهادات لا تزيد الإنسان عقلاً ولا ديناً ولا علماً ؛ فالعلم ليس مرتبطاً بها ، ولذلك الإنسان لا يترفع بمثل هذه الأمور ؛ لكن المرأة لقلة عقلها لربما ترفعت عليه بهذه الأشياء ، ورأت أنه أشبه بالعامل أو أشبه بالخادم. وللأسف الشديد قد تجد أحياناً أهل الزوجة يزوجونها فعلاً من فرَّاش

المدرسة ، فكيف لهذه المرأة أن تعيش مع هذا الرجل؟ وقد حصلت حالات كثيرة تشبه هذه الحالة من تزويج المرأة بمن هو أدنى منها مرتبة ، وأدى ذلك إلى مشاكل كبيرة. وكذلك أيضاً التزوج من أجل الجمال والحسن ، فإن المرأة إذا كانت جميلة فإن الغالب أن ذلك يورثها غروراً وعُجباً ، ثم يصعب على هذا الزوج أن يضبطها ، وأن يروّضها ، فهي معجبة بجمالها ، كما قالت إحداهن: يذهب كلب ويأتي كلب آخر ، فهذه المرأة قالت ذلك ؛ لأنها قد امتلأت غروراً ، ولم تتقِ الله - عز وجل - في هذا الزوج مع صلاحه وتقواه وديانته. وكذلك أيضاً فإن هذه المرأة الجميلة قد تتدلل على هذا الزوج وتُدْلي عليه بجمالها ، ثم تكثر مطالبها ، تطالبه بأشياء مما يتعلق باللباس ، ومما يتعلق بالخروج والنزهة ، وتطالبه بأشياء مما يتعلق بالمطعم أو المسكن أو غير ذلك ، ولربما استعبدته لحسنها وجمالها ، فهو لا يستطيع أن يرفض لها طلباً ، ثم أيضاً لا يستطيع أن يحقق لها هذه المطالب لقلة ذات اليد. وكذلك أيضاً: هذه المرأة التي تزوجها من أجل الجمال هي كالزهرة إذا مرت عليها الأيام والسنون ذبلت وذهب هذا الجمال وهذا الحسن ، وما بقي إلا المعاني ، فإذا كانت هذه المرأة لا تحمل إيماناً وتقوى لله - عز وجل - وخوفاً منه ومراقبة وصلاحاً وديانة فإن هذا الجمال سرعان ما يذهب ويتلاشى مع الأيام مهما طالت ، ثم بعد ذلك تذهب إضاءة هذه النار ويبقى الإحراق ، تبقى حرارتها ويذهب ضوءها ونورها ، ثم بعد ذلك يلاقي الويلات بسبب سوء هذا الاختيار ، والله المستعان. أما التزوج من أجل الدين فهذا هو الأصل ؛ ولكن هذا ينبغي أن يتفطن الإنسان فيه إلى بعض الجوانب المهمة التي يغفل كثير من الناس عنها ، فمن ذلك أن هذا الإنسان الذي تقدم للزواج من هذه المرأة قد يكون غير متدين أصلاً ، وقد رأيت كثيراً من الشباب غير المتدينين ولربما لهم تجارب في الفساد والإفساد وقد عرفوه من قرب وغاصوا فيه ، فصار الواحد منهم لا يثق إلا بالمرأة المتدينة فقط ، فهو لا يريدها من أجل أنه يحب المتدينة أو يريد أن يصلح من حاله ؛ ولكن يريد أن يتزوج امرأة مأمونة في نظره فقط ، ثم إذا تزوجها بعد ذلك يريد أن يعيش كما عاش في السابق بلهوه وفسقه وفجوره ومعاصيه ، فكيف يكون حال هذه المرأة معه؟ فانتفت الكفاءة في الدين من هذه الحيثية ، فهذا رجل فاجر يريد أن يتزوج متدينة بل يشترط يقول: أنا لا أريد الزواج إلا من امرأة متدينة ، فهذا قد يكون سبباً لكثير من المشكلات. ثم إن كثيراً من الرجال قد يكون فهمهم للتدين قاصراً ، فمفهوم المرأة المتدينة عندهم هي التي تلبس العباءة الكاملة ، وهي التي تلبس قفازات في يديها وتلبس جوراباً في رجلها هذا هو تصوره عن المرأة المتدينة ، والتدين لا يقتصر على هذا ، التدين هو إيمان يعمر قلب هذه المرأة ، وأخلاق تزينها ، وخوف من الله - عز وجل - ومراقبة ، ومراعاة لحقوق هذا الزوج بأن تتقي الله -عز وجل- فيه ، لا أن تكون هذه المرأة ليس لها نصيب من التدين إلا أنها تلبس قفازات ، ثم بعد ذلك هي سيئة الخلق ، هي عديمة التقوى ، لا تخاف من الله - عز وجل - ، فكثير من الناس يقعون في المشكلة بسبب قصور فهمهم للتدين. وكذلك أيضاً: قد يضعف ويتغير أحد الزوجين بعد الزواج ، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، قد يفتن الزوج وكما نسمع كثيراً قد يفتن عن طريق الشبكة العنكبوتية -عن طريق الإنترنت - فيشاهد أشياء لا يليق بالمسلم أن يشاهدها ويفتن بهذه الأمور ، وقد يحدوه ذلك إلى تركيب دش مثلاً أو غير ذلك ، فيتغير حال هذا الإنسان تماماً وينسلخ من المروءة والتقوى والدين ، ثم تبقى هذه المرأة معه في عذاب دائم ، وهذا أمر لا يملكه أحد والاحتراز منه في غاية الصعوبة ، أقصد في

بداية الزواج كان هذا الزوج صالحاً ثم بعد ذلك تغير ، فهذا أمر لا حيلة فيه. ومن الأخطاء التي تقع من جهة هذا الزوج أن يكتفي بوصف أهله أو بوصف أخو الزوجة أو الثقة بأهل هذه المرأة وأنها من أسرة محافظة بغض النظر عن حال هذه الفتاة ، فهو لا يتزوج من أهلها إنما يتزوج من هذه المرأة ، فينبغي أن يسأل عنها ، ولا يكتفي أيضاً بوصف الأخ ؛ لأنه مهما كان فإن الرجل يزكي أخته ، ويحب أن يتزوجها أفضل الناس وأصلح الناس وأتقى الناس ، فلربما ترك بعض العيوب التي كان ينبغي أن ينبه عليها ، فلذلك ينبغي أن يكون كلام الأهل وأن المرأة من أسرة محافظة أو كلام أخو الزوجة أن يكون ذلك للاستئناس ؛ لكن لا يُعتمد عليه ، وإنما يسأل عنها من أطراف وجهات عدة ، من نساء ثقات طيبات صاحبنها ودرسن معها ، أو كنَّ يعملن معها أو غير ذلك فيأتين بالخبر اليقين بإذن الله - عز وجل - ، أما أن يكتفي بوصف الأخ أو بوصف أهلها أو أنهم رأوها مرة في زواج فأعجبوا بها أو نحو ذلك فهذا لا يصلح أبداً ، وكثير من المشكلات تكون بسبب هذه القضية. ولربما اكتفى بهذا الكلام ولم يطلب رؤيتها ، ثم بعد ذلك إذا رآها لم يجد أنها على الوصف الذي قاله أهله أو أخواته أو نحو ذلك ، فتعافها نفسه وتضيق منها ، ثم بعد ذلك يبدأ يفكر في الخلاص منها ، ولذلك كان من السنة أن يرى الرجل الخاطب المرأة التي عزم على خطبتها ، وقد أخرج أبو داود من حديث جابر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل). قال - يعني جابر -: "فخطبت امرأة فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها". وأخرج الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: كنت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنظرت إليها؟) قال: لا ، قال: (فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً). وأخرج الترمذي أيضاً من حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - أنه خطب امرأة ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: (انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما). يعني يكون فيه اتفاق ووئام بينكما. وأيضاً من الأمور التي تكون سبباً للمشكلات مما يتعلق بسوء اختيار الزوج لأول وهلة عدم وضوح الرؤية عند الزوج فيما يتعلق بموضوع الزواج ، وقد سمعت عدداً غير قليل من الشباب إذا سألته ما هي مواصفات المرأة التي تريد التزوج منها؟ يقول: امرأة ، فهو ليس في باله شيء ، بل بعضهم قد يستغرب أن فلاناً قد طلق أو يريد أن يطلق امرأته ؛ لأنه غير مستريح معها أو ما أعجبته ، فبعضهم يبدي استغراباً يقول: هي امرأة ، فهذا الكلام - هذا المفهوم - غير صحيح ، فهذه المرأة يراها إذا دخل وإذا خرج ، ويجلس معها ، ويعيش وقتاً طويلاً معها في البيت ، فكثير من الناس حينما يريد التزوج لا يعرف ماذا يريد ، وليس لديه خبرة في المواصفات المطلوبة من المرأة ، يريد امرأة فقط ، ومثل هذا يتورط غالباً إذا تزوج امرأة ولم تلائمه ، وكثير من الناس يفرطون هذا التفريط في التزوج من المرأة الثانية ، وهذا عجيب ؛ إذ أن النظرية يُفترض أن تنعكس ؛ فهو في زواجه الأول ليس لديه خبرة ولا معرفة بصفات النساء وبالأمور المرغبة فيها ، فلربما يقع في مثل هذا لكن التزوج من امرأة ثانية ينبغي أن يكون هذا الإنسان لديه تعقل وخبرة ، وهو لديه امرأة أيضاً فلماذا يستعجل؟ فكثير من الناس حينما يتزوج امرأة ثانية أو يبحث عن امرأة ثانية يبحث عمن يوافقه على الزواج فقط! ويتنازل عن كثير من الشروط، يتنازل عن كونها متدينة ، يتنازل عن مواصفات كثيرة

لربما تطمح نفسه إليها ، ثم إذا جلست أمامه وقارن بينها وبين امرأته الأولى قالت له نفسه: لماذا تزوجت هذه المرأة وشتت الوقت ، وشطرت اليوم أو شطرت الأيام ، وشطرت النفقة وتكلفت أشياء ، ثم بعد ذلك هذه الزوجة أقل من الزوجة الأولى ، فما الذي حداني لهذا؟ كل هذا إضافة لما يقع له من كثرة المشكلات والصداع إذا كان الرجل غير حازم ، فهذه مشكلة ينبغي أن يُتفطن لها. وكذلك أيضاً من الأمور الواقعة التي تكون بسبب سوء الاختيار هي الأعراف الاجتماعية الخاطئة ، فكثير من الناس لا بد أن يتزوج من بنت عمه ، وقد تكون هذه المرأة لا تصلح له ، فما فائدة هذا الزواج الذي ينتهي بالطلاق أو ينتهي بالعداوة بين الأسرتين؟ فيتزوج هذا الشاب امرأة تلائمه ، تصلح له ، تناسبه ، ولا يشترط أن تكون من بنات عمه ، فهذا خطأ يقع فيه كثير من الناس ، وهذا يسبب إزعاجاً كثيراً وقلاقل ومشكلات ، لربما هذه البنت لا تريده ولا تحبه ولا ترغب بالزواج منه ، ولربما تكون أخلاقه تختلف عن أخلاقها ، وتدينه يختلف عن تدينها ، فهذه من المشكلات. وكذلك أيضاً الضغوط الأسرية ، فالوالد أو الوالدة يريدون أن يتزوج من فلانة بنت فلان ، فهذه مشكلة ، لذلك ينبغي أن يُطيّب خاطر الوالد والوالدة ويقنعهم أن يتزوج من امرأة تناسبه وتلائمه ؛ لأنها ستكون زوجة له لا زوجه لأبيه. وكذلك أيضاً تفرد الأب في الاختيار: بعض الآباء يفتخر أنه زوج أبناءه جميعاً من غير مشورة لأحد منهم ، فهو يذهب إلى الناس الذين يرى أنهم يلائمون ، ثم يخطب لابنه امرأة منهم ويزوج هذا الابن من غير استشارة له ، والناس إذا كانوا يتقبلون هذا قبل ثلاثين سنة أو أربعين سنة فإن أبناء اليوم قد لا يتقبلونه ، فلا ينبغي لأحد أن يتورط في مثل هذه المضائق. ومن ذلك وهم الحب والعلاقة التي تكون بين الرجل والمرأة قبل الزواج: وذلك عبر علاقة محرمة كأن يحادثها ، ولربما خرج معها ، وحصلت وعود بالزواج وما شابه هذا ، ثم إذا تزوجها فإن هذه النشوة والاندفاع الذي عنده يخفت ويذهب ويتبخر ، ثم هو يتذكر في كل ساعة وفي كل يوم وفي كل لحظة أنها كانت تحادثه قبل الزواج ، إذن هي غير مأمونة ، ومعلوم أن المرأة إذا كانت في أيام بكارتها تكلم رجلاً أجنبياً ولربما خرجت معه ولم يمنعها الحياء ـ حياء البكارة وحياء العذراء ـ من أن تخرج ، وكانت جريئة في الكلام مع الرجال وما شابه ذلك فهي ستكون بعد الزواج أجرأ وأجرأ ، والتي رضيت لنفسها أن تكلم رجلاً لا يجوز لها أن تكلمه أو تخرج معه ما المانع أن تكلم ألف رجل ، وأن تخرج مع ألف رجل ما المانع؟ هي كلمت رجلاً لا يحل لها أن تكلمه ، وخرجت معه ولا يحل لها تخرج معه ، فما المانع أن تخرج مع الثاني والثالث والرابع والخامس؟ فهو يتذكر هذه القضية دائماً ، وكلما كلمت في الهاتف حاول أن يتعرف هي تحادث من ، ولربما وضع جهازاً يتصنت على مكالمتها ، فالحياة قلقة ، لا يثق فيها ، وغالباً ما تنتهي إلى فراق وطلاق).هـ. والأستاذ جاسم بن محمد المطوع يتناول (أسس اختيار الخطيبة أو الخطيب) فيقول ما نصه: (الزواج مؤسسة عظيمة ولبنة أولى أساسية في بناء المجتمع المسلم الذي يعول عليه النهوض بالأمة والارتقاء بالمجتمع الإنساني ككل إلى مراقي الفلاح وفردوس عبادة الله عز وجل. لذلك كان لا بد من حسن الاختيار للزوج والزوجة لتنجح هذه المؤسسة وتمارس دورها في بناء المجتمع الإنساني ، وإمداده بالأفراد الناجحين والأبناء الذين يحملون الخلق العظيم والدين السليم والجسد القويم والمستقبل الناجح والنفس التواقة السوية الخالية من العقد والأمراض ، وهذا لا يتأتى إلاّ من خلال أسرٍ متماسكة من أزواجٍ متحابين متآلفين منسجمين. وما أجمل هذه الآية العذبة: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

تُحْبَرُونَ}. هذا الانسجام والتناغم ما بين الأزواج له مقدماته الأصيلة من التعارف المشروع ، ألا وهي فترة الخطبة التي يجب أن تكون فترة تعرف دقيق كلاً على الآخر وفقاً لشرع الله عز وجل ، دون خلوةٍ شيطانية ملوثة أو عزلةٍ لا أساس لها منبوذة. إننا كلما صعدنا درجة في المعرفة كلما بانت الصورة بشكل أكبر وبانت العلاقات الأخرى مع الطرف الآخر ، كمن يصعد في السلم إلى الأعلى ليرى بصورة أفضل. إلى أن نصل إلى نظرة الطائر أي تعارف أكبر وخطبة أكثر نجاحاً. تدريب القلم: ماذا ترى من شخص يحمل بيده قلم؟ خطأنا أن نرى فقط القلم دون أن نرى حامله والمحيط. خطأنا أن نرى عيون المخطوبة دون أن نراها كاملة. كشف أبعاد ثلاثة: عند الإنسان (خاطب ومخطوبة) ثلاث مناطق: 1 منطقة مستورة لا تظهر في اللقاء الأول. 2 تظهر بالقرب في اللقاء الأول. 3 تظهر أولاً ومن النظرة الأولى. وبالتالي: لا يجوز الحكم من أول لقاء. كيف نتخذ قرار الزواج؟ نظريات الاختيار: الرجل يختار المرأة حسب عدة نظريات: • نظرية التكامل: قد يختار الرجل شريكة حياته على أساس إكمال ما ينقصه ، مثلاً إذا كان بخيلا فإنه يبحث عن صفة الكرم ليكمل ما عنده. • نظرية التشابه: قد يختار الرجل شريكة حياته على أساس أنّها مثيله بالأخلاق أو العلم. • نظرية التحليل النفسي: تقول هذه النظرية أنّ الرجل يختار شريكة حياته بحيث أنّها تشبه والدته بالشكل أو بنواحي ما. • نظرية القرب المكاني: سواء أكان في السكن أو العمل. • نظرية الجاذبية الجسمية: أكثر من 80% من الزيجات ، يختار الرجل زوجته لإعجابه بشكلها أو إعجابها بشكله. وقد يكون الاختيار على أكثر من نظرية. هل الجمال مهم؟ قضية الجمال عند الرجل والمرأة على السواء. تقدم لخطبتها لكنها رفضته ، فاستغرب والدها من رفضها ولم يعرف السبب على الرغم من أنّ الشاب الخاطب من عائلة معروفة ، ولديه مركز اجتماعي مرموق ويتمتع برخاء مالي ولا ينقصه شيء ، حتى أنّ شكله متناسق ووجهه جميل وكلامه لطيف ، ومع ذلك رفضته البنت ، فتحاور والدها معها فلم يصل إلى شيء ، بل ظل يسمع منها: أنا لا أريد الزواج من هذا الشاب!! فطلب هذا الوالد أحد المختصين ليتحاور مع ابنته ويعرف سبب الرفض الجوهري ، وعندما استفسر المختص عن سبب رفضها ، علم أنّها رفضته لسبب واحد وهو أنّه شاب رقيق في كلامه وتصرفاته ، ثم قالت: "وشعرت بأنّه أنا وليس رجلاً". أقول بعد سرد هذه الحادثة! إنّ مقياس الجمال عند الرجل يختلف عنه عند المرأة ، فالرجل يهتم بشكل المرأة وجاذبيتها ، ويسحره جمال وجهها ورقة صوتها وكمال أنوثتها ، أمّا المرأة فالجمال عندها في الرجل أن تشاهده رجلاً ، تستطيع أن تعتمد عليه وتشعر عند الاقتران به أنّه أهل لحمايتها ، وتلمس الأمن عنده ، فهذا هو الجمال في عين المرأة ، فجمال الشكل ووفرة المال مهم عندها ، ولكن الأولوية لأمر آخر تحتاجه ليسد النقص عنها ، وتستمر الحياة بتكاملهما. تنكح المرأة لأربع. أمّا الرجل فله فقط صفتين. ولهذا نلاحظ أنّ النبي عليه الصلاة والسلام ، عندما خاطب الرجل قال: «تنكح المرأة لأربع: ... وذكر منها الجمال» ، ولكنه عندما خاطب المرأة قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه...» فالدين والخلق هو الجمال في عين المرأة ، وهذه مسألة جوهرية بين الرجل والمرأة. فالجمال أنواع. جمال الشكل ، وجمال الحديث وجمال الهدوء. فالدين والخلق للرجل بالنسبة للمرأة جمال...! الدين يعطي جمال. الجمـال أمر نسبي. كما وأنّ هنالك مسألة أخرى في الجمال ، وهي أنّ الجمال أمر نسبي يختلف من شخص لآخر ، ومن بيئة لأخرى ، ومن زمن لآخر ، فقد تكون الفتاة السمراء جميلة في مجتمع ، بينما

مقياس الجمال في مجتمع آخر أن تكون المرأة بيضاء ، وعلى كل حال فالقضية ذوق ، ولكننا نلاحظ أنّ شعراءنا في القدم كانوا يتغنون بالمرأة السمراء البدينة ذات الشعر الأسود الطويل ، أمّا اليوم فالوضع مختلف ، فالنحافة والرشاقة هي الجمال ، بل إنّ وسائل الإعلام أحياناً تؤثر في ذوق الإنسان ونظرته للجمال ، ولعل الجمال في ظل عصر العولمة يصبح موحداً في العالم ، وهذا ما لا نرجوه ، لأنّه كما قيل: "لولا اختلاف الأذواق لبارت السلع". ثم لمَ ننكر الجمال؟! الجمال لا بد منه. قصة زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من صفية. ونحب أن نؤكد أنّ الجمال أمر أساسي ليس في الإنسان فقط ، وإنّما في الكون كله فإنّ الله جميل يحب الجمال ، وحب الله للجمال في كل شيء في الشكل والمحتوى وهذا ما نتمناه في علاقاتنا الزوجية ، بأن يكون الحوار بين الزوجين جميلاً ، والسلوكيات جميلة وتربية الأبناء جميلة وحياتهم أيضا جميلة. أمر سلبي يقود إلى ارتفاع نسبة العنوسة الأمر السلبي هو: الدور السلبي للآباء في تزويج الأبناء وخاصةً الإناث. تأمل قصة النبي شعيب عليه السلام وابنته مع النبي موسى عليه السلام وكيف زوجها من موسى عليه السلام. فهل سعي الأب إلى تزويج ابنته منافٍ للحشمة والذوق؟ ومن ثم هل قبول الزوج من حق الوالدين أم من حق المرأة؟ ونحن نقترح على كل خطيبين أن يجيبا على أسئلة عشرة في لقاء التعارف بينهما وقد جربت هذه الأسئلة وكانت لها نتائج إيجابية وناجحة في الزواج. 1: ما هو طموحك المستقبلي وما هدفك في الحياة؟ إنّ لكل إنسان أمنية في حياته يسعى لتحقيقها سواءً في المجال الاجتماعي أو الديني أو الأسري أو العلمي وغيره ، ومن المهم في بداية التعارف بين الخاطب والمخطوبة أن تكون الرؤية المستقبلية للطرفين واضحة. وكلما كانت الرؤية واضحة كلما قل الخلاف بين الزوجين في المستقبل. أي هل الخاطب من النوع الذي ينظر إلى الماضي أم إلى الحاضر أم إلى المستقبل؟ وهل ينظر بشكل دائم إلى أحد الجهات الثلاثة؟ الصواب أن يستفيد الإنسان من ماضيه ويعمل لواقعه ويخطط لمستقبله. 2: ما هو تصورك لمفهوم الزواج؟ هل إنجاب أم رحلات ونزهات أم ماذا؟ إن هذا السؤال من الأسئلة المهمة بين الطرفين ، وذلك حتى يتعارف الطرفان على بعضهما أكثر، تقول إحدى المتزوجات: فوجئت عندما عرفت أنّ مفهوم الزواج عند زوجي هو مجرد تحقيق رغباته الجنسية فقط ، وأمّا أنا فلا احترام لي ولا تقدير وكل المسئوليات ملقاة علي. ويقول الزوج: كم فوجئت عندما علمت أنّ مفهوم الزواج عند زوجتي أنّه من أجل الأبناء، وأنا معها في مشاكل دائمة وإلى الآن لم يرزقنا الله الولد. فمعرفة مفهوم الزواج عند الطرفين والحوار حوله من الأمور التي تساعد على الاستقرار الأسري مستقبلاً. 3: ما هي الصفات التي تحب أن تراها في شريك حياتك؟ جميل أن يتحدث الإنسان عن مشاعره وما يحب وما يكره وأجمل من ذلك كله أن يكون مثل هذا الحوار قبل الزواج بين الخاطب والمخطوبة ، حتى يستطيع كل طرف أن يحكم على الطرف الآخر إذا كان يناسبه من عدمه. ونقصد بالمحبوبات والمكروهات إلى النفس من السلوك والأخلاقيات والأساليب والمطعومات والهوايات وغيرها. 4: هل ترى من الضروري إنجاب الطفل في أول سنة من الزواج؟ لعل البعض يعتقد أنّ هذا السؤال غير مهم ، ولكن كم من حالة تفكك وانفصال حصلت بين الأزواج بسبب هذا الموضوع وخصوصاً إذا بدأ أهل الزوج أو الزوجة يضغطون على الزوجين في موضوع الإنجاب ، ولكن على الزوجين أن يتفقا فيما بينهما على هذا الموضوع. وأن لا يكون سبباً من أسباب المشاكل الزوجية في المستقبل ، ونحن لم نقل أنّ الأفضل الإنجاب

في أول سنة أو التأخير وإنّما نترك هذه المسألة لاتفاق الخطيبين. 5: هل تعاني من أي مشاكل صحية؟ أو عيوب خلقية؟ لا شك أنّ معرفة الأمراض التي يعاني منها الطرف الأخر لا قدر الله تؤثر في قرار الاختيار الزواجي ، بل إن إخفاء المرض على الطرف الأخر يعتبر من الغش في العقد ، فلا بد أن يكون ذلك واضحاً بين الطرفين سواء كان به عاهة مستديمة ، أو برص في أماكن خفية من جسده ، أو مرض السكر أو غيرها من الأمراض أو العيوب التي يعاني منها المقبل على الزواج. قصة زواج الرسول صلى الله عليه وسلم مع العالية من بني غفار. 6: هل أنت اجتماعي؟ ومن هم أصدقاؤك؟ إنّ العلاقات الاجتماعية هي أبرز ما يميز الإنسان ، ومهم أن يكون الإنسان اجتماعي الطبع يألف ويؤلف ، يُحِب ويُحَب ومهم عند التعارف أن يتعرف على الطرف الأخر من الناحية الاجتماعية كمعرفة أصدقائه وقوة علاقته بهم. وهل هو من النوع الاجتماعي أو الانطوائي. 7: كيف هي علاقتك بوالديك؟ (إخوانك ، أخواتك ، أرحامك). إنّ معرفة علاقة الخاطب أو المخطوبة بوالديه وأهله أمر في غاية الأهمية وذلك لأنّه كما يقال إنّ الزواج ليس عقداً بين طرفين فقط ، وإنّما هو عقد بين عائلتين ، فالزوج لن يعيش مع زوجته بمفرده منقطعاً عن العالم من حوله ، وإنّما سيعيشان معاً وكلما كانت العلاقة بالوالدين حسنة كلما بارك الله في هذا الزواج ، وكتب لهذه العائلة التوفيق. 8: بماذا تقضي وقت فراغك؟ وما هي هواياتك؟ ما مدى التزامك الديني؟ وكيف تتعرف على ذلك وتكشف الالتزام الديني؟ أن تبحث عن أهم شيء وهو: التقوى.. كلما ازداد التعرف على الطرف الأخر كلما كان القرار بالاختيار سهلاً و ميسراً ، وإنّ معرفة ما يحب الإنسان عمله في وقت فراغه دليل على شخصيته ومعيار لطموحه وأهدافه في الحياة ونظرته لمستقبله وشخصيته. 9: هل لك نشاط خيري أو تطوعي؟ كلما كانت علاقة الشخص بربه قوية كلما كان مأمون الجانب ويفضل أن تكون الفتاة أو الفتى يقتطعا جزءاً من وقتهما للعمل الخيري التطوعي ، وذلك من خلال تقديم عمل إنمائي أو مساعدة أو حضور مجالس الخير والاستفادة منها ، فإن هذا النشاط ممّا يجدد الحياة الزوجية ويقوي العلاقة بينهما لأنّهما يسعيان في هذه الدنيا من أجل هدف واحد وهو مرضاة الرب عز وجل. 10: ما رأيك لو تدخلت والدتي أو والدتك في حياتنا الشخصية؟ إنّ هذا السؤال ينبغي أن يطرحه المقبل على الخطوبة ، وذلك ليتعرف كل واحد منهما على الأخر في هذا الجانب ومدى حساسيته عنده ، فيتفقا إذا اختلفا في وجهة النظر على سياسة في التعامل بينهما ، وطريقة في حل الخلاف لو حصل تدخل من الوالد أو الوالدة أو حتى الجدة في علاقتهما الخاصة. بعض القضايا الخاصة: • ما رأيك بالزواج من أجنبية؟ وقصة أخرى يرويها أحد الآباء عندما رأى ابنته تدخل عشيقها إلى المنزل ، فوقف والدها أمامها ، فقالت له: إنّي استأذنت أمي (ووالدتها أجنبية) فسمحت لي بذلك ، لأنّها عندما كانت بعمري فعلت الشيء نفسه. أنا لست ضد (الزواج من أجنبية) على إطلاقه ، ولا يحق لي أن أحرّمه على الرغم من السلبيات الكثيرة التي رأيتها ومازلت أراها ، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم تزوج من مارية القبطية ، وبعض الصحابة تزوجوا من أجنبيات إن صح التعبير ، ومنهم عثمان بن عفان ، وسعد بن أبي وقاص ، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم أجمعين ، كما أجاز الشرع أن يتزوج المسلم من كتابية على أن تكون مُحْصَنَةً ، ولكن من يرى الآثار السلبية في زماننا من هذا الزواج لَيَعجب ، وأستطيع أن أذكر بعض هذه السلبيات على سبيل الاختصار ، ومنها ما يقع على المرأة من استخدامها

أحياناً كوسيلة اقتصادية ، وكذلك معاناتها مع المجتمع الجديد الذي تنتقل إليه وأنّها تفقد حماية أهلها ، وتفقد أبناءها أحياناً إذا حصل الطلاق ، وقد تؤدي بعض الحالات إلى خطف الأبناء ، وأحياناً تُحرم من الميراث إذا كان أهل الزوج رافضين لهذا الزواج. وأمّا السلبيات التي تقع على الرجل فمنها تناقض الثقافتين وفقدان تربية الأبناء وخسارة نصف ماله إذا طلق بموجب نص بعض القوانين الأجنبية ، كما وأنّه قد مر عليَّ حالة من حالات خيانة الزوجة لزوجها ، وعند الحديث معها تبين أنّها ترى أنّ من حقها معاشرة رجل آخر غير زوجها إذا لم تكن مستقرة مع زوجها جنسياً. وأمّا السلبيات على الأطفال ، فمنها ضياع الهوية وأحياناً ضياع اللغة ، وضعف الالتزام الديني ، وقد يحرم الطفل أحد والديه عند الانفصال ، وأمّا أكبر أثر على المجتمع فبقاء بنات المسلمين من غير زواج ، ولهذا وقف عمر بن الخطاب موقفاً حازماً من تصرف حذيفة بن اليمان عندما تزوّج من أجنبية وطلب منه الانفصال ، وحتى نكون منصفين لا بد أن نقول إنّ لهذا الزواج إيجابيات كذلك ، ومنها الانفتاح على المجتمعات ، ولو وقع شاب في حب فتاة فيكون الزواج هو الحل حتى لا يرتكب المحرم ، وكذلك اكتساب الأطفال للغات الأخرى فيما لو أحسن الوالدان تربيتهما ، ودخول أحد الزوجين في الإسلام ، وإظهار محاسن الإسلام بالتعامل مع الآخر وحصول التأمين الصحي والتعليمي للأبناء ، والحصول على الجنسية أو الإقامة في الدولة الأجنبية ، ولا ننسى أنّ محمداً الفاتح كانت والدته أجنبية (نصرانية) ، فيكون الزواج ناجحاً فيما لو اتفق الزوجان من البداية على مسيرتهما في الحياة. وأقول في الختام إنّه لكي ينجح الزواج من أجنبية ، لا بد من مراعاة تلك السلبيات ودراستها والحرص على تفاديها والاستفادة من الإيجابيات التي ذكرت ، ولكنني أرى الأولوية لبنات المسلمين فهنّ أحق من تلك الأجنبية ، وإن كان البعض يحتج بالمثل القائل "لقمة الغريب أحلى" ، فأقول إن الزواج وجبة ، بل نظام غذائي وليس "لقمة". • ماذا تكتب على هدية مخطوبتك؟ قال لي: لقد تعبت من البحث عن زوجة لي تتطابق مع صفاتي وميولي. قلت: إنّك تبحث عن مستحيل. قال: ولِمَ؟! أليست السعادة الزوجية تكمن في تطابق الزوجين في الصفات والأخلاق ، والثقافة والبيئة؟! قلت: أكرر لك ما قلت. إنّك تبحث عن مستحيل!! قال: لماذا؟ قلت: لأنّ الله تعالى وضع سنناً في الكون ، ومن هذه السنن التعدد والاختلاف في المخلوقات وخص نفسه جل وعلا بالوحدانية. قال: وكيف ذلك؟ قلت: قال تعالى: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} أي: "وللاختلاف خلقهم" كما يقول المفسرون. قال: إنّ هذا المعنى عظيم. قلت: تأمل في الكون وما فيه، وانظر إلى الأرض فيها الجبال والأنهار (المالحة والعذبة) والبحار كذلك ، وتأمل السماء وفيها سبع سماوات والكواكب والنجوم والمجرات ، وتأمل الماء وأنواعه وكل ما في الكون ، ثم تأمل البشر وألوانهم وأجناسهم وطباعهم ولغاتهم وحتى نبرة صوتهم ، لاتكاد تجد اثنين متطابقين ، فكيف تبحث عن زوجة تتطابق في صفاتها معك؟! قال: إذن ماذا أفعل؟ قلت: ابحث عن زوجة تناسبك ولكن أريدك أن تقدر هذه السنة الكونية ، لأنّ الله تعالى لم يوجدها عبثاً ، فإنّ الاختلاف بين الزوجين له منافع كثيرة ، منها: أن يتعلم كل واحد من الآخر ويستفيد منه ، وكذلك يستمتع كل واحد منهما باختلافه مع الآخرين ، ويستفيد الأبناء من

هذا الاختلاف فينشأوا متوازنين فالاختلاف رحمة وجمال. قال: إذن أبحث عن زوجة مختلفة عني؟ قلت: أنا لم أقل ذلك وإنّما أريدك وأنت تبحث عن زوجة أن تعرف سنة الله في الخلق ، فلا تصدم بعد المعاشرة الزوجية ، بأنّها تختلف عنك ، وإنّما أعطانا الله تعالى نعمة "التكيف" ونعمة "التفاهم" ونعمة "الحوار" ، لكي نتعايش مع من نختلف معهم ونستفيد من هذا الاختلاف في تحسين علاقاتنا ، وهذه هي ميزة التربية الإسلامية والمنهج القرآني ، لأنّ كل الحضارات التي جاءت على الأرض تحطم الواحدة منها سابقتها ، إلاّ الإسلام فإنّه احترم الجميع وتعامل معهم ، وهذا هو الفكر الإسلامي الذي جاء لنطبقه على المجتمع ، كذلك ينبغي أن نطبقه على الحياة الزوجية. قال: إنّه لمعنى جميل. قلت: وإن اختلف الزوجان في أمر فمرده إلى الله ورسوله. قال: إنّ ما تذكره يختلف عما في أذهان الشباب والفتيات. قلت: وهذا ما لاحظته فعلاً ، فكل خاطب ومخطوبة في أيّامهما الأولى يعتقدان أن كل واحد منهما هدية من الله للآخر ، فإذا ما استمرت الحياة الزوجية بدأت تظهر الخلافات والاختلافات ، ولو كان يعلمان بهذه السنة الكونية لقَلَّت الخلافات الزوجية وتلاشت الاختلافات العائلية. قال: "إن الاختلاف والتعددية سنة كونية وفهمها يذهب الخلافات الزوجية" سأكتب هذه العبارة على أول هدية أقدمها لخطيبتي. فابتسمت لحديثه ثم قلت له: دعني أقول لك طرفة نختم بها حوارنا. قال الزوج لزوجته في أول يوم من حياتهما الزوجية: ما رأيك أن ينزع كل واحد منّا ثوبه ويلبسه الآخر ، فاستغربت الزوجة من قوله ، ثم ابتسم وقال بلطف: أردت أن أعلمك درساً أن لكل واحد منا مهامه ووظائفه في الأسرة ، ولو حاولنا تبادل الوظائف كما نتبادل اللباس لفسدت الأسرة. صدمني عريس قال لي: لقد اكتشفت شيئاً عظيماً في أول ليلة من الزواج ، وأنا أفكر الآن بتطليق زوجتي بعد مرور ثلاثة أيّام من ليلة الدخلة ، والشيء الذي اكتشفته في ليلة الدخلة أنّ زوجتي ليست عذراء. فماذا أفعل؟! وكيف أتصرف؟ هل أصارحها بإحساسي؟ وماذا أفعل بها إن صارحتني بماضيها؟ قلت: هدئ من روعك ، واستعن بالله ودعني أسألك عدة أسئلة؟ قال: تفضل. قلت: كيف عرفت أن زوجتك ليست بكراً؟ هل أنت خبير بذلك؟ قال متردداً: لا أنا لست خبيراً ولكن مجرد إحساس. قلت: إذن لا تستعجل ، فقد يكون إحساسك خاطئاً ، فهل تستطيع أن تستمر معها وكأن شيئاً لم يحدث طالما أن الأمر ليس يقينياً. قال: لا. لأنّ نفسي توسوس بذلك وأنا ملتزم ومحافظ ومتدين ولا أحب أن أرتبط بفتاة لها ماضٍ. قلت: إذن لا بد من مصارحتها ، فهل أنت مستعد؟! قال: نعم. ولكن كيف؟ ومتى؟ قلت: أولاً: ينبغي أن تعلم أنّه ليست كل فتاة غير بكر فذلك يعني أنّها زانية ، فقد تكون تعرضت إلى اغتصاب في صغرها أو كانت تلعب رياضة معينة أو مرت عليها لحظة طيش وحصل ما حصل ، فهل أنت مستعد لأن تصدقها؟ إن قالت لك ذلك؟ وإذا أنكرت حصول أي شيء في تاريخها ، فأنت بين خيارين: إمّا أن تتقبل كلامها وتكون مطمئناً ، أو أن تقترح عليها الذهاب إلى طبيبة مختصة للفحص حتى لا يدخل الشيطان بينكما مرة أخرى. وبذلك تقطع الشك باليقين. واعلم أنّها إن رفضت الذهاب إلى الطبيبة فلا يعني ذلك أنّها زانية ، فكثير من العفيفات لا يقبلن ذلك ، فكن حكيماً في التعامل معها. فأنت تعلم أن هذه مسألة حساسة وتخدش حياء المرأة. قال: وإذا لم تتجاوب معي في أول حوار؟ قلت: لا تستعجل وكن متريثاً فالأمر ليس بالسهولة التي تظنها ، فكن حكيماً معها وحاول أن تفتح الموضوع في لقاء آخر حتى ولو بعد حين. قال: ولكن الصدمة ستكون كبيرة إن اكتشفت أنّها كانت زانية وأنّها

تستمر في ذلك ولم تتب. قلت: إذا كانت هي بهذه الدرجة فيكون الفراق هو الحل. قال: ولو قالت لي بأنّها تابت بعد الزنا ، ولكن أنا لا أستطيع أن أستمر معها ، فنفسيتي لا تتحمل ذلك. قلت: أقترح عليك أن تطلقها ولكن بعد مرور أكثر من ستة أشهر على زواجكما ، حتى لا يكون سبباً للنّاس أن يتحدثوا عنها في عفتها إذا طلقتها اليوم ولم يمر على زواجكما أكثر من ثلاثة أيّام. فخطط معها كيف يكون الفراق ، وبعد الفراق إذا سئلتما عن سبب الطلاق فلتكن إجابتكما واحدة بعد ستة أشهر ، وذلك حفظاً للفتاة طالماً أنّها تابت إلى الله ، فربما يأتيها زوج بعدك. قال: شكراً لك على هذا الحوار وسأبدأ بتنفيذ هذه الخطة من اليوم إن شاء الله ، وأرجو أن يكون كل ما دار في ذهني من أفكار غير صحيح ، لأنّني والله أحببتها حباً كبيراً. قلت: وأنا أرجو أن تستمر معها حتى لو صارحتك بارتكاب الفاحشة طالما أنّها تابت إلى الله وأنت تحبها ، فتكون لها عوناً على الطاعة إن شاء الله. فذهب ولم يرجع إليّ أو يحدثني وأنا لا أعلم حتى الآن ماذا حصل بينهما؟! وفي الختام. لا بد من التأكيد على الدور الأساسي لهذه المؤسسة العظيمة ، مؤسسة الزواج. ولا بد من التأكيد على أهمية هذه الفترة التمهيدية لبدء مرحلة جديدة من الحياة ألا وهي فترة الخطبة. كل ذلك لبناء أسرة مسلمة متماسكة متحابة في الله تقدم للإنسانية نماذج مشرقة من الأبناء تعلي راية الحق عالياً).هـ. وتحت عنوان: (البعض يفضلها مثقفة وذكية وجذابة المرأة الجميلة نقطة ضعف الرجال) تقول الأستاذة جميلة إسماعيل ما نصه: (وجد الشاعر العباسي خالد بن صفوان إحدى الخاطبات وقد اجتمع عندها الرجال فقال لها : اخطبي لي امرأة،فقالت:وما هي مواصفاتها؟ فقال: أريدها بكراً كثيب ، حلوة من قريب ، جميلة من بعيد ، كانت في نعمة فأصابتها فاقة ، فأترفها الغنى وأدبها الفقر ، عزيزة في قومها ، ذليلة في نفسها ، فإذا اجتمعنا كنا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة! قالت: وجدتها لك ، قال: وأين هي؟ قالت: في الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها! موقف طريف ذكرناه استهلالا لموضوع هل يفضل الرجل المرأة الجميلة أم المثقفة؟ المشاركون في هذا الاستطلاع تراوحت آراؤهم ، فمن من أكد أن الرجال يتنافسون على الاقتران بالجميلة ، ومنهم من فضلوا المثقفة الذكية المتحدثة الراقية بفكرها ، ومنهم من أوضح أن الرجل يبحث دوما عن المرأة التي تطيعه وتستشيره ، وتعمل برأيه ، وهذا ليس سيطرة منه ، بل هو احترام للعلاقة الزوجية التي يجب أن تبنى على التفاهم).هـ. والأستاذة نجوى عبد الكريم آل علي تقول: (نسمع أن الرجل دائما يبحث عن الفتاة التي تناسب أن تكون زوجته من خلال توافر الكثير من الأمور فيها وعلى رأس ذك الجمال فوق كل شيء! مضيفة: كما أن المرأة بدورها تبحث هي الأخرى عن صفات لرجل المستقبل الذي سيشاركها حياتها ، وهذه الصفات عديدة ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هي صفات الرجال التي تحقق للمرأة معهم حياة هانئة بعيدا عن الاستغلال والهيمنة والعقلية الشرقية التي تتشبث بصورة بالية عن المرأة؟ المرأة في النهاية ليست جمال جسد ومظهر فقط ولكن المرأة عقل يفكر وذكاء وتدبر في كل الأمور الحياتية. أما لمياء عبدالله المازم فتقول: (إن الرجل اليوم في مهمة البحث عن المرأة المثقفة والذكية. والتي تتسم بطريقة رائعة في التفكير العقلاني. وإن كنت هناك فئة تلهث وراء الجمال إلا أنه يبقى التنبيه هنا بضرورة عدم إغفال العقل لأن الجمال يبقى نسبياً. مشيرة إلى هناك صنف آخر من الرجال من يبحث عن الجاذبية وهو شيء يحس ولا يوصف ولعل الجاذبية هي سحر الشخصية الذي يشمل المواصفات الشكلية والروحية والاجتماعية والثقافية ،

فالجاذبية شيء لا يخضع لأي مواصفات معينة).هـ. وتؤكد الإعلامية ياسمين الملاح ذات المعاني فتقول: (إن الشائع أن الرجال لا يرغبون عادة في الزواج من امرأة ذكية مثقفة لها أهدافها الخاصة وصاحبة شخصية قوية ، ويفضلون عليها المرأة العادية ذات الذكاء المحدود ، لأن الأولى لا تخضع بسهولة لأراء الرجل ، بل وتناقشه في أي قرار يتخذه ، كما تكون ألاعيب الرجل مكشوفة أمامها. مضيفة: في يومنا هذا وللأسف الشديد يغفل الرجال عن ما تتميز به المرأة من قدرات ذهنية وعملية وأخلاقية في مقابل الاهتمام بجمالها. ويبقى السؤال: ولم يهمل هؤلاء جوانب المرأة الإيجابية كالروح والفكر والخلق والمعنى؟).هـ. وأما عباس فرض الله فيقول: (لا بد من المرأة الجميلة المثقفة في نفس الوقت. مضيفاً: ما المانع من أن يتزوج الرجل من فتاة تجمع كلا الجانبين؟ مضيفا: النقطة التي يجب أن نشير إليها هنا أن المرأة يجب ألا تعتني فقط بجمالها فحسب لتجذب الرجل إليها ، بل لا بد لها من الاهتمام بعقلها وتنويره وتنمية ذكائها وتحقيق ارتقاء فكرها فهذا الأمر من شأنه أن يساعدها على تصحيح مشكلاتها الزوجية التي تتطلب فكراً إيجابياً وليس جمالاً فقط. مؤكدا أن هناك صنف من الرجال يبحثون عن المرأة الرصينة والمتعلمة ، لأنها تقود الأسرة إلى حياة آمنة وتؤمن لها مستقبلها برجاحة عقلها وتفهمها).هـ. وأما المهندس سعود الميل فيقول: (من البديهي أن الرجل يحب المرأة الجميلة ، متسائلاً هنا: ولكن ما هي مواصفات هذا الجمال؟ إن ذلك يختلف حسب طبيعة الرجل وبيئته. ومن باب الطرافة يذكر الميل بأن الصينيون يقولون: المرأة الصالحة ألزم للرجل من يديه وقدميه! أما الأمريكان فإنهم يقيسون كل شيء بالمال فيقولون: المرأة المرحة تساوي مليون دولار ، والمرأة الجميلة تساوي ثلاثة ملاين دولار ، أما المرأة الصالحة فتساوي ميزانية أمريكا كلها!).هـ. وأخيراً يقول الأستاذ عبيد عبد الله الظهوري: (هناك العديد من الرجال الذين يبحثون عن المرأة الجذابة والجميلة متغاضين عن صفات عديدة أخرى ، مؤكدا أن صفة الجمال أصبحت شاغل للعديد من الرجال الذين يبحثون عن الجمال باعتباره هو صفة من صفات المرأة. وعن نفسه يقول: أتمنى أن أتزوج من فتاة مقبولة الشكل ، وذات مظهر جذاب ، إضافة إلى احتوائها للثقافة بحيث أتمكن من محادثتها في شتى الجوانب الحياتية وهذه الصفات هي شرط أساسي فى شريكة الحياة).هـ. وأراني أسرفتُ في التقديم لهذه القصيدة! وما ذاك إلا لأهمية موضوعها ، ثم أن الديوان أخذ تسميته من عنوانها! المهم أنني لمتُ صديقي الذي فتن بالجمال ونسي القيم!)

ذلُ الجمـــــال قـــــرينُ الضـــــنكِ والـــــوَدَبِ ... فـــــاظفر بـــــذاتِ التقـــــى والعلـــــم والأدبِ

أغـــــراك فيهـــــا جمـــــالٌ ، خـــــاب عاشـــــقه ... حتـــــى ابتليـــــت مـــــن الجمـــــال بـــــالكُرَب

لحْـــــظ العيـــــون أراك العـــــيش مؤتلقـــــاً ... والـــــرمشُ أرســـــل إشـــــعاعاً مـــــن اللهـــــب

والعـــــينُ صـــــادتك بالسِـــــحر الجميـــــل ضـــــحىً ... حتـــــى غرقـــــتَ ببحـــــر الـــــدهش والعجـــــب

والشَّـــــعرُ أهـــــدى إلـــــى عينيـــــك صـــــاعقة ... جـــــدائلٌ صـــــفّقتْ كباســـــق القُبـــــب

تبختـــــرتْ صـــــلفاً كالبُخـــــت مائلـــــة ... ووصـــــفهن أتـــــى فـــــي أعـــــذب الكتـــــب

ذوائـــــبٌ تفـــــتن العشـــــيق فاحمـــــة ... وقصّـــــة تحـــــرق الفـــــؤادَ كالشـــــهب

والجيـــــدُ يختِـــــلُ مـــــن يـــــأوي لصـــــورته ... إذ حُســـــنه فـــــاق عقـــــدَ المـــــاس والـــــذهب

والوجـــــه باقـــــة حســـــن مـــــن نضـــــارته ... يَســـــبي انتبـــــاه محبـــــي الحســـــن والعَـــــزَب

هـــــذي التقاســـــيمُ قـــــد خصّـــــتْ بهـــــا أمَـــــة ... تقـــــول: حُوريـــــة هـــــذي مـــــن العُـــــرُب

والســـــعدُ يُقبـــــل فـــــي فحـــــوى ابتســـــامتها ... وصـــــوتها مفعـــــمٌ بـــــالأنس والطـــــرب

أهـــــدابها وبريـــــقٌ مـــــن ذوائبهـــــا ... بـــــه يـــــزول الـــــذي فـــــي الـــــنفس مـــــن كُـــــرَب

والوجنتـــــان شـــــروقُ الشـــــمس إن طلعـــــتْ ... أو هلـــــة البـــــدر تجْلـــــي داجـــــي الســـــحُب

وللقـــــــــوام دلالٌ فـــــــــي تغنجهـــــــــا ... رغـــــم العبـــــاءة والجلبـــــاب والحُجُـــــب

أغـــــراك منهـــــا حـــــديثٌ لفظـــــه ســـــمرٌ ... أحلـــــى مـــــن الشـــــهد والتفـــــاح والعنـــــب

حتـــــى تزوجـــــتَ تـــــروي رغبـــــة جمحـــــتْ ... كالنـــــار توقـــــد بالكبريـــــت والحطـــــب

وبـــــت ترشـــــف مِـــــن شـــــهد الرضـــــاب ، فـــــذا ... عنـــــد المُحبّـــــين أســـــمى غايـــــة الطلـــــب

وكـــــم بنيـــــت مـــــن الأحـــــلام تحسَـــــبُها! ... حقـــــاً تحـــــب بـــــلا شـــــكٍ ولا ريـــــب

وكـــــم توســـــمت فيهـــــا الخيـــــر محـــــتملاً ... مـــــا تدّعيـــــه مـــــن البهتـــــان والكـــــذب!

وكـــــم بنيـــــت لهـــــا الأمجـــــاد وارفـــــة ... أســـــمى مـــــن المـــــال والأمـــــلاك والحســـــب!

وكـــــم ســـــطرْتَ لهـــــا عـــــزاً تتيـــــه بـــــه! ... ومـــــن يقـــــدمْ خصـــــال الخيـــــر يَحتســـــب

وكـــــم أقمـــــت لهـــــا صـــــرح الإبـــــاء لكـــــي ... تحقـــــق اليـــــوم مـــــا فـــــي القلـــــب مـــــن أرب!

وكـــــم شـــــقيتَ لتحيـــــا فـــــي بُلهنيـــــة! ... شـــــتان بـــــين الشـــــقا واللهـــــو واللعـــــب!

وكـــــم ذللـــــتَ لكـــــي تحيـــــا مُكرَّمـــــة! ... ومـــــن يـــــذق شِـــــقوة الحيـــــاة يكتئـــــب!

وكـــــم تضـــــوّرت مـــــن آلام مَســـــغبةٍ! ... شـــــتان شـــــتان بـــــين الـــــريِّ والسَّـــــغب!

وكـــم تعـــذبت كـــي تبقـــى منعّمـــة! وكـــم طرقـــت لهـــذي الـــزوج مـــن ســـبب!

وكـــم تحـــدّيت مـــن ظـــرفٍ ومـــن بَشـــر كفـــارس فـــي الـــوغى مستبســـلٍ حَـــرب!

وكـــم ركبـــت صـــعاباً تســـتهين بهـــا فـــي درب حبكمـــا المكـــدَّر اللجِـــب

وكـــم بـــذلت لهـــا فـــي الحـــب عارفـــة بكـــل ودٍ بـــلا مـــنّ ولا جلـــب!

وكـــم جعلـــت لهـــا شـــأناً بـــه بطشـــتْ حتـــى دهتـــك - مـــن الـــبلاء - بـــالودب!

وكـــم رفعـــت - مـــن الحضـــيض - مـــن ســـفلتْ حتـــى رمتـــك - مـــن الحضـــيض - بـــالنوب!

وكـــم تحملـــت كـــي يشـــتدّ ســـاعدها واليـــوم ترفـــل فـــي التمكـــين والغلـــب!

وكـــم منحـــت بـــإخلاص وفـــي جلـــدٍ ودون شـــكوى لمَـــا تلقـــاه مـــن نصـــب!

وكـــم توشـــحت بالتصـــبير ملتمســـاً لهـــا المكانـــة بـــين العُجـــم والعَـــرب!

فباغتتـــك بمـــا تخفيـــه مـــن ســـفهٍ وحطمـــتْ خيمـــة قامـــت علـــى طنـــب

وحبّـــرت قولهـــا تـــدلي بحُجتهـــا وبارزتـــك بمـــا تجيـــد مـــن خطـــب

والكيـــدُ أهـــونُ مـــا تزجيـــه كارهـــة تواجـــه الـــزوج بـــالأهلين والعُصُـــب

واســـتخدمتْ - فـــي النـــزال المُـــرِّ - أســـلحة مـــا اســـتُخدمتْ لحظـــة مـــن ســـالف الحقـــب

كأنمـــا هـــذه جـــيشٌ بأكملـــه ترجـــو الـــدماء مـــن الأقـــدام للركـــب

فلـــيس بينهمـــا أدنـــى مقارنـــةٍ ولا تكـــافؤ أو شـــيء مـــن النســـب

وقلبهـــا قـــد خـــلا مـــن ذِكـــر خالقهـــا أبـــئس بقلـــب امـــرئ مـــن التقـــى خـــرب!

واســـتعذبتْ طعنهـــا فـــي قلـــب ســـيدها فخيّبتـــه ، ولـــولا الغـــدر لـــم يخـــب!

وقلبـــه - فـــي لظـــى الوجيـــب - منجـــدلٌ واللهِ لـــولا التـــي خانتـــه لـــم يَجِـــب

وأنشـــبت - ويحهـــا - أعتـــى مخالبهـــا ولوَّنَـــت خـــذلها تلـــونَ الحِـــرَب

كانـــت تـــرى نفســـها مليكـــة طهُـــرتْ أمـــا الحليـــلُ فكـــم عـــانى مـــن الجـــرب!

ففي المرايا ترى جمال خلقتها ... لكنّ أخلاقها تعجّ بالعطب

وعيَّرتْ زوجها بالشيب يُحْرجُه ... والقبحُ مهزلة تفضي إلى شعب

وتلك تطعن بالألفاظ عزتَه ... في كل لفظٍ أباطيلٌ من اللهب

(ذل الجمال) له ضريبة ثقلتْ ... على البئيس الذي يحيا مع الكُرب

يبيتُ يغبط من بنى بصالحةٍ ... أو لم يجد فارتضى معيشة العزب

أحلى من الذل يغتال الإباء سدى ... وكيف تبتسم الدنيا لمضطرب؟

بالذل تنتحر الأشواق لاعجة ... وكيف يحظى كسيرُ القلب بالغلب؟

قد أحسن الزوجُ ، لكنْ زوجُهُ غدرتْ ... وكم أذلته بالتعيير والكذب!

فهل يقابل إحساناً بمخبثةٍ؟ ... وهل يلوكُ الشقا ضميرُ محتسب؟

وهل يذل محبٌّ مخلصٌ رؤفٌ؟ ... صافي العقيدة والأخلاق والنسب؟

وهل تباع ببخس مَكرماتُ فتىً ... بالخير جاد وبالأموال والقُرَب؟

وهل يذوق عفيفٌ نار عفته؟ ... وهل يكافأ راعي الأمن بالرهب؟

وهل تحَرِّق نار الغدر نخلتنا ... كيلا تجود على الغادين بالرطب؟

وهل يُعاقب بالخذلان مُحترمٌ؟ ... وهل يُعاب الذي - في الناس - لم يُعَب؟

وهل يغيَّب ليثٌ عن مكانته ... هذا الذي عن بلوغ المجد لم يغب؟

وهل يُجاهرُ - بالتجريح - ملتزمٌ ... وبعدُ يُرمى بسبّ الناس والشغب؟

وكيف يجعل مَن يحمي العُرَى هدفاً؟ ... إني لأبكي على الأقدار والرتب

وكيف تهدر أقدار الألى عملوا؟ ... هل العقول تعاني خيبة العطب؟

وكيف يعبث بالأفذاذ مجترمٌ؟ ... إني لأرثي لقدر السادة النجُب!

وكيف يُنقِص قدرَ الصِيد أحمرةٌ ... بالأربع السوق تزجي الرفسَ ، والذنب؟

خـــاب الجمـــال! ولا كُنـــا ضـــحيته ... فللجمـــال أســـىً وســـوءُ منقلـــب؟

يُمســـي ويُصـــبح يُعلـــي شـــأن ســـاقطةٍ ... منهـــا يلـــوذ كـــريمُ الأصـــل بـــالهرب

والنـــاس تـــألف مـــن بحُســـنها جهـــرتْ ... ولـــيس ســـوءُ تردّيهـــا بمغتـــرب

تـــدل بالحســـن ، يُغليهـــا ويرفعهـــا ... وفـــي هـــدوء الـــورى تســـود بالصـــخب

وللجمـــال دهـــاليز وأروقـــة ... تـــزري بســـالكها فـــي كـــل منســـرب

عبـــد الجمـــال دنـــئٌ فـــي مقاصـــده ... ومـــن يسِـــرْ فـــي مهـــاوي الغيـــد ينتحـــب

يـــذل نفســـاً ، ألا مـــا كـــان أكرمَهـــا! ... لـــو أنهـــا احتكمـــت للـــدين والأدب!

وهـــل تعـــادل ذاتَ الـــدين مُعرضـــة ... وإنْ تحَـــب لـــذات الحســـن عـــن رغـــب؟

مليحتـــان: فـــذي الجمـــالُ جمَّلهـــا ... وتلـــك فاســـقة ، حَسْـــنا بـــلا حســـب!

أختُ الشـــريعة فـــي الجـــوزاء مســـكنُها ... فمـــن يفـــز بحنـــان الجـــار ذي الجُنُـــب؟

هـــي الحيـــاة لمـــن يرجـــو كرامتـــه ... وخيـــرُ ذخـــر لـــه فـــي اليســـر والتعـــب

هـــل هـــذه مثـــل مَـــن بحســـنها بطِـــرتْ ... ولـــم يَقـــدها - إلـــى التوحيـــد - نصـــحُ أب؟

والفـــرقُ بينهمـــا بـــادٍ لمُـــدّكر ... كـــالفرق بـــين مريـــر الشـــيح والعنـــب

هـــل اســـتوت غـــادةٌ بالشـــرع عاملـــة ... يومـــاً بفاتنـــةٍ تحيـــا بـــلا أدب؟

هـــل الصـــقور اســـتوت فـــي أوج قوتهـــا ... يومـــاً بمـــلء الســـما مـــن أشـــرس الغُـــرُب؟

(ذل الجمـــال) رهيـــبُ الوقـــع فانـــأ تفـــزْ ... ومَـــن يُـــذلُّ علـــى يديـــه يُجتنـــب

شـــتان شـــتان بـــين الغـــادة التزمـــتْ ... والغـــادة اتبعـــتْ (حمّالـــة الحطـــب)!

هـــذي مهذبـــة ، وتلـــك هازلـــة ... شـــتان شـــتان بـــين الخـــض والحلـــبّ!

كما بدأكم تعودون

(بلغ هذا الأشيب من الكِبَر عِتياً ، واشتعل رأسه شيباً ، وقد وهنت عظامه وتساقطت أسنانه ، وبات طريح فراشه ، وأبدِل من قوةٍ ضعفاً وشيبة ، ومن عزةٍ ذلاً ، ومن إقبال على الحياة إدباراً عنها. وصدق الله ربي إذ يقول: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهوالعليم القدير). ورأيته بعيني في أول مشيبه وكان متماسكاً إلى حدٍ ما. يعي الذي يكلمه ، ويسير ويتحرك. ثم رأيته بعد عقد ونصف وقد تدهورت الأحوال والأمور. وقد وضع أبناء ابنته الحفاضات عن يمين سريره ، والرّضّاعة قبالة رأسه ، والحليب عن يسار السرير. وصار الفارق الكبير بين عودته كما بدأ طفلاً أن كل المحيطين بالطفل من أهله ومن غيرهم يعطفون عليه ويحبونه ويحرصون على حياته ، بينما ذلك الأشيب طريح فراشه ، فلا أحد يكاد يرغب فيه فيما يبدو. فهو يرعاه ويهتم به ويخدمه تكلفاً لا رغبة. فكم ربّى من أولادٍ يحبهم ، ولكنهم الآن يقرفون منه وينفرون. ومن هنا كانت هذه الحال. إذ هو بحاجة لمن يُرضعه ويقوم على تنظيفه ويُجلسه ويوقفه ويَحمله. ومن هنا فهو عبءٌ على من حوله. وصدق الله ربي إذ يقول: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً). ويقول: (ومن نعمرْه ننكسْه في الخلق أفلا يعقلون). ويقول: (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً). وإذن فكما أتى الإنسان إلى الدنيا لا يعلم شيئاً يخرج منها وهو لا يعلم شيئاً. يقول الله: (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) ، ويقول: (والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير). ولما نعى زكريا – عليه الصلاة والسلام – الشيب شكاه إلى الله فقال: (رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً). ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - (إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم). ويقول: (ما أكرم شابٌ شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه) ، ويقول : (خيرالناس من طال عمره وحسن عمله). وقد روى ابن حبان من حديث عمر بن الخطاب – رضى الله عنه - أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: (من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة). ومن وصايا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالشيب قوله: (لا تنتفوا الشيب فإنه ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كانت له نوراً يوم القيامة) ، وقوله: (من شاب شيبة في الإسلام كتب له بها حسنة وحط عنه خطيئته) ، ومن رواية الترمذي المختصرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن نتف الشيب فإنه نور المسلم) ، ولما جاء أبو بكر بأبيه إلى - النبي صلى الله عليه وسلم - وحد رأسه ولحيته كالثغامة أوصى – صلى الله عليه وسلم - بقوله - (غيّروا هذا الشيب واضربوا عليه بالكتم). ولم يزل الشعراء ينشدون في الشيب: * فصاحب الزينبية صالح بن عبد القدوس يقول:

ذهــبَ الشــباب فمــا لــه مــن عــودةٍ وأتــى المشــيبُ فــأين منــه المهــربُ؟

* وأما المعرّي فيمتدح المشيب وما فيه من المزايا ، ويدافع عنه فيقول:

والشـــيبُ أزهـــارُ الشـــباب ، فمـــا لـــه يَخفـــى ، وحســـنُ الـــروض فـــي الأزهـــارِ

* يقول ابن الخطيم ، يضرب على وتر حفظ الشباب فيقول:

إذا المـــرء أعيـــا رهطـــه فـــي شـــبابه فـــلا تـــرجُ منـــه الخيـــر عنـــد مشـــيبِ

* وهذا المتنبي يجعل المشيب امتداداً للشباب فيقول:

وإذا الشـــيخ قـــال: أفٍ ، فمـــا مـــل حيـــاة ، وإنمـــا الضـــعفُ مـــلا

آلـــة العـــيش صـــحة وشـــبابٌ فـــإذا مـــا وليـــا المـــرءُ ولـــى

* ويقول زهير بن أبي سلمى مادحاً علم المشيب:

ســـئمتُ تكـــاليف الحيـــاة ومـــن يعـــش ثمـــانين حـــولا لا أبالـــك يســـأم

ويقول ابن الأنباري ذاماً تخضيب الشيب بالسواد:

فهـــذا الشـــيب نخضـــبه ســـواداً فكيـــف لنـــا فنســـترق الســـنينا؟

* وينعي ابن الدهان مشيبه وقد عمَّر طويلاً فيقول:

فصـــرتُ الآن منحنيـــاً ، كـــأني أفـــتش فـــي التـــراب عـــن الشـــبابِ

* ويذهب الفرنسيون إلى القول بأن الشباب يحلم والشيخوخة هي التي تكشف الحساب . ومن هنا فللشباب الغض طموحاته الخاصة. تلك التي لا تقارن بأي فترة من فترات العمر الأخرى!

* ويقول تيرنس: (إن الشيخوخة بآلامها ومتاعبها أفضل من شباب بلا أمل. إذ الشباب بلا أمل ضياع وشرود ليس له قيمة وإذن فالشيء الوحيد الذي يعطي للشباب قيمته وسموه هو الأمل المستوعب لكل الطموحات!).

* ويقول فرنسيس بيكون: (إن الشيخوخة تكْمن في الروح أكثر مما تكمن في البدن). وأختم بقول الفيلسوف الكبير شكيب أرسلان: (البعض يولدون شيوخاً والآخرون يموتون شباباً). وكأني به يُعرّض بالتافهين العابثين! والمهم في مقدمتنا الطويلة تلك في الشيب ، أن شيبة قصيدتنا كان قد عاش إلى أن بات عبئاً ثقيلاً وكماً مهملاً. فقلاه الأغلب الأعم من الأبناء والبنات على كثرتهم. ولو كانوا يزورونه صباحاً ومساء. ليلاً ونهاراً. فرثيتُ لما آلت إليه حاله. ورحتُ أتأمل وجهه وتجاعيده فوقفتُ على حقائق منها أنني أدركتُ أن هذا الأشيب رغم افتقاره إلى سواه إلا أنه عزيز كريم. وربما كانت جوارح قد صانها في شبابه من معاصي الله فحفظها الله عليه في مشيبه. إذ إنه يواظب على الصلوات الخمس وذكر الله ولو بالعين والرمز والإشارة. وتحت عنوان: (نور الشيب وحكم تغييره في ضوء الكتاب والسنة) للأستاذ سعيد بن علي بن

وهف القحطاني ، يقول في خاتمة الكتاب ما نصه: (ويستخلص من الأحاديث الواردة في الشيب وخضابه ما يأتي: (* الشيب نور المسلم في الدنيا والآخرة. * المنع من نتف الشيب ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم. * الشيب تزاد به الحسنات. * الشيب ترفع به الدرجات. * الشيب تحط به الخطايا. * تحريم صبغ الشيب بالسواد. * صبغ الشيب بالحناء ، أو الصفرة ، أو الحناء والكتم سنة مؤكدة. * الحناء: لونه أحمر ، والحناء مع الكتم: لونهما بين السواد والحمرة. * من صبغ الشيب بالسواد من السلف فلا دليل له من كتاب ولا سنة. * لا قول لأحد مع قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كائنًا من كان. * الشيب له أسباب غير كِبَرِ السنِّ ، فقد يكون مبكراً ؛ لخوف الله عز وجل ، أو لغيره من الأسباب. * فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت؟ قال: "شيبتني هودٌ ، والواقعة ، والمرسلات ، وعمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كُوِّرَت". * وعن أبي جحيفة رضي الله عنه ، قال: قالوا: يا رسول الله نراك قد شبت؟ قال: "شيبتني هودٌ وأخواتها").هـ. قال صلى الله عليه وسلم: "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم" ، "ولكن هذا الصباغ بغير السواد ، تمسكًا بقوله صلى الله عليه وسلم: "واجتنبوا السواد" والله أعلم" ، "وقوله صلى الله عليه وسلم: "واجتنبوا السواد" أمر باجتناب السواد وكرهه جماعة منهم: علي بن أبي طالب ، ومالك ، وهو الظاهر من هذا الحديث ، ثم ذكر رحمه الله جماعة كثيرة من السلف كانوا يخضبون بالسواد ، وقال: "ولا أدري عذر هؤلاء عن حديث أبي قحافة ما هو؟ فأقل درجاته الكراهة كما ذهب إليه مالك". قلت: أما عذر السلف الذين كانوا يخضبون بالسواد ، فيحمل على أنه لم يبلغهم حديث النهي الصريح عن الصبغ بالسواد ، والله أعلم. وقال الإمام النووي رحمه الله: "ومذهبنا استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة أو حمرة ، ويحرم خضابه بالسواد على الأصح". ويؤكد اختيار الإمام النووي ومن سلك مسلكه في تحريم الخضاب بالسواد ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام ، لا يريحون رائحة الجنة". وقال الإمام ابن القيم: "والصواب أن الأحاديث في هذا الباب لا اختلاف بينها بوجه ؛ فإن الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من تغيير الشيب أمران: أحدهما: نتفه ، والثاني: خضابه بالسواد. والذي أذن فيه: هو صبغه وتغييره بغير السواد: كالحناء والصفرة ، وهو الذي عمله الصحابة. وأما الخضاب بالسواد فكرهه جماعة من أهل العلم وهو الصواب).هـ. ومن هنا رحت أنشد في مدح الشيب!)

إن المشـــــيب ســـــكينة وبهـــــاءُ ... والعـــز بـــادٍ ، لـــيس فيـــه خفـــاءُ

تـــاجٌ علـــى رأس المعمِّـــر شـــامخٌ ... وتَهِـــيج فيـــه اللحيـــة البيضـــاء

ورزانـــة كـــالنور تقـــتحم الـــدجى ... وعزيمـــة ـ فـــي بأســـها ـ شـــهباء

ورجاحـــة فـــي العقـــل فاضـــت حكمـــة ... وتعفـــفٌ ، وترفـــعٌ ، وحيـــاء

وفراسة تزن الأمور بدقةٍ ... وتحققٌ يُفضي إليه ذكاء

وتثبتٌ مِن كل شائعةٍ سَرتْ ... وتبيُّن كيلا يكون شقاء

وتجمُّلٌ - بين الخلائق - مُخبتٌ ... إن التجمّل بالصلاح صفاء

وهدوءُ نفس للرحيل تأهلتْ ... إذ ليس - في دنيا الأنام - بقاء

وتمسكٌ بالدين يغمره التقى ... إن التمسّك بالرشاد هناء

وتخلقٌ بالحِلم دون تزلفٍ ... إن التهوّر خيبة وبلاء

وتسابقٌ نحو المعالي واعدٌ ... وإلى العظائم يطمحُ الفضلاء

وتسلحٌ بالحق دون تخوفٍ ... وعلى الفضائل يعكفُ الحكماء

وتذرعٌ بعُرى المبادئ ثابتٌ ... مهما سما الضُلالُ والجهلاء

وتبخترٌ بالعُمْر يختصر المدى ... حتى وإن طعن الحياةَ عناء

وتحملٌ تئدُ المصائبُ نصفه ... والنصف إن زار الشيوخ قضاء

وتجلدٌ للعائدات مدرَّعٌ ... بقوىً تخاف ظلالها الهيجاء

وتصبرٌ في وجه غائلة الشقا ... إن التصبر - في الشقاء - عزاء

وزهادة في العيش مهما قد حلا ... والراكنون إلى الدنا جهلاء

كم من شيوخ قدّموا أمجادَهم! ... ومقدمو أمجادهم عظماء

كم خلفوا عِلماً وآداباً سَمتْ! ... إن الشرافة حازها العلماء

كم ألفوا شِعراً يطيب سماعه! ... إذ بعضُهم بين الورى شعراء

كم نقحوا الآداب يسطع نورها! ... نعم الرموز يصوغها الأدباء!

كم عطروا الدنيا بزاخر فِقههم! ... نعم الهدى قد خطه الفقهاء!

شابوا ، وكان العلم رائدَ شيبهم ... ولذا فقد عمّ المشيبَ سناء

صـــــاغوا مَشـــــيبهمُ بعـــــذب دمـــــائهم ... كـــــي يســـــتفيد النـــــاسُ والأبنـــــاء

بـــــذلوا ، ومـــــا بخلـــــوا بطيِّـــــب نصـــــحِهم ... والنصـــــحُ كـــــم يســـــخو بـــــه الصُـــــلحاء!

جمعـــوا رصـــيد العمـــر فيمـــا قـــد مضـــى ... إذ إنهـــــم فـــــي جمعـــــه خبـــــراء

زرعـــــوا ليحصـــــد غيـــــرُهم ثمـــــراتهم ... والنـــــاسُ - بعـــــد رحـــــيلهم - حُصَـــــداء

وتفضّـــــلوا ، وتصـــــدّقوا ، وتكرّمـــــوا ... والفضـــــلُ كـــــم يـــــأتي بـــــه الكرمـــــاء!

كـــــم مهـــــدوا سُـــــبلاً لقـــــوم بَعـــــدهم! ... وبنـــــوْا فعـــــزوا ، ثـــــم عـــــز بنـــــاء

كـــــم علمـــــوا الأجيـــــال عِلمـــــاً نافعـــــاً! ... وهـــــمُ لمـــــا قـــــد علّمـــــوا أكفـــــاء

فـــــالعلم أنـــــوارٌ تبلغنـــــا المُنـــــى ... لا تســـــتوي الأنـــــوارُ والظلمـــــاء!

طـــوبى لمـــن شـــابوا ، وبـــالعلم اهتـــدوْا ... وهـــــمُ - علـــــى تعليمـــــه - أمنـــــاء

حتـــــى إذا طعـــــن المشـــــيبُ فعـــــاقهم ... مـــــاذا يقـــــدّم يـــــا تـــــرى الضـــــعفاء؟

غلبـــوا ، وحـــال الشـــيب دون مصـــابهم ... مَســـــتهُمُ البأســـــاءُ والضـــــراء

والعجـــز أقعـــدهم ، وقيَّـــد ســـعيهم ... فتعثـــرتْ - فـــي الشـــيبة - الأعبـــاء

وتزامنـــتْ أمراضُـــهم مـــع ضـــعفهم ... والطـــب أخفـــق ، ثـــم غـــاب شـــفاء

واحتـــار مـــن بصُـــروا بأســـقام الـــورى ... حتـــى العِقـــار ثـــوى ، وخـــاب دواء

حتـــى الأطبـــاء انـــزوتْ قـــدراتهم ... إذ لـــم تفِـــد مرضـــاهُمُ الأدواء

والطـــب أطـــرق آســـفاً مُـــتململاً ... وبئـــاره فـــيهن غِـــيضَ المـــاء

والشـــيخ عـــاد كمـــا أتـــى ، يـــا للأســـى! ... إذ ودعتـــه شـــبيبة زهـــراء

والشـــيب أحنـــى هامـــة مرفوعـــة ... غـــرتْ ركـــائز عزمهـــا النعمـــاء

فجنـــى قواهـــا ، ثـــم هـــدّد عزهـــا ... أواه كـــم يُســـتهدفُ الشـــرفاء!

لـــولا المشـــيبُ لمّـــا تقاصـــر أشـــيبٌ ... عـــن جـــوده ، وشـــبابنا شـــهداء

والشـــيب ، لـــولا الشـــيب لـــم يتعللـــوا ... بالضـــعف ينكـــر عامـــداً مـــا جـــاؤا

حتـــى بصـــرتُ بشـــيبنا فـــي حالـــةٍ ... يَرثـــي لهـــا ولهولهـــا الرحمـــاء

ضـــعفٌ يصـــولُ ، وفـــوق ذلـــك شـــيبة ... وتـــنقص يـــأتي بـــه الســـفهاء

وتطـــاولٌ يكـــوي الضـــمائرَ جمـــرُه ... فـــوق الـــرؤوس يصـــبّه اللؤمـــاء

وتهكـــمٌ عـــن كـــل أشـــيبَ لـــم يـــزلْ ... يُـــزري بـــه وبشِـــيبه الـــثقلاء

وتنـــدرٌ بالترهـــات مُغلـــفٌ ... قـــد لفقتـــه بصـــائرٌ عميـــاء

وتخـــرصٌ بالشـــائعات مُـــبطنٌ ... يُـــدلي بـــه ـ فـــي الفتنـــة ـ الحُقـــراء

أينـــال مـــن أشـــياخنا شـــباننا؟ ... أوهكـــذا يتخـــبّط العقـــلاء؟

قـــدمتَ مـــاذا يـــا شـــباب إلـــى الـــورى؟ ... يـــا مـــن كوتـــك ـ بنارهـــا ـ الفحشـــاء

يـــا مـــن هبطـــت إلـــى الحضـــيض ، ولـــم تـــزل ... حتـــى اســـتزلك ـ بالخنـــا ـ الأعـــداء

لـــم تمتثـــلْ أمـــراً يبلغـــك المنـــى ... فـــارحم أناســـاً بالكرامـــة بـــاؤوا

واخفـــض جناحـــك للكِبـــار ، وكُـــن لهـــم ... عونـــاً ، كفـــى مـــا عـــاين الكبـــراء

يومـــاً تســـام كمـــا تُسِـــيمُ ، فـــلا تكـــن ... مُتجبّـــراً ، إذ إنهـــم آبـــاء

والكـــأس دائـــرة ، ودَورك قـــادمٌ ... فامهـــد لنفســـك ، إنـــه الإقصـــاء

واعلـــم بأنـــك راحـــلٌ ومُعـــذبٌ ... وتحـــولُ بينـــك والهنـــا الأخطـــاء

واســـتقريء التـــاريخ ، كـــم مـــن عبـــرة ... قـــد خطهـــا كُتابنـــا النجبـــاء!

فـــاعرف مصـــيرك قبـــل مـــوتٍ مُحـــدق ... لا ينفـــعُ الإنســـانَ فيـــه بكـــاء

وتفقـــدِ الـــنفسَ التـــي لا ترعـــوي ... وتنـــال مـــا قـــد تشـــتهي وتشـــاء

أنـــت الضـــحية إن أطعـــت غرورهـــا ... وفطامهـــا ـ عمـــا تريـــد ـ وقـــاء

ماذا دهاك يا ست النساء؟

(أورد صاحب الوافي بالوفيات ج15 صـ 118 أن (ست النساء بنت طولون التركية) كانت على درجة من الثراء لا توصف. قال علي بن عبد الجبار الصوفي: زوَّجتْ ست النساء لعبة من لعبها ، فأنفقتْ مائة ألف دينار ، فلم تلبث بعدُ الكثير من دهرها ، حتى رأيتها في السوق أعني سوق بغداد تتعرض للسؤال ، فرآها أحد الأغنياء فعرفها ، فقال لها: أين ما كنت فيه من النعيم يا ست النساء؟ فقالت: كنا نرصد نوائب الدهر ، فجاءتنا وتركت الديار بلاقع. (أي تركتها أرضاً مقفرة لا خير فيها). فقال لها: ما تشتهين؟ فقالت: فقط أن أملأ بطني طعاماً. فقال لها: هذا وكيلي انصرفي إلى بيتك ، وأمَر لها بعشرة آلاف ، فقالت: يا أخي عليك بمالك ، بارك الله لك فيه ، أما إنه قد كان عندنا أكثر منه فلم يبق. وأنشدتْ ست النساء الطولونية أبيات شعر ترثي بها الحال:

دع الـــــــــدنيا لعاشـــــــــقها ... سيصـــــــبح مِـــــن ذبائحهـــــا

أرى الـــــــدنيا وإن مـــــــدحتْ ... تـــــنصّ علـــــى فضـــــائحها

فـــــلا تغـــــرُرْك رائحـــــة ... تصـــــيبك مـــــن روائحهـــــا

فـــــإن ســـــرورها سُـــــمٌ ... وحتفـــــك فـــــي منائحهـــــا

ومطربهـــــا بمعرفـــــةٍ ... يـــــؤوب إلـــــى نوائحهـــــا

وعندما طالعت هذه القصة رحت أعزي ست النساء الطولونية وأمثالها ممن ابتلوا بالسلب بعد النعمة وبالفقر المُدقع بعد الغنى المطغي. إذ إن القصة مكررة في أناس كثيرين اليوم وأمس وغداً وإلى أن تقوم الساعة. وإنني لأعوذ بالله تعالى من السلب بعد النعمة ومن فجأة النقمة ومن الذل بعد العز! وأسال الله أن يمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وقواتنا وضمائرنا الحية وإيماننا به وبجميع ما خوّلنا من نعم حتى نلقاه. وتحت عنوان: (فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة) يتساءل الأستاذ أبو فيصل البدراني: هل للإنسان قدرة ومشيئة أم لا؟ ويجيب بما نصه: (نعم له مشيئة وقدرة ومشيئته وقدرته واقعتان بمشيئة الله عز وجل تابعتان لها. فللعبد قدرة واختيار ومشيئة لا يجبره على فعله الاختياري أحد حتى خالقه بل يفعل ما يفعله بمحض إرادته وحسب مشيئته لكن فعله هذا وإرادته هذه داخلة في خلق الله تعالى له كما أنها مسبوقة بعلم الله الأزلي فلا يعمل عملاً إلا وقد سبق تقديره وإرادته في علم الله الأزلي وكتبه عنده في كتابه الذي جرى بما كان ويكون إلى قيام الساعة وعلم الله كاشف لا مُكره ولا تأثير لما سبق في علم الله وكتابته وتقديره على محض اختيار العبد وإرادته. فكتابة الله المقادير في اللوح المحفوظ هي كتابة علم وليست كتابة إجبار! والله عز وجل يعلم ما كان ويعلم ما يكون ويعلم ما سيكون ويعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون! فعلمه مطلق ، وقد أحاط بكل شيءٍ علماً ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وكتابة أفعال العباد الاختيارية في اللوح المحفوظ فرع عن علمه عن الخلق وما سيعملون! وعلى هذا فالمكتوب من أعمال العباد الاختيارية واقع لا محالة! لا لأن المكتوب جبر

للعبد ، بل لأن المكتوب فرع عن علم الله المُطلق المُحيط بخلقه).هـ. ثم يسأل البدراني فيقول: إذن ما الحكمة من وراء ذلك؟ ثم يجيب قائلاً: (إن لله عز وجل له الحكمة البالغة في كل فعل من أفعاله! وقد تظهر لنا الحكمة وقد تخفى ، ولا يلزم أن ندرك حكمته عز وجل في كل شيء أو أن يدرك ذلك كل أحد. على المسلم أن يعلم أن لله تعالى في جميع أفعاله حكماً جليلة ، ظهرت لنا أو خفيت! فالله عز وجل لم يُطلع خلقه على جميع حكمه ، بل أعلمهم بما شاء ، وما خفي عليهم أكثر مما يعلموه. فأفعال الله وأوامره لا تخلو من الحكم الباهرة العظيمة التي تُحيَر العقول وإن كُنا لا نعلمها على وجه التفصيل. لأن عدم العلم بالشيء لا يلزم منه عدمه. من حِكم خلق إبليس أن يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات والمتقابلات ، وأن يكمل الله لأوليائه مراتب العبودية ، وحصول الابتلاء ليكون مَحكاً يُمتحن به الخلق ليتبين به الخبيث من الطيب وظهور آثار أسماء الله تعالى ومقتضياتها ومتعلقاتها ، واستخراج ما في طبائع البشر من الخير بإرسال الرسل ومن الشر بخلق إبليس وغيرها من الحكم).هـ. وأقول: جزى الله البدراني خيراً كثيراً!)

فاجأتنـــا بـــالكرب ســـتُ النســـاءِ ... فانطلقنـــا نزجـــي دمـــوعَ الرثـــاءِ

وتســـاءلنا عـــن مليكـــة عـــز ... مـــا دهاهـــا فـــي الكربـــة الكـــأداء؟

وتراشـــقنا بـــلا سِـــهام جـــدالاً ... وانتهـــى الحـــالُ بـــالجوى والبكـــاء

وتحـــدّثنا عـــن شـــؤون الغـــواني ... والتصـــابي والزهـــو والخـــيلاء

وتنـــدّرنا عـــن أمـــور الصـــبايا ... والتيـــاع العُشـــاق والغرمـــاء

وتســـامرنا عـــن خـــداع الأمـــاني ... وتـــداعي الأوهـــام فـــي الابـــتلاء

وتـــدبّرنا اللهـــو يَحْطـــم مُلكـــاً ... ويُنـــاوي ترنيمـــة الكبريـــاء

وتأملنـــا فـــي صـــنيع الزرايـــا ... كيـــف يُطفـــي نصـــاعة الآلاء؟

وتفكّرنـــا فـــي أمـــور البرايـــا ... بـــين عِـــز مُطـــغ وبـــين شـــقاء

فـــي بحـــار الأمـــوال يســـبحُ قـــومٌ! ... ثـــم قـــومٌ فـــي الضـــنك والبلـــواء

فـــي الغنـــى والترفيـــه يرتـــعُ نـــاسٌ! ... ولنـــاس مَرثيّـــة الفقـــراء

فـــي قصـــور النعـــيم تحيـــا فئـــامٌ! ... وفئـــامٌ قـــد جنـــدلتْ فـــي الخبـــاء

بـــالثراء الفيّـــاض يلهـــو فريـــقٌ! ... وفريـــقٌ فـــي وَهـــدة الحَوجـــاء

وبـــأقوات الشـــعب يلعـــب خلـــقٌ! والجمـــاهير فـــي أتـــون الغـــلاء

والحقـــوقُ مِـــن غاصـــبيها اســـتجارتْ! مَـــن يـــرد الحقـــوق للـــدهماء؟

والخطايـــا زادت عـــن الحـــدّ قطعـــاً وكأنـــا فـــي عـــالم الغوغـــاء

والبلايـــا طمّـــت ، وفاقـــت مـــداها والرزايـــا تَطـــال كـــل الغثـــاء

والـــدياجي عمّـــت جميـــعَ البـــوادي هـــل تطيـــب الحيـــاة فـــي الظلمـــاء؟

ثـــم زارت (ســـتَّ النســـاء) المنايـــا واحتوتهـــا بريحهـــا الهوجـــاء

ســـربلتها بـــالبؤس يكـــوي ويُشـــقي ويُزيـــل طعـــمَ الغِنـــى والهنـــاء

والجـــوى فـــي الفـــؤاد يحـــرق عـــزاً ثـــم يَنعـــي للســـت ذكـــرى البهـــاء

والكـــروبُ تلقـــي الضـــياع رداءً بعـــد مـــاذا؟ قـــد عـــزَّ لـــبسُ الـــرداء!

والأســـى فـــي الإحســـاس يَحفـــر قبـــراً وســـعيرُ الآلام فـــي الأحشـــاء

كيـــف بنـــتُ الأميـــر تســـأل قوتـــاً؟ هـــل تســـاوت (ســـت النســـا) بالإمـــاء؟

ولمـــاذا ضـــنكٌ يـــؤز ويخـــزي؟ لـــمَ ولـــتْ عنهـــا ريـــاحُ الثـــراء؟

كيـــف أمســـى العِـــز المنيـــفُ خيـــالاً ورمـــوزاً مِـــن ترّهـــات الفنـــاء؟

أيـــن ولـــى عـــن أعـــين النـــاس قصـــرٌ مفعـــمٌ بالأمجـــاد والبـــأواء؟

عشـــتِ فيـــه (ســـتَ النســـا) فـــي ســـمُوٍ واســـتميتِ كالغـــادة الحـــوراء

كـــل شـــيء رهـــن الإشـــارة حتـــى حُـــزت طوعـــاً نفـــائسَ الأشـــياء

والوصـــيفات كالحظايـــا اختيـــاراً تحـــت أمـــر الرئبالـــة الأمـــراء

والـــدمى والألعـــاب فـــي كـــل ركـــن كبنـــاتٍ فـــي القصـــر أو أبنـــاء

وفنـــون الطـــاهين مـــن كـــل أكـــل مـــا لهـــا إن عُـــدّتْ مـــن اســـتقراء

والثيـــابُ مـــن سُـــندس ، واللآلـــي رصّـــعَتها بنورهـــا الوضـــاء

والعطـــورُ مِـــن كـــل صـــنفٍ وذوق ... وشـــذاها يختـــالُ فـــي الأنحـــاء

والبخـــورُ فيـــه الأريـــجُ تهـــادى ... عـــاطراً كالســـحابة الوطفـــاء

ومئـــاتُ الأضـــياف فـــي البهـــو شـــعب ... كـــم حَـــلا بالأضـــياف عـــذبُ لقـــاء!

وفئـــامُ الـــزوّار تعمُـــر قصْـــراً ... مُشـــرقاً بالزينـــات والأضـــواء

والغطـــاريفُ مِـــن جميـــع النـــواحي ... عـــدّهم يستعصـــي علـــى الإحصـــاء

والمغـــاويرُ فـــي عظـــيم احتفـــال ... والتحايـــا رطيبـــة الأصـــداء

والصـــناديدُ فـــي بهـــيّ اجتمـــاع ... حفلـــة طابـــت بعـــد أشـــهى عشـــاء

والبهاليـــلُ أقبلـــوا فـــي جـــلال ... مـــن قبيـــل الأجـــداد والآبـــاء

وحـــريمُ القصـــر المنيـــف نجـــومٌ ... ناشـــراتٌ فـــي القصـــر أصـــفى الضـــياء

بيـــنهن (ســـت النســـاء) خَـــرودٌ ... تحتفـــي بالأشـــعار كالخنســـاء

غـــادة مـــاءُ الحســـن روَّى صِـــباها ... عنـــدما قـــد لاذت بالاستســـقاء

فأطـــل الحُســـن القريـــرُ عليهـــا ... ثـــم ألقـــى عذوبـــة العـــذراء

فاســـتحالت كالبـــدر بـــين الصـــبايا ... هـــل تبـــارَى حـــلاوة الحســـناء؟

والغنـــى قـــد أضـــفى عليهـــا بهـــاءً ... وحَباهـــا بُحبوحـــة النعمـــاء

فاســـتعزتْ بالمـــال ، والمـــالُ يُطغـــي ... واســـتكانتْ للطـــيش والأهـــواء

عقـــدت - بـــين الـــدُميتين - قِرانـــاً ... وإذا بـــالأعراس والضوضـــاء

وإذا بالإنفـــاق دون احتســـاب ... مثـــل إنفـــاق الطغمـــة الســـفهاء

وإذا بـــالآلاف تزهـــق جهـــراً ... يـــا تـــرى هـــل جـــاءت مـــن الـــدأماء؟

أوَليســـت مـــن قـــوت شـــعب فقيـــر؟ ... كـــم يُعـــاني مـــن عيشـــة الأشـــقياء!

أوَليســـت أمـــوالَ قـــوم ضـــعافٍ؟ ... آهِ ممـــا ألـــمّ بالضـــعفاء!

أوَليســـــت أرزاقَ هـــــذي الرعايـــــا ... مـــــن طـــــوتهم دغـــــاول الأعبـــــاء؟

أوَليســـــت أمـــــلاكَ أهـــــل ودار؟ ... ثـــم باتـــت حِكـــراً علـــى النـــبلاء

أوَليســـــت أجســـــامَ نـــــاس تلاشـــــتْ ... حيـــث أودى بالنـــاس ســـفكُ الـــدماء؟

هكـــذا الـــدنيا: أمّـــة فـــي حضـــيض ... ولآل الســـــلطان كـــــل الرخـــــاء!

ثـــم صـــالت رحـــى الزمـــان ، وجالـــت ... ثـــم خصّـــتْ بـــالفقر (ســـت النســـاء)

كـــي تـــذوق مـــا أشـــربته ســـواها ... مـــن رهيـــب الأوجـــاع والبأســـاء

كـــي تـــرى مـــا قـــد حـــل بالنـــاس ظلمـــاً ... مـــــن عتـــــيّ الآلام والضـــــراء

تســـأل النـــاسَ مـــلءَ بطـــنٍ طعامـــاً ... وحـــدها فـــي شـــوارع (الـــزوراء)

إنمـــا ســـؤلُ النـــاس قهـــرٌ وذلٌ ... ثـــم مَـــن ذا يمُـــدّ كـــفّ العطـــاء

ويُواســـي بالمـــال ربّـــة عـــز ... ويجيـــب مَـــن أجهشـــت بالبكـــاء

ويجـــود بالمـــال ، يـــرحم أنثـــى؟ ... فـــاز مَـــن يرثـــي لحـــال النســـاء

مَـــن يجُـــدْ بـــالأموال يَســـعدْ ويَفـــرحْ ... والعطـــاءُ مِـــن شِـــيمة الكرمـــاء

ودوامُ الأحـــوال شـــيءٌ محـــالٌ ... كـــم بـــبطن التـــاريخ مـــن أنبـــاء!

ولأهـــل الإســـراف يـــومٌ مُريـــعٌ ... عنـــدما تمضـــي فتـــرة الإمـــلاء

ربِّ سَـــلمْ مـــن هـــول أخـــذ المنايـــا ... ربِّ وارحـــم أهـــل الشـــقا والـــبلاء

قـــد رفعـــتُ بالشـــعر أصـــفى دعـــائي ... فتقبلنـــي يـــا مجيـــب الـــدعاء

أنت خير من أمي (مرثية على لسان لقيطة)

(وجدتْ هذه المرأة الرحيمة لفافة بجوار جدار بيتها. وإذا فيها طفلة مولودة لتوها ، تتلبط في دمائها. فعلمتْ ببداهة الفطرة والمنطق أن خطيئة ارتكبتْ ، وأن طفلة لا ذنب لها في تلك الخطيئة ، إذ ليست طرفاً فيها! فأخذتْها إلى بيتها وأزالت عنها الأذى ، وادخرتْ لها ما تدخر لابنتها. واستصدرتْ لها شهادة ميلاد باسم عام وربتها ، وعلمتها من القرآن والسنة والثقافة بقدر ما استطاعت. فقالت هذي البُنية لها: أنت خيرمن أمي. فأنشدتُ من شعري هذي القصيدة على لسان هذه المسكينة اللقيطة التي لا جريرة عليها!)

وليّتـــان: فـــذي خيـــرٌ ، وذي شـــرُّ ... وهِمّتـــان: فـــذي ظـــل ، وذي جمـــرُ

وغايتـــان: فـــذي المُجـــونُ ديـــدنها ... وتلـــك لـــيس لهـــا نهـــيٌ ولا أمـــر

وأنثيـــان: فـــأمٌ مـــا لهـــا شـــرفٌ ... وبنتهـــا اســـتحْيا مـــن طهورهـــا الطهـــر

وعالمـــان - ورب النـــاس – مـــا اســـتويا ... ولـــيس - للفـــرق - مقـــدارٌ ولا حصـــر

أنـــا البريئـــة ، والســـوآى تلاحقنـــي ... والعـــارُ والفحـــشُ والإيـــلامُ والقهـــر

جنـــبَ الجـــدار وُضـــعتُ اليـــوم دون حيـــا ... ضـــحيّة جـــاء بـــي للشـــارع الدعـــر

سِـــجني اللفافـــة ، والـــدماءُ تغمرهـــا ... يـــا ليتنـــي لـــم أكـــنْ! أو ضـــمّني القبـــر

أنـــنّ يجرحُنـــي أنـــينُ نـــازلتي ... إذ لـــيس - بعـــد الـــذي أصـــابني - ضـــر

وللنحيـــب نصـــيبٌ فـــي مُجاهـــدتي ... والســـوط يحملـــه المســـتقبل الوعـــر

وللنشـــيج جـــوىً يجتـــاح مقـــدرتي ... علـــى الثبـــات ، ومـــأوى كُربتـــي الصـــدر

وللعـــذاب ســـعيرٌ بـــات يَحرقنـــي ... والقلـــبُ يُســـأل؟ مـــا الـــدعوى؟ ومـــا الســـر؟

والـــدمعُ كـــالبحر بـــالأمواج أغرقنـــي ... كيـــف الحيـــاة إذا مـــا أغـــرق البحـــر؟

والحـــزنُ يلفحُنـــي بـــدون مرحمـــةٍ ... حتـــى وهـــى العـــزمُ والطاقـــاتُ والأزر

حتـــى أتـــت غـــادة تحنـــو شـــبيبتها ... علـــى الأنـــام فـــلا جفـــا ولا كبـــر

رقيقـــة الطبـــع ، والحنـــانُ ديـــدنُها ... والقلـــبُ يمـــلأه الإخـــلاصُ والخيـــر

لطيفـــــة الحـــــالُ والأخـــــلاقُ وادعـــــة ... وبالأصـــــيلة يحلـــــو المـــــدحُ والفخـــــر

كريمـــــة كرمـــــاً لا لفـــــظ ينعتـــــه ... ولـــــم يَجُـــــدْ جُودَهـــــا فيمـــــا أرى غيـــــر

مـــــدتْ يـــــديها إلـــــى لفـــــافتي بأســـــيً ... ودمـــــع مُحســـــنةٍ مـــــن حُرقـــــة يعـــــرو

وبســـــملتْ بحـــــروف جـــــدّ مؤمنـــــةٍ ... والخيـــــرُ يـــــأتي بـــــه الإيمـــــانُ والـــــذكر

وكفكفـــــتْ دمعتـــــي بكـــــفّ حانيـــــةٍ ... علـــــى اللقيطـــــة قـــــد أودى بهـــــا الضـــــور

وغسّـــــلتني مـــــن الـــــدماء قـــــد علقـــــتْ ... بعـــــد الـــــولادة بـــــي ، لـــــم يُخفهـــــا ســـــتر

وقـــــد نظـــــرتُ لهـــــا كالبـــــدر مشـــــرقة ... تضـــــيئ عمـــــري ، كمـــــا يمحـــــو الـــــدجى البـــــدر

وأحســـــنتْ عِشـــــرتي إحســـــانَ والـــــدةٍ ... ولـــــم يُـــــزل عزتـــــي ذلٌ ولا فقـــــر

وعشـــــتُ مثـــــل بنيـــــاتٍ لهـــــا ، فخـــــرتْ ... بهـــــن دومـــــاً ، وعنـــــد الخـــــالق الأجـــــر

وجملتنـــــي بـــــآي الـــــذكر مِـــــن صِـــــغري ... ومِـــــن فـــــؤادي - لهـــــا - التقـــــديرُ والشـــــكر

وعلمتنـــــي أحاديـــــث النبـــــي لكـــــي ... يكـــــون عنـــــدي لقـــــرآن الهُـــــدى الفَســـــر

وأرشـــــدتني لـــــدرب الخيـــــر ، غايتُهـــــا ... رضـــــا المهـــــيمن ، نعـــــم البـــــذلُ والـــــذخر!

وناصـــــحتني بـــــإخلاص وتزكيـــــةٍ ... والنصـــــحُ يُثمـــــر إمّـــــا شـــــابه البِشـــــر

وأســـــمعتني مـــــن الأخبـــــار أصـــــدقها ... ولـــــم يخـــــنْ عزمَهـــــا جهـــــدٌ ولا صـــــبر

وأطعمتنـــــي طعامـــــاً مـــــا حلمـــــتُ بـــــه ... وكـــــان لـــــي - صـــــدّقوا - فـــــي بيتهـــــا خـــــدر

لـــــذاك قلـــــت لهـــــا: أمـــــي بـــــلا خجـــــل ... واللهِ ، تلـــــك - مِـــــن التـــــي رمـــــت - خيـــــر!

أسلم سبعة بسبب حجابها

(إنها فتاة أمريكية مسلمة تدخل قاعات الجامعة هناك بحجابها ، ويشمئز منها الأساتذة المراهقون الذين لا أبالغ إن قلت أن أغلبهم يعبدون شهواتهم ونزواتهم من دون الله! ويهضمون حقوقها كطالبة. وما ذاك إلا بسبب حجابها. مما أدى إلى قيامها بالمطالبة بحقها بشرف. فشرحت الأدلة على إدانة الأساتذة الغجر المتعنتين هؤلاء. وانتهى النقاش العقلاني الاستقرائي الرياضي الاستنباطي بإسلام ثلاثة دكاترة وأربعة طلاب في الجامعة. والقصة بتمامها في العدد 12 من مجلة (الفتح) الإماراتية ص43 للذي يريدها. في محاضرة للحوالي بعنوان: (الصبر على البلاء) يقول الدكتور الحوالي ما نصه: (المهم: أن هذا الدين سيقوم إن لم يقم على يديك فعلى يدي غيرك وإن لم يُقَم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على يد الهيئات ؛ فسيخرج الله من أبناء المترفين وأبناء المجرمين من يقيمه. فتجد الأب يوزع الخمر والمخدرات ، وابنه يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر. فهذا دين الله ولا يستطيع أحد أن يغلبه أبداً ، وسيخرج الله له من يقيم الحجة على العالمين ، لكن هذه فترات ابتلاء وامتحان لا بد أن تمر. كما ابتلي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وهل أحد أكرم أو أمنَّ على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وأحظى عند الله من النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقد حوصر في الشعب هو وبنو هاشم ، إلى درجة أنهم أكلوا أوراق الشجر من الجوع ، وكان ذلك لما كتبت الصحيفة التي تعاقدت قريش فيها على الكفر - والعياذ بالله - وعلى القطيعة ؛ فكان لا بد من الابتلاء. وماذا كان يوم أحد؟ وكم كان يوم الأحزاب من الفتن والأهوال التي زلزلت قلوب المؤمنين؟ ولكن في النهاية كان النصر المبين والحمد لله. فالصبر هو أساس النصر حتى عند من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، وقد سُئل الفارس الجاهلي المشهور عنترة بن شداد ، فقيل له: كيف تغلب الخصوم إذا بارزتهم؟ قال: كلما قالت نفسي: فر واهرب سيقتلك ، قلت لها: اصبري قليلاً لعله يفر قبلي ، وما أزال بها حتى يفر ؛ سبحان الله! هكذا الإنسان كلما آتاه الله ابتلاء فليصبر قليلاً لعل الله أن يكفيه شره ، ولعله هو الذي يذهب ؛ وبهذه الطريقة يحصل النصر والله تعالى يقول: (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).هـ. ألا إن إسلام هؤلاء السبعة على يد هذه الموفقة التقية النقية - التي لا أزكيها على الله - لمكسب عظيم ومربح كبير. ولقد كان ذلك بفضل الله ثم بصبرها واحتسابها وشجاعتها! ومن هنا كتبت على البحر البسيط هذه القصيدة.)

هـــذه التقيـــة أمســـت تُعجـــز الناســـا ... وتُقنِـــع اليـــومَ بالإســـلام أكياســـا

لا تســـــتكين لمُعتـــــدٍّ بســـــلطته ... وفـــي جـــدال الـــورى لا تعـــرف الياســـا

أبيّـــة يعـــرفُ الأعـــداءُ همتهـــا ... وتحمـــل العلـــم للجُهـــال أقباســـا

ففـــي اليمـــين يَـــراعٌ ، حِبـــره دمُهـــا ... وإن - فـــي يـــدها - اليســـرى لقرطاســـا

تزجـــي أدلتهـــا لمـــن يُجادلهـــا ... وقـــد تجـــود ، فتهـــدي الكـــل كراســـا

وحِلمُهـــا زانهـــا ، وزادَهـــا ثِقـــة ... والحِلـمُ يحتـاجُ - فـي التطبيـق - أمراسـا

ولـــم تـــزل تُلقِـــمُ الضـــلال حُجتهـــا ... وتنصـب الحـق - فـي التبيـين - قسطاسـا

ولا تضـــيقُ بمـــن يُـــزري بهـــا أبـــداً ... وإن - فـــي صَـــدرها - المحمـــوم أنفاســـا

وتظهـــر الحـــق ، لا يردّهـــا خجـــلٌ ... عـــن الـــبلاغ ، ولا تســـوق أحداســـا

وتفجِـمُ الخصـم - بالإقنـاع - فـي ألـق ... وتســـتثير - لـــدى البليـــد - إحساســـا

لا تســـتبدّ بـــرأي فـــي قضـــيتها ... كـــيلا يقـــول لهـــا: أشـــهرتِ إفلاســـا

مهمـــا اشـــمأزوا مـــن الحجـــاب تـــرحمُهم ... فهـــؤلاء الزنـــا - فـــي دُورهـــم - جاســـا

مهمـــا اســـتهانوا بهـــا لا تســـتهينُ بهـــم ... لكـــنْ تـــذيقهُمُ - مِـــن نصـــحهم - كاســـا

وإن تكـــن - مِـــن كبيـــر القـــوم - ســـخرية ... تجاهلتهـــا ، فلـــيس الهُـــزء مقياســـا

يســـتهجنون لأن الـــدار قـــد خربـــتْ ... مـــن الرشـــاد ، وعُـــرف الغـــاب قـــد ساســـا

حـــواءُ عنـــدهُمُ فنجـــانُ قهـــوتهم ... ومتعـــة زُيِّنـــتْ تـــداعب الناســـا

وينصـــبون لهـــا أســـواق فِتنـــتهم ... ويوفـــدون - إلـــى الرقيـــق - نخاســـا

يبيعهـــا العِـــلجُ - بالـــدولار - منتشـــياً ... إذ الشـــريعة - فـــي ديـــاره - (الياســـا)

وقـــد يُزخرفهـــا لمـــن يثمنهـــا ... وينثـــر الفـــل والريحـــان والآســـا

حـــواء عنـــدهُمُ وقـــودُ بهجـــتهم ... وقـــد يُقيمـــون - للتنـــور - أعراســـا

تعشّـــقوها ، وتـــاهوا فـــي مجاهلهـــا ... فباشـــروا - فـــي حضـــيض التيـــه - أرجاســـا

وأصـــبحتْ دُورهـــم - بـــالعُهر - مُترعـــة ... وبعـــدُ باتـــت - علـــى التحقيـــق - أرماســـا

مـــا قيمـــة الـــدار والفجـــور يَـــدهمُها ... وفـــوق ســـاكنها الضـــلال قـــد داســـا؟

ونصـــفها مُحقـــتْ فحـــوى طهارتهـــا ... وبـــات عِرقـــاً عـــديم الخيـــر دَسّاســـا!

أمســـي يُقـــوِّضُ مـــا شـــادت حضـــارتها ... بكـــأس خمـــر ، وقـــدٍّ بـــات مياســـا

بـــالعُري يَحطـــم مـــا فـــي الـــدار مـــن قـــيم ... وإن تقـــــم ألـــــف قـــــداس وقداســـــا

بالفســـق يـــأوي - لـــه - الشـــباب منحـــدراً ... إلـــى الحضـــيض ، وقـــد يـــراه نبراســـا

بمثـــل هـــذا الـــدجى دانـــت أســـاتذة ... وألفـــوا كتبـــاً تُشـــرى وأطراســـا

فهـــل مجادلـــة الأقـــوام هينـــة؟ ... كـــم مـــن خبيـــر إذا مـــا صـــدّهم قاســـى!

وكلهـــــم يـــــدّعي بأنـــــه ورعٌ ... وأنـــه بـــات - فـــي الإنجيـــل - شماســـا

مـــن أجـــل ذلـــك هـــذي الغـــادة احتســـبتْ ... وأعلنـــت أنهـــا علـــيهمُ تاســـى

وجـــابهتهم ، ولـــم تحفـــل بســـطوتهم ... وأيقنـــتْ أن - فـــي الـــرؤوس - أدناســـا

وبعـــــد لأي وإنكـــــار وسفســـــطةٍ ... رمـــتْ علـــى شُـــبَه الغفـــاة أقواســـا

وفنـــدتْ مـــن لجـــاج الزيـــف أغلبـــه ... غضـــنفر يلتقـــي حُمْـــراً وأتياســـا

فخلفـــتهم ، وقـــد بانـــت رثـــاثتهم ... حتـــى أضـــافوا إلـــى الأربـــاع أخماســـا

طاشـــت حســـاباتهم فـــي كـــل معتـــركٍ ... فقســـموا الصـــفر أثلاثـــاً وأسداســـا

فأســـلموا عنـــدما حانـــت هـــدايتهم ... والله يهـــدي - إلـــى صـــراطه - الناســـا

وصـــارحوها بـــأن الحـــق أحـــرجهم ... وأصـــبحوا لكتـــاب الله حُراســـا

حتـــى تفصَّـــد - مـــن جبينهـــا - عـــرقٌ ... كأنمـــا برحـــت للتـــو دِيماســـا

واســـتاذنتْهم ، وفـــي جـــنح الـــدجى ســـجدتْ ... وأصـــبح الـــدمع - فـــي العينـــين - مِئناســـا

هَـــدى المليـــكُ بهـــا الأعـــداء مـــن عَمَـــه ... فلـــم يعـــودوا بـــدين الكفـــر أخياســـا

هـــم ســـبعة ، وعســـى المـــولى يُثبـــتهم ... فـــلا يُطيعـــون - فـــي الإرجـــاف - وسواســـا

كـــان الحجـــاب مَحَكّـــاً فـــي هـــدايتهم ... وإن - فـــي سُـــبُل - التبليـــغ أجناســـا

ذاتَ الحجـــاب فـــدتك الـــنفسُ هينـــة ... حَييـــتُ فعلـــكِ بـــالقريض حساســـا

فـــي أربعـــين مـــن الأبيـــات أجعلهـــا ... هديـــة للتـــي كـــم قلبُهـــا قاســـى!

جف الحليب أيها الرضيع

(تحكي (هانزاده) حفيدة المجاهد الكبير السلطان (محمود بن سبكستين الغزنوي) عن مأساة المسلمات في عالم الشتات ـ وكانت شاهد عيان لأكثر ما تحكي – أنها رأت طفلاً في بيشارو ، قد قتل الكفار أهل المنطقة بما فيهم أمه. وهذا الرضيع ظل يحبو وسط الأشلاء والأجساد حتى وصل إلى أمه ، وانكفأ يحاول أن يرضع منها. فبكت الراوية ، ولم تستطع إكمال قصتها المأسوية. والمزيد من المآسي في المقال الذي تفردتْ به مجلة (الشقائق) في عددها الـ 54 ص 24 للذي يريد مطالعته كاملة. إن جريمة التطهير العرقي والتقتيل الجماعي العشوائي وصدام الحضارات ، لن ينتهي إلا بالنصر المؤزز المبين للإسلام وأهله ، مهما طال الزمان ، وتضخمت التحديات والصراعات الدامية. وإننا لنستغفر الله – عز وجل ـ أن نقارن بين حضارة الإسلام العظيمة الربانية الخالدة ، وبين الانحطاط الجاهلي الغربي الذي يسمى زوراً وبهتاناً بالحضارة ، وما هو عندنا بحضارة. بل هوالتخلف بعينه. قال الحوالي في محاضرته: (الصبر على الابتلاء ما نصه: (إن الصبر والتقوى من عزم الأمور ، وأهل العزائم معدودون ، لكن هؤلاء الأفراد المعدودون هم الذي يعيدون المسيرة كلها ؛ لأن الواحد منهم يضع العلامة على الطريق ، وهو مثل الذي يتقدم تحت وابل من الرصاص من الأعداء لكي يضع علامة على الطريق ويموت ثم يأتي الآخر ويضع علامة حتى يمشي عليها الناس ، فهذا هو الابتلاء الذي يلاقيه الدعاة والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؛ لأنهم يرسمون طريق العودة لهذه الأمة كلها ، فإذا تحول الناس إلى الخير ، برز النفاق ، فالذي كان وقت الشدة لا يعرفك ولا تعرفه ، بل وتخلى عنك ، إذا أظهرك الله ومكنّ لك جاءك يقول: أتذكر يوم ساعدتك؟ أتذكر كيف أعنتك يوم احتجتني؟ وهكذا حتى في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان النفاق على هذه الصورة ، وهو كذلك في كل زمن. والمؤمنون يصبرون في أول الأمر حين يمتحنون ويؤذون وقد لا يرون شيئاً من النصر).هـ. أكتب عن الرضيع البريء ومحاولته الاسترضاع من أمه الميتة وعلى الرمل أقول:)

أزه الجـــــوعُ لـــــذا الأمَّ الـــــتمسْ ... لكـــنِ القـــوتُ عـــن الطفـــل انحـــبسْ

قتـــــل الأعـــــداءُ أمّـــــاً مُرضـــــعاً ... فـــبمن ـ فـــي النـــاس ـ هـــذا يـــأتنس؟

ولمـــــن يـــــأوي رضـــــيعٌ مُعـــــدمٌ ... فاقـــــد المـــــأوى حـــــزين مبتـــــئس؟

مكرهـــــاً يبكـــــي ، فمـــــن يعنـــــو لـــــه؟ ... ثـــم مَـــن يرثـــي لـــذا الـــدمع الـــتعس؟

ويلـــــوكُ الكـــــرب يبكـــــي أمـــــه ... صـــــدرها ودّع بـــــالطعن الـــــنفس

وعلـــــى الخـــــدَّيْن دمـــــعٌ بعضُـــــه ... قـــــد جـــــرى بالمـــــاء لمّـــــا أن يـــــئس

صـــــارع الجـــــوعَ إلـــــى أن هـــــدّه ... وعلـــــى الأشـــــلاء مجبـــــوراً جلـــــس

يرقـــبُ الأوصـــالَ غطتهـــا الـــدِّما ... بعضُـــها يجـــري ، وبعـــضٌ قـــد يـــبس

جثـــثٌ هانـــت علـــى أصـــحابها ... فـــي دجـــى ليـــلٍ بهـــيم منـــدمس

وبيـــوت النـــاس يعلوهـــا الثـــري ... لـــم يعـــدْ ســـقفٌ يُـــرى فـــوق الأســـس

وحيـــاة القـــوم والمـــوتُ سَـــوا ... ولســـانُ الحـــق قســـراً ينخـــرس

إنهـــا الحـــربُ يُغـــذيها الهـــوى ... ومنـــارُ الحـــق فيهـــا منـــدرس

آلـــة الحـــرب بأيـــدي طغمـــةٍ ... ورؤوسُ العِيـــر يغزوهـــا الهـــوس

فتنـــة تحـــرقُ مـــا يعنـــو لهـــا ... وعلـــى أهـــل الهـــوى الحـــق التـــبس

والمعـــاييرُ اســـتبيحتْ عنـــوة ... واللـــواء اليـــوم فـــي أيـــدى القســـس

وحقـــوق النـــاس ظلمـــاً أهـــدرتْ ... مَـــن مِـــن الأعـــداء حقـــاً يلـــتمس؟

شِـــرعة الغـــاب ، فللأقـــوى البقـــا ... والضـــعيفُ اليـــوم حتمـــاً ينـــتكس!

والصـــليبُ اليـــوم فـــي الأرض عـــلا ... ولـــه جنـــدٌ ولفـــحٌ كـــالقبس

وعُتـــاةُ (الكفـــر) - فـــي البلـــوى - غلـــوْا ... ليتنـــا - مِـــن كـــل كفـــر - نحتـــرس

أيهـــا الطفـــل انـــس مـــا عاينتـــه ... إن ســـيف الثـــأر - فـــي الـــروح - انغـــرس

ودمـــاء الأهـــل لـــن تُطـــوى ســـدىً ... ذا طريـــقٌ فـــي ثـــرى البيـــدا يـــبس

إنهـــا الشـــمسُ ســـتجْلي ظلمـــة ... وأرانـــا مِـــن ســـناها نقتـــبس

وكـــذا الأشـــلاء فجـــرٌ ضـــاحكٌ ... ثـــم بعـــد الضـــحك - حينـــاً - ينـــبجس

أتـــراكم قـــد فجعـــتم وحـــدكم؟ ... إن ظنـــي فـــي فـــؤادي مُحتـــبس!

دَورُكـــم وافـــى ، ويـــأتي دورنـــا ... فـــي المســـا زلـــتم ، وإنـــا فـــي الغلـــس!

رفقا بنفسك!

(أحد المعلقين الرياضين أخذ ينتحب ، ويبكي كالنساء أثناء تعليقه على إحدى المباريات. ويدعو على نفسه أنه قد عاش للحظة التي يرى فيها هزيمة فريقه. وأره قد حَجّل واسعاً وغرّد خارج السرب إذ جافى المنطق ولعب بالعواطف وهرف بما لا يعرف! وذلك يحدث منه في زمان أصبحت كرة القدم – شأنها شأن كثير من الرياضات المعروفة – وثناً يُعبد في الأرض عند كثيرين اليوم. واستعيرتْ ألفاظ الحروب ومصطلحات المعارك مثل: (البطولة – القنبلة – الهجوم – الدفاع – رأس الحربة – التحدي) تطلق اليوم على كرة القدم! فهل استبدلت هذه الأمة بالجهاد كرة القدم حتى ذلت وهانت وتدهورت وتقهقرت وأصبحت في ذيل الأمم والشعوب والحضارات؟ فتعجبتُ من هذا المعلق الرياضي الهازل وعجبتُ من أمره أشدالعجب. ورُحتُ على ذلك أوبِّخه.)

رفقـــاً بنفســـك ، لـــيس الأمـــر تقديســـا ... كفـــاك غِشـــاً وتـــدجيلاً وتدليســـا

مازلـــت تهـــذي بمـــا تزجيـــه مـــن ملـــق ... حتـــى تحمّـــسَ ذا الجمهـــورَ تحميســـا

كـــم انفعلـــت تُجَلـــي عزمـــة هزلـــتْ! ... والهـــزلُ يُتـــرعُ بئـــر العـــزم تدنيســـا

وكـــم كـــذبت لكـــي يقـــال ذو ثقـــفٍ ... عبـــرَ الأثيـــر ، وكـــم درّســـت تدريســـا!

هـــي المبـــاراة - بالتدشـــين - ملحمـــة ... وكـــم يُضـــاعفها التلفيـــق تجريســـا!

يَزيـــدها صـــوتك المقبـــوحُ مَلهبـــة ... فهـــل غـــدوت بهـــذا الجُعـــر ممسوســـا؟

جـــؤارك اليـــومَ فـــي الجمهـــور ذو صـــخب ... كـــأن - فـــي نبـــرات الصـــوت - إبليســـا

وفـــي البيـــوت دويُّ الصـــوت قنبلـــة ... وقـــد غـــدا - مـــن صـــدى التـــدمير - منحوســـا

كأنمـــا أنـــت - فـــي الهيجـــاء - فارســـها ... تطـــري فريقـــاً - مـــن العيـــون - محروســـا

جـــيشٌ يصـــولُ علـــى الأعـــداء ، يَكبـــتهم ... وقـــد غـــدا - بالـــدعاء العـــذب - مأنوســـا

والجنـــدُ قـــد حـــرروا دُوراً قـــد اغتصـــبتْ ... وهـــم - وربّ الـــورى – مـــا جـــاوزوا العِيســـا!

وتلـــك ألويـــة التغريـــب مُشـــرعة ... حتـــى نقـــدّس وجـــه الغـــرب تقديســـا

ولـــم تُـــنفسْ - عـــن الكفـــار - خيبـــتهم ... فهـــل تُـــنفسُ مـــا نلقـــاه تنفيســـا؟

هـــوِّنْ عليـــك ، ولا تنكـــأ مصـــائبنا ... ولا تيـــئسْ شـــباب الحـــي تيئيســـا

عندما يصدق الشاعر

(أورد أحمد الموسى في مجلة (منار الإسلام) العدد 12 السنة 28 ، وتحت عنوان: (شعراء ماتوا جوعاً) ، ونقلاً عن الأستاذ صالح محمد الغفيلي أن موقف الشاعرعبد الحميد الديب من أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي موقفٌ لا ينسى. حيث طلب الثاني من الأول أن ينظم قصيدة يشيد في أبياتها بمآثر الملك فاروق (ملك مصر) ، وله من المال ما لم يحلم به. إذ إنه شاعر فقير فقراً مدْقعاً. فإذا بالشاعرالفقير الصادق يكتب قصيدة على عكس المراد منه تماماً ، حيث قال في بعض أبياتها منددا بترف الملك وبذخه الزائد عن الحد من أموال ذلك الشعب البائس الفقير المعدم الذي عاش بحق ضحية لمن يدير شؤونه ويحكمه بغير ما أنزل الله:

أأصـــوغ فـــي عـــرس المليـــك قصـــيدة وأنـــا إلـــى المـــوت الرهيـــب زفـــافي؟!

لـــو كنـــتُ مـــن شـــعب المليـــك نظمتهـــا مِـــن مهجتـــي وعـــواطفي وشِـــغافي

ولما سئل لماذا لم يستجب لمطلب الباشا؟ قال: قد حاولت أن أتملق الملك ، ولكن ضميري لم يطاوعني ، وفقري وجوعي غلباني ، فكيف أسعد الملك بشعري ، وأنا تعيس الحال).هـ. وسبحان الله أننا نجد أن أغلب الشعراء الصادقين المخلصين الأوفياء عاشوا كذلك. وأما الشعراء المرتزقة المتاجرون بالشعر فهؤلاء لا يستحقون لقب الشعراء. إذ إنهم أتباع كل ناعق ، وعبيد لمن أعطاهم وأغدق عليهم ، حتى يقِروا باطله ويمتدحوا إفساده في الأرض بغير الحق. وعموماً الشعراء الصادقون مذ كان في الأرض شعر ، وإلى يوم الناس هذا ، وإلى يوم القيامة ، هؤلاء الشعراء الصادقون قليلون قلة المؤمنين الصادقين في أهل الأرض؟ ألا إن الشاعر عندما يصدق يصنع الكثير والكثير في عالم القيم والمبادئ. يصنع أكثر مما يصنعه الشاعر المرتزق في عالم النفاق والرياء والمجاملات. قال الدكتور عبد الله عزام في كتابه (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) ما نصه: (يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك! وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف). حديث حسن صحيح رواه الترمذي عن عبد الله بن عباس مرفوعاً. والأجل المحدود والرزق المحدود مع العلم القطعي أن الله عزوجل بيده ملكوت كل شيء ، وإليه يرجع الأمر كله ، وله من في السموات ومن في الأرض ، وأنه إليه ترجع الأمور. هذه الأمور كلها كانت تدفع بأحدهم في أتون المعركة تاركاً وراءه أهله دون معيل ولا كفيل إلا الله. وحسبك كلمة أبي بكر يوم تبوك إذ جاء إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بجميع ماله ، فقال له - صلى الله عليه وسلم -: ماذا تركت لأهلك؟ فقال: تركت لهم الله ورسوله. ولذا فإنا نرى أن آيات العقيدة جاءت في معرض آيات القتال والجهاد ، خاصة الآيات التي تقرر أن الحياة والموت بيد الله: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً). إن استقرار هذه العقيدة في أعماق النفس يجعلها عزيزة فلا تذل ، تقف أمام كل قوى الأرض ، لا ترهب سلطاناً ولا تستخذي أمام صولة الملك وإغراء المال ، هذه العقيدة ترفع صاحبها من أوحال الأرض ومستنقع الطين ، فيقف في المرتقى السامي ينظر إلى الأرض من علو مع التواضع ، وبالعزة مع

المحبة والتضامن ، دون استطالة ولا بغي على الناس ، يود لو يرفعهم إلى هذا المستوى الذي رفعه الله إليه. بهذه العقيدة أضحى الرعيل الأول من الصحب الكرام يعيشون بحسهم وأرواحهم في الآخرة! مع أن أجسادهم تدب على هذه الأرض ، هم يتحركون فوق هذه المعمورة ، مع أن أنظارهم مشدودة بقوة إلى الجنة ، إلى الحساب. وحسبي في هذا الشأن أن أورد مثلاً واحداً ، ولكنه يدل كيف ذلك الرهط الكريم يفكر ويعيش ويتحرك. روى الطبراني بإسناده عن الحارث بن مالك الأنصارى أنه مر برسول الله فقال له: كيف أصبحت يا حارث؟ فقال: أصبحت مؤمناً حقاً ، قال: انظر ما تقول ، فإن لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها ، فقال: يا حارث عرفت فالزم - ثلاثاً).هـ. ورحم الله الأستاذ الدكتور عزام! ومن هنا كتبت على الوافر هذه القصيدة في مدح الشعر الصادق والشاعر الصادق.)

صَـــدوقُ الشـــعر ينتقـــدُ الريـــاءَ ... وإنْ يلقـــى الـــدغاولَ والـــبلاءَ

يُبَصّـــرُ بالحقـــائق كـــل غِـــر ... وينـــزعُ - عـــن بصـــيرته - الخفـــاء

ويطعـــن - بالصـــراحة - كـــل زيـــفٍ ... وإن يـــكُ بـــالتودّد قـــد تـــراءى

ويبســـط كـــفّ مِفضـــال صـــدوق ... يُقلـــد قومـــه الصِـــيدَ العـــلاء

ويـــأبى أن يُصـــانع مَـــن تغـــابى ... لأن الفـــذ يحتقـــر الغبـــاء

ويُبـــدع فـــي مناقشـــة القضـــايا ... وكـــل مُوفـــق يهـــوى القضـــاء

ويطـــرح كـــل رأي لـــيس يبنـــي ... لكـــيلا يهـــدمَ الـــرأيُ البنـــاء

وقـــد يَلقـــى الشـــتائم كالمنايـــا ... وكـــان العـــدلُ أن يلقـــى الثنـــاء

وقـــد يلقـــى معارضـــة وشـــجباً ... فهـــل كانـــت قصـــائده هـــراء؟

صـــدوقُ الشـــعر لـــم يهتـــك حِجابـــاً ... لمُحصـــنةٍ ، ولـــم يكشـــفْ غطـــاء

ولـــم يجـــرحْ شـــعوراً دون حـــق ... وبـــين النـــاس لـــم يُـــرق الـــدماء

ولـــم يغـــر الأراذلَ بالصـــبايا ... لأن الصـــدقَ يمنحُـــه الحيـــاء

ولـــم يصـــفِ المحاســـنَ فـــي خَـــرودٍ ... تشـــع علـــى قوافيـــه الضـــياء

ولـــم يصـــفِ القـــوام ولا الثنايـــا ... ولـــم يعقـــد لفاتنـــةٍ لقـــاء

ولـــم يصـــف الـــذوائب فـــوق جيـــدٍ ... تزيـــدُ الغـــادة الســـمرا بهـــاء

ولـــم يصـــفِ العيـــون لهـــا بريـــق ... يـــذر علـــى مجيبيهـــا الســـناء

ولـــم يصـــفِ الشـــفاه لهـــا رمـــاح ... تكلـــف مـــن يتـــوق لهـــا العنـــاء

ولـــم يصـــفِ الرضـــاب لـــه أريـــجٌ ... لمـــن يهـــوى الحـــلا يزجـــي الظمـــاء

ولـــم يصـــفِ الجـــدائل مرســـلاتٍ ... علـــى الكتفـــين ترتجـــل الغنـــاء

ولـــم يصـــغ القصـــائد فـــي جمـــال ... رخـــيص لـــيس يحتـــرم النســـاء

صـــدوقُ الشـــعر لـــم يرفـــعْ وضـــيعاً ... ولـــم يمـــدحْ - ولـــو زوراً - غثـــاء

ولـــم يُطـــرِ الطـــواغيَ فـــي بُييـــتٍ ... فمـــنهم شِـــعرُنا أمســـى بـــراء

ولـــم يمســـحْ لعـــاتٍ أي جـــوخ ... يـــرى شـــعري تزلفـــه ريـــاء

ولـــم يقـــرعْ طبـــول الـــزور يومـــاً ... لأن الـــزور يختـــرمُ الإبـــاء

ولـــم يرضـــخ لمـــن يهـــوى المَخـــازي ... ولكـــنْ كـــال - للعِيـــر - الهجـــاء

ولـــم يكـــتمْ عـــن الجهّـــال علمـــاً ... ولـــم يرفـــعْ لمـــن جهلـــوا لـــواء

ولـــم يكتـــبْ بـــدينار بُييتـــاً ... بـــل اغتـــال البضـــاعة والشـــراء

ولـــم يســـخرْ مـــن الإســـلام يومـــاً ... معـــاذ الله ، بـــل صَـــحِبَ الوفـــاء

ولـــم تضـــعُفْ عزيمتـــه لجـــاهٍ ... ولكـــنْ - فـــي الـــبلا - لـــزم الـــدعاء

ولـــم يعـــطِ الدنيـــة كـــي يُعـــافى ... وعـــاش يقـــدّم الـــنفسَ الفـــداء

ولـــم يكتـــب لصـــيتٍ فـــي البرايـــا ... وإن بلغـــتْ مناقبُـــه الســـماء

ولـــم يكتـــب ليُرضـــيَ مـــن تعـــدى ... حـــدودَ الله بـــل عنـــهُ تنـــاءى

ولـــم يكتـــبْ ليُعجَـــب بالمعـــاني! ... ســـقيمُ الفهـــم مـــن لفَـــظ الـــذكاء

ولـــم يكتـــبْ ليُطـــرب مَـــن تـــدنى! فأصـــبح والـــذين عمُـــوا ســـواء

صـــدوقُ الشـــعر أبيـــاتٌ تســـامتْ إلـــى العليـــاء تلـــتهم الفضـــاء

وتجعـــل - مِـــن قـــريض العُـــرْب - زاداً يُجنبهـــا التكبّـــر والجفـــاء

نعـــم تســـمو ، ولكـــنْ فـــي احتـــرام وذا كـــي تصـــبح المـــأوى جـــزاء

نعـــم تهـــدي الأنـــام جميـــل نُصـــح! لكـــي تجـــدَ القـــريضَ لـــه وعـــاء

نعـــم تختـــالُ فـــي عبـــق التســـامي وإنّ لهـــا - بشِـــرعتنا - ولاء

نعـــم تعلـــو علـــى الأقـــزام ســـادوا! وإنّ - لكـــل مجتهـــدٍ - نـــداء

يُرَجِّـــع فيـــه أفكـــاراً وفحـــوى ويُزجـــي للألـــى مرضُـــوا الـــدواء

صـــدوقُ الشـــعر نـــورٌ لـــيس يخبـــو ينـــاول مَـــن يُطالعـــه المضـــاء

ويهـــدي مَـــن يُرجّعـــه ســـبيلاً يـــرى خيـــراً لســـالكه رخـــاء

يصـــادقهُ ، ويصـــبح خيـــر خِـــل ويُهديـــه الصـــداقة والإخـــاء

ويُبكيـــهِ إذا دنـــتِ الرزايـــا ويُزكـــي الـــدمعُ - فـــي الشـــعر - البكـــاء

ويرثيـــهِ إذا غالتـــه بلـــوى ويُزجـــي الشـــعرُ فـــي البلـــوى الرثـــاء

وينتشـــل القـــريضُ ســـموّ نفـــس مـــن الأســـقام يمنحُهـــا الشـــفاء

ويُمســـي الشِـــعرُ مِعـــراجَ الأمـــاني وإن الصـــدق يُعطيـــه البقـــاء

فـــإذ قـــد مـــات صـــاحبه ســـيبقى ويـــدفع - عنـــه - صـــاحبه الفنـــاء

ومهمـــا نـــافق الشـــعراء دهـــراً ســـيبقى صـــادقُ الشـــعر العـــزاء

يمـــينَ الله إن الصـــدق بـــاق وإنْ أصـــحابُه ســـكنوا العَـــراء

العاشقة

(اعتاد ذلك المغترب – ككل مغترب - أن يرسل بالأموال لأم أولاده ، لتتخذ لهم بيتاً وتصنع لهم مستقبلاً. فإذا بها تخون زوجها المسافر ، وتخون أولادها الخمسة وتبدّد المال. ولم ترحم غربة زوجها ، ولا فقر أولادها. حتى إذا ما عاد زوجها طلبتْ منه الطلاق ، حتى تتفرغ للعشيق المحتال الذي أنفقت عليه المال ، وضيعتْ في سبيل عشقه زوجاً وأولاداً وبيتاً. وطلقها زوجها بالفعل إذ إنه علم بالحقيقة المرة. وتأيّم الأب من أجل الأولاد. وتزوّجت العاشقة الولهانة من عشيقها الذي رماها بعد حين. وذلك لأن هدفه منذ البداية كان اللعب والتلاعب فقط. وما هو إلا أن ذهبت الدنانير أدراج الرياح ، حتى كشّر لمعشوقته عن أنياب المواجهة والخذل والتخلي. إن الزوجة التي تلعب بنار الهزل ، لا بد وأن تحترق بنيرانها المحرقة! وماذا عليها وقد منَّ الله – عز وجل عليها بالزواج من رجل محترم يثق فيها ثقة عمياء لا حدود لها ، ثم منَّ الله – تبارك وتعالى – عليها بنعمة الأبناء ، ولم يبق إلا أن تستقيم وتحفظ غَيبة زوجها وتصنع المستقبل الموعود – جنباً إلى جنب – مع زوجها المخلص. ولكنه اللعب بالنار والمراهنة على العشق الحرام واتخاذ الخدين والمسافحة في نهاية المطاف! فعزيت الزوج المبتلى بهذه القصيدة. ويتساءل الأستاذ أبو فيصل البدراني في محاضرته: (الصبر على الابتلاء) ويجيب فيقول ما نصه: (ما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء؟ وطرده ولعنه ، ومسخ ظاهره وباطنه؟ فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها ، وباطنه أقبح من صورته وأشنع ، وبُدِّلَ بالقرب بعداً ، وبالرحمة لعنةً ، وبالجمال قبحاً وبالجنة ناراً تلظى ، وبالإيمان كفراً ، وبموالات الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة ، وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجلَ الكفر والشرك والكذب والزور والفحش ، وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان؟ فهان على الله غاية الهوان ، وسقط من عينه غاية السقوط ، وحلّ عليه غضب الرب تعالى ، فأهواه ومقته أكبر المقت! وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم؟ حتى علا الماء فوق رأس الجبال ، وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض ، كأنهم أعجاز نخل خاوية؟ ودمرت ما مرَّ عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم؟ حتى صاروا عِبرة للأمم إلى يوم القيامة؟ إنها المعاصي!).هـ.)

لـــــيس ممـــــا قارفـــــتِ أي فـــــرارِ ... والليـــــالي تبكـــــي مَجـــــئ النهـــــار

لا تظنـــــــي أن الحقـــــائق تخفـــــى ... لـــــكِ كـــــلُ الأنـــــام بالمنظـــــار

إن رزقـــــتِ عينـــــان للغيـــــر ألـــــفٌ ... والعيـــــونُ تشـــــتاقُ للأنظـــــار

إن فجـــــرتِ ، فـــــالفَجرُ لـــــيس جديـــــداً ... والهـــــوانُ والضـــــنكُ للفجـــــار

إن عشـــقتِ ، فالعشـــق يُـــزري بفَضـــلي ... تحـــــــت زوج تحـــــــنّ للأزيـــــار

إن سَـــــفلتِ ، فالـــــذلُ والعـــــارُ حـــــتمٌ ... والعلـــــوُ حِكـــــراً علـــــى الأطهـــــار

إن هبطـــتِ للقـــاع بـــات التـــردي ... طبـــعَ نفـــس ترتـــاحُ فـــي الأقـــذار

تستســـيغ الحـــرامَ دون امتعـــاض ... وتبـــــاهي بالـــــذنب والأوزار

وتـــوافي بـــالإثم يتلـــوه إثـــمٌ ... إن هـــذي طبيعـــة الأشـــرار

مَـــن تحـــنّ للموبقـــات تـــدنتْ ... وحـــرامٌ هـــذا علـــى الأخيـــار

والمنايـــا تجتـــاح أهـــل المخـــازي ... مـــا لهـــم - عنـــد الصِـــيد - مـــن إكبـــار

مَـــن تعـــش - بـــالنيران - تكِـــو ســـواها ... فلتجهـــز نفســـاً عصـــتْ للنـــار

لوعـــة العشـــق - فـــي القلـــوب - جحـــيمٌ ... والـــدليل مـــا كـــان مِـــن أخبـــار

وعـــذابُ العُشـــاق فـــي الشـــعر جـــاثٍ ... ومَـــرارُ العُشـــاق - فـــي النثـــر - ضـــار

جُلهـــم قـــد يحتـــاط ألـــف احتيـــاطٍ ... ثـــم يطـــوي مـــا صـــاغ مـــن مِعيـــار

لـــم يزالـــوا - فـــي الـــدار - مثـــل المطايـــا ... هَمّهُـــم نيـــلُ الإرب والأوطـــار

دون سُـــؤل أذاك فعـــلٌ حـــلال؟ ... أم حـــرامٌ يُـــودي بأهـــل الـــديار؟

فاســـتحَلّوا بـــذاك فعـــلَ الـــدنايا ... ثـــم بـــاتوا فـــي لعنـــة الجبـــار

لـــيس هـــذا قـــط كثيـــراً علـــيهم ... كـــم أضـــلّوا ، وعربـــدوا فـــي الـــدار!

زوجـــة ، والأولاد والـــزوجُ أهـــلٌ ... ثـــم تهـــوى العشـــيقَ؟ يـــا للعـــار!

تخذتـــه فـــي غيبـــة الـــزوج حِبـــاً ... وعليـــهِ تمـــتنّ بالـــدولار

دون علـــم الأولاد كمّـــاً وكيفـــاً ... والحليـــلُ فـــي رحلـــة الأســـفار

يكســـب القـــوت ، يبتغـــي رفـــع شـــأن! ... والعـــذابُ فـــي ذلـــك المشـــوار

رحلـــة فيهـــا مـــن صـــنوف الرزايـــا ... وجميـــعُ الأوجـــاع والأوضـــار

رحلـــة فيهـــا كُربـــة واغتـــراب ... عَـــز فيهـــا تكسُّـــبُ الـــدينار

يشـــتهي وضـــعاً لا يؤاخـــذ فيـــه ... والفـــؤاد كـــم فيـــه مِـــن أســـرار!

فـــارس الهيجـــاء ينشـــد نصـــراً ... لا يلـــوذ - مـــن نارهـــا - بـــالفرار

لـــم يَخِـــرْ قـــط عزمُـــه فـــي الرزايـــا ... لـــيس مجـــدٌ يُتـــاحُ للخـــوار

أحســـن القصـــد والنوايـــا طـــويلاً ... شـــأن كـــل مســـتيقن مغـــوار

لـــم يشُـــكّ فـــي زوجـــةٍ أي شـــكٍ ... قـــد تقـــود الشـــكوكُ للأضـــرار

لـــم ينـــل منهـــا دون فَحـــشٍ صـــريح! ... مثـــل هـــذا يجـــرّ للأخطـــار

ثـــم خانـــت دون احتـــرام لـــزوج ... واســـتكانتْ للعاشـــق الغـــدار

لـــم يُحِـــب البلهـــاء إلا لمـــال ... ويـــح صـــب مســـتقبح سمســـار!

يكســـبُ الـــزوجُ مالـــه باجتهـــادٍ ... ثـــم يُرمـــى فـــي حانـــة التجـــار

لعبـــة كـــم شـــردتْ مـــن ضـــحايا! ... كـــابتزاز ، أو ميســـر ، أو قمـــار

كيـــف ترضـــى شـــريفة مثـــلَ هـــذا؟ ... عنـــد هـــذي الأزواجُ كـــالأثوار!

عشـــقتْ غيـــر الـــزوج تيســـاً رذيـــلاً ... صـــادها بالأوهـــام والأفكـــار

لـــم تحـــافظ علـــى غيـــاب حليـــل ... ثـــم باتـــت تَحِيـــك فـــي الأعـــذار

فرماهـــا الـــزوجُ الكـــريمُ لتحيـــا ... دون لـــوم أو ســـيء اســـتنكار

فارتمـــت فـــي أحضـــان صـــبّ الغـــواني ... فـــانبرى يهـــذي جِـــدٌ كالإعصـــار

قـــال: كـــلا ، مـــن خانـــت الـــزوج ليســـتْ ... تســـتحق إلا صـــدى البتـــار

لســـتُ أرضـــى بمثـــل هـــذي بتاتـــاً ... تلـــك تســـعى علـــى هـــوى التيـــار

مـــا لهـــا إلا رميـــة فـــي البـــراري ... كـــي تكـــون زاداً لأعتـــى الضـــواري

مـــا تســـاوت عفيفـــة ببغـــيّ ... شـــرفٌ هـــذي ، ثـــم ذي قـــيحٌ عـــار!

بـــين كـــلِّ فـــرقٌ عظـــيمُ التنـــائي ... كالعبيـــد فـــي الـــوزن والأحـــرار

تلـــك نـــورٌ يســـري ، وتلـــك ظـــلامٌ ... هـــل تســـاوى الظـــلام بـــالأنوار؟

من منا المصاب؟

(ابتلي ذلك الصاحب وزوجته بفقد طفل في ثاني أعوام عمره. وذلك بصورة بشعة ، فلقد سقط من الطابق السادس. وذهبتُ وزوجتي نعزيّهما. فوجدتُ صاحبي صابراً محتسباً ، يتحدث إلى الناس كأنهم هم المصابون وهو المعزي ، فسبحان ربي الذي إن ابتلى عبداً رزقه الصبر؟ (إن ربي لطيف لما يشاء) ، (الله رؤوف بعباده). روى الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال لأصحابه يوماً: (ما تعدون الرقوب فيكم؟ قالوا: الذي لا يولد له. فقال: ليس ذلك بالرقوب ، ولكنه الذي لم يقدّم من ولده شيئاً. (أي لم يمت أحد من أبنائه في حياته). وروى ابن ماجه في سُننه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من قدّم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث (أي لم يبلغوا الحلم) ، كانوا له حِصناً حَصيناً من النار. فقال أبو ذر: قدّمت اثنين. فقال - صلى الله عليه وسلم - واثنين. فقال أبي بن كعب سيد القراء: قدّمت واحداً. فقال – صلى الله عليه وسلم -: وواحداً).هـ. الله أكبر ، فإنا لله وإنا إليه راجعون يا أخ حسام الرفاعي ، يا أبا محمد ، واصبر واحتسب. وأحمد إليك الله الذي صبّرك وزوجتك على هذا. وإنه لموقف رهيب مهيب يبرهن على الرضا المطلق بقضاء الله تعالى وقدره ، وكنت ظننت أن هذا التصبر في المصاب كان حكراً على الأخ حسام الرفاعي أبي محمد! فإذا بي أكتشف من أم أولادي التي كانت معي تعزي أختها أم محمد تخبرني أن أم محمد هي الأخرى كانت آية في الصبر والتصبر. الأمر الذي جعلني أستغرب ، إذ المرأة بطبيعتها لا تقوي على مثل ذلك ، فصبّر الله أبا محمد وزوجه وعوّضهما عن فقيدهما. والأصل أن نجد أصحاب المصاب في حال يرثى له ، وعليهم من طابع الانكسار والوجد ما يجعل الآخرين يتعاطفون معهم ويقدمون لهم عبارات التعازي والمشاركة الوجدانية على ما هم فيه من مصاب! أما أن نجد أصحاب الموقف وأهل المصاب هم الذين يثبتون ويصبرون ضيوفهم فهذا الذي جعلني أسأل: من منا المصاب؟ قد يتساوى المؤمن والكافر في الظاهر في صورة الابتلاء بالمنع أو العطاء ، لكن بينهما ما بين المشرق والمغرب ؛ فهذا المؤمن استقرت نفسه وهدأ خاطره ، فأقبل على عبادة ربه بطمأنينة وسكينة ، واستقبل قضاء الله وقدره بمزيد من الرضا والتسليم ، شاكراً لنعمائه ، صابراً على ابتلائه ، فنال بذلك أعلى الدرجات وحصَّل أعلى الكرامات ، وليس ذلك إلا للمؤمن ، كما قال عليه السلام: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير - وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له". وإذن فمن يتصبّر يصبّره الله تعالى وهذا يكفي!)

لـم يَكـذب السمـعُ مـا لا قـى ولا البصـرُ ... مَـن المصـابُ؟ ومَـن أودت بـه الغيَـرُ؟

مَـن الـذى جنـدل الـبلاءُ خـاطره ... لمّـا أتـاه - مـن الحليلـة - الخبـر؟

مَـن الـذي نفسـه - فـي مقتـل - طعنـتْ ... وأصـبحتْ - لأريـج الصـبر - تفتقـر؟

مَـن الـذي قلبُـه الأشـجانُ تغمـرُه ... وبـات ضـيفاً علـى فـؤاده الخَـوَر؟

مَـن الـذي ذبلـتْ حزنـاً مشـاعرُه ... وفـرّ منهـا صـدى الحبـور ، والسـمر؟

مَـــن الـــذي بلغـــتْ بلـــواه ذروتهـــا ... حتـــى غـــدا - فـــي لظـــى البلـــواء - يســـتعر؟

مَـــن الـــذي ثاويـــاً عينـــاه قـــد هطلـــتْ ... والـــدمعُ - فـــوق جـــوى المصـــاب - ينهمـــر؟

مَـــن الـــذي ألـــمُ البكـــاء كبلـــه ... والصـــوتُ بُـــحَّ ، ونـــور العـــين ينـــدثر؟

مَـــن الـــذي عـــاين الصـــبي فـــي دمـــه ... وبالـــدموع لـــه يرثـــي ويعتـــذر؟

مَـــن الـــذي حمَـــل الأشـــلاء داميـــة ... مثـــل الذبيحـــة بالســـاطور تنشـــطر؟

مَـــن الـــذي ســـأل الطبيـــب فـــي ولـــهٍ ... عـــن الصـــبي ومـــا قـــد خطـــه القـــدر؟

مَـــن الـــذي كـــان هـــذا الطفـــلُ عالمَـــه ... وإنـــه الشـــمسُ فـــي الحيـــاة والقمـــر؟

طرحـــتُ أســـئلتي ، فمَـــن يجيـــب إذن؟ ... وإننـــي - رغـــم مـــا عايشـــتُ - منتظـــر

جئنـــا نعـــزي ، فمـــا ســـالت مـــدامعُنا ... والـــدمعُ - فـــي مثـــل هـــذي الحـــال - ينحـــدر

فالوالـــدان ثبـــاتٌ يعتلـــي ثقـــة ... وقلـــب كـــل بـــدا كأنـــه حجـــر

يُســـليان ضـــيوف البيـــت دون أســـي ... وفـــي كلامهمـــا التحـــذير والعِبـــر

ويضـــحكان بـــلا حـــزن ولا ضـــجر ... مـــاذا يفيـــد الجـــوى والحـــزن والضـــجر؟

فـــي ســـهرةٍ ســـامرُ الأضـــياف موعـــدُها ... والابتســـامة فـــي الوجـــوه تزدهـــر

قـــد اســـتحيتُ مـــن النكـــات تغمرُهـــا ... وفـــي الثنايـــا أمـــور العـــيش والســـيَر

فلـــم تكـــن تلـــك - فـــي الميـــزان - تعزيـــة ... إذ لـــيس فيهـــا جـــوىً بالـــدمع معتصـــر

فهـــل أب لـــم ينـــل منـــه رحيـــل فتـــىً؟ ... أم إنـــه - بثبـــات الـــنفس - مصـــطبر؟

وزوجُـــه لـــم تـــذب وجـــداً عزيمتهـــا ... لكنهـــا - بثبـــات القلـــب - تفتخـــر

فهـــل رحيـــل الفتـــى لـــم يُـــرْدِ قوّتهـــا؟ ... أم أن بائســـة بالبـــأس تنتصـــر؟

ســـبحان ربـــك فـــي الـــبلاء يُقـــدِرنا ... إن المليـــك - علـــى مـــا قلـــتُ - مقتـــدر

جحيم العشق

(كانت أخت زوجته تفوقها جمالاً ، وتصغرها سناً ، بل وتفضلها لباقة وأناقة. وفي ظل التحلل الأسري والانحطاط العائلي والتفكك الاخلاقي القائم ، أخذ يسترق النظر إليها. حتى تمكن عشقها منه ، واستولى على فؤاده. وهي المحرّمة عليه مادامت أختها تحته وفي عصمته: (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) ، وهذه شريعة الله تعالى ، ولكن الشيطان لا يدع الأمور تقف عند هذا الحد. بل راح يوسوس ويزيّن ويزخرف. فراح العاشق الولهان النذل الوغد يُهيئ الأجواء التي تجعله يخلو بالفتاة المراهقة ، وكان ما كان من الذي يعفّ اليراع عن كتابته ، وتعفّ العيون عن مطالعته ، وتعفّ الآذان عن مجرد سماعه. نعم فإن الطباع السليمة تشمئز من مجرد متابعة هذا العفن. وكذلك الفطر الطيبة المحترمة تنفر بطبيعتها من مثل هذا الدنس والعشق المحرم. إذ إن المرء لينظر إلى أخت زوجته على أنها أخته تماماً بتمام. وأخبرني غير واحد من الذين تزوجوا أخوات أزواجهم بعد موت الزوجات أو طلاقهن بأنه عانى معاناة شديدة في محاولة كسر الحاجز النفسي بينه وبين أخت زوجته ، التي أصبحت زوجته. مع أنه نكاح شرعي أصيل على كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولكن المسألة مسألة فطر سليمة وضمائر حية وطبائع قويمة لم يدنسْها الإنترنت ولا الفضائيات ولا التهتك ولا الإباحية. فاعتبرته انحطاطاً في السلوك والأخلاق لا حدود له. وتعوذت بالله تعالى من مثل هذا التردي والسفول والقبح. ورحتُ أسطر هذه القصيدة من الخفيف ، لتكون شاهداً على ثمرات الإنترنت والفضائيات التي لو كان فيها جميعاً خيرلأصلحتْ من اخترعوها وتابعوها وجعلت من مجتمعاتهم (اليوتوبيا ، أوالمدينة الفاضلة). ونسأل الله العافية والسلامة ، ونحمده على نعمة الإسلام والإيمان. ومن درر ابن القيم: (كيف يكون عاقلًا من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة. اشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة ، والثمن موجود ، والبضائع رخيصة ، وسيأتي على السوق والبضائع يوم لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير. قال تعالى: (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) ، وقال: (ويَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ). إن قدْر السلعة يُعرف بقدر مشتريها والثمن المبذول فيها ، والمنادي عليها. فإذا كان المشتري عظيمًا ، والثمن خطيرًا ، والمنادي جليلًا كانت السلعة نفيسة. هلم إلى التقرب إلى الله ومجاورته في دار السلام بلا نصب ولا تعب ولا عناء بل من أقرب الطرق وأسهلها ، وذلك أنك في وقت بين وقتين هو في الحقيقة عمرك وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل فالذي مضى تعلمه بالتوبة والندم والاستغفار ، وهو عمل قلب ، وما يستقبل تصلحه بالامتناع عن الذنوب والعزم والنية الصادقة. الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها ، فكيف تعدو خلفها. دخلت دار الهوى فقامرت بعمرك).هـ. يقول الحوالي في محاضرته: (ثمرات التقوى) ما نصه: (التقوى هي المخرج من الشبهات والشهوات. ولهذا كان من دعائنا في كل ركعة من صلاتنا من نفل أو فريضة أن نقول: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ). وهذا الدعاء كما ذكر العلماء: الصحيح تكرره وتجدده ليس لمجرد التثبيت على الحق ، مع أن الثبات على الحق مطلوب ، وسؤال الله تعالى التثبيت عليه أمر عظيم ؛ ولكن لتجدد حاجة الإنسان إلى معرفة الصراط المستقيم في كل وقت وفي كل حين ، فنحن نحتاج أن يهدينا الله عز وجل وأن نعرف الصراط المستقيم وأن نستقيم عليه دائماً في كل أمرٍ من أمورنا ، وإلا فالإسلام قد عرفناه

ونسأل الله عز وجل أن يثبتنا عليه. التكرار بأننا ضمن اسم الإسلام وأعماله ومفهومه العام نحتاج إلى الصراط المستقيم لتصلح أمورنا وتستقيم أحوالنا ؛ فإن العبد معرّض للشهوات كما هو معرض للشبهات ، وقد يزيغ من هاهنا أو هاهنا ، ولذا قال قتادة رحمه الله وغيره من السلف في قول الله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) قال: (يجعل له مخرجاً عند الشبهات وعند الكرب) ، فإن الشبهات تعرض على بعض القلوب ، فلا يستطيع الإنسان أن يتخلص منها فربما أمرضته ، وكم من شباب هداهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجاءتهم الشبهات حتى أذهبت إيمانهم - عياذاً بالله - ولذلك يحتاج الإنسان أن يتقيَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليجعل له مخرجاً من الشبهات والشهوات).هـ. فإلى النذل الذي عشق أخت زوجته أقول:)

انحطـــاط الأخـــلاق يُـــردي الناســـا ... والرقيـــعُ يســـتعذب الأرجاســـا

والتـــردي عقـــابُ كـــل خســـيس ... والمعـــالي لا تقبـــل الأخياســـا

والكِـــرامُ لا يقبلـــون التـــدني ... والســـمو لا يرفـــع الأنجاســـا

كـــم أذل العشـــقُ الـــرخيصُ نفوســـاً! ... والغـــرامُ كـــم أســـكن الأرماســـا!

والنفـــوسُ: نفـــسٌ تـــدنت ، فهانـــت ... ثـــم نفـــسٌ كـــم تـــرجم الوسواســـا!

كيـــف تهـــوى مـــن لا يجـــوز هواهـــا؟ ... هـــل عـــدمتَ الرشـــاد والمقياســـا؟

حُســـنُها يـــا ولهـــان لـــيس يُبـــاري ... قـــد ســـبا منـــك العقـــلَ والإحساســـا

يـــا تـــرى تحيـــا كـــي تشـــم شـــذاها ... وتعُـــدّ الأنســـام والأنفاســـا

وتُمنِّـــي بالحـــب قلبـــاً مريضـــاً ... يخـــدعُ الـــنفسَ - ويحـــه - والناســـا

تشـــتهي ، والأوهـــامُ تكـــوي فـــؤاداً ... لـــيس يلقـــى - فـــي دربـــه - نبراســـا

تنتـــوي أن تصـــطاد أشـــهى غـــزال ... ثـــم ترمـــي الرمـــاحَ والأقواســـا

والغـــزالُ ممـــا تريـــد بـــريءٌ ... لـــيس يُبـــدي اشـــتياقه الحسّاســـا

إذ يجـــوبُ الأركـــانَ شـــرقاً وغربـــاً ... ثـــم يلقـــي الظنـــونَ والأحداســـا

لا يظـــن فـــي زوج الأخـــت ظنونـــاً ... إن - فـــي الظـــن - الشـــرَ والإفلاســـا

لا يســـيء فهمـــاً يُـــدين النوايـــا! ... فـــي الأمـــور لـــم يعـــدم القسطاســـا

لكـــنِ العشـــقُ بـــالمحبين يلهـــو ... بـــل يـــذرّ الأشـــواكَ والأرغاســـا

والنســـاءُ - فـــي ســـاحهِ - كالســـبايا ... يـــرتقبن الأوضـــارَ والأدناســـا

إيـــهِ يـــا قـــيسَ الحـــب تُـــبْ لا تحـــاول ... ثـــم زايـــلْ شـــيطانك الخناســـا

واســتفقْ مِــن سُــكْر الهــوى يــا عشــيقاً ... عابثـــاً يهـــوى قـــدّها المياســـا

أختهـــا كانـــت مثلهـــا ، بـــل وأحلـــى ... مـــا لهـــا اليـــوم بالصِـــبا أن تقاســـا

كـــم نثـــرتَ وردَ الغـــرام عليهـــا ... ونصـــبتَ الزينـــات والأعراســـا

ودعـــوت الأهلـــين تشـــهر عقـــداً ... وأضـــأت الأنـــوار والأقباســـا

ثـــم - بعـــد العقـــدين - عانـــت وشـــاخت ... والمشـــيبُ أعطـــى العجـــوز لباســـا

ولـــدتْ خمســـاً ، هـــل تَـــرى ذاك ســـهلاً؟ ... والحيـــاة صـــبّت عليهـــا الباســـا

لـــم تســـلّم إلـــى الـــبلاءات نفســـاً ... رغـــم أن الشـــقاء ذرّ الياســـا

كافحـــتْ حتـــى غربلتْهـــا المنايـــا ... ثـــم حطـــتْ - فـــي دربهـــا - الأمراســـا

أمَـــة باتـــت فـــي صـــنيع البلايـــا ... ثـــم صـــارت تســـترحم النخاســـا

فاحترمْهـــا ، ولا تخنهـــا فتشـــقى ... ثـــم أولـــى بمـــا تـــرى أن يُداســـا

لا تفكـــر فـــي أختهـــا ، ذاك عـــارٌ ... واستشـــرْ فيمـــا قلتـــه الأكياســـا

واحـــم عِرضـــاً ، أنـــت الأمـــينُ عليـــهِ ... والوفـــاءُ كـــم ينفـــعُ الحُراســـا!

واهجـــر العشـــقَ كـــي تعـــيش مُعـــافىً ... صـــنمٌ هـــذا عبـــدُه كـــم قاســـى!

خمـــرة العشـــق يـــا نـــديم ســـعيرٌ ... فـــاهجر الخمـــر ، ثـــم خـــلّ الكاســـا

قـــد عشـــقتُ يومـــاً ، فـــذقتُ المآســـي ... صـــاح إنـــي - عـــلى المُحبـــين - آســـى

وكتبـــتُ - فـــي الحُـــب - شـــعراً ونثـــراً ... مـــا عـــدمتُ الأقـــلامَ والقِرطاســـا

ثـــم تبـــتُ عمـــا كتبـــتُ نصـــوحاً ... ثـــم قلـــتُ لزلتـــي: لا مِساســـا

فأين التكلف إذن؟

(تزوجها زاعماً أنها ذات خلق ودين وطِيب معشر وحسن معاملة ، فإذا بها تفتقر إلى هذا كله. فهمّ بأن يُطلقها لينهي حياة الجحيم التي يعيش. ولكن كيف وله منها الأولاد والبنات؟ وزادت حبات الطين بلة تواطؤها مع قومها مكونة بذلك جبهة في مقابل رجل أعزل. فاستعان ذلك المبتلى عليهم بالله الذي خلقه وخلقهم وخلق العالمين. وتذكر عندما همّ بطلاقها موقف عمر – رضي الله عنه ـ عندما جاءه رجل يريد أن يطلق زوجته. فسأله عمر ولم؟ فأجاب: لأني لا أحبها. أو قال: لأنها لا تحبني يا أمير المؤمنين. فسأله عمر ثانية: وهل لك منها ولد؟ فأجاب الرجل: نعم. فقام عمر الملهم بضرب الرجل بدِرّته موبخاً ، وهو يقول: أوَكُل البيوت تبنى على الحب؟ فأين التكلف إذن؟ ومن هنا جعلت من توبيخ الفاروق عنواناً موفقاً لقصيدتي تلك. ورحتُ أتحدث في أبياتها على لسان ذلك البائس الحزين المكروب المبتلى في مواجهة قوم كان ينبغي عليهم أن لا يكونوا كذلك أبداً. ولكنها إرادة الله أن يبتلي الرجل على أيدى أقوام لم يُجرم في حق أحد منهم يوماً ما. بل كان للكل خادماً مطيعاً ، عبَروا على رقبته وسُمعته وأعصابه إلى المجد. وما هو بمجد إنما المجد الحقيقي احترام الناس ومراعاة حقوقهم وإنزال أهل الفضل المنزلة التي تليق بهم. ثم عرّجت على هذه الزوجة الحمقاء التي لا تستحيي من اللعب بالنار وجعل زوجها أبي أولادها وبناتها وولي نعمتها وسيدها هدفاً للظالمين. ويتساءل الأستاذ أبو فيصل البدراني في محاضرته: (الصبر على الابتلاء) ويجيب فيقول ما نصه: (فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم ، والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ ما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة ، حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم ، وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم ، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها؟ فأهلكهم جميعاً ثم أتبعهم حجارة من سجيل السماء ، أمطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم ولإخوانهم أمثالها ، وما هي من الظالمين ببعيد. وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل؟ فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم ، فالأجساد للغرَق والأرواح للحرْق؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟ وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ، ودمرها تدميراً؟...إلى أن قال رحمه الله: قال الإمام أحمد: حدثنا الوليد بن مسلم ، ثنا صفوان بن عمر ، حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه قال: لما فتحت قبرص ، فُرِّقَ بين أهلها ، فبكى بعضهم إلى بعض ، فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي! فقلت: يا أبا الدرداء! ما يُبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جبير! ما أهونَ الخلقَ على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره؟! بينما هي أمة قاهرة ظاهرة ، لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى! انتهى كلام بن القيم).هـ. البلاء والابتلاء كلاهما امتحان واختبار ، ويكونان بالسراء والضراء ، ويقعان شرعاً وقدراً ، فالتكاليف الشرعية فعلاً كانت أو تركاً ، وكذلك مقادير الخير والشر ، كل ذلك مما يُمتحن به العبد وإن كان استعمال الابتلاء في الشر والضر والأمور الشاقة أغلب. قال العسكري في (الفروق اللغوية) في الفرق بين الإبلاء والابتلاء: هما بمعنى الامتحان والاختبار).هـ. قال الخازن: (الابتلاء يكون في الخير وفي الشر ، وإذا أطلق كان في الشر غالباً ، فإذا أريد به الخير قيد به).

وقال ابن عاشور في (التحرير والتنوير): (لما كان الاختبار يوجب الضجر والتعب سمي بلاء ، كأنه يُخلِق النفس ، ثم شاع في اختبار الشر لأنه أكثر إعناتاً للنفس ، وأشهر استعماله إذا أطلق أن يكون للشر ، فإذا أرادوا به الخير احتاجوا إلى قرينة أو تصريح. فيطلق غالباً على المصيبة التي تحل بالعبد لأن بها يختبر مقدار الصبر والأناة).هـ. ويقول الإمام البخاري في صحيحه: (الابتلاء والتمحيص من بلوته ومحّصته أي استخرجت ما عنده ، يبلو يختبر ، (مبتليكم) أي مختبركم ، وأما قوله بلاء عظيم (فهو) النعم ، وهي من أبليته ، وتلك من ابتليته. انتهى)

لفظـــتُ الوشـــاة ، ولـــم أنتظـــرْ ... لعـــــل كبيـــــرَهُمُ يعتبـــــرْ

وغربلـــتُ مـــا جـــاءني مـــن فِـــرىً ... لكـــــي أتجـــــاوز حـــــدّ الخطـــــر

وراجعـــــتُ نفســـــي ، وأنبتهـــــا ... وأرجعـــــتُ فيمـــــا لـــــديّ البصـــــر

فعـــــاد إلـــــى العـــــين مستحســـــراً ... ولمّـــــا يكـــــنْ قبـــــلُ بالمنحســـــر

وقلـــــت: الحليلـــــة فـــــي مـــــأزق ... وفـــــي الأمـــــر ســـــوف أعيـــــدُ النظـــــر

فخابـــــت ظنـــــوني ومـــــا قلتـــــه ... وكـــــان صـــــحيحاً ألـــــيمُ الخبـــــر

وضـــــاع الـــــذي كنـــــت أرجـــــوه مـــــن ... زواج تجرّعـــــتُ فيـــــه الكـــــدر

وخانـــت عهـــودي التـــي مـــا ارعـــوتْ ... لمـــــا أرتجيتـــــه ، ولـــــم تعتـــــذر

وكنـــــتُ أعـــــدّدُ أخلاقهـــــا ... وفـــــي النـــــاس كنـــــتُ بهـــــا أفتخـــــر

ودافعـــــتُ عنهـــــا ، ولـــــم أكتـــــرث ... بمـــــا يفتـــــري الحاقـــــدون الغجَـــــر

وجمّلـــــتُ - بـــــالعلم - أقوالهـــــا ... لكـــــي تســـــتقيم ، فـــــلا تنحـــــدر

وأصّـــــلتُ - بالفقـــــه - إســـــلامها ... وأتحفتُهـــــا بصـــــحيح الســـــير

ونضّـــــرتُ إيمانهـــــا بالهُـــــدى ... أخـــــاف علـــــى زوجتـــــي مـــــن ســـــقر

فلمّـــــا خلـــــتْ بالـــــذي تشـــــتهي ... ونالـــــت - مـــــن الـــــزوج - كـــــل الـــــوطر

رمتـــــه بأبشـــــع مـــــا تـــــدّعي ... مـــــن الزيـــــف ، يـــــا للخِـــــداع الأشـــــر!

وراحـــــتْ تزيـــــد الجحـــــيمَ لظـــــىً ... ولـــــيس - مـــــن النـــــار تلـــــك - مفـــــر

تحِيـــــكُ التـــــآمرَ ، لا تســـــتحي ... فمـــــؤتمرٌ بعـــــدهُ مـــــؤتمر

وتجعـــــلُ - مِـــــن أهلهـــــا - قِبلـــــة ... وخلـــــفَ الســـــتار جمـــــوعٌ أخـــــر

وتضـــرب فـــي التيـــه ، بـــئس العمـــى! ... وليســـت - علـــى كيـــدها - تقتصـــر

وفـــي كـــل حـــين لهـــا فتنـــة ... وحشـــدٌ علـــى زوجهـــا يـــأتمر

وتزجـــي الأباطيـــلَ فـــي عـــالم ... أباطيلـــه - فـــي الـــورى - تســـتعر

ويُســـعفها الختـــلُ حتـــى تـــرى ... دغـــاولَ هـــذا النفـــاق القـــذر

مـــع الأهـــل فـــي خنـــدق واحـــدٍ ... تخـــونُ ، وربـــي علـــى مـــن غـــدر

وترمـــي الســـهام علـــى بعلهـــا ... لكـــي يلحـــق الشـــهمَ أعتـــى الضـــرر

فمـــاذا دهاهـــا؟ ومـــاذا بهـــا؟ ... أراهـــا - إلـــى رشـــدها - تفتقـــر

لمـــاذا تصِـــرّ علـــى كيـــدها ... وقـــد أخـــذ الكيـــدُ شـــتى الصـــور

لمـــاذا تحـــاربُ مَـــن خصّـــها ... بكـــل الخيـــور ، ولـــم يـــدّخر؟

وعـــانى ليغمرهـــا بالهنـــا ... وقاســـى ليـــدفع عنهـــا الضـــجر

وكابـــد فـــي العـــيش ، لـــم يســـتكنْ ... وجابَـــهَ بالعـــدل جَـــوْر البَشـــر

ومـــازال ينســـجُ آمالـــهُ ... لكـــي يتحقـــق مـــا ينتظـــر

ومـــازال يـــدفع عـــن نفســـهِ ... ولا بـــد للحـــق أن ينتصـــر

أمـــا قلـــتِ يومـــاً: ســـنحيا معـــاً ... وكـــلُ القيـــود بنـــا تنكســـر؟

أمـــا قلـــتِ: نعمـــلُ وفـــق الهُـــدى ... وإن الرقيـــب هـــو المقتـــدر؟

أمـــا قلتِ:أعمـــل مـــا ترتجـــي ... إذا أمكنتنـــي القـــوى والقـــدر؟

أمـــا قلـــتِ: نبنـــي الحيـــاة معـــاً ... ونصـــنعُ مَجـــداً بنـــا يزدهـــر؟

أمـــا قلـــتِ: نجنـــي الثمـــار معـــاً ... ليبـــزغ فجـــرُ الرخـــاء الأغـــر؟

أمـــا قلـــت: نقمـــع أعـــداءنا ونلقـــمُ حيـــفَ العـــدو الحجـــر؟

أمـــا قلـــت: مِـــن غيرنـــا نســـتقي رصـــيد التجـــارب ، بـــل والعبـــر؟

أمـــا قلـــتِ: أســـرتنا أولاً ومـــن بعـــدُ ننظـــر مـــا فـــي الأســـر؟

أمـــا قلـــتِ: نغـــزلُ مســـتقبلاً نقـــيّ المبـــادئ كـــي نســـتقر؟

أمـــا قلـــتِ: نأخـــذ مِـــن أمســـنا دروسَ الحيـــاة لكـــي نســـتمر؟

فمـــاذا تغيّـــر فـــي أمرنـــا؟ لمـــاذا تمكّـــنَ منـــك البطـــر؟

لمـــاذا أراكِ هجـــرتِ الهُـــدى ودمعُـــك - فـــي الكـــرب - لـــم ينهمـــر؟

لمـــاذا تلـــومين أقـــدارنا؟ ومـــا ذنـــب أمـــر القضـــا والقـــدر؟

لمـــاذا اتهمـــتِ البـــرئ الـــذي إليـــكِ يـــزف الهنـــا والبُشُـــر؟

لمـــاذا تبـــرأتِ مِـــن عَيشـــنا؟ فهـــل طـــال – بـــالراحلين - الســـفر؟

لمـــاذا تـــذكّين مـــا شـــاده مـــن الـــذكريات كمثـــل الـــدُرر؟

لمـــاذا التنـــدرُ عـــن شَـــيبهِ؟ وهـــل يـــومَ عُرسِـــك حـــل الكِبَـــر؟

لمـــاذا انقلبـــتِ عليـــه ضـــحىً؟ فـــوالله - خلـــفَ انقلابـــك - ســـر!

لمـــاذا تنازلـــت عـــن حبـــه وقـــد كـــان - منـــكِ إليـــك - يفـــر؟

لمـــاذا تلـــوكين عـــرض الفتـــى؟ لقـــد أوشـــك الحـــبُ أن ينتحـــر

لمـــاذا تهبـــين مثـــل اللظـــى؟ وعُقبـــى هبوبـــك والله شـــر

فهـــل - بـــالطلاق - يعـــودُ الهنـــا ويبـــزغ - فـــي الظلمـــات - القمـــر؟

ويرتـــاح قلبـــك مـــن همّـــه ويهطـــلُ - فـــوق القفـــار - المطـــر؟

ويهنـــأ قومُـــك فـــي عيشـــهم ويـــذهبُ – عنـــك - الجـــدال العكـــر؟

ويســـعدُ أطفالنـــا ، يـــا تـــرى وترحـــلُ - عنـــك - صـــنوف الغِيَـــر؟

ويهـــدا ضـــميرُك مِـــن ثـــورةٍ ... ويمضـــي التـــوجّس بعـــد الحـــذر؟

أنـــا قـــد نصـــحتكِ ، فاسترشـــدي ... يكـــنْ لـــك - فـــي نصـــحنا - معتبـــر

ســـأبقيكِ ، لكـــنْ لأولادنـــا ... وإنـــي - علـــى ودهـــم - أقتصـــر

وأهجـــر أهلـــك مستبصـــراً ... فلســـتُ أرى الخيـــر فـــي ذي الزمَـــر

وأدحـــر ظلمـــاً إليـــه ســـعَوْا ... وأدعـــو المليـــكَ علـــى مـــن فجـــر

وأرضـــى بمـــا تـــأمرين بـــه ... وأرضـــى بمـــا قـــد قضـــاه (عمـــر)

أخـــاف ســـؤالَ الإلـــهِ غـــداً ... وأخشـــى مـــن الفـــذ بعـــض الـــدِّرر!

أحـــاول أن أستســـيغ الـــذي ... يُخـــالفُ كـــل الـــرؤى والفِطـــر

وأنصـــحُ غيـــري لكـــيلا أرى ... وليـــداً يُعـــاني انحطـــاط البشـــر

فوالـــدُه قـــد رمـــى أمّـــهُ ... بمـــا قـــدّمتْ مـــن فـــرىً كـــالإبر

وتلـــك تزوّجهـــا غيـــره ... فعـــانى المضـــيَّعُ منـــذ الصـــغر

حنانيـــكِ يـــا زوجتـــي ، أبصـــري ... فكـــم مـــن بصـــير عـــديم البصـــر!

ورقّـــي ، وصـــوني لِـــوا حُبنـــا ... لكـــيلا نـــري للجفـــا مـــن أثـــر

ألا واحـــذري فتنـــة بيننـــا ... فمبـــدأ نـــار الفـــراق الشـــرر

نصـــحتكِ ، واللهِ لـــم أســـتطلْ ... عليـــكِ بنصـــحي ، ولـــن أعتـــذر

تأمّلـــت عمـــري ، وســـاءلته ... ألـــم تنتصـــفْ بعـــدُ يـــا ذا العُمُـــر؟

ألا فـــاتقي الله ، لا تطلبـــي ... طلاقـــك ، هيّـــا أعيـــدي النظـــر

بينكما أنا الغريب!

(قبل سنوات كتبت قصيدة بعنوان:(خالصة أجرة الشحن!). وقمت بنشرها في جريدة (الوحدة العربية). وملخص هذه القصيدة هو أن أحد عبيد المال باع زوجته بمال عرَضه عليه أحد أرباب الأموال. وأياً ما كانت الملابسات ومعيار الصدق في هذا الكلام فإنه لا يعنيني كثيراً. إذ الراوي عندي ثقة تقوم به الحجة. واليوم أضرب على ذات الوتر ، حيث أقوم بكتابة هذه القصيدة كشاهد على هذا العصر الذي قل خيره ، وكثر بلاؤه وشره. والله المستعان. دعا رجل حسن النية أحد الذئاب البشرية إلى بيته ، زاعماً أنه إنسان محترم. وعندما أخذ ذلك الأثيم يسترق النظر إلى زوجة المضيف. وكانت هي الأخرى على ذات الشاكلة التي عليها الضيف النذل الخائن الغادر. ولم يزالا على هذه الأسلوبية القذرة حتى عشق كل طرف الآخر. ومضى ذلك اللقاء الأثيم ، وكان الزوج الغافل آخرَ من يعلم. حيث تلت هذه اللقاءات مواعيدُ ولقاءاتٌ أخرى من وراء الكواليس ، وساعد على ذلك عمل الزوج والزوجة في شركة يرأسها العاشق الغادر. ولما استوثق الزوج من خيانة حرمه غير المصون وصديقة غير الوفي ، قال له: إنني أنا الغريب بينكما. وأخذ يساومه على الصفقة كي ينهي الخيانة. فقبل الثاني وقال: بالذي تريد. فقال فقط: نصف مليون. فقبل الثاني ، وتنازل الأول عن غادرةٍ خائنة ، وأخذ أولاده ، ولم يندم كثيراً عليها. وبدأ حياة نظيفة مع زوجةٍ مؤمنةٍ موحّدةٍ تقيّة. وصانت الزوجة الثانية العِرض وصلتِ الخمس ، وضمّت أولادها إلى أولاده وكانت أمّاً للجميع. وأبدله الله خيراً من زوجه العاشقة الخائنة وتخيلته يقول للأولى:)

خرقـــتِ بمـــا أتيـــتِ توقعـــاتي ... وســـربلتِ الخُطـــا والأمنيـــاتِ

وحطمـــتِ المحبـــة بـــالتردي ... ودمّـــرتِ الهـــوى والـــذكريات

وزلزلـــتِ الكرامـــة والســـجايا ... وكبلـــتِ الوفـــا والمَكرُمـــات

وحُـــزتِ مـــن الخُلاعـــة مُنتهاهـــا ... وعنـــد النـــاس سَـــيلُ البينـــات

وكنـــتِ ـ مـــن الإهانـــة ـ فـــي حضـــيض ... بـــه اجتمعـــتْ جمـــوعُ الفاســـقات

وأتقنـــتِ الخنـــا فـــناً وحظـــاً ... وفُـــقتِ بمـــا أتيـــتِ المُجرمـــات

وأغـــراكِ التبـــذلُ والتـــدني ... فســـرتِ علـــى دروب الســـاقطات

وواعـــدكِ العشـــيقُ نـــوالَ عـــز ... وبـــين يـــديكِ ســـاق المغريـــات

ليُـــوهِمَ ـ بـــالوداد ـ مـــن اصـــطفاها ... لمُتعتـــه ، وأجـــزل فـــي الهبـــات

ونـــوَّع فـــي التقـــرب والهـــدايا ... بأســـلوب الدهاقنـــة الغـــواة

لكـــي يصـــطاد قلبـــاً مســـترسلاً ... ونفســـاً أوغلـــتْ فـــي الترَّهـــات

وعاطفـــة تبـــاع بكـــل ســـوق ... وإحساســـاً يحِـــب الســـيئات

وروحـــاً - فـــي أتـــون الوحـــل - غاصـــت ... وأمســـت تحتفـــي بالمُوبقـــات

وزوجـــاً لا تتـــوق إلـــى عفـــافٍ ... ولا تهـــوى ريـــاض المُحصـــنات

وذاتـــاً للفجـــور تحـــنّ طوعـــاً ... وتوغـــل فـــي ديـــاجي المُخزيـــات

يبادلهـــا شـــعوراً مســـتعاراً ... ويخـــدعُها بتخييـــل الحُـــواة

ويســـحَرها ليأســـرَها احتيـــالاً ... ويطـــرحُ مـــا تيســـر مـــن نِكـــات

ويمـــلأ دربهـــا ورداً وعطـــراً ... وكـــم عنـــد المُتـــيَّم مـــن أداة!

ويصـــحبُها إلـــى وكْـــر البغايـــا ... لتســـقط فـــي الشـــباك المُلقيـــات

ويرمـــي ســـهمه ليصـــيب حَمقـــاً ... فيصـــطاد الفريســـة كالرمـــاة

ويمْتعُهـــا ، وتمْتعُـــه تباعـــاً ... ويختبئـــان فـــي لجـــج الحيـــاة

ويلتقيـــان مهمـــا قيـــل: عيـــبٌ ... ومهمـــا ســـيق مـــن أزكـــى العِظـــات

ويقتســـمان كأســـاً مِـــن غـــرام ... مُعتقـــة العذوبـــة كـــالفرات

ويختصـــمان إن قيـــل: انحطـــاط! ... ويبتـــدعان حُكمـــاً كالقضـــاة

وتنقلـــبُ الحقـــائقُ شـــائعاتٍ ... ومَـــن يُصـــغي لتلـــك الشـــائعات؟!

وينقلـــبُ الجُنـــاة لأبريـــاءٍ ... فواعجبـــاً لتلبـــيس الجُنـــاة!

ويُصـــبحُ مَـــن تلطـــخ بالمخـــازي ... تقيـــاً مِـــن مغـــاوير الأبـــاة!

ومَـــن خانـــت حلـــيلاً لـــم يخنهـــا ... ولـــم يُنصـــتْ لألحـــان الوُشـــاة

ولـــم يجـــرحْ مشـــاعرَها بلفـــظٍ ... ولـــم يهجـــرْ بشـــئ مـــن أذاة

ولـــم يغـــدر - معـــاذ الله - يومـــاً ... لأن الغـــدرَ مَقبـــرة الأبـــاة

ولـــم يَـــنقضْ - معـــاذ الله - عهـــداً ... ونقـــضُ العهـــد مِـــن أخـــزى الصـــفات

ولـــم يَبخـــلْ بعارفـــةٍ عليهـــا ... ولكـــنْ ســـاق أغلـــى التضـــحيات

ولـــم يـــؤثرْ عليهـــا أي أنثـــى ... ســـوى أم تفـــوق الأمهـــات

ولـــم يُهـــدرْ كرامتهـــا انتقامـــاً ... فهـــذا الأمـــرُ مـــن طبـــع الطغـــاة

ولـــم يلعـــبْ بهـــا - فـــي الخلـــق - لعبـــاً ... لأن الجـــد مـــن أســـمى الســـمات

ولـــم يضـــربْ ، ولـــم يشـــتمْ بتاتـــاً ... فمـــا هـــذا الحليـــل مـــن العُـــتاة

إلـــى أن ســـافحتْ ، وهـــوتْ خـــديناً ... وأمســـت مـــن شـــرار الصـــاحبات

فـــلا تقـــوى ، ولا خلـــقٌ كـــريمٌ ... يُزينّهـــا ، كبـــاقي المؤمنـــات

لفظـــتُ ودادهـــا ، وبـــلا تـــرٍو ... فقـــد خابـــتْ جميـــع توقعـــاتي

وفـــاض الـــدمعُ - مـــن عينـــي - سُـــيولاً ... وهاجـــت - بـــالأنين - توجعـــاتي

وبـــات القلـــب يجتـــرّ البلايـــا ... ويســـبحُ فـــي خِضـــمّ العائـــدات

وفـــي أحوالهـــا أعملـــتُ فكـــري ... وفـــي حـــالي أطلـــتُ تـــأملاتي

وقلـــتُ: لمـــن أبـــوحُ بمُـــرِّ سِـــري؟ ... ومَـــن فـــي النـــاس تؤلمـــه شـــكاتي؟

ومَـــن ســـيُجفف الـــدمع احتســـاباً ... وينصـــح بالوصـــايا الطيبـــات؟

ومَـــن ســـيخفف الآلام عنـــي ... ويحملنـــي علـــى مـــتن الثبـــات؟

ومَـــن ســـيردّ – لـــي - أرج اعتبـــاري ... ومَـــن ســـيعيدُ - لـــي - شـــرفي وذاتـــي

ومَـــن ســـيريحُ - مِـــن كَـــدر - ضـــميري ... ويُوصـــلني إلـــى حبـــل النجـــاة

لقـــد طفـــحَ المصـــابُ ســـنا طمـــوحي ... وأســـلمني لأعتـــى المُعضـــلات

وجرّعنـــي الـــبلاءُ بـــدون ذنـــب ... وأســـكنني جحـــيمَ الحادثـــات

وألجمنـــي ، فلـــم أنطـــقْ بحـــرفٍ ... فلـــذتُ - مِـــن البليّـــة - بالســـكات

وكنـــتُ أرى الحليلـــة فـــي الثريـــا ... وكنـــتُ أعـــدّها فـــي الخيّـــرات

وأحســـبُها علـــى رشـــدٍ وخيـــر ... ومِـــن أهـــل التعبّـــد والصـــلاة

وكنـــتُ أظنهـــا أســـمى الولايـــا ... ترفـــرفُ فـــي ســـماء الفضـــليات

وكانـــتْ عُـــدتي لغـــدٍ بَهـــيج ... ومَـــن تعطـــي عطـــاء العابـــدات

فخـــاب الظـــن حتـــى كـــدتُ أهـــذي ... وأغـــرقُ فـــي لهيـــب تحسّـــراتي

فمـــا كانـــت ســـوى عـــار كـــواني ... وتريـــاق يقـــود إلـــى الممـــات

وماجنـــةٍ سُـــقيتُ بهـــا الرزايـــا ... وعاشـــقةٍ مـــن أشـــقى العاشـــقات

أقـــول لهـــا: كفـــى - واللهِ - غِشـــاً ... وتـــدجيلاً ، فـــإن الخطـــبَ عـــات

مُقامُـــكِ - تحـــت ســـقفي - مســـتحيلٌ ... وبُعـــدُكِ مـــن أجـــلّ الأمنيـــات

ألا فلترحلـــــي عنـــــي مليّـــــا ... فـــلا ألقـــاكِ فـــي أي الجهـــات

ولا تتأســـفي عـــن عشـــق نـــذل ... فـــإن مصـــيره بـــاللهِ آت

فِعالـــكِ مـــا علمـــتُ فِعـــال سُـــوءٍ ... فســـيحي - فـــي الهـــوى - كالداعـــرات

ونســـبتنا إليـــك تجُـــرّ سُـــوءًا ... وتجعلنـــا وقـــوداً للشِـــمات

أبيعـــكِ بالـــدراهم ، لا أبـــالي ... لغـــاو مـــن رعاديـــد الغـــواة

فـــدينارٌ - مِـــن الرعنـــاء - أغلـــى! ... وعَيشُـــك قـــد توشّـــح بـــالفوات

هنيئـــاً للمتـــيّم عشـــقُ حَمقـــا! ... وســـوف تبـــاعُ بيـــعَ الأضـــحيات

كمـــا باعـــت حلـــيلاً ، لـــم يُقصِّـــر ... وباعـــت طفلهـــا بعـــد البنـــات

وباعـــت أســـرة كانـــت مَـــلاذاً ... وكهفـــاً مِـــن نكـــال المُهلكـــات

فســـوف تبيـــعُ مَـــن كـــان اشـــتراها ... وهـــذا سَـــمتُ كـــل الهـــازلات

غريبـــاً ســـوف يُصـــبح ذات يـــوم ... لينفـــذ أمـــرُ ربّ الكائنـــات!

وعظتْ أباها ، ثم ماتت!

(في مجلة منار الإسلام العدد 4 السنة 25 ص 89 ، قصة لداعية صغيرة عمرها 5 سنوات. وعظتْ أباها الذي لم يُصَل منذ 7 سنوات. وذلك قبيل الفجر بقولها: يا أبت اتق الله. فطفق يُرغي ويُزبد ويصول ويجول وراح يتوعّدها وينال منها ويسخر من حديثها المبكر الذي لا يتناسب مع عُمْرها ولا مع تجربتها في الحياة. ثم عاد الرجل إلى نفسه وأدرك أنها على حق وأن الله تعالى أراد أن يجعل من كُليماتها ناقوساً يدق في عالم الغفلة والنسيان. فذهب لصلاة الفجر فصلى وبكى. وتلك ماتت عند الظهر. وذلك أن الأب قد اعتاد على ارتكاب المعاصي والموبقات برفقة مجموعة من قرناء السوء في بيته. وراقبت الصغيرة ممارسات أبيها مع رفاقه وهداها ربها إلى إسداء نصيحتها لأبيها بدون مواربة وبكل شجاعة في توقيت يعلم الله أنه مناسب للغاية ، إذ كانت تلك الصغيرة على موعد مع الموت ونهاية العمر. وودّ الأب لو عاد ليحتفل بالتوبة والإنابة معها حيث كانت سبباً مباشراً فيها. ولكنه فوجيء بأنها قد فارقت الحياة إلى غير رجعة إلا في يوم القيامة. فكان منه الإصرار على عدم العودة إلى المعاصي فقد رأى بعينيه أنه قد ينتقل إلى عالم الآخرة في أي لحظة! فتأثرتُ بهذه القصة العجيبة الغريبة. وكانت هذه القصيدة على البحر الوافر وقافية الراء ترجمة لذلك التأثر.)

قد اختصرتْ نصيحتها اختصارا ... ليعتبر الأبُ الغِرّ اعتبارا

ويَحذرَ من أمان خادعاتٍ ... ولا يغتر بالدنيا اغترارا

وينظرَ في الأمور ، ولا يُداجي ... ويُعلنَ - من معاصيه - الفرارا

ويحذرَ ما تخبئه الليالي ... ويُقلعَ عن مصاحبة السُكارى

ويلتزمَ الهُدى ديناً ودنياً ... فإن وراء ما يأتيه نارا!

ويتخذ التقاة رفاقَ درب ... فما عَدِمَ الهداةَ ولا الخِيارا

ويتبعِ الذين دَعَوْا لرشدٍ ... لكي يزداد رشداً وادّكارا

ويتقيَ المليكَ ، فلا يباهي ... بمعصيةٍ يُقارفها جهارا

ويخشى النار تحرقه انتقاماً ... وتلقمُه المذلة والصَغارا

كفى ما كان من هزل وفسق ... يَزيدُ المرءَ في الدنيا تبارا

ويصبحُ عِبرة بين البرايا ... وبالعِصيان يَشتهرُ اشتهارا

ويُمسي مُثلة في كل قوم ... وللترغيب يضطرُ اضطرارا

ويركبُ موجة ، ويُزيحُ أخرى ... ويخبط عامداً خبط الحيارى

ويرضى بالضلال هوىً وسَمتاً ... وبالغادات يفتخرُ افتخارا

فتلك عشيقة ، عذبٌ هواها ... وليس جمالها أبداً يُبارى

وتلك رفيقة شهدٌ صباها ... وإن وضعتْ على الحُسن الخمارا

وتلك كلامُها ذهبٌ سبيكٌ ... إذا أجرتْ مع الصَبِ الحوارا

وتلك الخَمْر تجعلها غزالاً ... وتطربُ إن تناولتِ القِمارا

حياة كلها خمرٌ ودعرٌ ... وعُهر في سراديب العذارى

وتخديرٌ وموسيقى ورجز ... كأن رفاقَ سهرتنا نصارى

وتلك مصيبة بلغت مَداها ... وموتُ المرء فيها قد توارى

صدقتِ بُنيتي ، وكفى انحطاطاً ... وذلاً في الخلائق وانتحارا

كأني بين مَن فسقوا أسير ... فهل لومٌ على قوم أسارى؟

نصحتِ فكان نصحُك مِن فؤادٍ ... بنصح الناس يزدهرُ ازدهارا

ولم يُغلظ - فدته الروح - قولاً ... ولم يُكثرْ ، بل اختصر اختصارا

لذا صليتُ فجري مُستكيناً ... ودمعُ العين ينهمرُ انهمارا

وأنصتَ للقرآن العذبِ قلبي ... وإيماني قد اتخذ القرارا

وودعتُ المعاصيَ دون عَودٍ ... وزايلتُ الرعاديدَ الشرارا

وللرحمن عُدتُ بلا افتراق ... قد انكسرَ الفؤاد له انكسارا

وولى ليل معصيتي بعيداً ... سأرضي خالقي ليلاً نهارا

يمينَ الله أنتِ هديتِ نفسي ... لذا انتصرتْ على الفسق انتصارا

وأبصـــرتُ الطريـــق إلـــى المعـــالي ... وحـــبُ الله بـــات لهـــا شِـــعارا

وتابـــت مـــن ذنـــوب ســـربلتها ... وصـــحتِ المقاصـــدَ والمَســـارا

وبـــات الصـــدقُ ديـــدنها ، لهـــذا ... قـــد اقتصـــرتْ علـــى الشـــرع اقتصـــارا

ولـــم تقبـــلْ - عـــن التقـــوى - بـــديلاً ... لأن الشـــر جرّعهـــا المَـــرارا

وعُـــدتُ - مـــن الصـــلاة - إلـــى فتـــاتي ... لأشـــكرها ، فقـــد كانـــت مَنـــارا

وأمنحُهـــا الجـــوائز والهـــدايا ... وعمـــا قلـــتُ أعتـــذر اعتـــذارا

وأجعـــل - مـــن دمـــوع التـــوب - بُشـــرى ... تـــزفّ لهـــا البشـــائر والفخـــارا

فجـــاء المـــوت بالمرصـــاد يجنـــي ... فتـــاة أصـــبحتْ تعـــظ الكبـــارا

ومـــا فتئـــتْ تـــذكّرنا ، وتـــدعو ... وجـــاء المـــوت يقـــتحم الـــديارا

وفاجـــأني بمـــوت حيـــاة قلبـــي ... وفـــاض الـــدمعُ يخنقنـــي بحـــارا

ليـــرحمْ ربنـــا أغلـــى فتـــاةٍ ... فعـــن لقيـــاه لـــم تطـــق اصـــطبارا

وأدخلهـــا المليـــكُ جنـــان عـــدن ... وألبســـها القلائـــدَ والسُـــوارا

وصـــبّرنا الإلـــهُ علـــى ابـــتلاءٍ ... يُجرّعنـــا الكآبـــة والمَـــرارا

ولـــولا رحمـــة المـــولى فتِنـــا ... وألزمَنـــا تألمُنـــا الخســـارا

لطيـــفٌ ربنـــا لمّـــا ابتلانـــا ... فقـــد أدتْ رســـالتها اختيـــارا

وذكراهـــا علـــى الأرواح خُطـــتْ ... وســـوف نعـــيش نحتـــرمُ الصِـــغارا

ســـلامُ الله يـــا فضـــلى عليـــكِ ... أيـــا نـــوراً عـــن الـــدنيا تـــوارى

عقوق عواقبه وخيمة

(كان التقائي بأبيات أمية بن أبي الصلت هناك عام 1981م ، وتحديداً في سنتي الأولى الجامعية. واستمعت إلى هذه الأبيات العشرة سنتها من الأستاذ / أحمد القطان ، جزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء. وهذه الأبيات من عيون شعر العرب ولا شك. وما منع أمية بن أبي الصلت من أن يُسْلم ، إلا غيرته من النبي محمد - صلى الله عليه وسلم – وحقده عليه. ولله في خلقه شؤون. وفي ذلك التاريخ لم أستطع معارضتها لعدم وجود المؤهلات التي تمكنني من ذلك. وأذكر أبيات أمية لابنه أولاً ، ثم نطالع معاً معارضتي له على ذات بحره ووزنه وقافيته ورويه:

غـــــذوتك مولـــــوداً وعُلتـــــك يافعـــــاً ... تعُـــــل بمـــــا أدنِـــــي إليـــــك وتنهـــــلُ

إذا ليلـــــة نابتـــــك بالشـــــكو لـــــم أبـــــتْ ... لشكـــــواك إلا ســـاهـــــــراً أتـــملمـــــل

كـــــأني أنـــــا المطـــــروقُ دونـــــك بالـــــذي ... طرقـــــتَ بـــــه دونـــــي ، وعينـــــيَ تهمِـــــل

تخـــــافُ الـــــردى نفـــــسي عليـــــكَ ، وإنهـــــا ... لـــتـعـــــلم أن المـــــوت حـــتـــــمٌ مـوجـــــل

فلمـــــا بلغـــــت الســـــنّ والغايـــــة التـــــي ... إليهـــــا مـــــدى مـــــا كنـــــت فيـــــك أؤمـــــل

جعلـــــت جزائـــــي غلطـــــة وفظاظـــــة ... كأنـــــك أنـــــت المنعـــــمُ المتفضـــــل

فليتـــــك إذ لـــــم تـــــرع حـــــق أبوتـــــي ... فعلـــــتَ كمـــــا الجـــــار المجـــــاور يفعـــــل

فـــــأوليتني حـــــق الجـــــوار ، ولـــــم تكـــــن ... علـــــيّ بمـــــال دون مالـــــك تبخـــــل

وسـمّـيتنـــــي باســـــم المـفنـــــد رأيـــــه ... وفـــــي رأيـــــك التفنيـــــذ لـــــو كنـــــت تعقـــــل

تـــــراه مـــعـــــــداً للخـــــلاف كـــأنـــــه ... بـــــردٍ علـــــى أهـــــل الصـــــواب موكـــــل

وكم هي أبيات رائعة في التنديد بالعقوق والعاقين من الأبناء ، ويرددها الناس والخطباء والأدباء كثيراً! ورغبة مني في إثراء الشعر العربي الأصيل ، وإحساساً مني بهذه القصيدة القصيرة ، وانطلاقاً من إحياء فن المعارضة الشعرية ، قمتُ بمعارضتها اليوم لأسجل هذه المحاولة ، التي وإن لم تكن تبلغ مستوى أمية بن أبي الصلت في القوة والجزالة ، ولكنْ يبقى لي شرف المحاولة ذلك الشرف الذي دائماً أصدر به أي معارضة شعرية لأي شاعر في القديم أوالحديث. بالإضافة إلى فرق العقيدة بين الشاعرين فإن أمية بن أبي الصلت منعه حقده من اتباع النبي - محمد – صلى الله عليه وسلم – ولم يدخل في الإسلام ، حيث كان يرى أنه أولى بالنبوة منه. وأنا متبع للنبي - صلى الله عليه وسلم -. أقول ذلك إحقاقاً للحق وإقراراً بالحقيقة! روى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: {إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ

عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ الْبَنَاتِ وَمَنْعًا وَهَاتِ وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ : وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ}. وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: {أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاَللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ}. وروى َالْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:{الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاَللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ}. وروى َالْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: {ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْكَبَائِرَ فَقَالَ: الشِّرْكُ بِاَللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ} الْحَدِيثَ. {وَفِي كِتَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الَّذِي كَتَبَهُ إلَى أَهْلِ الْيَمَنِ وَبَعَثَ بِهِ مَعَ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وَأَنَّ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْإِشْرَاكُ بِاَللَّهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَالْفِرَارُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَرَمْيُ الْمُحْصَنَةِ ، وَتَعَلُّمُ السِّحْرِ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ}. الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ. وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَالْبَزَّارُ وَاللَّفْظُ لَهُ بِإِسْنَادَيْنِ جَيِّدَيْنِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: {ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ وَالْمَنَّانُ عَطَاءَهُ. وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالدَّيُّوثُ وَالرَّجِلَةُ مِنْ النِّسَاءِ}. وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ شَطْرَهُ الْأَوَّلَ. قَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ: الدَّيُّوثُ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ هُوَ الَّذِي يُقِرُّ أَهْلَهُ عَلَى الزِّنَا مَعَ عِلْمِهِ بِهِمْ. وَالرَّجِلَةُ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِ الْجِيمِ هِيَ الْمُتَرَجِّلَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ. والآن لنطالع معارضتنا الشعرية لقصيدة أمية بن أبي الصلت!)

بـــذلتُ لـــكَ الخيـــرات ، لـــم أكُ أبخـــلُ ... وجُـــدتُ بمـــالي يـــومَ لـــم تـــكُ تعقـــلُ

وأجهـــدتُ نفســـي مُرْخِصـــاً كـــل مـــا غـــلا ... ويشـــهدُ لـــي مـــا كنـــتُ أعطـــي وأبـــذل

وكافحـــتُ فـــي العـــيش الـــذي كـــان قاســـياً ... فلـــم أكُ أشـــكو لحظـــة ، أو أولـــول

وناضـــلتُ فـــي الميـــدان ، هـــذي رســـالتي ... فـــإني علـــى رب الـــورى أتوكـــل

وصـــارعتُ هاتيـــك الحيـــاة بعزمتـــي ... ومثلـــي علـــى الأصـــحاب لا يتطفـــل

ولـــم أعشـــقِ الآمـــالَ دون انطلاقـــةٍ ... ولـــم أكُ فـــي أنســـامها أتغـــزل

عســـيرٌ علـــيَّ النـــومُ إن جـــاءني الـــبلا! ... ولســـتُ الـــذي فـــي كربـــه يتزلـــزل

وعـــاتٍ علـــى نفســـي احتجـــاجي بقيمـــةٍ ... بهـــا فـــي جميـــع النـــاس لـــم أكُ أعمـــل

تُصـــدّقُ أعمـــالي مقـــالاتُ صـــادق ... وفيمـــا يقـــول المُفتـــري لســـتُ أســـأل

وعشـــتُ أرى فيـــك الكرامـــة والإبـــا ... وكـــل الـــذي فـــي الـــنفس كنـــتُ أؤمـــل

وقلتُ: سيبني المجد فذاً مفاخراً ... فقلبُ الفتى بالعز والمجد مُثقل

ويملأني فخراً بما حقق الفتى ... فما مثله يوماً يَخيب ويَفشل

ويغمرُني بالفضل مهما نهرته ... ونصحي له مستسلماً يتقبل

وقلتُ: سيعلو - في البهاليل - شأنه ... ويوماً - على إخوانه - يتفضل

ويحترمُ الأهلين ، يرعى حقوقهم ... ومنهاجُه في العيش أسنى وأمثل

ولا يرفع السوآى شعاراً ومَذهباً ... وأقواله صِدقٌ ، فلا يتقول

يعيش لرب الناس عبْداً موحّداً ... ومما احتوى القرآنُ يغذو وينهل

وفي سُنة (العدنان) يحلو اجتهاده ... وعن منهج الوحيين لا يتحول

وقلتُ: سيعطيني إذا احتجتُ عن رضىً ... وعني همومَ النفس يوماً سيحمل

فما كان لي إلا عذاباً وصدمة ... وليلي بقربي منه داج وأليل

وأذكر - في حزن - جميلاً بذلته ... وما عشت مِن هذا الفتى أتحمل

إذا زاره السقمُ اليسيرُ وجدتني ... عليَّ من الأحزان والكرب أجْبُل

أعاني ، وآسى للذي قد أصابه ... ولله بالأعمال قد أتوسل

وأنفق من مالي لأذهِب سُقمه ... وأسعدُ إذ ألقى الذي كنتُ آمل

وأبقى طوال الليل أبكي وأشتكي ... لربي مصابي ضارعاً ، وأحوقل

وأحرقُ أعصابي من الوجد ثاوياً ... عليكَ ، وأبقى في الشقا أتبتل

كأني مصابٌ ، والجراحُ مريرة ... وما طاب لي شرابٌ ، ولا طاب مأكل

وأمضغ آلامي ، وأقتاتُ بالأسى ... إذا ما أصاب الجسمَ جسمَك دُمَّل

وأسهرُ ليلي في العذابات بائساً ... رهينَ الشقا من حُرقةٍ أتململ

كأني بآهاتي وفيض مدامعي ... مريضٌ له عينٌ تذوب وتهمِل

فلمـــا رأتْـــكَ العـــينُ شـــاباً تفاءلـــتْ ... وقالـــت: ظهيـــرٌ فـــي النـــزال ، وموئـــل

وفخـــرٌ وعـــز فـــي الحيـــاة وسُـــؤدَدٌ ... ورُشـــدٌ يزكّينـــا ، بـــه لـــيس مَعـــدِل

ولكـــنْ خبـــا ضـــوءُ العيـــون ، فأخفقـــتْ ... وأخطـــاتِ التقـــدير ، فالشـــبلُ أرذل

يســـبّ أبـــاه ، والكســـيرة أمّـــه! ... ليَســـعدْ عـــدوٌ بالســـفيه وعُـــذل

يظـــن ذكـــاء المـــرء فـــي الســـب والجفـــا ... وإنّ سِـــباب النـــاس للعـــز مُمْجِـــل

ويحمـــلُ ســـيف الـــبغض ـ للحـــق ـ عامـــداً ... ودومـــاً يُعـــينُ النـــذلَ نـــوكى ومُيَّـــل

ويظلـــم ، لا يهـــوى العدالـــة مُطلقـــاً ... ويَهـــرفُ بالبُهتـــان ، لا يتعقـــل

تـــردّى إلـــى حـــدٍ عميـــق قـــرارُه ... حضـــيضٌ مـــن الأقـــذار أخـــزى وأســـفل

ســـفيهٌ ، ولا يســـتحي ممـــا يقولـــه ... وهـــل يتســـامى بـــالحق والخيـــر مُبْطـــل؟

يـــردّ جميـــلَ الوالـــدين صـــفاقة ... وإنّ الـــذي يأتيـــه صـــدقاً لمُخجـــل

يُقابـــل إحســـاناً بـــأنكى إســـاءةٍ ... وينكـــر معروفـــاً ، ويطغـــى ، ويختـــل

ويُـــزري بمـــا أســـدتْه أمّ تحبّـــه ... وعاشـــت تُسَـــلي طفلهـــا ، وتُـــدلل

وكـــم أطعمـــتْ أشـــهى وأغـــذى طعامهـــا! ... وتحنـــو وتقســـو مَـــرة ، وتقبِّـــل

فلمـــا اســـتوى أمســـى يُسَـــفه رأيهـــا ... وفـــي النيـــل منهـــا يســـتطيل ، ويوغـــل

رؤوسٌ تســـاوتْ ، تلـــك لا فـــرق بينهـــا! ... وهـــل فضـــلُ أم الفتـــى يُطـــوى ويُجهـــل؟

تأمّـــلْ تجـــدْها فـــي المشـــيب تهـــدلتْ ... وأنـــت الـــذي خيبـــتَ مـــا تتأمـــل

وأنـــت الـــذي أغرقـــتَ بالـــدمع وجهها ... إلـــى أن ثـــوت فـــي وهـــدة الشـــيب عُطبُـــل

وأمـــا أبـــوك المســـتكينُ فـــؤادُه ... فقـــد غـــاب عـــن ذكـــراه مـــا كـــان يَعقـــل

وأنـــت الـــذي أعملـــتَ ســـيفك فيهمـــا ... تُســـفه حينـــاً ، ثـــم حينـــاً تُضَـــلل

فلـــم تلتـــزمْ شـــرعاً يريـــدك حانيـــاً ... فـــلا تفتـــري إثمـــاً ، ولا تتبـــذل

ولـــم تحتـــرمْ عُرفـــاً عليـــه شـــبابنا ... فعـــذبْتنا لمّـــا قـــلاك التجمـــل

فليتـــك لـــم تظلـــم ، ولـــم تُشْـــمِت العِـــدا ... وليتـــك فيمـــا بيننـــا كنـــت تعـــدل

أبوتنـــا لمّـــا نـــذِقْكَ مَرارَهـــا ... وفـــي ظلهـــا عـــاش الفتـــى يتـــدلل

وهبنـــاك مـــن ريـــع الشـــباب أريجَـــه ... وأنـــت - بمـــا خولـــتَ - يـــا نـــذل تبخـــل

منحنـــاك مـــن أعصـــابنا ودمائنـــا ... وكـــدتَ - مِـــن الإحســـان والجـــود - تـــذهل

فيـــا ليتنـــا كُنـــا انتصـــحْنا ، فلـــم نكـــنْ ... نجاريـــك فيمـــا تـــدّعي يـــا مغفـــل

شـــقينا ليرتـــاح الـــذي قـــد أهمّنـــا ... وبتنـــا يُـــدَمّينا الأســـى ، فنحســـبل

وقلنـــا ســـيرثي للـــذي قـــد أذلنـــا ... وهـــذا فتـــى الفتيـــان أســـخى وأنبـــل

ســـيُكْبِرنا دومـــاً ، ويُعْظِـــم شـــأننا ... ومِـــن كـــل أهلينـــا أحـــن وأرجَـــل

ســـيرحم ضـــعفاً قـــد ألان قناتنـــا ... ويشـــدو فيشـــجينا إذ النجـــل بُلبـــل

سنســـعد - فـــي الـــدنيا - بصـــحبة ذا الفتـــى ... ويســـعد قـــومٌ كـــان فـــيهم ومَنـــزل

ســـيملأنا فخـــراً يُســـلي حياتنـــا ... بـــه يســـهل الأمـــر العســـيرُ المُعَضّـــل

فخـــاب الرجـــا ، والأمنيـــاتُ تبعثـــرتْ ... وسُـــربلتِ الآمـــالُ ، كـــم ضـــاع مأمـــل!

ويومـــاً تـــذوق الـــذل قدمتـــه لنـــا ... وشـــيبُك بالثـــارات يومـــاً ســـيَحفل

ألا إنـــه دَيْـــنٌ يُـــوَفى ، ونقمـــة ... وإن جَنـــاب الله كهـــفٌ ومَعقـــل

دَعَونـــا عليـــك الـــرب مـــن فـــرط ذلنـــا ... وربـــك - عمّـــا نلتـــه - لـــيس يغفـــل

ولا يظلـــم اللهُ العبـــادَ لحيظـــة ... وربـــك للطـــاغين يُملـــي ، ويُمهـــل

ولكـــنّ أخـــذ الله لا أخـــذ مثلـــه ... ولـــن ينفـــع البـــاغين - يومـــاً - توســـل

مجنيٌ عليها وخمسة جناة!

(جنت على نفسها هذه المراهقة الحمقاء الجاهلية المبتذلة المتهتكة. وذلك عندما خرجت من دارها بعباءتها الفاضحة ليس ذلك فقط ، بل بعطورها الفائحة ، ليس ذلك فقط ، بل بخضوع بالقول ، ليس ذلك فقط ، بل بمشية تغنج وتكسّر بحذائها ذي الكعب العالي ، شأنها في ذلك شأن عواهر السينما والتلفاز! فتعقبها خمسة كلاب بشرية أو ذئاب آدمية إن صح التعبير. وكان ذلك في سوق مدينتها الحضارية (حضارة التخلف ، لأن الإسلام لله والإيمان به هما الحضارة). وظل هؤلاء الكلاب أو الذئاب يتابعون الفتاة إلى أن اضطروها إلى مكان ضيق مظلم. وهناك تم الاصطياد ودفع ثمن فاتورة التبرج والتهتك والانحلال. إنها القصة المتكررة في عالمنا. وما علمناه عشر معشار ما خفى عنا من عواقبها الأليمة المخزية. وحديث النبي – صلى الله عليه وسلم – الصحيح عن النساء اللائي لم يرهن في زمانه (الكاسيات العاريات المائلات المميلات اللائي رؤوسهن كأسنمة البخت واللائي لن يدخلن الجنة ولن يجدن ريحها!) وهذا الحديث من معجزاته صلى الله عليه وسلم ، فقد وقع في زماننا هذا حيث وجدت النساء الكاسيات بما عليهن من ثياب قصيرة ، العاريات بما ظهر من أجسادهن ووجدت الكاسيات بما عليهن من ثياب وخُمُر شفافة لا تستر ما تحتها ، وبراقع فاضحة تكشف بها المرأة المتبرجة عن حاجبيها ووجنتيها ، فهن عاريات بما يظهر من أجسادهن وشبيه بالعُري ، مما هو لباس للكافرات الغربيات ونحوهن ومن يتشبه بهن من المنتسبات للإسلام. ومعنى «مميلات» أي يعلّمن غيرهن فعلهن المذموم ، وقيل «مائلات» أي يتمشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا ، وما شابهها من المشطات القبيحة المتلقاة من الكافرات والمتشبهات بهن! «ومميلات»: يمشطن غيرهن تلك المشطة كما هي حال كثير من النساء اليوم نعوذ بالله من سوء الفتن ما ظهر منها وما بطن. إن مثل هذي الممارسات ما كان لها أن توجد أبداً في ظل مجتمعات يتمسك أهلها بشريعة الإسلام وتتمسك بناتها بقيم الإسلام وآدابه. وباقي هذه القصة أجعله يُستشف من ثنايا القصيدة. وإلا لم يصبح للقصيدة قيمة فنية إن نحن سردنا كل شيء هنا. وإنْ هي إلا قطرة من خِضم. ذلك أنني لا أحب للقاريء أن يخمن الجو النفسي ولا الحالة الشعورية ولا الظروف الداعية لكتابة هذه القصيدة!)

لـــــولا التبـــــذل مـــــا أرداكِ مغتصـــــبُ ... ولـــــم يَمسّـــــكِ مَـــــن بـــــالعُهر يختضـــــبُ

لـــــولا الســـــفولُ ، وعـــــوراتٌ مُكَشّـــــفة ... لمّـــــا يكـــــنْ لبُغـــــاة الشـــــهوة الغلـــــب

لـــــولا التبـــــرجُ جَلّـــــى حُســـــن غانيـــــة ... مـــــا بـــــات دمعُـــــك فـــــوق الخـــــد ينســـــكب

لـــــولا العطـــــورُ زكـــــا أريـــــجُ فائحِهـــــا ... لمَـــــا دهـــــاكِ الشـــــقا - كـــــلا - ولا النـــــوب

حمقـــاءُ ، بـــل فـــي الـــورى أخـــزى مراهقـــةٍ ... فيهـــــا النقـــــائض والأهـــــواء والعِيَـــــب

لـــــولا العبـــــاءة شـــــفتْ عـــــن مفاتنهـــــا ... مـــــا زار سُـــــمعتها شـــــكٌ ولا رِيَـــــب

لـــولا التغـــنجُ حلّـــى قـــبحَ مِشـــيتها ... لمّـــا يُصِـــبْ قلبهـــا رمـــحٌ ولا يَلـــب

لـــولا التحـــدث للتجـــار فـــي شـــبق ... حـــديثَ فـــاجرةٍ مـــا عنـــدها أدب

لـــولا الشـــعورُ بـــدت – للعـــين - نوسَـــتها ... تزجـــي البريـــق لهـــا ، كأنـــه لهـــب

لـــولا العيـــونُ زهـــا بالســـحر مَحجرُهـــا! ... لِحاظهـــا مُوقـــدٌ ، كأنـــه الشـــهُب

لـــولا الكـــلامُ بألفـــاظٍ مزخرفـــةٍ ... بنبـــرةٍ أمتعـــتْ ، كأنهـــا الطـــرب

والكـــفّ لـــولا خضـــابٌ فـــوق بشـــرتها ... لمَـــا ألـــمَّ بهـــا فـــي المحنـــة الـــودب

هـــو التبـــرجُ ألغـــى بـــأسَ عِفتهـــا ... وبعـــدُ خلّفهـــا تبكـــي وتنتحـــب

والعُـــرْيُّ يُـــزري بفضـــلي ، تســـتلذ بـــه ... لـــولاه - منهـــا - شِـــرارُ النـــاس مـــا اقتربـــوا

أراذلٌ خمســـــــة رأوْا مُجـــــــاهِرة ... بالـــدعر ، ثـــم - إلـــى الإســـلام - تنتســـب

مـــا ردَّهـــا الشـــرعُ عـــن تبـــرج عفـــن ... كـــلا ، ومـــا ردّهـــا مـــا تـــدّعي العـــرب

فللحنيفـــــة مِعيـــــار يُميّزهـــــا ... والعلـــمُ نـــاءتْ بـــه الأســـفارُ والكتـــب

أدلـــــة سُـــــوَرُ القـــــرآن تجمعُهـــــا ... وهـــدْيُ (أحمـــدَ) يحيـــا فيـــه محتســـب

وللعروبـــــة أخـــــلاقٌ تـــــدينُ بهـــــا ... والعُـــربُ دومـــاً علـــى أخلاقهـــم رُقـــب

والخمســـة العِيـــر خلـــف الغـــادة انطلقـــوا ... وفـــي العيـــون سُـــعارُ العِشـــق يلتهـــب

وكـــل وغـــدٍ يُمَنّـــي الـــنفسَ مـــا رغبـــت ... مـــن المعاصـــي التـــي قـــد أخفـــت الحُجُـــب

حتـــى إذا مـــا انتهـــوا إلـــى فريســـتهم ... علـــى الضـــحية فـــي عجالـــة وثبـــوا

ومزقـــوا ثوبهـــا عمـــداً بـــلا خجـــل ... والمجرمـــون أتـــوا منهـــا الـــذي رغبـــوا

جنـــى علـــى الغـــادة الســـمرا تحللهـــا ... أمـــا النهايـــة فالشـــنارُ والكُـــرَب

والاســـتقامة كنـــزٌ لـــيس يعدلـــه ... مـــالٌ ولا نســـبٌ - كـــلا - ولا حَســـب

يـــا رب ثبـــتْ علـــى الإيمـــان مؤمنـــة ... خافـــت وعيـــدك ، والثـــوابَ ترتقـــب

فأين تذهبون؟

(كذب ذلك المحتالُ الأثيمُ على مجموعة من الحمقى ، وأخذ منهم قرابة الملايين الست من الدراهم موهما إياهم بالربح والمكسب. ووفى لهم ثلاثة أشهر ، ثم بعد ذلك سرق المال وولى مدبراً ولم يعقب. فاشتكوه ، فكسب القضية. وقال: لا كيلَ لكم عندي ، ولا تقربون. ثم اختفى تماماً فلا أحد يعرف له مكاناً. زاعماً أنه يمكنه الإفلات من عقاب الله. وأصبح الإسكافي صانع الأحذية السارق مليونيراً! ويبدو أنه كان قد أخذ كل التدابير ، واحتاط كل الاحتياطات التي بها لا يطاله القضاء. إنه لما مات عضد الدولة البُوَيْهي ، وكان ما كان ، ضخامةَ مُلْكٍ ، وعزةَ جاهٍ ، وهو الذي لُقب بشاهنشاه ، ولي المملكة وقد استولى الخراب عليها فغمَّرها ، وانبثَّ فيها اللصوص والمفسدون فأمَّنها ، ونظَّم المخبرين ، فعنده أخبار العالم الإسلامي في سرعة البرق ، ورتَّب الجواسيس حتى خاف الرجل امرأته ، والسيد خادمه ، وهو شديد لا يلين ، وقاسٍ لا يرحم ، ما أكثر من قَتَل وشرَّد لسبب يَسْتَوجِب ولغير سبب ، حتى رووا عنه أنه أولع بجارية شغلته بجمالها وحسن حديثها عن بعض شؤون الملك ، فأغرقها حتى لا يعود لمثلها ، وزهت له الدنيا فاغتر بها، ووصف نفسه في شعره بأنه ـ مالك الأملاك ، غلاَّب القَدَر! وقصده المتنبي فرأى ملكاً كبيراً ونعيماً عظيماً ، وقدرة قادرة ، وسطوة قاهرة! وكان في ملكه كِرْمان ، وفارس ، وعمان ، والعراق ، والموصل ، وديار بكر ، وحرَّان ، ومنبج ، خضعت له ، وخافت منه ، واستكانت له ، وفزع منه الصغير والكبير ، ثم ماذا؟ أصابه المرض وهو في السابعة والأربعين ، فأذل نفسه وأحقر شأنه ، واستُدعي له مهرة الأطباء ، فعجزُوا عجزه ، وذلُّوا ذلَّه! ثم جعل يقول: ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه ، إلى أن مات. ولنذهب إلى بغداد حيث كان أبو سليمان المنطقي رأس الفلاسفة فيها ، وبيته ندوة كل من تفلسف ، يسألونه فيما أبهم عليهم ، ويستفتونه في أعقد المسائل ؛ فيجيب إجابة تدل على علم واسع ، وعقل ناضج. فاجتمع عنده طائفة منهم يوم مات عضد الدولة ، واقترح عليهم أن يقولوا فيه كما قال تلاميذ أرسطو في الإسكندر. وبدأ أبو سليمان فقال: لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها ، وأعطاها فوق قيمتها ، وحسبك أنه طلب الربح فيها فخسر روحه. وقال ثان: من استيقظ للدنيا فهذا نومه ، ومن حلم بها فهذا انتباهه. وقال ثالث: ما رأيت غافلاً في غفلته ، ولا عاقلاً في عقله مثله ، لقد كان ينقض جانباً وهو يظن أنه مبرِم ، ويغرم وهو يظن أنه غانم. وقال رابع: أما إنه لو كان معتبراً في حياته لما كان عبرة في مماته. وقال خامس: الصاعد في درجاتها إلى سفال ، والنازل من درجاتها إلى معال. وقال سادس: من جد للدنيا هزلت به ، ومن هزل راغباً عنها جدّت له ، انظر إليه كيف انتهى أمره ، ووضع شأنه ، وإني لأظن أنَّ فلاناً الفقير الزاهد الذي مات بالأمس أعز ظهيراً من هذا الذي ترك الدنيا شاغرة ، ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة. وقال سابع: إن ماء أطفأ هذه النار لعظيم ، وإن ريحاً زعزعت هذا الركن لعصوف. وقال ثامن: كيف غفلت عن كيد هذا الأمر حتى نفذ فيك ، وهلا اتخذت دونه جُنَّة تقيك؟ ماذا صنعت بأموالك والعبيد ، ورجالك والجنود؟ من أين أُتيت وكنت قوياً صارماً؟ إن فيك لعبرة للمعتبرين ، وآية للمستبصرين. وعلَّق ظريف على الموقفين فقال: إن الفرق بين الكلامين كالفرق بين الملِكَين. إن كان هذا ففيم غرور المعتز ، وطمع الطامع ، وسطوة الظالم ، وطغيان المستبد ، وخيلاء المعجب؟ ورحم الله الحسن البصري

إذ يقول: ما أكثر المعتبَرَ وأقل المعتبِر! والسؤال الذي يطرح نفسه: فأين تذهبون؟ والسؤال الآخر: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين؟ إن الإسكندر لما مات اجتمع حول جثته جمع من الفلاسفة من تلاميذ أرسطو ، فقال عظيمهم: ليقل كل منكم قولاً يكون للخاصة معزِّياً ، وللعامة واعظاً. فقام أحدهم وضرب بيده على التابوت وقال: أيها المنطيق ما أخرسك ، أيها العزيز ما أذلك ، أيها القانص كيف وقعْت موقع الصيد في الشرَك؟ مَن هذا الذي يقتنصك؟ وقام ثان فقال: هذا القوي الذي أصبح اليوم ضعيفاً ، والعزيز الذي أصبح اليوم ذليلاً. وقال ثالث: قد كانت سيوفك لا تجف ، ونقمتك لا تُؤمَن ، ومدائنك لا ترام ، وعطاياك لا تبرح ، وضياؤك لا يخبو ، فأصبح ضوؤك قد خمد ، ونقمتك لا تخشى ، وعطاياك لا تُرجى ، وسيوفك لا تُنْتَضى ، ومدائنك لا تُمنع. وقال رابع: هذا الذي كان للملوك قاهراً ، أصبح اليوم للسوقة مقهوراً. وقال خامس: قد كان صوتك مرهوباً ، وكان مُلْكُك غالباً ، فأصبح الصوت قد انقطع ، والملك قد اتضع. وقال سادس: كنتَ كحلمِ نائمٍ قد انقضى ، أو كظل غمام انجلى. وقال سابع: لئن كنتَ أمس لا يأمنك أحد ، لقد أصبحت اليوم وما يخافك أحد. وقال ثامن: هذه الدنيا الطويلة العريضة طُويت في ذراعين. وقال تاسع: كفى للعامة أسوة بموت الملوك ، وكفى الملوك عظة بموت العامة. وقال عاشر: قد حرَّكَنَا الإسكندر بسكونه ، وأنطقنا بصمته. وهذه القصة إن شك فيها المؤرخ لا يشك في قيمتها الأديب والمعتبر. وفشت هذه القصة والأقوال في أوساط الفلاسفة من المسلمين!)

حَكَمَ القضاءُ ، وليس من إنصافِ ... وبدون إبرام ولا استئنافِ

قد برّأ القانونُ أخطر سارق ... ليكدّس الأموالَ بالأضعاف

إذ ليس يحمي قط أي مغفل ... يبكي المصابَ بمدمع ذارف

والحق ضاع ، وخاب شاكٍ أحمقٌ ... أمسى يصارع صولة الإجحاف

والمالُ أصبحَ في يمين من اعتدى ... وذووه قد شربوا نقيعَ زعاف

وغدا فقيراً مَن تمرّغ في الغنى ... وقد اغتنى بالحيلة (الإسكافي)

أين الملايين التي هي سِتة؟ ... أمست تعَد اليوم بالآلاف!

ضاعت سُدى حتى تُمتّع سارقاً ... في القصر يَرفلُ في بساط سُلاف

يختال في زهو الملوك معظماً ... ويعجُ قصر النذل بالأضياف

مجدٌ بأموال الغفاة مُشيدٌ ... والخادمون قوادمٌ وخوافي!

وأناقة مسروقة مغصوبة ... وتنعُّمٌ مترفعُ الأوصاف

وتجمـــلٌ - فـــي النـــاس - راجـــت سُـــوقه ... وتطـــــاولٌ متخـــــرصُ الأهـــــداف

والنـــاسُ قـــد خـــدعوا بمظهـــر مـــن طغـــى ... إذ إنـــــه لـــــم يُبـــــدِ مِـــــن إســـــفاف

بـــل ســـاق مـــن تدشـــينه مـــا شـــدهم ... وخطـــا علـــى درب الحـــلال الضـــافى

وأتـــى علـــيهم مُكْرمـــاً متفضـــلاً ... وكأنـــه مـــن عِليـــة الأشـــراف

والمـــالُ مســـروقٌ بأخبـــثِ حِيلـــةٍ ... وفـــؤادُ ســـارقه قريـــرٌ صـــاف

وقـــد اســـتحلّ دراهمـــاً أصـــحابُها ... كـــم كابـــدوا مـــن ذل الاستضـــعاف!

جـــاعوا ليـــدّخروا ، وعضّـــهم الظمـــا ... والعـــيشُ قاســـى مِـــن لهيـــب كَفـــاف

واخشوشـــنوا فـــي العـــيش رغـــم يســـاره ... وبيـــوتهم كانـــت قـــديم طِـــراف

وتمرّغـــوا فـــي الضـــنك حتـــى نـــالهم ... بمَـــراره ، والحـــالُ لـــيس بخـــاف

يـــا ســـارقاً عمّـــتْ فضـــيحته الـــدنا ... طـــولاً وعرضـــاً ، ثـــم بـــوح قـــوافي

وكـــذاك نشـــراً فـــي الجرائـــد كاشـــفاً ... مـــا قـــد أتيـــت بنبـــرة اســـتعطاف

وحكايـــة عبـــر الأثيـــر مريـــرة ... يرثـــي لهـــا عـــزم الفـــؤاد الجـــافي

لكـــنّ مثلـــك لا يبـــالي لحظـــة ... بفضـــائح تبقيـــك دون عفـــاف

هـــل مثـــل هـــذا جـــائز فـــي شـــرعنا؟ ... أأجـــازه يومـــاً هُـــدى الأســـلاف؟

أيـــن الـــذهابُ مـــن العقوبـــة أبرمـــتْ؟ ... وعقـــابُ ربـــك يـــا مُغفـــل كـــاف!

أمـــلاك حتـــى قـــد غـــررت بمُهلـــةٍ ... فـــاذكرْ ديـــاجر عـــاطر الألفـــاف

واذكـــر ظـــلام القبـــرَ يـــوم تـــزورُهُ ... واذكـــرْ قضـــاء الله بالإنصـــاف

وبكـــل مَـــن ظلمـــوا اعتبـــرْ يـــا غـــافلاً ... إن اعتبـــارك - مِـــن مصـــيرك - شـــاف

زئير

(أخذ يزأر في عالم الصرعى أن أنيبوا إلى ربكم. ولما لم يستجيبوا قال: قد أعذرتُ إلى ربي فلا لوم علي. إنه صدق الصحبة. ولا يدرك ما أقوله إلا الأصحاب الحقيقيون. ومن هنا يعلو زئير النصيحة. يقول جرير بن عبد الله ، والحديث في الصحيحين: (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فاشترط عليّ النصح لكل مسلم. فيقول جرير: والله الذي لا إله إلا هو ، إني لكم لناصح)! ذكر ابن حجر في الفتح ، أن جريراً كان ناصحاً لعباد الله ، اشترى فرساً بأربعمائة درهم ، فقال لصاحب الفرس: بكم بعته؟ قال: بأربعمائة درهم ، قال: أتريد أن تكون خمساً ، قال: نعم ، قال: وستاً ، قال: نعم. قال: وسبعاً قال: نعم. قال: وثمانياً ، قال: نعم. قال: خذ ثمانمائة ، فإني بايعت رسول الله على النصح لكل مسلم.)

نصحتُ ، ولم يَستجبْ لي رفاقي ... ولازلت منهم شقائي ألاقي

وبيّنتُ عل الورى يستفيقوا ... فلم يطفئ القوم نار الشقاق

وفنّدتُ ما رسخوا من أحاج ... بلفظٍ - وربّي - شهي المذاق

وجاهدت أهواءهم في مضاءٍ ... لئلا أحاسبَ يوم التلاقي

وقلت: أنيبوا ، فلم يستجيبوا ... وبعدُ رمَوْني بوصف النفاق

فعدتُ لأزأر حرصاً عليهم ... فقالوا: يُغلّب روح ارتزاق

ودارتْ رحى الحرب ، لم تُبق خِلاً ... وحاولتُ إيجاد بعض الوفاق

ودوَّى الزئير لماذا التحدي؟ ... لماذا اهتضامُ حقوق الرفاق؟

إذا كنتُ خصماً فكلٌّ عدوي ... وكم يوقد الجمعُ نار الفراق؟

تريدون بُعدي ، وأرجو اقترابي ... كأنا نوضّح معنى الطِباق

وكم قد صُليتُ بنيران صحبي ... ولا زلت أشقى بأعتى احتراق

إذا كنت - بالوصل - يُهتك عِرضي ... وحولي تثار زيوف اختلاق

وأطعنُ جهراً بدون احترام ... وأحيا بدمٍّ مباح مُراق

فمرحى ببُعدٍ وهجر وبَين ... وفصلُ الكلام طويل افتراق

دموع

(توفي عنها زوجها ، ولا يكاد يرقأ لها جفن أو تكف لها عين عن البكاء. فقلتُ: استقبلي أمرك ، وتفاعلي مع الحياة ، فلن تخفف دموعك همومَ الحياة وتداعياتها. والموتُ سُنة الله في جميع خلقه. وسبحان من يبقى بعد فناء خلقه. يقول الأستاذ أحمد أمين في تحليله عن الموت في مقال طويل عريض لولا الإطالة لذكرناه: (ومع أنا إذا نظرنا إليه من الناحية الاجتماعية لا من الناحية الفردية وجدناه أمراً لا بد منه لحياة الجيل الحاضر والجيل المستقبل ؛ إذ الأرض يستحيل البقاء عليها والعيش فيها ، إذا لم يكن الموت - مع كل ذلك - فهذا التفكير المعقول لم يخفف الشعور بهول الموت ، وعدَّه المصيبة الكبرى. أمامه تنهار كل القيم ؛ فالمال والجاه والمنصب واللذائذ تتضاءل كلها أمامه ، فَيَسْتَهْوِنُها واجدُها ، ويستقلُّ شأنَها فاقدُها).هـ.)

الـــــدمعُ أغـــــرق أشـــــعاري وإحساســـــي ... وفـــــاضَ حتـــــى محـــــا حِبـــــري وقرطاســـــي

حتـــــى متـــــى هـــــذه الـــــدموعُ جاريـــــة ... تزكّـــــي الجـــــوى وتلاحـــــي شـــــدة اليـــــاس؟

حتـــــى متـــــى هـــــذه الأحـــــزانُ شاخصـــــة ... أبصـــــارُها تســـــتحث الخـــــاطر الناســـــي؟

مـــــات الحليـــــلُ ، وهـــــذا أمـــــرُ خالقنـــــا ... وسُـــــنة الله - يـــــا أختـــــاه - فـــــي النـــــاس

يفنـــــى الجميـــــعُ ، ويبقـــــى وجـــــهُ رازقهـــــم ... فكفكفـــــي الـــــدمعَ ، أودى الـــــدمعُ بالبـــــاس

واســـــتقبلي أمـــــر مَـــــن غاضـــــت بشاشـــــتها ... وقـــــد ســـــقتها الأســـــى الكـــــروبُ بالكـــــاس

وأصـــــبحتْ - مـــــن مَـــــرار البـــــؤس - ذابلـــــة ... رغـــــم الصِـــــبا ، كـــــذبول الفـــــل والآس

رفقـــــاً بنفســـــكِ يـــــا وفيـــــة بـــــذلتْ ... دمـــــوعَ عـــــين مُـــــدَمّاةٍ وإحســـــاس

دمـــــوعُ عينيـــــك مازالـــــت تعـــــذبني ... ولاعـــــجُ الحـــــزن - يـــــا أخـــــت الهـــــدى - قاســـــي

ولـــــن يجفـــــف هـــــذا الـــــدمعَ واقعُنـــــا ... ولـــــن يخصـــــك يـــــا ثكلـــــى بـــــأعراس

أراكِ يـــــا أختنـــــا استســـــلمتِ راضـــــية ... لمَـــــا اعتـــــراك بـــــرغم الهـــــاجس الجاســـــي

لـــــمَ العيـــــون إذن تهمـــــي لتفجعنـــــا ... بمـــــا تصـــــدِّره مِـــــن مُـــــرِّ أنفـــــاس؟

مـــــا أنـــــت أول مـــــن بزوجهـــــا ابتليـــــتْ ... فأرســـــلتْ دمعَهـــــا المجنـــــدلَ الآســـــي

ولـــــن تكـــــوني مـــــدى الأيـــــام آخـــــرة ... زنِـــــي الأمـــــورَ بميـــــزان وقِســـــطاس

كن كما أنت

(الدفاع عن المظلومين من المؤمنين منقبة عظيمة. فإذا كان هؤلاء المؤمنون علماء تكون منقبة أعظم. وهذه المرة نتبني الدفاع عن علم تتلمذنا على يده ، وإن لم نره أو نلتق به. إنه الأستاذ / محمد علي الصابوني ، خادم القرآن والسنة كما يلقب نفسه ، أو خادم الوحيين الشريفين كما يطيب لي أن ألقبه. حيث تعرض الرجل لسلسلة من الانتقادات الرهيبة العاتية. وكانت على ضربين: حق وباطل. فما كان منها بالحق فنحن نحب الحق أكثر من أنفسنا ومن العالمين. وأما ما كان منها بالباطل ، فنحن لسنا من الباطل ولا من أهل الباطل في شيء. ودفاعنا اليوم عن الرجل بشأن الانتقادات الحقة. إذ الفرق كبير بين أن أبين الحق ، وأن أتشفى في فلان ، وأسوق جميع ألفاظ الشتائم والهجاء ، تلك التي لم يفطن إليها جرير في زمانه ولا الفرزدق! وإذا كان ديننا يأمرنا بالتلطف مع الكفار فما بالنا بالمؤمنين وما بالنا بعلماء المؤمنين؟ ولنتذكر (فقولا له قولاً ليناً) ، (وجادلهم بالتى هي أحسن) ، (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن). ألا إن إنكار البعض على العلماء أموراً فيها مجال للاجتهاد والاستدلال والنظر والبحث والأخذ والرد لخفاء الدليل أو لغموضه أو لاحتمال النص لأكثر من معنى ، كان أولى في مثل هذه الحال التثبت والتحقق ، وليسعنا اليوم ما وسع المسلمين من قبلُ بالأمس. ناهيك عن التراشق بالألفاظ النابية والسِباب والغمز واللمز والتجريح للكرامة تلميحاً أو تصريحاً. لكل هؤلاء أسوق هذه النصيحة الشرعية فأقول: - أخرج البخاري ومسلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: (سِباب المسلم فسوق وقتاله كفر). وفي الصحيح كذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم:- (كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه). ولقد كان منهج أئمتنا أنهم يعرضون أدلتهم التي بنوا عليها الأحكام ويذكرون كذلك آراء المخالفين وأدلتهم عليها دون سب أو طعن أو غمز أو لمز. ولننظر: (الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري وكذلك المغني لابن قدامه والمبسوط للسرخسي والاختيار والهداية وغيرها نجد تطبيقاً كبيراً لهذي القاعدة الذهبية المحترمة). إن الأستاذ الصابوني رجّاع للحق – مثله في ذلك مثل المخلصين من العلماء – ولكن بشرط وضوح الدليل. ولقد تطاول على الرجل كثيرون مما حدا به للذود عن نفسه والانتصار للحق. ومن الكتب التي رد فيها على بعض الشبهات كتاب (التبصير). إن جهود الأستاذ الصابوني العلمية لا يستهان بها. ونسأل الله أن يأجره عليها. هناك أخطاء أوعثرات أو مخالفات. أسأل ما المانع من التنبيه عليها ؟ هناك أخطاء أو عثرات او مخالفات ، أسأل ما المانع من التنبيه عليها ومراجعة صاحبها بالأدب والخلق واللين فقط؟ بدلاً من التجريح والتشفية والطعن والتشويه. إن الرجل مكث في جامعة أم القرى يدرس العلوم الشرعية للأجيال قرابة الثلاثين عاماً. ومن مؤلفات الرجل التي كان لي شرف الاطلاع على بعضها: (صفوة التفاسير 3 مجلدات - موسوعة الفقه الشرعي الميسر 8 مجلدت - التفسير الواضح الميسر: مجلد - النبوة والأنبياء: مجلد - شرح رياض الصالحين - درة التفاسيرعلى هامش المصحف وهو مجلد واحد). وأما في مجال آخر هو مجال التحقيق فله: (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري: مجلد – المنتقى المختار في كتاب الأذكار للنووي: مجلد – تنوير الأذهان من تفسير الطبري 2 مجلد - وكذا مختصر تفسير ابن كثير 3 مجلدات - المقتطف من عيون التفاسير للمنصوري 5 مجلدت - وأخيراً معاني القرآن للنحاس

ويقع فى 6 مجلدات). في مقدمة كتاب: (أخلاق العلماء) للآجري ذكر ما نصه: (إن الله عز وجل وتقدست أسماؤه ، اختص من خلقه من أحب ، فهداهم للإيمان. ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب ، فتفضل عليهم فعلّمهم الكتاب والحكمة ، وفقههم في الدين ، وعلّمهم التأويل ، وفضلهم على سائر المؤمنين ، وذلك في كل زمان وأوان. رفعهم بالعلم ، وزينهم بالحلم. بهم يعرف الحلال من الحرام ، والحق من الباطل ، والضار من النافع ، والحسن من القبيح ، فضلهم عظيم وخطرهم جزيل. ورثة الأنبياء ، وقرة عين الأولياء. الحيتان في البحار لهم تستغفر ، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع. والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع. مجالسهم تفيد الحكمة ، وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة. هم أفضل من العُبّاد ، وأعلى درجة من الزهاد ، حياتهم غنيمة ، وموتهم مصيبة. يُذكّرون الغافل ، ويعلّمون الجاهل. لا يتوقع لهم بائقة ، ولا يخاف منهم غائلة. بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون ، وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون. جميع الخلق إلى علمهم محتاج! والصحيح على من خالف بقولهم محجاج. الطاعة لهم من جميع الخلق واجبة ، والمعصية لهم محرمة. من أطاعهم رشد ، ومن عصاهم عَنَد. ما ورد على أمام المسلمين من أمر اشتبه عليه حتى وقف فيه فبقول العلماء يعمل ، وعن رأيهم يصدر. وما ورد على أمراء المسلمين من حكم لا علم لهم به فبقولهم يعملون ، وعن رأيهم يصدرون. وما أشكل على قضاة المسلمين من حكم فبقول العلماء يحكمون ، وعليه يعوّلون. فهم سراج العباد ، ومنار البلاد ، وقوام الأمة ، وينابيع الحكمة. هم غيظ الشيطان ، بهم تحيا قلوب أهل الحق ، وتموت قلوب أهل الزيغ. مثلهم في لأرض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر ، إذا انطمست النجوم تحيروا. وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا).هـ. قال عبد العزيز السدحان في خصاله العشر للعلماء الربانيين ما نصه بتصرف: (* الخصلة الأولى: أنهم أشد الناس وأكثرهم خشية لله تعالى قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء).* الثانية: أنهم خير البرية (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ). * الثالثة: أن منزلتهم أرفع منزلة وأزكاها ، قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ). * الرابعة: أنهم من أولي الأمر الذين أمرنا الله عز وجل بالرجوع لهم والصدور عن قولهم ، قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا). * الخامسة: أنه لا يساويهم أحد في منزلتهم ولا رتبتهم. قال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). * السادسة: أنهم المرجع عند السؤال والإشكال والمعضلات ، قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ). * السابعة: أنهم يعقلون من مراد الله ما لا يعقله غيرهم: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ). * الثامنة: أن الله تعالى جعل شهادتهم في المرتبة الثالثة بعد شهادته ثم شهادة الملائكة ، قال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ). * التاسعة: أن الله لم يأمر نبيه بالتزود من شيء إلا من العلم الذي رفع الله به شأن العلماء قال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا). * العاشرة: أنهم أبصر الناس بالشر قال تعالى: (قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ).هـ.)

(خـــادمَ الـــوحيين) والعلـــم الرصـــينْ ونصـــيرَ الحـــق فـــي دنيـــا الفتـــونْ

ومحـــــبَ الحـــــق غضـــــاً يانعـــــاً ... بالـــــدليل العبقـــــريّ المســـــتبين

لا أزكيـــــــكَ علـــــى الله الـــــذي ... مـــــنح العلـــــم ، وحلّـــــى بـــــاليقين

حســـــبكَ الله عزيـــــزاً ناصـــــراً ... ينصـــر الحـــق ، ويُخـــزي مـــن يخـــون

لســـتَ فـــي الـــدرب وحيـــداً نالـــه ... قاصـــرُ التفكيـــر ذو الـــرأي الأفـــين

إنـــــه يـــــا ســـــيّدي حقـــــدُ العِـــــدا ... ينفـــث التشـــكيك حينـــاً بعـــد حـــين

فاثبـــتِ اليـــومَ ، وخيِّـــبْ ســـعيهم ... وانـــأ عـــن جمْـــع لـــه كيـــدٌ خـــؤون

كـــن كمـــا أنـــت ، ولا تعبـــأ بهـــم ... إن هـــذا الجمـــع بالسُـــوآى رهـــين

وأراك اليـــــوم مشـــــغولاً بهـــــم ... تـــــدفعُ الشـــــبهة بـــــالعلم المبـــــين

وجـــدالُ الجهـــل يُـــزري بالهُـــدى ... ويهـــد الصـــرح والحصـــن الحصـــين

خـــادمَ الـــوحيين لا تنـــزل إلـــى ... مســـتوى الطغمـــة والفكـــر المَهـــين

أنـــت يـــا أســـتاذنا علّمتنـــا ... أن أهـــل الحـــق حتمـــاً يُفتنـــون

واقـــرأ التـــاريخ تـــدركْ رؤيتـــي ... إنمـــا المحنـــة دأب المـــؤمنين

والـــبلاءاتُ تزكّـــي أهلهـــا ... سُـــنة الـــديان رب العـــالمين

فاحتمـــلْ تضـــليل أربـــاب الهـــوى ... أنـــت يـــا نبراســـنا فـــوق الظنـــون

كـــم قرأنـــا لـــك علمـــاً نافعـــاً ... وتتلمـــذنا ، وأغرانـــا الحنـــين!

نحـــن أحببنـــاك حبـــاً يقتضـــي ... دفـــعَ مـــا يؤذيـــك مـــن ظلـــم وهُـــون

لـــك - فـــي الأرض - قبـــولٌ واضـــحٌ ... لـــيس يؤتـــاه ســـوى الفـــذ الأمـــين

صـــاح ألـــفْ ، وانفـــع النـــاس بمـــا ... تعلـــمُ اليـــوم مـــن الفقـــه الثمـــين

رب ثبتنـــــا ، وصُـــــن أســـــتاذنا ... مَـــن تحـــدي العِيـــر ، مِـــن ريـــب المَنـــون

الثعبان

(قبل سنوات كتبت (الربان والثعبان) وأيضا كتبت (الأفعى) وأخيراً كتبت (الثعبان حارساً). واليوم أكتب عن ثعبان آدمي ، يغير جلده كما يغير الثعبان جلده. ولكن التقاة الواعين لا يخدعون في مثل هذا النوع من الثعابين الآدمية! والعجيب أن كثيراً من الثعابين الآدمية يزخرف لهم الشيطان أحاجيهم وألاعيبهم فيظنون أن الناس من حولهم لا تعرف حقيقتهم! والحقيقة المُرة التي يجب أن يعرفها ثعابين الإنس أن كثيراً من الناس يعرفون حقيقتهم ويأخذون حذرهم منهم. ألا وإن الثعبان الحقيقي يمكن أخذ الحيطة منه ، بينما الثعبان الآدمي لا يمكن أخذ الحذر منه ولا الاحتياط من شره ، حيث إنه يلقاك بوجه أبي ذر وقلب أبي لهب. ومن أنت حتى تعلم ما في القلوب وما انطوت عليه النوايا؟ اللهم إلا إذا ذاع سرّه ، وحذر بعضهم بعضاً منه!)

أطفئ فحيحك ، إن الناس قد بصُروا ... بما تدبر ، واحذر بأس من قدروا

غيّرت جلدك مراتٍ لتخدعنا ... ونحن يا صِلُ لا يُضيرُنا الخطر

مازلت تنفخ بالسموم ساعرة ... والسم أوعر ما تلقِي به الإبر

حتى عرفناك يا ثعبان عن كثب ... وكل يوم سُعار الكيد يشتهر

في كل يوم ألاعيبٌ مموّهة ... يشعّ منها لهيبُ المكر والشرر

تعيش في الوهم ، لا ترضى به بدلاً ... وتستخف بنا ، كأننا غجر

يا صِل أقصرْ ، فما النعمى بدائمةٍ ... وذات يوم ستنهي ظلمك الغِيَر

واللهِ ما لك غير التوب ، فانجُ به ... من لجة الجور وانظر في الألى فجروا

أودى الفجورُ بهم ، وقضّ مضجعهم ... ثم استراح من الأخسة البشر

أين الطواغيت يا ثعبان مَن بطشوا؟ ... أين المغول؟ وأين الفرسُ والتتر؟

أين الدهاقين مَن في غيهم رتعوا؟ ... والروم أين؟ ومَن بالناس قد مكروا؟

أين القياصرة العُتاة؟ أين مضَوْا؟ ... ألم يزولوا ، فلا ذكر ولا أثر؟

يا صلُ خذ عِبرة مِن كل مَن ذهبوا ... واحذرْ ، لقد ينفعُ المفرط الحذر

وانظر لمن هلكوا تفذك سيرتهم ... وفي وقائعهم ذكرى ومُزدجَر

شرف

(كان يذكر من ماضيه مع الفقر ما جعل سامعيه الحمقى السفهاء والمغفلين البلهاء يتندرون عليه ويسخرون منه ويحتقرونه. فكتبتُ أبين بأن الماضيَ شرف ، وأن ذكره على حقيقته سؤدد. وجدير بمن يذكر ماضيه بهذه الطريقة أن يستلهم منه العِبرة تلو العبرة والعِظة تلو العظة. وإن نسيان الماضي أو تناسيه أو المزايدة عليه بتحريفه وذكر ما لا يمت له بصِلةٍ جريمة يجرمها في حق نفسه من يفعل ذلك! وأنا إذ أقول هذا فإنني أعني كل ماض يحتوي على المآثر والمناقب والأشياء المباحة التي أحلها الله وأقرتها الشريعة. وقد نذكر من الماضي صفحات مظلمة مخالفة للشريعة لتذكر نعمة الله علينا بما منّ علينا به من الإيمان به واتباع رسوله بعد أن كنا غير ذلك. كتذكر بعض أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم - لبعض ممارساتهم الجاهلية قبل إسلامهم. وكان ذلك منهم من باب تذكر نعمة الله عليهم عندما يذكرون ما كانوا عليه في الجاهلية مقارنين ذلك بما أصبحوا عليه في الإسلام. قال المنجد عن تذكّرنا للجاهلية: (يكون المرء مسلماً ويولد في الإسلام ، ويعيش بين المسلمين ، وربما يكون ضالاً فيهديه الله عز وجل ، فيغشى دور العبادة ويصحب الأخيار ، ويأتي الطاعات ، وينتهي عن كثير من المحرمات ، وربما شرع في طلب العلم ولكن يبقى في نفسه من آثار الجاهلية ما يبقى ، يدخل في الإسلام لكن دخولاً ليس بالكلي ، فتبقى معه آثار من آثار الجاهلية ، وبعضهم تظهر في نفسه بعد حين من الزمن من تلك الموروثات الأولى التي كان عليها أيام ضلاله ، ويدخل بعضهم في الهداية ، ولكن يبقى فيه من لوثات المجتمع الفاسد الذي كان فيه ، أو مما ورثه عن بعض أهله وعادات آبائه وأجداده مما يخالف شريعة الإسلام ، وهذا عيب كبير أن نكون مسلمين ولكن فينا من لوثات الجاهلية ، وأن تظهر علينا علامات الهداية وسمت الإسلام والتمسك بالسنة ، ولكن فيها رذاذ يصيبنا من الجاهلية. لقد جاء الله بالإسلام ، فمحا الجاهلية ، وتتبعت الشريعة كل أمر من أمور الجاهلية القبيحة لتنسفه وتحرمه ، وتعظ الناس ، لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ، يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور الجاهلية التي بقيت ، كما قال معاوية بن الحكم السلمي (أرأيت أشياء كنا نفعلها في الجاهلية ، كنا نتطير ، قال: ذلك شيء تجده في نفسك ، فلا يصدنك ، قال: كنا نأتي الكهان ، قال: فلا تأت الكهان). هكذا قال له: إنني حديث عهد بجاهلية ، كنا نفعل كذا وكذا فبيِّن لي ، فبيَّن له صلى الله عليه وسلم أن التشاؤم من الشيطان ، ولا يردنك عن قصدك ولا يصدنك عن حاجتك ، امض لمصلحتك ، ولا تتشاءم ، ولا تأت الكهان. وقال عليه الصلاة والسلام في قوم من العرب ، والعرب كانوا مشهورين بالفخر بالآباء ، وكانوا يتطاولون على بعضهم في ذلك ، وينشدون الأشعار في الفخر ، ويؤدي ما يؤدي إليه من احتقار الخلق والبغي والحرب بينهم ، قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّية الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، الناس قسمان ؛ أنتم بنو آدم وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من جنهم ، أو ليكونُنَّ أهون على الله من الجُعلان التي تدفع بأنفها النتن). عُبِّية الجاهلية: فخرها ، ونخوتها ، وتكبرها ، أذهبه الله. محاه الله. حرمه الله ، ولم يبق الناس يتفاضلون إلا بالإيمان والتقوى ، ليدعن هذا الفخر بالآباء مع أن الآباء جاهليون كفرة ؛ من فحم جهنم ، لكن كان لا يزال هناك من يفتخر بآبائه وأجداده ، وإذا لم يترك هذا سيكون عند الله أهون من الجعلان

وهي تلك الدويبة السوداء التي تدير الخراءة بأنفها ، صوَّر عليه الصلاة والسلام هذا الفخر بأقبح صورة لحشرة تدفع بأنفها العذرة ، هكذا قال رسول الله محارباً هذه الرذيلة التي ربما تظهر في الأمة).هـ. ولنتذكر الماضي بأحداثه ودروسه ونستحضر الحاضر لنصلح المستقبل!)

ذكـــرُكَ الماضـــي افتخـــار وشـــرفْ ... كـــل مغـــوار بهـــذا يعتـــرفْ

لا ينـــل منـــك الألـــي لـــم يعقلـــوا ... كـــل مـــا قـــالوه هـــزلٌ وخَـــرَف

كـــن كـــأن لـــم تســـتمع يومـــاً لهـــم ... كـــي تـــريح القلـــب مـــن هـــذا القـــرف

أنـــت جـــزءٌ مـــن بقايـــا أمســـهم ... عنـــدك الأخبـــار عـــن مُـــر الشـــظف

عنـــدك الماضـــي الـــذي كـــم عضـــهم! ... إنهـــم صـــاروا بحـــال مختلـــف

يرتـــدون الكبـــر فينـــا حُلـــةً ... ولهـــم - فـــي العـــيش - ألـــوان التـــرف

إن ذكـــر الأمـــس كـــم يُـــزري بهـــم! ... إذ عقـــول القـــوم أعماهـــا الصـــلف

لا تجـــاملهم ، وكـــن مستبصـــراً ... والـــذي أخفـــوْه يومـــاً ينكشـــف

إنمـــا للحـــق يومـــاً صـــولة ... بأســـها يـــودي بجيـــل منحـــرف

لا تظـــن الشـــر يبقـــى شـــامخاً ... لا ، ورب النـــاس يومـــاً ينجـــرف

أنـــت لـــم تكـــذب لكـــي يســـتهجنوا ... فلمـــاذا الكـــل عمـــداً يعتســـف؟

أنـــت لـــم تـــذكر عزيفـــاً ســـاقطاً ... دون جـــدوى ، أنـــت حـــددت الهـــدف

أنـــت لـــم تفضـــحْ بمـــا أوردتـــه ... أنـــت لـــم تنشـــرْ كلامـــاً فـــي الصـــحف

إنمـــا للـــدرس ذكّـــرتَ الـــورى ... كحـــديث الأهـــل تعـــروه الطـــرَف

إنمـــا الماضـــي حـــديث آســـرٌ ... ذكـــره - واللهِ - مجـــدٌ وشـــرف

الله حكم عدل

(عندما يصل اثنان في مناقشة حق بينهما إلى طريق مسدود ، وذلك لأن أحدهما يغلّب هواه بعد أن استولى حب الدينار على عبودية الله تعالى ، فإن أعقلهما الذي يسرع إلى إغلاق الحوار العقيم هذا ، ويُفوّض أمره إلى الله سبحانه معلناً أنه وحده عز وجل الذي يقضي بينهما. ويمعن الطرف الثاني في عتاده ولجاجه وكأنه أحد العشرة المبشرين بالجنة! ووالله ليس الأمر هكذا. (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفا بنا حاسبين). والحقيقة أن أي جدال يُثمر عندما يعرف كلا المتجادلين حدوده ، ويكون هناك مرجعية لذلك الجدال. ومن شأن هذه المرجعية إيقافُ الطرفين المتنازعين على الحقيقة التي لا تحتمل الظهور مع الخفاء! ويفقد الجدال فحواه عندما ينطلق كلا المتجادليْن بدون قواعد أساسية ولا براهين عقلية منطقية ولا ثوابت ولا قواسم مشتركة بينهما! عندئذٍ ، وعندئذ فقط نستطيع القول بأن هذا ليس جدالاً بين طرفين بقدر ما هو حوار الطرشان الذين لا يزال كل طرف منهما يخبط في جداله خبط عشواء ، ويتهم بلا دليل وينطلق بلا حجة. ولقد حضرتُ وشهدتُ كثيراً من هذه القضايا المغلوطة ، وندمتُ على حضوري وأسفتُ لما شاهدته. يقول سلمان العودة في أدب الحوار ما نصه: (الحوار يُعد وسيلة للوصول إلى اليقين والحق في مسألةٍ اجتهاديةٍ اختلفتْ فيها أقوال المجتهدين ، فيتكلم اثنان في محاورة أو مناظرة للوصول إلى الحق في مسألة اجتهادية ليس فيها نص صريح ، أو إجماع لا يجوز تعدّيه. وليس من الضروري - أيها القارئ الكريم - أن تعتقد أن نتيجة الحوار لا بد أن تكون إقناعك الطرف الآخر بأن ما عندك حق ، وما عنده باطل ، فليس هذا بلازم ، فقد تقنع إنسانًا بذلك ، فإن لم تتمكن ، فأقل شيء تكسبه من الحوار - إذا التزمتَ بالشروط الموضوعية له - أن يعلم خصمك أن لديك حجة قوية ، وأنك محاور جيد ، وأن يأخذ انطباعاً بأنك موضوعيٌ متعقل ، بعيد عن التشنج والهيجان والانفعال. فكثير من الناس يظنون أن الآخرين لا يملكون الحق ، وليس عندهم شيء ، وأنهم مجرد مقلِّدين! فإذا حاوروهم وناظروهم علموا أن لديهم حججًا قوية ، فأقل ما تكسبه أن تجعل أمام مناظرك علامة استفهام. فقد تلتقي بنصراني داعية إلى النصرانية ، فتناقشه ، فمن المحتمل أن يسلم ، وهذا خير كثير ، وهو أرقى وأعلى ما تتمناه ، لكن قد لا يسلم ، فهل تعتبر أنك قد خسرت المناظرة؟ لا ؛ لأنه وإن لم يسلم ، فربما صار عنده تفكير في الإسلام يدعوه إلى أن يبحث ، وإذا لم يحصل هذا ، فعلى أقل تقدير فتر شيء من الحماس ، وصار عنده تردد في مذهبه الباطل).هـ.)

كم قضايا الحقُ فيها تبدّى! ثم صدتْ عن العدالة صدا

واستبيحتْ معالمُ الصدق فيها بعدما أمسى مَن يُجادل وَغدا

لم ير الحق في سوى ما ادّعى بل بعد لأي من النقاش استبدا!

واستطال جداً على الخصم حتى ظن قومٌ بأنه يتحدى

ثم أضحى يرمي السهام انتقاماً وانتصاراً لمَا يراه وحقدا

ويلـــوكُ الكـــلامَ لـــوْكَ المطايـــا ... ويبـــاري - فـــي الشـــائعات - (الجَعـــدا)

ويُعـــادي أهـــل الرشـــاد ، ويهـــذي ... وكـــأن المعتـــوه أكثـــرُ رُشـــدا

هـــل تســـاوي الحيـــاة هـــذا التـــدني؟ ... أم دروبُ النفـــاق أنقـــى وأهـــدى؟

هـــل يُفيـــقُ مِـــن ظلمـــه مَـــن تجنـــى ... ولحـــرب الحـــق الســـفيهُ اســـتعدا؟

هـــل يعيـــد حقـــاً يعـــاني اغتصـــاباً؟ ... أو يـــريحُ ممـــا تخـــرّص عبـــدا؟

هـــل يُخَلـــي مـــن حَمـــأة الإثـــم قلبـــاً ... بـــات فيهـــا مخيّـــراً يتـــردى؟

هـــل يُـــداوي ضـــميره مِـــن جـــراح ... مِـــن أســـاها أعطـــى قلـــيلاً وأكـــدى؟

هـــل يُواســـي نفســـاً تحـــبّ المعاصـــي ... صـــيّرته للخيـــر والحـــق ضـــدا؟

صـــاح إنـــا فـــي الأمـــر خصـــمان ، منـــا ... منصـــفٌ ، والبـــادي أراه الألـــدا

أنـــت تُـــزري - عمْـــداً - بكـــل دليـــل ... دون حـــق - دومـــاً - وتزجـــي العِنـــدا

لـــم يكـــن منـــك اقتنـــاعٌ بشـــيئ ... وســـردتَ التبريـــر للنـــاس ســـردا

وافتريـــتَ حتـــى يُقـــال مُحِـــقٌ ... واستســـغتَ الســـوآى لـــذا خنـــتَ عهـــدا

وانحرفـــتَ عـــن صـــولة الحـــق طوعـــاً ... واختيـــاراً ، وبعـــدُ أخلفـــتُ وعـــدا

واتبعـــتَ الأهـــواء ترضـــي البرايـــا ... خـــاب عبـــدٌ علـــى الأنـــام تعـــدّى!

فـــانتظرْ حُكـــم الله يـــومَ التلاقـــي ... مَـــن يُبـــاري - فـــي الحكـــم - ربـــاً فـــردا؟

إن ربـــي العـــدلُ الـــذي لا يُحـــابي! ... أحمـــدُ الـــرحمنَ المهـــيمنَ حمـــدا

أن هـــداني للحـــق فـــي جُـــل أمـــري ... والتســـامي بـــالخير خيـــرٌ مَـــردا

مَـــن يـــردّ الحـــق الـــذي قـــد تـــولى ... غاصـــبوه بـــاتوا بُغـــاة ولـــدا

حســـبيَ الله المســـتعان ، وإنـــي ... مـــا تخـــذت يومـــاً لمـــولاي نـــدا

امتَهنوا فما امتُهنوا!

(إن امتهان الإنسان بمهنةٍ ما تجعله في عِزةٍ ومَنعةٍ. فلا يمكن لأحد أن يضيّق عليه ، أو يُكرهه على التنازل عن شيء من مبادئه أوقيمه ، أو يجعله يطوع دينه لخدمة من يعطيه وينتظر نواله. ومن هنا حرص فقهاؤنا وعلماؤنا وأدباؤنا من ذوي العلم والرسالة في الحياة ، على أن يتخذ كل منهم مهنة يرتزق منها الرزق الحلال الذي يُعزه عن أن يتنازل أو يطوّع ، أو يأكل بعلمه أو بدينه أو بأدبه نثراً أو شعراً ، أو يُحرّف الكلم كتاباً أو سُنة عن مواضعه ليرضي ذوي الأموال والإمرة. أو يكون دوره في هذه الحياة إضفاء الشريعة على انحرافات الجاهلية أو يلوي أعناق النصوص طلباً للحظوة عند عِلية القوم ، أو كتمان الحق وعدم إبلاغه خوفاً على الوظيفة الارتزاقية التي لا يعدل التمسك بها ألف سنة غمسة واحدة في جهنم. ومن هنا كان العلماء على ضربين: ضرب هو صاحب رسالة بل ومهمة في الحياة ، وهذه الرسالة هي حماية هذا العلم ونشره في العالمين مهما جرى. والضرب الثاني مرتزقٌ يبيع في سبيل الدينار نفسه قبل علمه أو دينه أو أدبه. ولقد استقرأتُ التاريخ ، وقمتُ بعمل دراسة على علمائنا وأدبائنا ومربينا وقرائنا وفقهائنا ، هناك في القرن الثاني والثالث الهجريين ، فوجدتهم كانوا حريصين كل الحرص على عدم التكسب بالعلم أو بالدين أو بالأدب. بل كان معظهم يمتهنون المهن الشتى ، ويحترفون الحِرف المنوعة ، ويعملون الأعمال المختلفة ، ويشتغلون بالصنائع المتباينة ، بعيداً عن ساحة التكسّب بالعلم أو بالدين. والحديث عن حرف ومهن القدوات والأسوات من الأنبياء والرسل يطول! فهذا هو آدم عليه السلام كان يعمل في مجال الزراعة ، فهو أول مهندس زراعي ماهر على الكرة الأرضية ، وقد كان يقوم بكل مهام الزراعة التي تقوم بها الآلات والتكنولوجيا الآن ، وكانت زوجته حواء تساعده على القيام بذلك ، حيث يقوم بحراثة الأرض بيده والقيام بجميع المهام ، ويقال أيضًا أنه كان يقوم بتصنيع جميع الآلات الزراعية التي يحتاج إليها في الزراعة بنفسه. فضلاً عن أنه كغيره من الأنبياء والرسل كان يرعى الغنم! بنص حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – الثابت عند البخاري من حديث أبي هريرة: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم). (ونوح عليه السلام كان نجاراً محترفاً يقوم بصنع جميع الأدوات من الخشب وهو من قام بصنع السفينة التي أمره الله تعالى بصنعها. وصالح عليه السلام كان يعمل في تربية الإبل ، وقد كان يشرب الحليب ويبيعه حتى يحصل على الرزق ، وهو صاحب الناقة الشهيرة التي ذكرت في القرآن الكريم. ولوط عليه السلام كان مؤرخًا كبيرًا وقد كان يسافر من بلد إلى آخر دائمًا ، أنه الأب الأكبر لجميع المؤرخين. وموسى عليه السلام كان راعيًا للغنم وخادم لسيدنا شعيب عليه السلام. فقد كانت خدمة شخص عظيم مثل سيدنا شعيب هي واحدة من مهن الأنبياء الرائعة أيضًا. وداوود عليه السلام كان قائدًا وصانعًا للحديد والمدرعات ، وقد قام داوود عليه السلام بتأسيس جيش كامل وهزم به جالوت. وإدريس عليه السلام هو أول من ابتكر الإبرة ، وقد كان يعمل خياطًا وقد كان يخيط الملابس بأنواعها ، كما أنه هو أول من قام بصناعة الصحف وكتب بقلمه فيها. وهارون عليه السلام كان وزيرًا لأخيه سيدنا موسى عليه السلام ، يساعده في أداء رسالته العظيمة ، وكان موسى عليه السلام يستشيره في مختلف الأمور لأنه كان يثق به وبآرائه الحكيمة كثيرًا ، وبالفعل قام هارون بدوره على أكمل وجه وأصبح عونًا لأخيه. ومحمد صلى الله

عليه وسلم كان راعيًا للأغنام في بداية حياته ، ثم اشتغل بالتجارة بعد ذلك وأصبح يبذل الكثير من الجهد فيها ومن ثم برع فيها وحقق نجاحًا كبيرًا. والياس عليه السلام كان نساجًا كبيرًا للملابس والأقمشة. وإسماعيل عليه السلام كان يعمل في مهنة الصيد وقد كان صيادًا محترفًاً يعتمد على الصيد في كسب الرزق ، وهو قائد الصيادين. وقد كان يعقوب وإسحاق وشعيب يعملون في مجال رعي الأغنام ، أما إبراهيم فقد كان تاجرًا للملابس والأقمشة. ولقمان عليه السلام هو أبو الأطباء ، وقد كان يعمل كطبيب ومعالج يستخدم الكثير من الأدوية في العلاج. وإبراهيم عليه السلام هو تاجر أقمشة وهو أيضًا مهندس معماري محترف استعان به سليمان لبناء الكعبة. ويرى الأستاذ أحمد مراد أن العمل عبادة وفريضة شرعية فيقول ما نصه: (شدد العلماء على أهمية منزلة العمل في الإسلام ، مؤكدين أن الدين الحنيف يجعل صاحب العمل مثله مثل المجاهد في سبيل الله. وأوضح العلماء أن الإسلام ينظر إلى العمل كقيمة في حد ذاته ، ومكمل لإيمان المرء ودليل على صدق اعتقاده وضرورة للمعاش وتنمية البشر ، مؤكدين أن السعي على الرزق يعد من العبادة ما دام صاحبه قد نوى به القيام بواجباته نحو من يعول وإغناء نفسه عن العوز ومذلة الحاجة والسؤال. ودعا العلماء إلى ضرورة إتقان العمل ، باعتباره قيمة توصل العبد إلى محبة الله تعالى ، مشيرين إلى أن الإتقان والحث عليه ليس مقتصراً على أمور العبادة فحسب ، بل يمتد حتى يصل للأمور الدنيوية. قال تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...) ، والعمل بهذا الخطاب القرآني يعد فريضة ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن أفضل ما يأكله الإنسان هو ما كان من عمل يده ، حيث قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» ، وضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثالاً بداود لأنه كان ذا مال وكان من الممكن أن يكتفي بما عنده فلا يعمل ، ولكنه مع هذا كان حريصاً على العمل ؛ لأن العمل عبادة وشرف وحق ، ولأن الحياة لا تنهض إلا بمشاركة جميع أبنائها وعملهم في عمارة الحياة وبنائها).هـ. ولسوف أذكر في صدر قصيدتي هذي بعض الأمثلة والنماذج على هؤلاء الأفذاذ الأبطال الأمناء. وذلك لأدلل على صدق ما أذهب إليه ، من هذا العنوان الذي أعنون به لهذه القصيدة (امتهنوا ، فما امتهنوا!) ، حيث كانت المهن والحرف والصنائع سر عزتهم وشرفهم وسؤددهم بعد الإيمان بالله والإخلاص له وحسن متابعة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ. أضرب لذلك أمثلة: * يحيي بن زياد بن عبد الله بن منظور (أبو زكريا الفرّاء المحدّث والفقيه الحنفي) كان بائع فراء. ما ارتزق بالعلم. * حجاج بن المنهال البصري (أبو محمد) وكان محدّثاً كبيراً. كان يعمل سِمساراً ، يتوسّط بين بائع ومشتر بأجر. * حجين بن المثنى اليماني (أبو عمر) المحدّث ، كان تاجر لؤلؤ. * يونس عبيد بن دينار العبدي المحدث. كان بزازا أي يبيع القماش. * داود بن دينار بن عذافر(ابن أبي هند) المحدّث ، كان خياطاً. * عبيد بن أبي المية الطنافسي الفقيه الحنفي ، كان بائعا. * إسماعيل بن أبي خالد البجلي المحدّث ، كان طحانا. * جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المحدث ، كان تاجراً. * سليمان بن مهران الأسدي المحدث ، كان تاجرا. * عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المحدث كان تاجراً. * محمد بن إسحق بن يسار المحدّث كان يربّي الديوك ويبيعها ويلعب بها. * النعمان بن ثابت التميمي (أبو حنيفة) إمام المذهب الحنفي ، كان بزازاً. * ذكوان بن عبد الله الغطفاني المحدّث كان يبيع الزيت والسمن. * القاسم بن مخيمرة الهمداني المحدث ، كان تاجراً. * جابر

بن زيد الأذدي المحدث وهو المعروف بأبي الشعثاء ، كان سمساراً. * مؤرّق بن المشمرج العجلي (أبو المعتمر) المحدث الفذ كان تاجراً. * محمد بن سيرين الأنصاري المحدث التابعي المعروف ، كان تاجراً. * حماد بن أبي سليمان بن مسلم المحدّث ، كان تاجراً. * عثمان بن عاصم بن حصين المحدّث ، كان تاجراً متمرّساً. * إبراهيم بن مروان المروزي المحدث ، كان صانعاً حاذقاً. * مالك بن دينار الشافعي المحدّث الفقيه ، كان ينسخ المصاحف. * منصور بن المعتمر السلمي المحدث ، كان تاجراً. * أيوب بن مسكين الواسطي التميمي المحدث ، كان قصاباً. * محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المحدث الفذ ، كان تاجراً. * علي بن موسى بن جعفر الصادق المالكي المعروف ، كان تاجراً. * عبد الوهاب بن عطاء العجلي المحدث كان خفافاً أي صانع خفاف أي نعال. * محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع (الإمام الشافعي) كان تاجراً. * سليمان بن داودد بن الجارود (أبو داود الطيالسي) الفقيه المالكي المعروف ، وكان بائع طيالس وهي نوع من الأكسية. * محمد بن عبيد بن أبي أمية الفقيه الحنفي ، كان بائعاً. * روح بن عبادة بن العلاء (أبو محمد) ، الفقيه المالكي المشهور ، كان تاجراً. * يزيد بن هارون زاذان السلمي ، الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * الوضاح بن عبد الله اليشكري (أبو عونة) المحدّث الفحل ، كان بزازاً. * عبد الله بن المبارك الحنظلي المحدث ، كان تاجراً. * هشام بن بشير بن أبي حازم السلمي (أبو معاوية) المحدث كان تاجراً كل حياته. * المعافي بن عمران بن نفيل الأزدي المحدث ، كان تاجراً. * إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري المحدث كان مؤدباً. * عمر بن عبيد بن أبي أمية المحدث والفقيه الحنفي ، كان بائعاً. * على بن مسهر القرشي المحدث والفقيه الحنفي كان تاجراً. * يوسف بن خالد بن عمير السمتي الفقيه الحنفي ، كان بائعاً. * عبيد الله بن رجاء البصري المحدث كان حذاء. * عثمان بن مقسم الكندي المحدث كان بائع بُر. * نعيم بن عمرو القديدي الفقيه الحنفي ، وكان يصنع القديد. * حماد بن سلمة بن دينار المحدث والفقيه الحنفي ، كان بزازاً.* محمد بن مسلم بن المثنى المحدّث كان مؤدباً. * جرير بن حازم الأزدي المحدث ، كان تاجراً. * خالد بن يزيد الزيات الفقيه الحنفي ، كان بائع زيت. * ياسين بن معاذ الزيات (أبو خلف) المحدث والفقيه الحنفي ، كان بائع زيت. * نجيح بن عبد الرحمن السندي (أبو معشر) المحدث ، كان خياطاً. * حبّان بن علي العنزي المحدث والفقيه الحنفي ، كان بائعاً. * عبيدة بن حميد بن صهيب التميمي المحدث ، كان مؤدباً. * سالم بن عياش بن سالم الأسدي (أبو بكر) المحدث ، كان خياطاً. * وكيع بن الجراح بن مليح الفقه الحنفي ، كان تاجراً. * يحيي بن سعيد بن فروخ القطان المحدث ، وكان قطاناً. * معنّ بن عيسى الأشجعي الفقيه المالكي المعروف ، كان قزازاً أي بائع حرير. * عبد الرحمن بن مهدي بن حسان اللؤلؤي التميمي المحدث كان بائع لؤلؤ. * الوليد بن مسلم بن السائب الدمشقي الفقيه المالكي ، كان بائعاً. * إسماعيل بن إبراهيم بن ميمون بن الفقيه الحنفي العملاق كان صائغاً. * على بن عاصم بن صهيب المحدث ، كان تاجراً. * عبد الله بن عون بن أرطبان المحدث ، كان صاحب مزرعة. * هشام بن أبي عبيد الله الدستوائي المحدث كان بزازاً. * سعيد بن مهران العدوي (ابن أبي عروبة) المحدّث المشهور كان ينسخ المصاحف. * حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات المحدث كان تاجراً. * محمد بن عبد الرحمن بن الصغيرة (ابن ابي ذويب) المحدث ، كان تاجراً. * عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود

المحدث كان كاتباً. * عمران بن داوود القطان المحدث كان قطاناً. * سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري المحدث الفقيه كان تاجراً. * داوود نصير الطائي المحدث الفقيه ، كان تاجراً. * شيبان بن عبد الرحمن التميمي المحدث ، كان مؤدباً لأبناء الأمراء. * أحمد بن سليمان بن الحسن الحنبلي النجاد ، الفقيه الحنبلي كان نجاداً أي (ينجّد البيوت والفرش والبسط وكذا الوسائد ويخِيطها). * أحمد بن هارون بن إبراهيم المزني (أبو العباس) الفقيه الحنفي ، كان بائع تبن. * محمد بن أبي بكر بن محمد بن داسة الفقيه الحنفي ، كان بائع تمور. * محمد بن القاسم بن بشار بن الحسين بن الأنباري (أبو بكر) الفقيه الحنبلي ، كان مؤدباً. * أبو محمد الشعراني الفقيه الحنبلي ، كان بائع شَعر. * يحي بن هلال الورّاق الفقيه الحنبلي ، كان ورّاقاً. * أحمد بن المنذر بن بدر المغازلي ، الفقيه الحنبلي ، كان يعمل المغازل. * إبراهيم بن إبراهيم بن إسحق الثقفي السراج الفقيه الحنبلي ، كان سرّاجاً أي يعمل (السرُج التي توضع على الخيول). * محمد بن غالب بن حرب الضبي (تمتام) الفقيه الحنبلي كان بائع تمر. * أحمد بن محمد بن بكر بن خالد القصيرالفقيه الحنفي ، كان بزازاً. * عبيد بن عبد الواحد بن شريك (أبو محمد البزاز) الفقيه الحنبلي ، كان بزازاً. (يوسف بن موسى الحربي العطار الفقيه الحنبلي ، كان عطاراً. * محمد بن يونس بن الكديمي القرشي (الفراء) الفقيه الحنبلي كان فراء. * إدريس بن جعفر بن يزيد بن خالد (أبو محمد العطار) الفقيه الحنبلي ، كان عطاراً. * الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم الفقيه الحنفي ، كان لؤلؤياً. * عمر بن إبراهيم أبو الآذان البغدادي الفقيه الحنفي ، كان زجّاجاً. * أحمد بن علي بن مسلم الأبار ، كان أباراً أي كان يعمل الإبر التي يُخاط بها ، على أنه كان فقيهاً حنبلياً فذاً. * أسلم بن سهل بن مسلم الرزاز الفقيه الحنفي ، كان بائع أرز. * إدريس بن عبد الكريم الحدّاد البغدادي الفقيه الحنبلي ، كان حدّاداً. * إسماعيل بن إسحق بن إبراهيم بن مهران الفقيه الحنبلي ، كان سرّاجاً. * موسى بن هارون الحمال (أبو عمران) الفقيه الحنبلي ، كان حمالاً. * هارون بن عيسى الخيّاط الفقيه الحنبلي (أبو محمد) كان خياطاً. * محمد بن حنيفة بن ماهان القصبي الفقيه الحنفي ، كان بائع قصب. * محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الفقيه الحنبلي ، كان مطيّناً (أي بناء يبني البيوت بالطين اللبن أو المحروق). * أحمد بن نصرالخفاف النيسابوري الفقيه الحنبلي الجهبذ ، كان خفافاً. * عباس بن محمد بن عيسى الجوهري الفقيه الحنبلي ، كان جوهرياً. * إسماعيل بن بكر السكرى الفقيه الحنبلي ، كان سكرياً (أي يبيع السكر). * محمد بن عبد الله بن عبيد الزعفراني الفقيه الحنفي ، كان بائع زعفران. * محمد الآدمي الفقيه الحنبلي كان بائع جلود. * محمد بن عيسى الجصّاص الفقيه الحنبلي المعروف كان جصاصاً. * محمد هارون الجمّال ، الفقيه الحنبلي ، كان جمّالاً. * على بن أبي صبيح السواق الفقيه الحنبلي ، كان سوّاقاً أي يبيع السّوِيق. * أبو داود الخفاف الفقيه الحنبلي كان خفافاً. * عبد الرحمن المتطبب الفقيه الحنبلي (أبو الفضل البغدادي) كان طبيباً. أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد الوشاء ، الفقيه المالكي كان وشاء أي يبيع الوشْي وهو نوع من الثياب المعمولة من الإبريسم أي الحرير. * رويم بن أحمد بن يزد بن رويم من الظاهرية كان حارساً. * محمد بن خلف المرزبان الفقيه الشافعي ، كان آجُرِّياً أي يعمل الآجُرّ ويبيعه. * أحمد بن الحسين البردعي الفقيه الحنفي ، كان بائع جلود. *علي بن الخواص الفقيه الحنبلي كان خواصا أي ينسج الخوص من سعف النخيل لعمل المراوح وغيرها. * الحسن بن محمد الأنماطي

الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * عمر بن بكار القافلاني الفقيه الحنبلي كان يعمل قافلانياً أي يشتري السفن الكبار ويُكسّرها ويبيع كل الأخشاب التي بنيت منها ويبيع قيرها وقفلها. * الحسين بن إسحق الخِرقيّ الفقيه الحنبلي ، كان بائع خرق. * موسى بن عيسى الجصّاص الفقيه الحنبلي ، كان جصّاصاً. * عبدوس بن مالك العطار الفقيه الحنبلي ، كان عطاراً. * علي بن حرب الطائي الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * محمد بن عبد الرحمن الفقيه الحنبلي كان صيرفياً. * إبراهيم بن أرومة الأصبهاني (أبو اسحق) الفقيه الحنبلي كان طحّاناً. * الحسن بن منصور الفقيه الحنبلي ، كان جصّاصاً. * محمد بن عبد الملك القيقي الفقيه الحنبلي كان بائعاً. * الحسن بن علي بن عفان العامري الفقيه الحنفي كان خواصاً. * سندي أبو بكر الخواتمي البغدادي الفقيه الحنبلي ، كان يعمل الخواتيم. * مهنا بن يحيي السلمي (أبو عبد الله) الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * محمد بن علي بن عبد الله بن مهران بن أيوب الفقيه الحنبلي كان ورّاقاً. * علي بن سهل بن المغيرة النسائي الفقيه الحنبلي كان بائع بذور. * محمد بن عبد الله بن يزيد المنادي الفقيه الحنبلي ، كان منادياً أي ينادي على الأشياء المفقودة بالأجر. * الحسن بن علي الإسكافي الفقيه الحنبلي ، كان إسكافياً أي يصنع الأحذية ويُصلحها. * عبد الكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران العاقولي الفقيه الحنبلي كان قطاناً. * إبراهيم بن عبد الله بن عمر العبسي الفقيه الحنفي كان قصّار ثياب أي يُقصرالثياب ويدقها بالقصرة وهي قطعة من الخشب. * جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ الفقيه الحنبلي كان صائغاً. * أحمد بن أبي خيثمة بن زهير بن حرب الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * حرب بن إسماعيل الكرماني (أبو محمد) الفقيه الحنبلي كان معلماً. أحمد بن محمد الصايغ الفقيه الحنبلي وأبو الحارث كان صائغاً. * إبراهيم بن رستم المروزي الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * عبد الرزاق بن همام بن نفاع الصنعاني الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * الضحاك بن مخلد بن الضحاك الشيباني الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * حسين بن محمد بن بهرام (أبو أحمد المؤدب) الفقيه الحنفي ، كان مؤدِّباً. * عبد الله بن داود الخربي الهمداني الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. إسحق بن عيسى الطبّاع الفقيه الحنفي كان طبّاعاً. * سعيد بن أوس الأنصاري الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * بشر بن غياث بن عبد الرحمن المريسي الفقيه الحنفي كان مريسياً أي صانع أحبال. *عيسى بن جعفر الصفدي (أبو موسى) الفقيه الحنبلي ، كان ورّاقاً. * محمد بن أحمد واصل (أبو العباس المقرئ) الفقيه الحنبلي ، كان طبّاعاً. * أحمد بن حرب بن مسمع بن مالك الفقيه الحنبلي ، مزارعاً. * يحيي بن يزداد الوراق (أبو الصقر) الفقيه الحنبلي ، كان ورّاقاً. سليمان بن الأشعث بن شداد الأزدي السجستاني (أبو داود) الفقيه الحنبلي المعروف ، كان تاجراً. * محمد بن عبدك القزاز الفقيه الحنبلي ، كان قزازاً. * محمد بن الجهم بن هارون السامري الفقيه الحنفي ، كان كاتباً. * محمد بن الحسين بن موسى الحنيني الفقيه المالكي ، كان بزازاً. * سليمان بن شعيب بن سليمان الكيساني الصفار الفقيه الحنفي ، كان صفاراً. * عفان بن مسلم بن عبد الله الأنصاري الفقيه الحنبلي ، كان صفاراً أي صانع الأواني الصفرية أي النحاسية. * سليمان بن داود الفقيه الشافعي ، كان تاجراً. * الفضل بن دكين التميمي (أبو نعيم) الفقيه الحنفي ، كان بائعاً. * الحسن بن الربيع الفقيه الحنفي ، كان بورائياً أي يعمل البواري وهي البسط تبسَط في الدور ويُجلس عليها. * هشام بن عبيد الله الرازي الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * أحمد بن داوود حدّاد الفقيه الحنبلي ، كان حداداً. * هشام بن عبد

الملك الطيالسي الفقيه الحنبلي ، كان بائعاً. * محمدد بن عيسى بن نجيح الفقيه المالكي ، كان طباعاً أي يصنع السيوف من الحديد. * عبد الغفار بن داود بن مهران البكري الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * عبد الملك بن مسلمة الأموي (أبو مروان) الفقيه المالكي ، كان قزازاً. * سعيد بن سليمان الضبّي الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * صالح بن إسحق الجرمي الفقيه الحنفي كان تاجراً. * يحي بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني الفقيه الحنبلي كان قطاناً. * مسدد بن مسرهد بن مسربل الأسدي الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * عبد الله بن أبي حسان اليحصبي الفقيه المالكي ، كان تاجراً. * خلف بن هشام بن ثعلب الرازي الفقيه الحنبلي ، كان بائع بذور. * الوليد بن حماد بن زياد الكوفي الفقيه الحنيف ، كان تاجراً. * إسماعيل بن سعيد بن إسحق الشالنجي الفقيه الحنفي ، كان بائع شَعر وحبال. * أحمد بن عمر بن الصباح الرازي الفقيه الشافعي ، كان خيّاطاً. * سلمة بن الجارود بن يزيد الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * إبراهيم بن موسى التميمي الفقيه الشافعي ، كان فراء. * الحارث بن شريح الخوارزمي الفقيه الشافعي ، كان بقالاً. * زكريا بن يحيي بن صالح (أبو يحيي اللؤلؤي) ، الفقيه الحنفي كان بائع لؤلؤ. * الحكم بن موسى أبو صالح البغدادي الفقيه المالكي كان بزازاً. * أحمد بن محمد بن سعيد الصيرفي الفقيه الشافعي ، كان صيرفياً. * علي بن الهيثم البغدادي الفقيه الحنفي ، كان بائع الطعام المطبوخ . * عباس بن غالب محمد الهمذاني الفقيه الحنبلي كان ورّاقاً. سليمان بن داود بن بشر المنقري الفقيه الحنبلي كان تاجراً. * عبيد الله بن عمر بن ميسرة الجشمي القواريري الفقيه الحنفي كان زجاجاً يبيع القوارير. * محمد بن بشر بن مطرالفقيه الحنبلي ، كان وراقاً. * محمد بن أبان بن عمران السلمي الفقيه الحنفي ، كان طحّاناً. * عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان القرشي (مشكدانة) الفقيه الحنبلي كان تاجراً. * قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي الفقيه الحنبلي ، كان تاجر حيوانات.* محمد بن عبد الله (أبو جعفرالسمرقندي) الفقيه الحنفي ، كان حائكاً. * محمد بن إسحق بن موسى الخراساني الفقيه الحنفي ، كان بزازاً. * عبد الله بن سعيد بن كلاب الفقيه الشافعي كان خياطاً. * محمد بن عبد الله بن عمار الأزدي الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * هارون بن عبد الله بن مروان البزاز الفقيه الحنبلي ، كان بزازاً. * الحسن بن علي بن يزيد الكرابيسي الفقيه الشافعي ، كان بائع ثياب .* أحمد بن إبراهيم بن كثير بن أفلح العبدي الفقيه الحنبلي ، كان دورقياً يعمل القلانس الدورقية ويبيعها. * أحمد بن خالد الخلال الفقيه الشافعي ، كان خلالاً يصنع الخل ويبيعه للناس بعد تصنيعه. * هارون بن سفيان المستملي الفقيه الحنبلي ، كان كحالًا وهو الذي يكحل العين ويداويها من أمراضها. * علي بن يوسف بن خالد السمتي (أبو الربيع) الفقيه الحنفي كان تاجراً. * الحسن بن الصباح بن محمد الفقه الحنبلي كان مزارعاً. * نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي الفقيه الحنبلي ، كان سمساراً. * عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع الفقيه الحنبلي ، كان وراقاً. * إسحق بن بُهلول حسان التنوخي الفقيه الحنفي ، كان صاحب مزرعة يعمل الناس فيها. * محمد بن بشار بن عثمان (بندار) الفقيه الحنفي ، كان مزارعاً. * يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد العبدي الفقيه الحنبلي ، كان دورقياً. *يوسف بن موسى بن راشد الأهوازي الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * السري بن المغلس السقطي (أبو الحسن) الفقيه الحنبلي كان بائعاً. * الفضل بن زياد القطان (أبو العباس) الفقيه الحنبلي ، كان قطاناً. * محمد بن عبد الرحيم بن أبي زهير العمري (صاعقة) الفقيه الحنبلي كان بزازاً. * الحسن بن

علي بن محمد بن يحيي بن موسى الفقيه الحنبلي ، كان قطاناً. * محمد بن عثمان بن كرامة العجلي الفقيه الحنفي ، كان وراقاً. * محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (الإمام البخاري) الفقيه الشافعي والمحدث المعروف المشهور ، كان مزارعاً. * الحسن بن الوضاح المؤدب الفقيه الحنبلي، كان مؤدباً. * عباس بن محمد موسى الخلال الفقيه الحنبلي ، كان خلالًا. * مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (الإمام مسلم) الفقيه الحنبلي والمحدث المعرف ، كان تاجراً. * أحمد بن محمد بن هاني الإسكافي (الأترم) الفقيه الحنبلي ، كان إسكافياً. * عمر بن سبة بن عبيده النميري الفقيه الحنفي ، كان ورّاقاً. * حاتم بن الليث بن الحارث بن عبد الرحمن (أبو الفضل الفقيه الحنبلي) ، كان جوهرياً. * سعدان بن يزيد البزاز ، الفقيه الحنبلي ، كان بزازاً. * يعقوب بن شيبة بن الصلت الفقيه المالكي ، كان تاجراً. * عبد الرحمن بن يحيي بن خاقان الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * محمد بن إبراهيم الأنماطي (أبو جعفر) الفقيه الحنبلي ، كان بائعاً. * عبد الله بن محمد بن المهاجر الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي الفقيه الحنبلي كان مؤدباً. * العباس بن الفرج الرياشي (أبو الفضل) ، الفقيه الحنفي ، كان تاجراً. * الحسن بن عبد العزيز بن الحذامي الجروي الفقيه الحنبلي ، كان تاجراً. * أحمد بن الجذامي الجروي الفقيه الحنبلي ، كان حمالاً يحمل بالأجر. * حميد بن الربيع بن حميد اللخمي الفقيه الحنبلي ، كان بزازاً. * محمد بن عبد الملك بن زنجويه الفقيه الحنبلي. كان غزالاً. * الحسن بن علي الإسكافي الفقيه الحنبلي ، كان إسكافياً. * محمد بن حمدان حماد الصيدلاني الفقيه الحنبلي ، كان صيدلانياً. * يوسف بن يعقوب بن إسحق التنوخي (الأزرق) الفقيه الحنفي ، كان كاتباً. * محمد بن عبد الله بن الحسين العلاف المستعيني الفقيه الحنفي ، كان علافاً يبيع العلف. * الحسن بن علي بن خلف البربهاري الفقيه الحنبلي ، كان بائع أدوية. * إسحق بن إبراهيم بن موسى بن آزر الفقيه الحنفي ، كان غزالاً يبيع الغِزلان. * محمد بن عبد الله الصيرفي (أبو بكر) الفقيه الشافعي كان صيرفياً. * محمد بن مخلد بن حفص الدوري الفقيه الحنبلي ، كان عطاراً. * الحسن بن سعد بن إدريس الكتامي الفقيه الشافعي ، كان صيدلانياً. * محمد بن القاسم بن عبد الرحمن النيسابوري الفقيه الحنفي ، كان بائع صبغ. وكان هؤلاء من فقهاء القرن الثاني وكذلك القرن الثالث من الهجرة. وكنتُ قد أوردت أسماءهم والكني الثابتة الموثقة في كتب التراجم عنهم ، فمنهم من كانت كُنيته مستمدة من مهنته التي هي جزء من عنوان قصيدتنا. ومنهم من كانت كُنيته مستمدة من محلته أو المكان الذي ولد أو عاش أو عمل أو درس فيه. ومن أراد فليطالع إذن كتب التراجم والسير والتاريخ مثل: (ابن سعد في الطبقات - طبقات الحنابلة لابن أبي يعلي – وسيرأعلام النبلاء للذهبي - والبداية والنهاية لابن كثير- وغيرها الكثير). وسُئل الأستاذ محمد المنجد هذا السؤال: (هل كان السلف يعملون أم كانوا متفرغين للعلم؟ وما فائدة قراءة تراجم العلماء؟ أنا عندي مشكلة وهي عندما أقرأ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أشعر بالسعادة وحب العمل الصالح والإقدام عليه ، وكذا عندما أقرأ سير الصحابة رضوان الله عليهم ، أشعر بالحياة السعيدة عندهم في الدارين ، لكن عندما أقرأ سير السلف (أي: من بعدهم) أشعر بالحزن ، وأشعر أن الدين والالتزام به خالٍ من الحياة ، يعني: لا أشعر أن بعض السلف يعيشون الحياة كما يعيشها الصحابة ، ولذلك أجد أن الصحابة يعملون في الزراعة وغيرها مثلاً من أمور الدنيا ، بينما أجد بعض سير السلف أو كثير ممن قرأت لهم لا يوجد فيها

سوى طلب العلم والحفظ والعمل دون وجود لهم في الحياة العامة وكرهم للدنيا المبالغ فيه في فهمي - وأعلم أن هذا من فهمي السقيم الذي أريد منكم توضيحه لي -. الأمر الآخر: أشعر بالتحطم إذا قرأت سير السلف الصالح لأني أشعر أنني ولا شيء مقارنة بهم ويجعلني هذا الشعور لا أعمل أحياناً فما هو السبب لهذا خلافاً عندما أقرأ في سير الصحابة رغم أني أحب جميع السلف حبّاً كبيراً والذين قدموا لهذا الدين الشيء الكبير وعلى رأسهم الإمام الليث بن سعد رحمه الله).هـ. فكان من جواب الأستاذ ما نصه: (لا شك أن ما تقوله عن واقع سلف هذه الأمة - ممن بعد الصحابة - ليس صواباً ، وليست حياتهم كالذي فهمته من قراءة بعض السير والتراجم ؛ فالسلف الصالح ليسوا مجموعة علماء عاشوا على الأوقاف والعطايا! بل إن لهم مساهمة فاعلة في بناء حضارة الإسلام ، وبناء بلدانهم ، وقد برز ذلك في تنوع أعمالهم ، ومهنهم ، فلم يكن العلم الشرعي ليمنعهم من أن يكون أحدهم تاجراً ، أو مزارعاً ، أو نجَّاراً ، أو حدّاداً ، أو قصَّاباً ، وأن يكون طبيباً ، وفلكيّاً ، فقد ساروا على ما سار عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من فهم للدين على وجهه الصحيح ، ثم تطبيق ذلك في واقعهم العملي ، وبما أنك تحب الإمام الليث بن سعد – وهو حري بتلك المحبة – فاجعل منه أنموذجاً على ما نقوله هنا ، فقد كان رحمه الله من التجار ، ولم تمنعه تجارته أن يكون من أعلام المسلمين ، وقل مثل ذلك في الإمام التاجر عبد الله بن المبارك رحمه الله. ولو أنه قُدِّر لك – أخي السائل – الاطلاع على تراجم الأئمة بدقة وتأمل: لما حصل عندك الخلل في ذلك الفهم لواقع أولئك الأئمة الأعلام ، ففي تراجم أولئك الأئمة كان يُذكر صنعة أحدهم ، أو عمله ، فيُنسب لتلك المهنة ، أو لذلك العمل ، وقد جمع بعض الباحثين ذلك في كتاب مستقل أسماه "الطرفة فيمن نسب من العلماء إلى مهنة أو حرفة" ؛ وفي هذا الكتاب قرابة أربعمائة حرفة ومهنة ، منسوبة إلى قرابة ألف وخمسمائة محدِّث ، وفقيه ، وأديب. ومن النماذج التي يمكن ذكرها ها هنا لأولئك الأعلام: * الآجرِّي ، نسبة إلى عمل الآجر وبيعه ، ومن العلماء المشهورين بتلك النسبة: أبو بكر محمد بن الحسين الآجرِّي ، صاحب كتاب "الشريعة". * الأنماطي ، نسبة إلى بيع الأنماط ، وهي الفرش التي تبسط ، ومن العلماء المشهورين بتلك النسبة: عثمان بن سعيد بن بشار أبو القاسم الأنماطي البغدادي الأحول. قال ابن قاضي شهبة – رحمه الله -: أحد أئمة الشافعية في عصره ، أخذ الفقه عن المزني والربيع ، وأخذ عنه أبو العباس ابن سريج ، قال الشيخ أبو إسحاق: كان هو السبب في نشاط الناس لكتب فقه الشافعي وتحفظه. "طبقات الشافعية". * البحراني ، نسبة إلى ركوب البحر ، أو قيادة السفن ، ومن العلماء المشهورين بتلك النسبة: محمد بن معمر بن ربعي البحراني القيسي البصري ، وقد روى عنه الأئمة الستة. * البربهاري ، نسبة إلى بربهار ، وهي الأدوية التي تُجلب من الهند ، ومن العلماء المشهورين بتلك النسبة: الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري. قال ابن أبي يعلي – رحمه الله -: شيخ الطائفة في وقته ، ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع ، والمباينة لهم باليد واللسان ، وكان له صيت عند السلطان ، وقدم عند الأصحاب ، وكان أحد الأئمة العارفين ، والحفاظ للأصول المتقين ، والثقات المؤمنين. "طبقات الحنابلة". * الحداد ، والحدَّادي ، نسبة إلى الحدادة ، وهي العمل في الحديد ، ومن العلماء المشهورين بتلك النسبة: محمد بن الحسين. قال الذهبي – رحمه الله -: شيخ مرو ، القاضي الكبير ، أبو الفضل ، محمد بن الحسين بن محمد بن مهران المروزي الحدادي. قال الحاكم: كان شيخ أهل مرو في

الحديث والفقه والتصوف والفتيا. "سير أعلام النبلاء". أما الأمر الآخر الذي تذكره في سؤالك: فهو مما يستغرب منه ؛ لأن قراءة سير أعلام النبلاء من الأئمة الأعلام تشحذ الهمم وتقوي العزيمة على العمل ، لا على التثاقل والكسل! وما تقرأه من أعمال أولئك ليس مستحيلاً على المرء أن يقتدي به ، بل يمكنه أن يعمل ، وكل بحسبه ، وكل بما يطيقه ، ففي الناس اليوم بقية من السلف الصالح في هممهم واجتهاده ، وفي الناس بالأمس من هو ظالم لنفسه ، أو مقتصد ، كما أن فيهم السابق بالخيرات بإذن الله. ولك في بعض المعاصرين من أهل العلم والزهد والطاعة قدوة وأسوة ، فها هو الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله – مثلاً – قد ضرب أروع الأمثلة في إمكان أن يكون المسلم منَّا على هدي السلف ومنهاجهم ، من الأئمة الأعلام ، في الطاعة والعبادة! فلم يُختم التنافس على التقرب من الله تعالى بانتهاء القرون الثلاثة ، نعم لهم فضلهم ، ولهم مكانتهم العالية ، لكن لا يعني هذا أنهم استأثروا بالسبق والدرجات العلى دون الباقين ؛ فالسوق قائمة والجنة قد أزلفت للمتقين ؛ لكن هل من مشمر لها؟! لذا أخي السائل لا ينبغي لك أن يصيبك اليأس من اللحاق بركب من سلف من الأئمة ، ولتجعل من قراءتك لسيرهم دافعاً نحو العمل بجد واجتهاد ، وهذا من أعظم فوائد قراءة التراجم لأولئك العلماء ، والعبَّاد ، والمجاهدين. قال الشيخ عبد الحي اللكنوني – رحمه الله - في مقدمة كتابه "الفوائد البهية في تراجم الحنفية". وأجلها: فن تراجم الكبار ، وأخبار الأخيار ، ففيه غير ما مضى فوائد جمة ، ومنافع مهمة. منها: الإطلاع على مناقبهم وأوصافهم ونباهتهم وجلالتهم ؛ ليحصل التأدب بآدابهم والتخلق بأخلاقهم فيحشر في زمرتهم ، ويدخل فيهم وإن لم يكن منهم...ومنها: الاطلاع على آثارهم وحكاياتهم وفيوضهم وتصنيفاتهم ، فيتحرك عرق الشوق إلى الاهتداء بهديهم ، والاقتداء بسيرهم. وقال الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد – وفقه الله – في مقدمة كتابه "تراجم لتسعة من الأعلام". فإن الهمم لتخمد ، وإن الرياح لتسكن ، وإن النفوس ليعتريها الملل ، وينتابها الفتور ، وإن سيَر العظماء لمِن أعظم ما يُزْكي الأوار ، ويبعث الهمم ، ويرتقي بالعقول ، ويوحي بالاقتداء وكم من الناس من أقبل على الجِد ، وتداعى إلى العمل ، وانبعث إلى معالي الأمور ، وترقى في مدارج الكمالات بسبب حكاية قرأها ، أو حادثة رويت له....هذا ، وإن من أعظم المقاصد لكتابة تلك التراجم: بيان الجوانب المشرقة - وما أكثرها - من سير عظمائنا).هـ. وأعرف أن هذه المقدمة التي تجاوزت الصفحات طويلة ومملة ولكنني أردتُ هنا أن أثبت كيف كان أئمتنا حريصين كل الحرص على أن يتكسبوا بعيداً عن العلم حتى لا يكتموه أو يحرفوه أو يتاجروا به. وحتى لا يكون العلم في مقابل القوت! ويضاف إلى ذلك أنهم ما كانوا يستكبرون عن العمل في أي مهنةٍ مهما كانت وضيعة ، إذ المقياس عندهم هو كون هذي المهنة أو تلك مما هو حلال في الشرع أم لا. وإن كان الناس يروْنها في غاية الوضاعة والانحطاط. إن المهنة الشريفة التي يقرّها الله – تعالى - ويقرّها رسوله – صلى الله عليه وسلم - هي التي عصمت الواحد منهم عن أن يكون مرتزقاً مهيناً يبيع دينه بعرض من الدنيا حقير! ورحم الله أئمتنا أئمة الهدى ومصابيح الدجي وتقبّل منهم علمهم وعملهم. وأبدأ هذه المعلقة في مدح هؤلاء الأعلام فأقول:-)

العلـــمُ أغلـــى مـــن عطـــا الســـلطانِ والفقـــهُ يـــرجحُ أثقـــلَ الأثمـــان

ورأيـــت أهـــلَ العلـــم أقـــوى حجـــة ... وأجـــلّ فـــي الإقنـــاع والبرهـــان

فـــالعلمُ يرفـــعُ أهلـــه بـــين الـــورى ... ويُعِـــز مَـــن يســـعى لـــه بتفـــان

ويُقِـــيم شـــأنَ مَـــن اســـتقلّ ســـفينة ... ويُزيـــل مـــا فـــي الـــنفس مـــن مَـــيَلان

ويـــردّ مـــا فـــي القلـــب مِـــن داعـــي الهـــوى ... ويَزيـــد فـــي الإســـلام والإيمـــان

ويُحطـــم الشُـــبَه التـــي تُـــردي الفتـــى ... ويَزيـــد فـــي الإخـــلاص والإحســـان

ويُخلـــد العلـــمُ الصـــحيح رُعاتـــه ... كـــيلا يُـــروا فـــي عـــالم النســـيان

وثـــوابُ أصـــحاب العلـــوم مُضـــاعَفٌ ... عنـــد المليـــك الواحـــد الـــديان

ومكانـــة العلمـــاء أســـمى رتبـــة ... مِـــن كـــل ذي مـــال وذي ســـلطان

تفنـــى الـــدراهمُ والـــذين بهـــا ابتلـــوا ... والعلـــمُ لـــيس - مـــدى الزمـــان - بفـــان

والبـــأسُ يـــذهبُ ، والـــذين تجبّـــروا ... قطعـــاً ، ويبقـــى الوصـــفُ بالطغيـــان

وعلـــى الـــذي قلـــتُ الشـــهودُ كثيـــرة ... بـــالحق ، لا بـــالزيف والبهتـــان

أمـــا إذا كـــان الـــتعلمُ مَغنمـــاً ... أو كـــي يُنـــال رضـــا ذوي التيجـــان

أو كـــي يُطـــوّع - للطـــواغي - جُملـــة ... أو كـــي يُحـــرّف عـــن صـــريح معـــان

أو كـــي يزخـــرفَ بـــاطلاً متوقحـــاً ... دمـــغ الـــديار بســـييء العِصـــيان

أو كـــي يقـــدم - للخنـــا - شـــرعية ... قـــد رصّـــعتْ بزبالـــة الأذهـــان

أو كـــي يكـــون - لمـــن تجبّـــر - خادمـــاً ... شـــدتْ يـــداه بجُملـــة الأرســـان

فعلـــى العلـــوم مـــن المليـــك ســـلامُهُ ... وليســـتطلْ بالجهـــل كـــل جبـــان

وليســـعد المتعـــالمون علـــى المـــدى ... ولينعمـــوا بـــالعز كـــل أوان

ولتنتصـــرْ - للجاهليـــة - جوقـــة ... صِـــنوان هـــم وأراذل الكهـــان

ولتعـــلُ رايـــة مَـــن يريـــد ضـــلالة ... وليســـمُ أهـــلُ السُـــوء والـــبُطلان

إذ إن مَـــن يمـــنحْ يريـــدُ مقـــابلاً ... والأمـــرُ مشـــتهرٌ بـــلا كتمـــان

ويبـــاعُ بالـــدينار دينُ مَـــن ارتضـــى ... عيشـــاً بـــدون شـــريعة القـــرآن

ويتـــوه قـــومٌ عـــن شـــعائر ديـــنهم ... ويَمُـــجّ قـــومٌ سُـــنة العـــدنان

ويضـــيع مُســـتفتٍ يريـــد أدلـــة ... ليُعضّـــد الإقنـــاعَ بالرُجْحـــان

ويضـــل قـــومٌ كـــم يحبـــون الهـــدى ... لمّـــا ابتلـــوا بمُحـــرفٍ خـــوان!

وكأنمـــا هـــو مســـرحٌ لعـــرائس ... تغتـــال فيـــه كرامـــة الإنســـان

أبطالـــه - بالـــدين - قـــد أكلـــوا ضـــحىً ... وتراقصـــوا طربـــاً بعـــذب أغـــان

وخيوطـــه شـــدّتْ بأيـــدي مَـــن طغـــوا ... وتســـلحُوا بوســـاوس الشـــيطان

وعـــرائسٌ أضـــحت تـــؤدي دَوْرهـــا ... فـــي ذروة الإبـــداع والإتقـــان

تـــأتي الـــذي الأســـيادُ قـــد أمَـــروا بـــه ... وتفـــوقُ - فـــي الترجيـــع - صـــدحَ قِيـــان

ولكـــل إيقـــاع تنـــاغمُ طبلـــةٍ ... ولكـــل رقـــص فرقـــة وغـــوان

ولكـــل فـــن أهلـــه ودعاتـــه ... ولكـــل عطـــر جؤنـــة وقنـــان

العلـــم أغلـــى مِـــن تبـــذل مَـــن رضُـــوا ... بـــالعيش وفـــق إرادة القرصـــان

بـــالفلس بـــاعوا ديـــنهم كـــي ينعمـــوا ... أتـــراهمُ وصـــلوا إلـــى النعمـــان؟

قـــد أتقنـــوا التطويـــع يـــدمغ عيشـــهم ... وتفننـــوا فـــي الكيـــد والعـــدوان

بـــدِلائهم أدلـــوا ببئـــر مـــن افتـــرى ... فاســـتدرجوا ، والمـــاءُ كالفيضـــان

حتـــى غـــدَوْا فـــي دارنـــا ألعوبـــة ... تجتـــرّ مـــا تلقيـــه مـــن هَـــذيان

والســـر حاجتهـــا لظـــل وظيفـــةٍ ... حتـــى تجنبهـــا رهيـــبَ هـــوان

إذ إنهـــا لـــم تحتـــرفْ مـــن مهنـــةٍ ... تنـــأى بهـــا عـــن جوقـــة الـــذؤبان

مَـــن يشـــترون الـــدين بالمـــال الـــذي ... هـــو جســـرُهم - واللهِ - للنيـــران!

مَـــن يشـــترون بـــه الفتـــاوى عنـــوة ... كـــي يـــذهبوا بـــدعائم الأركـــان

يغنـــي الفتـــى عـــنهم تعلـــمُ مهنـــةٍ ... تغنيـــه عـــن ذل وعـــن حِرمـــان

يغنـــي الفتـــى عـــنهم تكسّـــب قوتـــه ... بيـــدٍ - مـــن الأعمـــال - جـــدّ تعـــاني

عـــرقُ الجبـــين وكـــدّ يُمنـــى عامـــل ... والمشـــيُ فـــوق الشـــوك والسَـــعدان

ومـــرارة - فـــي العـــيش - تصـــعق مَـــن أبـــى ... ذل الخضـــــوع لعابـــــدي الأوثـــــان

وشـــقاءُ دهـــر والتمـــرغ فـــي الضـــنا ... وعـــذابُ نفـــس فـــي الحمـــيم الآنـــي

وبقـــاءُ جســـم تحـــت مِطرقـــة الشـــقا ... ودمـــاءُ قلـــب مـــن عتـــيّ طِعـــان

ولقـــاءُ أعـــداء بهيجـــاء الـــوغى ... بالســـهم يُغـــرَسُ فـــي الحَشـــا ، وسِـــنان

والمـــوتُ أهـــون مِـــن تنـــازل مـــؤمن ... عـــن دينـــه فـــي عـــالم الـــذوَبان

بـــاع الأئمـــة فـــي المـــدائن ، واشـــتروْا ... وتنقلـــوا فـــي الـــدور والبُلـــدان

بـــاعُوا البضـــائع ، لـــم يبيعـــوا دينـــهم ... لـــم يفعلـــوا كالطغمـــة الرهبـــان

بـــاعُوا التمـــور لمـــن يُفضّـــل أكلهـــا ... والـــبعضُ بـــاع الـــرز بالأطنـــان

والـــبعضُ تـــاجر فـــي الخِـــلال نقيـــة ... والـــبعضُ فـــي اللولـــو وفـــي المَرجـــان

والـــبعضُ بـــاع مِـــن الطعـــام شـــهيّه ... ونضـــيجه بالمـــال للجوعـــان

والـــبعضُ بـــاع حليبـــه لمـــن اشـــتهى ... والـــبعضُ بـــاع المـــاء للظمـــآن

والـــبعضُ بـــاع الزيـــت غضـــاً صـــافياً ... كالشـــمس إذا طلعـــت علـــى الأكـــوان

والـــبعضُ - فـــي البرقـــوق - تـــاجر قانعـــاً ... والـــبعض فـــي الـــدرّاق والرّمـــان

والـــبعضُ بـــاع الخـــل فـــي حانوتـــه ... ليكـــون - بـــين النـــاس - غيـــرَ مُـــدان

والـــبعضُ تـــاجر فـــي العـــلاج وفـــي الـــدوا ... والـــبعض بـــاع لـــوازم الأكفـــان

والـــبعضُ بـــاع - لجـــائع - أســـماكه ... والـــربح - بعـــد البيـــع - حقـــاً دان!

والـــبعضُ تـــاجرَ - فـــي المطايـــا - قانعـــاً ... كـــــيلا يبيـــــع شـــــريعة المنـــــان

أضـــحى يُتـــاجر - فـــي البهـــائم - عامـــداً ... والـــــربحُ خلـــف زرائـــب الحيـــوان!

والـــبعضُ تـــاجرَ فـــي الحُلـــيّ تزخرفـــتْ ... وتزينـــــتْ بزمـــــرّدٍ وجُمـــــان

والـــبعضُ تـــاجرَ فـــي الجـــواهر ، صـــاغها ... فلهـــــا بريـــــقُ ســـــبائكِ العِيقـــــان

والـــبعضُ تـــاجرَ - فـــي اللآلـــيء - يُتمَـــتْ ... واســـــتأثرتْ بمبـــــاهج الألـــــوان

والـــبعضُ تـــاجرَ - فـــي المـــزارع - أينعـــتْ ... واستبشـــــرتْ بالمـــــاء فـــــي الوُديـــــان

والـــبعضُ بـــاع البُـــرّ رغـــم سُـــمُوّه ... وتـــــراه يُثقـــــل كِفـــــة الميـــــزان

والـــبعضُ بـــاع القطـــن أبـــيض ناصـــعاً ... مَـــن فـــي اكتســـاب المـــال كالقطـــان؟

والـــبعضُ بـــاع التـــبن طيلـــة عمـــره ... حتـــى يـــرى التســـمين فـــي القطعـــان!

والـــبعضُ بـــاع الحَـــب طعمـــة داجـــن ... لفلانـــــةٍ فـــــي الســـــوق ، أو لفـــــلان

والـــبعضُ بـــاع التمـــر يكفـــي أهلـــه ... جـــودَ الأقـــارب ، أو عطـــا الإخـــوان

والـــبعضُ نجـــادين عاشـــوا فـــي الـــورى ... لأرائـــــكِ الأشـــــراف والعِرســـــان

والـــبعضُ بـــاع بـــذورَه لمُـــزارع ... والـــبعض بـــاع علائـــفَ الحيـــوان

والـــبعضُ سمســـر كـــي يُحصِّـــل قوتـــه ... شـــــهماً ، بـــــلا لـــــفٍ ولا دوران

والـــبعضُ تـــاجر - فـــي القمـــاش - تعففـــاً ... عـــن ســـؤل أهـــل المُلـــك والـــديوان

والـــبعضُ خـــاط الثـــوبَ ينشـــدُ أجـــره ... ولزوجـــه كـــم خـــاط مـــن فســـتان!

والـــبعضُ قـــد طحـــن الغِـــلال لراغـــب ... ورفاقـــــه نـــــادَوْه بالطحّـــــان

والـــبعضُ يلعـــب بالـــديوكِ ، يبيعُهـــا ... مـــن قبـــل أن تشـــتط فـــي الطيـــران

والـــبعضُ بـــاع الســـمنَ تطلبُـــه النســـا ... ولـــذاك نـــوديَ بـــالفتى الســـمَّان

والـــبعضُ قصّـــابون دون تـــذمّر ... واللحـــمُ بـــالأكوام فـــي الـــدكان

والـــبعضُ خفـــافون فـــي حـــانوتهم ... وتـــراه - بـــين النـــاس - غيـــرَ مُهـــان

والـــبعضُ قـــد تخِـــذ الكتابـــة مَغنمـــاً ... ككتابـــــة الأســـــفار والقـــــرآن

والـــبعضُ ورّاقـــين قـــد عملـــوا ، لـــذا ... أثـــرَوْا كتابـــة كـــل ذي تبيـــان

والـــبعضُ بـــاعَ العِطـــر فـــوّاح الشـــذى ... كالفـــل والكـــافور والرّيحـــان

والـــبعضُ ســـرّاجين قـــد عملـــوا ، لـــذا ... حَـــذقوا صـــناعة سِـــرج كـــل حصـــان

والـــبعضُ فـــي صُـــنع الزجـــاج تخصّصـــوا ... وتفننـــوا فـــي صُـــنع خيـــر دِنـــان

مـــن ذا يبـــاري مثـــل هـــذي صـــنعة؟ ... أرأيـــت - بـــين النـــاس - كالـــدّنان؟

والـــبعضُ أبّـــارين قـــد عملـــوا ، فلـــم ... يحظـــوا بســـخرية أو اســـتهجان

والـــبعضُ فـــي نـــار الحِـــدادة أحرقـــوا ... وزفيـــرُهم - فـــي الجـــوّ - بعـــضُ دخـــان

والـــبعضُ قـــد حمَلـــوا بـــأجر للـــورى ... وكـــأنهم مـــن جملـــة العُبـــدان

والـــبعض - بـــالطين المعـــالج - كـــم بنـــى! ... وذووهُ قـــد عرفـــوه بالطيّـــان

شـــاد البنـــاءَ بطِينـــه وجريـــدِه ... والســـقفُ غطـــى عـــاليَ الجـــداران

والطـــينُ فـــي يـــده يُعـــالجُ وحـــده ... بعـــضَ الشـــقوق بشـــاهق البُنيـــان

حتـــى إذا فـــرغ اســـتعان بخِلـــهِ ... وصـــديقه المســـتعففِ الـــدهّان

خـــلان: هـــذا فـــي البنايـــة جهبـــذ ... وخليلـــه - فـــي صـــبغه - مُتفـــان

والـــبعضُ بـــاع النـــاسَ أنقـــى سُـــكّر ... والـــوزنُ مـــا بـــالوزن مـــن نقصـــان

والـــبعضُ بـــاع الزعفـــرانَ مُعتقـــاً ... وشـــذاه يُـــذهبُ وطـــأة الغثيـــان

والـــبعضُ بـــاع جمالـــه ونِياقـــه ... والكســـبُ - جُـــل الكســـب - فـــي البعـــران

والـــبعضُ بـــاع الجـــائعين سَـــوِيقه ... إن السَـــويق خميـــرة الأبـــدان

والـــبعضُ فـــي صُـــنع الســـفائن شـــغله ... والـــبعضُ - فـــي الأســـواق - قـــافلاني

والـــبعضُ يمّـــم ـ للصـــرافة ـ وجهـــه ونصـــيبه ـ مِـــن ألفـــه ـ مئتـــان!

والـــبعضُ قـــد صـــاغ الخـــواتم تزدهـــي حتـــى تناســـبَ نهمـــة النســـوان

والـــبعضُ ينشـــد ضـــالة بـــدُرَيهم نـــادى ، وأعلـــم غالـــبَ الســـكان

وهنـــاك إســـكافيّ قـــوم قـــد غـــدا وجلـــودُه شُـــدّتْ علـــى السِـــندان

وهنـــاك مِرِّيســـيٌّ عقـــد حبلـــه ليكـــون للبعـــران خيـــرَ عنـــان

أو كـــي يجُـــرّ ســـفينة مِـــن بحرهـــا! والفلـــكُ تهـــوى عـــاتيَ الأشـــطان!

وهنـــاك صـــفار كـــأن قـــدورَه ذهـــبٌ يرصّـــعُه ســـنا العِقيـــان

وهنـــاك صـــانعُ مفـــرش وطنـــافس مَـــن ذا يُقـــدِّر صـــنعة البُـــوراني

وهنـــاك طبّـــاعٌ يُحِـــدّ سُـــيوفه ورماحُـــه قـــد زوّدتْ بســـنان

وهنـــاك كحّـــالٌ يُعـــالجُ مُرمِـــداً مـــا المـــرء إمـــا غـــارت العينـــان؟!

وهنـــاك سِمســـار توسّـــط بـــاذلاً كـــل الجهـــود وجَـــذوة العِرفـــان

ويريـــد للكـــل المكاســـبَ جمّـــة كـــيلا يبـــوءَ البيـــعُ بالخســـران

علماؤنـــا جعلـــوا العلـــومَ رســـالة لا حيلـــة للكســـب والنعمـــان

علماؤنـــا لرضـــا المليـــك تعلمـــوا وتفقهـــوا فيـــهِ لنيـــل جنـــان

علماؤنـــا لمَّـــا يبيعـــوا دينـــهم إذ بيعُـــه صـــدقاً مـــن الكفـــران

علماؤنـــا عـــزوا بأعمـــال لهـــم أغنـــتهُمُ عـــن قهـــر ذي الســـلطان

علماؤنـــا أغنـــتهمُ أمـــوالهم عـــن مـــال ذي الجبـــروتِ والطغيـــان

رحـــم المهـــيمن كـــل أعـــلام الهـــدى مـــا نـــاح غِريـــدٌ علـــى الأفنـــان

هذا بلاؤك يا ابن سليمان!

(وهذه القصيدة بدون تقديم هدية شعرية لرجل مبتلى في كل من حوله لحكمة يعلمها الله. فأوصيته بالصبر والاحتساب عند الله تعالى. ذلك أن الابتلاء سُنة ماضية وكذلك الصبر عليه سُنة شرعية واجبة! يقول أهل العلم: من علامات السعادة أن المسلم إذا أُنعِمَ عليه شكر وإذا ابتُلي صبر وإذا أذنب استغفر ، فعلى المؤمن أن يصبر على كل ما يُصيبه من مصائب وبلايا لينال أجر الصابرين الشاكرين ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له". رواه مسلم. فالمؤمن الذي تُصيبه السراء والنعمة فيشكر ربه فله العاقبة الحسنة ، وذلك لأن الله يحب الشاكرين ، ويزيدهم من نعمه ، قال تعالى: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ). والمؤمن الذي يصبر على الضراء ينال أجر الصابرين ، كما قال تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ.) ونسأل الله أن يرزقنا الصبر والاحتساب عندما ينزل بنا البلاء!)

ضـــمّخ قصـــيدك فـــي المصـــاب ، وحوقـــلِ ... واشـــكُ الـــبلاء لربـــك المـــولى العلـــي

واعلـــــمْ بـــــأن الله بـــــالغ أمـــــره ... واصـــبر علـــى مُـــر القضـــا ، لا تعجـــل

مـــن ذا رأيـــت مسَـــلّماً لـــم يُمـــتحنْ ... ســـبحان مَـــن يُعفـــي ، ومـــن هـــو يبتلـــي!

وإذا ابتلـــــى فلعِلـــــةٍ مَقـــــدورةٍ ... فاحمـــــدْ إلهـــــك دائمـــــاً ، وتحمّـــــل

والكـــل ممـــتحنٌ ، فـــلا تـــكُ واهمـــاً! ... وأخيرُنـــا - فـــي الابـــتلا - كـــالأول

فـــإذا جزعـــت لمَـــا أصـــابك فابتهـــلْ ... وادعُ المليـــكَ بلهفـــةٍ وتوسّـــل

فـــالله أقســـمَ أن يُمحّـــص مَـــن هَـــدى ... مِـــن حزبـــه كـــل التقـــاة الكُمّـــل

حتـــى يَبـــين مَـــن اتقـــى ممـــن غـــوى ... والمســـتقيمُ مِـــن الـــدعي الأرذل

فلـــم التشـــاؤمُ مِـــن مصـــير قـــادم؟ ... ولـــمَ التعثـــر مِـــن خطـــى المســـتقبل؟

ولـــم اشـــتكاؤك مـــن عـــذابات الجـــوى؟ ... أوَلـــيس - عـــن هـــذا الأســـى - مـــن مَعـــدل؟

لـــمَ لا تواجـــه مـــا تعـــاني صـــامداً ... مهمـــا أصـــابك مَـــن طغـــى فـــي مقتـــل؟

لـــمَ لا تفاصـــل مَـــن يريـــدك ضـــائعاً ... حتـــى متـــى تحيـــا بقلـــب مُثقـــل؟

لـــمَ لا تغيَـــر مـــن مَســـارك؟ إنـــه ... يُفضـــي إلـــى أشـــقى وأشـــأم منـــزل؟

لـــم لا تعـــدّل مِـــن مناهجـــك التـــي ... كـــم أخرّتـــك عـــن الســـبيل الأمثـــل؟

حتـــى متـــى إحســـانُ ظنـــك بالغثـــا؟ ... وهـــمُ الألـــى كـــم خيّبـــوا مـــن مأمـــل؟

جهلـوك هـم؟ كـلا ، ومـا جهلـوا الصُـوى ... وكبيـــــرُهم واللهِ أظلـــــمُ مُبطـــــل

فتنـــوك هـــم؟ كـــلا ، فلســـتَ بهـــيّن ... فلـــم انجـــدالك فـــي المصـــير المُخجـــل؟

خـــدعوك هـــم؟ كـــلا ، فكلـــك فطنـــة ... وهـــمُ - ورب النـــاس - أخبـــث مُيّـــل

شـــغلوك عـــن ديـــن تعـــيش لأجلـــه ... حتـــى غـــدوتَ - عـــن الهُـــدى - فـــي معـــزل

قهـــروك بالتهديـــد رعـــدٌ صـــوته ... حتـــى رضـــختَ فسُـــرّ كـــلُ العُـــذل

ذبحـــوك ، والســـكينُ معـــتلجٌ دمـــاً ... بخيانـــةٍ مزجـــتْ بطعـــم الحنظـــل

يـــا صـــاح أنـــت ضـــحية لنفـــاقهم ... والمـــرءُ يأســـرُه لطيـــفُ تبتـــل

واليـــوم حصحصـــتِ الحقـــائقُ ، فانتبـــهْ ... واعـــرفْ لنفســـك حقهـــا ، وتأمّـــل

واضـــرب بســـيف الشـــعر هامـــاتِ العـــدا ... لا تخـــش بـــاطلهم وبـــأسَ الجحفـــل

واســـأل مليكـــك أن يُعيـــذك مـــنهمُ ... واحمـــلْ كلامـــي – الآن - خيـــر المَحمـــل

خـــذ مـــن مصـــائبك الـــدروس ، لعلهـــا ... تُقصـــي دجـــى ليـــل بهـــيم أليـــل

إن المليـــك قـــد ابـــتلاك لحكمـــةٍ ... فاصـــبر لحكـــم الله ، لا تتزلـــزل

(هـــذا بـــلاؤك) ، والأمـــور كمـــا تـــرى ... فـــزن المواقـــفَ بالهُـــدى ، وتعقـــل

ومِـــن الألـــى خـــانوا ودادك ، فـــاعتبرْ ... والعـــبءَ لا تحقـــرْ ، ولا تســـتثقل

إن الحيـــاة إذا تمـــرّقَ صـــفوُها ... قـــد لا تـــروقُ لفاضـــل متفضـــل

لكـــنْ تَحمّلْهـــا علـــى عِلاتهـــا ... واليـــأسَ - مـــن قلـــب الهمـــام - استأصـــل

مـــا شـــاء ربـــك كـــائنٌ مهمـــا جـــرى ... فعليـــه - فـــي كـــل الأمـــور - توكّـــل

ارجعي وإلا أخبرتُ أبي

(توفيتْ عنه زوجته ، مُخلفة ولداً وحيداً مراهقاً. ويبدو أن الزوج أخطأ الاختيار هذه المرة! حيث كانت الزوجة الأولى مصلية طاهرة محبة للقرآن والسنة ، وعلّمت ولدها محبة ما تحب وكراهية ما تكره. علمته الحلال والحرام ، والكتاب والسنة ، والورع والتقوى. وجاء يوم امتحانه وبلائه. حيث قامت أمه الثانية أو بمعنى أدق من هذا (زوجة أبيه) بمراودة فتاها عن نفسه. إذ إنه قد شغفها حباً! المرأة التي هي محرّمة عليه تحريماً أبدياً بدخول أبيه بها ، تهتك حجابَ القيم وإسار الأخلاق! تراود ابن زوجها عن نفسه ، فقال: (ارجعي ، وإلا اخبرتُ أبي). قالها في عزم وإيمان وتقوى وورع. قالها بدموع القلب قبل دموع العين ، وهو يتذكر أمه العفيفة الطاهرة المحسنة التقية. فعمدت الحمقاء المراهقه إلى ممارسات أخرى حقيرة ، كالإيقاع بينه وبين أبيه ، وادعاء ما لم يفعله الفتى أصلاً. فرد الأب: هذا ابني وأنا أعلم أنه لا يفعل هذا أبداً. فلم تحفل بكلام زوجها. وعادت إلى الفتى حاملة عشقها وغرامها وهيامها ، فجُن جنون الفتى ، وأخذ يعظها ويبين لها ، ويثبت لها أنها مثل أمه تماماً. ولكن دون جدوى. فقد عمّيت عن الحق ، وران على قلبها ما تكسبه من الفضائيات العهرية والإنترنت ، فلم تجد كلمات الفتى الصدى اللائق والتذكرة المرتقبة. واحتار ماذا يفعل مع من لم تستحي من الله - عز وجل - ولم تحترم زوجاً أعفها فتحفظ غيبته عنها. بل راحت تخونه في عرضه ، ومع من؟ مع ابنه فلذة كبده. قبّح الله الشيطان ، ولعنه لعناً كبيراً. وكانت حيرة لهذا الابن. فطفقتُ أكتب عن هذه الشاذة المنحرفة هذه القصيدة منددا بأخلاقها المنحطة السافلة! ولعلها غفلتْ عن ثواب الإحسان إلى ذلك الصبي الذي هو في مكان ولدها! في كتابه الرائع: (وأحسن كما أحسن الله إليك) يقول الأستاذ عبد الملك القاسم ما نصه: (الإحسان إلى المخلوقين ومسايرة الضعفاء والمساكين دليل على: طيب المنبت ونقاء الأصل ، وصفاء القلب ، وحسن السريرة ؛ ومن سعى في نفع إخوانه المسلمين والإحسان إليهم فليبشر بالأجر العظيم والثواب الجزيل ، ومن الأجور العظيمة لقاء القيام بهذه الأعمال: (* رضا الله: والتقرب إليه بالأعمال الصالحة التي تنفع العباد. * محبة الله للمحسنين وأنه معهم ، وكفى بذلك فضلاً وشرفًا ، قال تعالى: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). * من أسباب دخول الجنة ، قال: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة ، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى» [متفق عليه]. * أن الله يتولى قضاء حوائج المحسنين إلى عباده ، قال – صلى الله عليه وسلم -: «من كان في حاجة أخيه ؛ كان الله في حاجته» [رواه البخاري]. * أن الله ينفس عن عباده المحسنين كربات يوم القيامة ، قال - صلى الله عليه وسلم -: «من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» [رواه البخاري]. وقال - صلى الله عليه وسلم -: «من سرّه أن يُنجيه الله من كرب يوم القيامة ؛ فلينفس عن معسر أو يضع عنه» [رواه مسلم]. * الساعي لقضاء حوائج الناس موعود بالإعانة ، مؤيد بالتوفيق ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، وفي خدمة الناس والقيام بأمورهم بركة في الوقت والعمل ، وتيسير ما تيسر من الأمور ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من يسر على معسر ؛ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة» ، «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [متفق عليه]. * سبب لدفع الرزايا والبلايا ودفع الأمراض ، والعافية من الأسقام. ذكر في [صحيح الترغيب

والترهيب]: عن علي بن الحسن بن شقيق ، قال: قال رجل لابن المبارك رحمه الله: يا أبا عبد الرحمن! قرحة خرجتْ من ركبتي منذ سبع سنين ، وقد عالجتها بأنواع العلاجات وسألتْ عنها الأطباء ، فلم أنتفع بهم؟ فماذا أفعل؟ قال له: اذهب فانظر موضعاً يحتاج الناس للماء فاحفر هناك بئراً ، فإنني أرجو من الله أن يمسك عنك الدم ، ففعل وبرئ الرجل. وأعجب من هذا وأغرب: ما وقع للإمام أبي عبد الله رحمه الله فإنه قرح وجهه ، وعالجه بأنواع المعالجة ، فلم يذهب ، وبقي فيه قريبًا من سنة ، فسأل الإمام أبا عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلس العلم يوم الجمعة ، فدعا له ، وأكثر الناس من التأمين ، فلما كان من الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها عادت إلى بيتها واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة ، فرأت في منامها رسول الله – صلى الله عليه وسلم - كأنه يقول لها: قولوا لأبي عبد الله يوسع الماء على المسلمين. فقرأ الرقعة الحاكم ، وأمر بسقاية بنيت على باب داره ، وحين فرغ الناس من بنائها ، أمر بصب الماء فيها وطرح الجمد – الثلج - فيها. * ببذل المعروف والإحسان إلى الخلق تحسن الخاتمة ، وتصرف ميتة السوء قال – صلى الله عليه وسلم -: «صدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر ، وفعل المعروف يقي مصارع السوء» [انظر السلسلة الصحيحة]. * تلين القلب: فعن أبي الدرداء – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «أتحب أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم ، وامسح على رأسه ، وأطعمه من طعامك ، يلن قلبك ، وتدرك حاجتك» [رواه أحمد]. * الرفعة وعلو المنزلة في الدنيا والآخرة للمحسنين. قال – صلى الله عليه وسلم -: «.... وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة». [رواه ابن حبان]. * الأجر العظيم على من اغتنم جاهه وسعى في نفع المسلمين ، يقول ابن عباس - رضي الله عنهما -: (من مشى بحق أخيه ليقضيه فله بكل خطوة صدقة). «ولا تحقرن من صنائع المعروف شيئًا». استطعم مسكين عائشة - رضي الله عنها - وبين يديها عنب فقالت لإنسان: (خذ حبة فأعطه إياها) ، فجعل ينظر إليها ويعجب ، فقالت عائشة: (أتعجب؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟). قال تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ). * ثقل الميزان عند الرحمن بالإحسان: فعن ابن المنكدر رحمه الله قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «من أفضل العمل إدخال السرور على المؤمن ، تقضي عنه دينًا تقضي له حاجة ، تنفس له كربة». [رواه البيهقي]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله – رضي الله عنه -: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله: سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دينا ، أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً ، ومن كف غضبه ، ستر الله عورته ، ومن كظم غيظاً - ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له ، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام ، وإن سوء الخلق ليفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل». [رواه الطبراني]. * الأمن يوم الفزع ، والطمأنينة في يوم الهلع ، والاستظلال في ظل عرش الرحمن يوم تدنو الشمس من كل إنسان: فعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ؛ نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ، ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون

العبد ما كان العبد في عون أخيه» [رواه مسلم]. وعن قبيصة بن برمة الأسلمي – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «إن أهل المعروف في الدنيا ، هم أهل المعروف في الآخرة ، وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة». [صحيح الأدب المفرد]. * دفع البلاء وجلب الخير: قال ابن القيم رحمه الله: (وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم ، على اختلاف أجناسها ومللها ، على أن التقرب إلى رب العالمين والبر والإحسان إلى خلقه ، من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير ، وأن أضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر ، فما استجلبت نعم الله واستدفعت بمثل طاعته والإحسان إلى خلقه). وقال رحمه الله: (من رفق بعباد الله رفق الله به ، ومن رحمهم رحمه ، ومن أحسن إليهم أحسن إليه ، ومن جاد عليهم جاد عليه ، ومن نفعهم نفعه ومن سترهم ستره ، ومن منعهم خيره ، منعه خيره ، ومن عامل خلقه بصفة ، عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة ، فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه). * سعادة وانشراح صدر من يرعى مصالح المسلمين ويقوم على إغاثتهم ، لأنها من الأعمال الصالحة التي يحبها الله: ويرضاها. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: (عنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود وسعيه في نفع الخلق). * أن صاحب المعروف من خيار الناس ، كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «خير الناس أنفعهم للناس». [رواه الطبراني]. * أن في قيامك بالمعروف وبذل الندى بقاء لنعم الله: عندك ، فقد قال – صلى الله عليه وسلم -: «إن لله عند أقوام نعماً ، أقرها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين ، ما لم يملوها ، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم». [رواه الطبراني]. وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - أنه كان إذا بعث عُماله شرط عليهم أمورًا ؛ منها (ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس ، فإن فعلتم شيئًا من ذلك ، حلت بكم العقوبة...). * كثرة الصدقات التي يسرك رؤيتها في صحيفتك يوم القيامة ، فعن علقمة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كل معروف صنعته إلى غني أو فقير ، فهو صدقة». [رواه الطبراني]. وعن آداب صناعة المعروف تحدث الدكتور منقذ بن محمود السقار فقال ما نصه: (إن لصناعة المعروف آداباً ، يتعلق بعضها بالصانع ، وبعضها بالمصنوع له. ومن الآداب المتعلقة بمن صنع له المعروف: (* شكر الله عز وجل أولاً ، إذ هو المنعم الحقيقي ، فهو أولى بالحمد من كل أحد ، قال الله: {يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون}. قال عون بن عبد الله: إنكارهم إياها: أن يقول الرجل: لولا فلان أصابني كذا وكذا ، ولولا فلان لم أصب كذا وكذا.[الدر المنثور] * شكر صاحب المعروف فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لا يشكر الناس لا يشكر الله). [الترمذي]. عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه ومن استجار بالله فأجيروه ومن آتى إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه). النسائي أبو داود. * أن يعلم أن معروفه نوع من المعاملة مع الله قبل أن يكون معاملة مع الخلق فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده. يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، قال:

يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي). [مسلم]. * أنه يقع عند الله بمكان مهما صغر شأنه عند الله ، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس). (البخاري ومسلم).هـ. أنشدتُ متخيلاً الفتى يقول:)

دمُ الرذيلـــــة فـــــي شـــــريانها يجـــــري ... وفـــــي فرائســـــها الســـــعارُ يستشـــــري

توقـــــدتْ شـــــهوةً عيـــــونُ عاشـــــقةٍ ... والكيـــــدُ يكمُـــــنُ فـــــي المقـــــالم السُـــــمر

تزجـــــي اللحـــــاظ بعـــــين غيـــــر طيبـــــةٍ ... حـــــلا لهـــــا الغمـــــز بعـــــد اللمـــــز والمكـــــر

أمّـــــا ابتســـــامتها ، فالنـــــارُ قـــــد سُـــــعرتْ ... تهـــــدي الألـــــي نظـــــروا مِـــــن لاهـــــب الجمـــــر

والـــــرمشُ يَســـــبي النهـــــى كـــــيلا يُفكّـــــر فـــــي ... مصـــــير صـــــاحبه المُجنـــــدَل المُـــــزري

والكحـــــلُ فـــــي العـــــين مثـــــلُ النـــــار حاميـــــة! ... تكـــــوى القلـــــوبُ بهـــــذا الإثمـــــدِ المُغـــــري

وللقـــــوام - إذا مـــــا مـــــاسَ - ســـــطوته ... والمُعجبـــــون بـــــه سِـــــيقوا إلـــــى الأســـــر

والشَـــــعرُ كـــــم صـــــرعتْ صَـــــباً جدائلـــــه! ... وكـــــم غَزيّلـــــةٍ تختـــــال بالشـــــعر!

والوجـــــهُ كالبـــــدر فـــــي نـــــور وفـــــي ألـــــق ... يغتـــــالُ عاشـــــقه مـــــن حيـــــث لا يـــــدري

والثغـــــرُ يزجـــــي اللظـــــى لمَـــــن يكلمـــــه ... كـــــم مـــــن قتيـــــل ثـــــوى مـــــن فتنـــــة الثغـــــر!

إن الجمـــــال غـــــدا سَـــــمتاً يُميزهـــــا ... ولـــــيس مثلـــــي الـــــذي جمالهـــــا يُطـــــري

لكنـــــه الوصـــــفُ حتـــــى تـــــدركوا مِحنـــــي ... تلـــــك التـــــي انـــــدلعتْ فـــــي أول العُمـــــر

صـــــادت فـــــوادَ أبـــــي جبـــــراً بفتنتهـــــا ... وكـــــم يُصـــــاد فتـــــىً بالحـــــب ، بـــــالجبر!

ثـــــم اشـــــتراها أبـــــي بالمـــــال هينـــــة ... إذ لـــــيس فيـــــه الـــــذي أمثالهـــــا يغـــــري

إذ المشـــــيبُ جنـــــى فحـــــوى شـــــبيبته ... وتلـــــك سُـــــنة بارينـــــا مـــــدى الـــــدهر

يشـــــيب نـــــاسٌ ، ويُبلـــــي الـــــدهرُ قـــــوّتهم ... ولـــــيس يبقـــــى مِـــــن البـــــأواء مِـــــن نـــــذر

وتلـــــك فـــــي فـــــورة الشـــــباب قـــــد رتعـــــتْ! ... تـــــدِلّ بالبصـــــر الحديـــــد والخصـــــر

تـــــدلُ بالحســـــن لـــــم تـــــذبلْ نضـــــارته! ... تـــــدِل بالوجـــــه والقـــــوَام والنحـــــر

تـــدِل بالكلمـــات المُترعـــات هـــوىً ... والصـــائداتِ قلـــوبَ النـــاس كالشِـــعر!

تـــدِل بالبســـمات الباعثـــات صـــدىً ... مـــن لاعـــج الحُـــب فـــي قـــرارة الصـــدر

تـــدِل بالهمســـة السَـــكرى تحبّرهـــا ... لمُغـــرم بـــدنان العِشـــق والخمـــر

تـــدِل بـــالخطرات الناشـــرات شـــذىً ... مـــن طيـــب الـــوَرد ، أو مـــن فـــائح العطـــر

تـــدِل بـــالنظرات الجاذبـــات نهـــىً ... فـــلا يكـــون بـــه شـــيءٌ مِـــن الفِكـــر

جميلـــة ، والـــدي أمســـى ضـــحيّتها ... وتســـقط اليـــوم فـــي مســـتنقع الـــدُعر

أضـــحت تراودنـــي بكـــل مـــا ملكـــتْ ... مـــن ســـاحر الحُســـن أو مـــن أحســـن الســـحر

تحـــب قربـــي ، وتهـــواني ، وتـــأنسُ بـــي ... وكنـــتُ أحسِـــنُ ظنـــي بـــاديء الأمـــر

حتـــى رأيـــت دخـــانَ العِشـــق ملتهبـــاً ... وقـــد يكـــون الـــذي بوالـــدي يُـــزري

مـــن زوجـــةٍ أصـــبحت لهزلهـــا أمَـــة ... لا تســـتحي أبـــداً مـــن لوثـــة العُهـــر

تـــراودُ ابنـــاً لهـــا عـــن نفســـه شـــغفاً ... وتســـتبد بهـــا نـــوازعُ الفُجـــر

مـــا حِيلتـــي فـــي التـــي هـــاج الغـــرامُ بهـــا ... وفـــي خواطرهـــا نـــارُ الهـــوى تســـري؟

مـــا حِيلتـــي فـــي التـــي خانـــت أمانتهـــا ... واســـتعذبت - ويحهـــا - صـــنائعَ الغـــدر؟

مـــا حِيلتـــي فـــي التـــي ترجـــو فضـــيحتها ... ولا تميـــل إلـــى حـــلاوة الطهـــر؟

مـــا حِيلتـــي فـــي التـــي أبـــي تخيّرهـــا ... زوجـــاً وإن ذكـــرتْ أخلاقهـــا يطـــري؟

مـــا حِيلتـــي فـــي التـــي إن قلـــتُ: تعشـــقني ... لقِيـــلَ كـــذبك كـــابن الحـــارث النضـــر!

ارحـــمْ أبـــاك مـــن التخريـــف تطلقـــه ... سَـــهماً يصـــيبُ أبـــاك الشـــهم فـــي النحـــر

لأجـــل أمّـــك أنـــت اليـــوم تكرههـــا ... فـــاحقن كراهيـــة ســـعيرُها يفـــري

ولا تســـعِّر بمـــا تقـــول ملحمـــة ... وكـــن محبـــاً لبـــذل النصـــح والخيـــر

يـــا قـــوم هـــذي - إلـــى الفحشـــاء - تجـــذبني ... فـــأين - مـــن هـــذه - أفـــر أو أجـــري؟

فهـــل أبيـــع لهـــا نفســـي فتـــوبقني؟ ... خابـــت إذا مـــا اشـــترتْ وخـــاب مـــن يشـــري!

ولـــيس يملـــك نفســـي غيـــرُ خالقهـــا؟ ... إن الـــذي قلـــتمُ فـــي غايـــة النكـــر

لـــن أســـتجيب لهـــا مهمـــا ابتليـــتُ بهـــا ... وســـوف أعمـــد للإيمـــان والصـــبر

وســـوف أنصـــحُها ، أرجـــو هـــدايتها ... بكـــل رفـــق ، بـــلا ســـب ولا زجـــر

والـــوعظ أبلـــغ مـــا أزجيـــه مـــن خلـــق ... وأخلـــط الـــوعظ بـــالإيلاف والحِـــذر

فـــإن هـــداها مليـــكُ النـــاس كنـــتُ لهـــا ... كالعبـــد يرجـــو رضـــا عظيمـــة القـــدر

أجلهـــا مثـــل أمـــي دائمـــاً أبـــداً ... وبعـــدُ أغمرُهـــا بـــالعطف والبـــر

وســـوف أحكـــي - لمـــن ألقـــاه - ســـيرتها ... ولســـتُ أذكـــر يومـــاً ســـيء الـــذكر

لكـــنْ ســـأذكر مـــن أحلـــى مناقبهـــا ... مـــا يمـــلأ القلـــب بـــالإعزاز والفخـــر

وإن أبـــت فـــأبي قطعـــاً ســـيردعُها ... وســـوف يأخـــذ ممـــن أجرمـــتْ ثـــأري

إن قلـــت عنهـــا الـــذي تنويـــه صـــدقني ... فلـــيس لـــي أبـــداً فـــي الغـــش والختـــر

وســـوف يطلـــب برهانـــاً وتجربـــة ... وســـوف يضـــبطها مـــن كُـــوة الخـــدر

أبـــي رزيـــنٌ ، ولا يجنـــي علـــى أحـــدٍ ... وســـوف يـــدرسُ هـــذا الأمـــر بالبشـــر

فالعـــدلُ شِـــيمته فـــي كـــل معتـــركٍ ... ومـــا لمثـــل أبـــي فـــي الغـــدر والجـــور

يـــا أم فلترجعـــي ، أو أشـــتكي لأبـــي ... وخـــل عنـــك صـــفاتِ الـــبهم والعيـــر

أســـتحْيي منـــكِ أنـــا ، لـــذاك فـــاحترمي ... أبـــي ، ولا تهتكـــي مقاعـــد الســـتر

أراكِ أمـــي ، ألا يكفـــي لكـــبح هـــوىً؟! ... وإننـــي مَحـــرمٌ فـــي الحـــل والســـفر

يـــا رب فاهـــد التـــي لا ترعـــوي لفتـــىً ... بـــالخير ينصـــحها بمنتهـــى اليُســـر

وصـــفِّ نيتهـــا ممـــا يدنسُـــها ... كـــيلا تبـــوء بمـــوتِ القلـــب والخســـر

شاب شَعره ولم يشب لسانه!

(أشيب اعتاد منذ صغره على سلاطة اللسان والكلام البذيء السخيف والألفاظ الجارحة الفاضحة. ومن شبّ على شيء شاب عليه. فإذا به في مشيبه ، لم يستطع أن يتخلص من هذه العادة القذرة الحقيرة. فرأسُه كالثغامة ولسانه كالسيف الحاد الماضي ، لا في الحق ، ولكن في الباطل ، وبالألفاظ السيئة الفجة النابية الدنيئة. فإلى كل أشيب لا يحترم مشيبه ، ولا يوقر شبيبته ولا يراعي شيبة ، ولا يكاد يدرك ما يجب له ومنه وعليه. وليس ذلك نتيجة رجوعه إلى أرذل العُمُر ، بل الرجل لا يزال يعقل ما يقول. وصدق الله إذ يقول: (خلقكم من ضعفٍ ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة). ويقول: (والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يُردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير). وصدق ابن الخطيم عندما قال في الشيب:-

إذا المرء أعيا رهطه في شبابه فلا ترجُ منه الخير عند مشيب

والأصل أن الذي يحترمُ فإنه يحترم نفسه قبل احترام الآخرين! أنشدت هذه القصيدة من الطويل. وكنت أتمنى أن تطول لعظم موضوعها. ولكن لم يأذن الله - تعالى - إلا بأبياتٍ قليلة. إذ المسألة ليست كما يحلو للبعض أن يتصورها (أن يكتب الشاعر العدد الذي يريد) بالطبع لا.)

هو الشيبُ يُردي سيّيءَ الهفواتِ ويقهرُ ما في النفس مِن نزواتِ

ويزجرُ ما في الذات مما يشينها ويقمعُ ما في القلب من نزغات

ويَردعُ كِبْراً في الحنايا يؤزها ويكبتُ ما فيها من الخطرات

فكم من عيوب حطم الشيبُ بأسها وأنقذ أهليها مِن الشبهات!

وكم من سجايا دعَّم الشيبُ أصلها فأنبت فيها أعطر الزهرات!

وليس يُعاب الشيبُ إن ضلّ أهله وكيف يُعابُ الشرعُ إذ يُبتلى بعُصاة؟

إذا شاء شعر المرء فليعتبرْ به! ويُمْسي حزيناً ضارعَ الرعشات

أيهزلُ بين الناس مَن كان شيبة؟ ألا يذكر الأحداث والوقعات؟

ألا يذكر القبرُ الوشيكُ دخوله؟ ألا يستحي من هادم اللذات؟

ألا يا جهولاً بالمشيب وحقه ستبذل يوماً سيئ الحسرات

وتندم أن لم تستجبْ لنصيحتي! وتفضحُ في الساحات والعَرَصات

العقيدة لا تتطور البتة

(لقد زين إبليس لبعض الكُتاب أن العقيدة تتطور. بمعنى أن الإنسان عبد الحجر والشجر والطوطم والقبيلة والنجوم والكواكب ، ثم الآلهة المتعددة ثم (الله) في النهاية. ففي كتاب (الله) للعقاد ، وكتاب (الله والإنسان) لمصطفى محمود ، ومثل ذلك لبعض الكُتاب الذين هم على نفس الرؤية والتصور ، أقول بأن في كتابات هؤلاء ما يشير إلى هذا بوضوح. والحقيقة أن العقيدة من عهد آدم ونوح – عليهما السلام - وإلى أن تقوم الساعة لا تتطور ولا تتبدل. يعبد المسلم ربه ، ويتبع أوامره التي جاء بها نبيه. وأزيد الأمر وضوحاً فأقول بأن علماء في الساحة هم علماء الأديان المقارنة قد ذهبوا إلى أن عقيدة التوحيد قد مرتْ بأطوار شتى من التعدد والتثنية والتثليث للآلهة ، مروراً بتأليه قوى الطبيعة والأرواح والكواكب والنجوم إلى غير ذلك من الأوثان والأصنام. ففي كتاب (الله) الذي أسلفت يقول العقاد:(ترَقى الإنسان في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات. فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى ، وكذلك كانت علومه وصناعته. فليست أوائل العلم والصناعات بأرقى من أوائل الديانات والعبادات. وليست عناصر الحقيقة في واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة في الأخرى. وهذه بديهية واضحة).هـ. ثم يقول في فصل (أطوار العقيدة الإلهية) من ذات الكتاب: (يعرف علماء مقابلة الأديان ثلاثة أطوار مرت بها الأمم البدائية في اعتقادها بالآلهة بل والأرباب وهي: دور التعدد ودور التميز والترجيح ، ثم بعد ذلك دور الوحدانية. ففي دورالتعدد كان الناس يتخذ كل منهم الأرباب بالعشرات إلى المئات. وفي الدور الثاني يرجح الناس عدداً محدوداً من الأرباب. وفي الدور الثالث تتوحد الأمة على عبادة إله واحد وتنزل الآلهة المطرودة إلى مرتبة الملائكة).هـ. وواضح من كلام العقاد أن الناس هم الذين ينشئون عقيدتهم. والصواب أن العقيدة هي التي جاء بها رسول من رسل الله أو نبي من أنبيائه بوحي إلهي. لا كما يقول هؤلاء. ولو تأملنا تاريخ الإسلام والإيمان على هذه الأرض لوجدنا الأمر هكذا من عهد آدم ونوح وحتى محمد - صلى الله عليه وسلم -. العقيدة والتوحيد والتشريع والعبادة كلها أوحاها الله لأنبيائه ، ثم الأنبياء بلغوا الخلق ، فمنهم من اتبع الأنبياء فيما جاؤوا به ، وعمل بمقتضاه مخلصاً دينه لله ، فهؤلاء هم المسلمون. ومن الناس من عصى الأنبياء ، وخالف عن أوامرهم وخالف منهجهم ، وهؤلاء هم الكفار. ولم تكن العقيدة يوماً ما من ابتكار الإنسان. والمؤلف المسلم يجب أن لا يتبع غير المسلمين في مثل هذا الضلال. بل بالعكس يجب عليه أن يصحّح هذه الآراء المنحرفة ، ويثبت للناس قدم العقيدة التوحيدية. وأن هذه العقيدة قد جاء بها أنبياء الله ورسله مبلغين عن الله تعالى. وليس الإنسان هو الذي تطور بمحض عقله وصنع دينه. إنني أهيب بمن انزلقوا إلى القول بتطور العقيدة ، ذلك المنزلق الكفري الشركي الآسن ، أن يتوبوا إلى الله تعالى. أما من مات كالعقاد ومصطفى محمود فقد أفضى كل منهما إلى ما قدم. ولكنني أحاكم فكراً حوتْه بعض كتبهما كما أحاكم أقواماً يقولون بما ذهبا إليه.)

إن العقيـــــــدة - جـــــــدّ - لا تتطـــــــورُ والـــــــدينُ - يـــــــا أقـــــــوامُ – لا يتغيـــــــرُ

مـــــن يـــــوم جـــــاء إلـــــى البســـــيطة آدمٌ وعقيـــــدة التوحيـــــد صُـــــبحٌ مُسْـــــفر

لعبـــادة الـــرحمن قـــد خلِـــق الـــورى ... والجـــنُ ، والآيـــاتُ ليســـت تنكـــر

ومواكـــبُ الرسُـــل الكـــرام بهـــا أتـــت ... والأنبيـــاءُ - بـــذي العقيـــدة - بَشّـــروا

فمَـــن اســـتجاب فمِـــن ضـــلالته نجـــا ... والأنبيـــاء عـــن الضـــلالة أنـــذروا

لـــم يبحـــث الإنســـانُ عـــن معبـــوده ... هـــذا - لعَمـــرُ الله - بـــئسَ المنكـــر!

إذ فطـــرة الإنســـان تعـــرفُ ربهـــا ... والعقـــلُ يشـــهدُ ، والجـــوارحُ تخبـــر

ومشـــاعر الإنســـان تلهـــجُ دائمـــاً ... ولســـانه فـــي كـــل حـــين يـــذكر

وعواطـــفُ الإنســـان يعصـــرُها الصـــدا ... وتبيـــتُ - مِـــن نفحاتـــه - تتعطـــر

وخـــواطرُ الإنســـان تـــدركُ مـــا الهُـــدى ... وبحبهـــا - لله - دومـــاً تفخـــر

فلـــمَ التخـــرصُ والتخـــبط والغبـــا؟ ... ولـــم افتـــراضُ تطـــاول لا يخطـــر؟

ولـــمَ التســـكع فـــي متاهـــات الهـــوى ... يـــا نـــاسُ لا تغلـــوا ، ولا تتبطـــروا

لـــمَ تـــدَّعون تـــدرّجاً وترفعـــاً ... الـــدين – يـــا جهـــلاء – لا يتطـــور

وتبـــدّلُ الشـــرع المنـــزل ممكـــنٌ ... والأمـــرُ فـــي قـــول النبـــي مقـــرر

لكـــنّ ديـــن الله قطعـــاً واحـــدٌ ... والجـــزمُ فـــي كتـــب الحـــديث مُسَـــطر

لمّـــا يكـــنْ إلا المهـــيمنُ خالقـــاً ... يـــا قـــوم مِـــن قـــدر المليـــك تفكـــروا

وتـــأملوا التحريـــفَ ، أنـــتم أهلـــه ... وتمهلـــوا فـــي الحكـــم ، ثـــم تـــدبروا

إنـــي أراكـــم قـــد جعلـــتم طوطمـــاً ... ربـــاً ، فهـــل ينهـــى الأنـــامَ ويـــأمر؟

وهـــل الكواكـــبُ والنجـــومُ مليكـــة ... أمســـت علـــى خلـــق الإلـــه تســـيطر؟

لـــمَ الاعتـــدادُ بقـــول مَـــن لفظـــوا الحِجـــا ... وبمـــا ارتـــأى أهـــل الهـــوى واســـتأثروا؟

لا تفتنـــوا يومـــاً بمـــذهب مُلحـــدٍ ... إنـــي أرى أمثـــالكم لـــن يُعـــذروا

توبـــوا إلـــى الـــرب الغفـــور ، وأحســـنوا ... ومِـــن التقـــرب – بالمثوبـــة - أكثـــروا

هذا من فضل ربي

(شيء جميل أن ينقلب التلميذ إلى أستاذ معلم. وأن يعود الأستاذ تلميذاً شيء أجمل وأفكه وأغرب. ومن قبيل هذا كان أحد التلاميذ قد درسته معلمته مادة (العلوم والصحة) في صفه السادس الابتدائي. ثم شق الفتى طريقه إلى الجامعة! بينما كانت معلمته تدرس فصولاً من كتاب في الأدب المقارن. حيث إنها كانت تكمل تعليمها بعد (دبلوم المعلمين) ، فارتأت أن تكمل تعليمها الجامعي بدءاً بكلية التربية – قسم اللغة العربية. وكان الكتاب ذاته في الأدب المقارن مقرراً على تلميذها في الجامعة كاملاً هناك في كلية الآداب. فالتقت هذه المعلمة الفاضلة مع تلميذها ليدرسه لها ، وهو لا يزال طالباً جامعياً. وبعد تدريسها العلوم والصحة لهذا الطالب بحوالي عشر سنين! حيث إنها درسّته مادة العلوم عام 1975م ، وعاد فدرسّها الأدب المقارن عام 1985م ، في العام الدراسي الجامعي الثالث والرابع إلى أن ختمت أبواب الكتاب على يدي تلميذها. ولله الفضل والمنة ، وكان الطالب يتوقف أثناء الشرح فتقول معلمته في توقير واحترام بالغين: (أكمل يا دكتور). فيستحيي منها جداً ، وترى له دمعات. ثم يقول لها: بل تلميذك يا معلمة الأجيال. فترد قائلة: مادمت تشرح هنا لطالبة جامعية فأنت دكتور. وتردف قائلة: إن الذي يشرح كتاب الدكتور حلمي بدير لا بد من أن يأخذ لقبه ، كما شرح كتبه! فتبسّم هذا الطالب من هذا القول ، وتذكّر موقف النبي العظيم سليمان عليه السلام مع النملة عندما حذرت رفيقاتها قائلة: (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون) ، فإذا بسليمان النبي الرسول يتبسم ضاحكاً من قولها ، وقال: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين). ومن باب الشكر والتقدير والعرفان بالجميل أشكر للأستاذة الكبيرة زينب الهوال معلمة العلوم والصحة مجهودها العظيم في تعليمي في المرحلة الابتدائية في مدرسة كفر سعد الابتدائية عام 1975م! وعن شكر الناس يقول الدكتور خالد النجار ما نصه: (عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم -: (مَن لا يَشكُر الناس ، لا يَشكُر الله). قال القاضي: "وهذا إمَّا لأنَّ شكْره تعالى ، إنَّما يَتمُّ بمطاوعته وامتثال أمره ، وأنَّ ممَّا أمَر به شُكْر الناس الذين هم وسائط في إيصال نِعَم الله إليه ، فمن لم يُطاوعْه فيه ، لم يكن مُؤدِّيًا شكْر نِعَمه ، أو لأنَّ مَن أخَلَّ بشكْر من أَسدى نِعمة من الناس مع ما يرى من حرْصه على حبِّ الثناء والشكر على النَّعماء ، وتأذِّيه بالإعراض والكُفران - كان أوْلَى بأنْ يَتهاون في شكْر من يَستوي عنده الشكْر والكفران". وفي رواية لهذا الحديث: (أَشْكَرُ الناس لله ، أَشكَرُهم للناس). قال المناوي: "أشكرُ الناس لله تعالى أي: مِن أكثرهم شكرًا له ، (أشكرهم للناس) ؛ لأنَّه - سبحانه - جعَل للنِّعم وسائطَ منهم ، وأوجَب شكْرَ من جعَله سببًا لإفاضتها كالأنبياء والصحابة والعلماء ، فزيادة العبد في شكرهم ، زيادة في شكْر ربِّه ؛ إذ هو المُنعِم بالحقيقة ، فشكْرهم شكْره ، ونِعَم الله منها بغير واسِطة كأصلِ خِلقته ، ومنها بواسطة ، وهي ما على أيدي الناس ، فتَتقيَّد بشكْرِهم ومكافأتِهم ؛ ففي الحقيقة قد شَكَر المُنعِم بإيجاد أصل النعمة ، ثم بتسخير الوسائط. قال بعض العارفين: "لو علِم الشيطان أن طريقًا تُوصِّل إلى الله أفضلُ من الشكر ، لوقَف فيها ، ألا تراه قال: (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) ، ولم يَقل: ولا تَجدُ أكثرهم صابرين ، أو نحوه. وقال ذو

النون المصري - أبو الفيض -: "الشكر لِمن فَوقكَ بالطاعة ، ولِنظيرك بالمُكافأة ، ولمن دونَك بالإحسان والإفضال". وقال أبو حاتم: "الواجب على من أُسدِيَ إليه معروفٌ ، أنْ يَشكُره بأفضلَ منه أو مِثله ؛ لأنَّ الإفضال الجزيل على المعروف في الشكر ، لا يقوم مقام ابتدائه وإنْ قَلَّ ، فمَن لم يَجِد ، فليُثنِ عليه ؛ فإنَّ الثَّناء عند العدم ، يقوم مقامَ الشكر للمعروف ، وما استغنى أحدٌ عن شكْر الناس" ، وقال أيضًا: "الحرُّ لا يَكفر النعمة ، ولا يَتسخَّط المصيبة ، بل عند النِّعم يَشكُر ، وعند المصائب يَصبِر ، ومن لَم يكن لقليل المعروف عنده وقْعٌ ، أَوشكَ ألا يَشكُر الكثير منه ، والنِّعم لا تُستجَلب زيادتُها ، ولا تُدفَع الآفات عنها ، إلا بالشكر لله - جل وعلا - ولمن أَسْداها إليه").هـ. فجعلتُ استهلال النبي العظيم سليمان الثناء على الله تعالى عنواناً لهذه القصيدة (هذا من فضل ربي) ، وأنشدتُ هذه القصيدة من الوافر كاملاً لتكون عِرفاناً وافراً لمعلمتي زينب الهوال – حفظها الله وبارك فيها ورفع قدرها بما علمتْ وربتْ وبذلتْ ونصحتْ وأعطتْ ووفتْ.)

مـــديحُكِ - فـــي شـــراييني - دمٌ يجـــري ... فبـــاركْ يـــا إلـــهَ النـــاس مَـــن تطـــري

وجـــودُكِ - بالثنـــاء العـــذب - أطربنـــي ... وهـــيَّج مـــا أداريـــه مـــن الفخـــر

وفخـــركِ - بـــي - يواقيـــتٌ تَجمّلنـــي ... وتـــدفعني لبـــذل الجهـــد والخيـــر

وحثـــكِ - لـــي علـــى المعـــروف - يجعلنـــي ... أجـــودُ بمـــا حبـــاني الله مـــن بـــر

ولطفـــكِ - فـــي معـــاملتي - يُشـــجعني ... علـــى نشـــر الـــذي قـــد حـــاك فـــي صـــدري

وظرفـــكِ - فـــي انتقـــاء اللفـــظِ - يأســـرني ... بإيحـــاء جميـــل الوقـــع كالشـــعر

ونبرتـــكِ التـــي فاقـــت عـــذوبتها ... عذوبـــة مـــاء مـــا فـــي الأرض مـــن نهـــر!

وصـــدقكِ فـــي مَـــودة مَـــن غـــدا علمـــاً ... يرفـــرف فـــي ســـماء العلـــم والفِكْـــر

ونبلـــك فـــي تحيـــة مَـــن أتـــاكِ ضـــحىً ... وفـــي يُمنـــاه مـــا تبغـــين مـــن أمـــر

يـــؤدي دَيـــن مَـــن بـــذلتْ شـــبيبتها ... ومَـــن نصَـــبتْ ، تؤمّـــل طيَّـــب الأجـــر

ومَـــن شـــقيتْ ليرتـــاح الألـــي درســـوا ... ولـــم تحصـــدْ ، ولـــو شـــيئاً مـــن الشـــكر

ومَـــن جـــادت بعلـــم لا يطاولـــه ... صـــناديدٌ بـــلا عـــدٍ ولا حصـــر

ومـــن أعطـــت بـــلا مـــنٍّ ، تعلمنـــا ... وتـــدفعنا إلـــى التمكـــين والنصـــر

وتُتحفنـــا بمـــا تزجيـــه مـــن مُثـــل ... تقينـــا مـــن خِصـــال الســـوء والشـــر

وترشـــدُنا - إلـــى الخيـــرات - شـــارحة ... مراميَهـــا لمـــن يرجـــو ، ولا يـــدري

وتكلأنـــا بعطـــفٍ مـــا لـــه شَـــبهٌ ... وتغمرنـــا ببســـط الوجـــه والبشـــر

وتبـــذر طيِّـــبَ الآمـــال موقنـــة ... فتثمـــر مثـــل زاهـــي الـــورد والزهـــر

حنانيـــكِ ، افتخـــاركِ بـــي مجاملـــة ... يعطرهـــا رطيـــب القـــول والطهـــر

وحســـبي منـــكِ فخـــرٌ يـــا معلمتـــي ... أنـــا التلميـــذ ، هـــذا منتهـــى قـــدْري

أنـــا التلميـــذ ، لـــي حجـــمٌ يُناســـبني ... ومـــا لـــي فـــي العلـــو عليـــكِ مـــن نـــذر

ومهمـــا كـــان لـــي فـــي النـــاس مـــن صِـــيتٍ ... فـــإني - فـــي جـــوارِكِ - خامـــلُ الـــذكر

ومهمـــا كـــان لـــي فـــي الأرض مـــن شـــأن ... فلســـتُ أميـــل - يـــا فضـــلى - إلـــى الكِبْـــر

أنـــا التلميـــذ ، قـــد أضـــنتك تلمـــذتي ... وعانيـــتِ الـــذي عانيـــتِ مـــن عُســـر

وقاســـيتِ الـــذي قاســـيتِ راضـــية ... بـــأجر لا يفـــي بـــالواقع المُـــزري

ولـــم يمنعْـــك بـــؤسُ الحـــال مـــن نصَـــب ... لأن الجـــود والتقـــوى دمٌ يجـــري

فأعطينـــاكِ آذانـــاً وأفئـــدة ... وكـــان النـــور - فـــي ألبابنـــا - يســـري

وأحببنـــاكِ أمّـــاً بـــالعلوم ســـمتْ ... وفـــاح العلـــمُ - فـــي الأجـــواءِ - كـــالعطر

وبـــين الصـــحب كنـــتُ أتيـــه مغتبطـــاً ... ومفتخـــراً مـــن الإصـــباح للظهـــر

أنـــا التلميـــذ ، قوليهـــا بـــلا حَـــرَج ... وأنـــتِ العلـــمُ يـــا أعجوبـــة الـــدهر

فكـــم بـــددتِ بـــالتعليم مـــن حَلـــكٍ ... كمـــا تـــرَدي الـــدجي إطلالـــة البـــدر!

خصصـــتِ الكـــل فـــي إيضـــاح غامضـــةٍ ... ويزكـــو العلـــم بالإيضـــاح والفســـر

ولقنـــتِ الجميـــع رؤىً منـــورة ... تـــدكّ هـــوىً بـــنفس المـــرء يستشـــري

فجـــازاكِ المليـــكُ الخيـــر أجمعـــه ... وبـــارك فيـــكِ حتـــى آخـــر العمـــر

خالتهم بهم أولى!

(في طريق عودته كان ذلك الزوج البائس مع أولاده وزوجته عائدين من رحلة الحج. وكان يستقل سيارته الخاصة. واصطدمت السيارة بصخرة ، فكان من قدر الله - تعالى - أن ينجو الأب والأبناء ، وأما الزوجة أم الأولاد فقد فارقت الحياة بسبب نزيف في المخ ، وحزن الأب والأبناء عليها حزناً عميقاً. ولله ما أخذ وله ما أعطى. وحكمت المحكمة على الزوج بالدية وصيام شهرين! ذلك أنه قد قتل زوجته خطأ. فأما الصيام فقد بينه الله في كتابه وكذلك الدية لأولياء الدم أي أهل الزوجة إلا أن يصّدّقوا. يقول الله في سورة النساء (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ. ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا. فإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة. فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله. وكان الله عليماً حكيماً). فإذا بالأصهار يطلبون الدية ولا يعفون ولا يتصدقون. فأدّى إليهم ديتهم التي جمعها من أيدي المحسنين. ثم قرّر أن يتزوج من خالة الأولاد (هند) ، التي هي أخت أمهم الشقيقة الوحيدة لتعلّق الأولاد بها. مؤثراً مصلحة أولاده ، متحدياً الأصهار الذين أعماهم حب المال عن العفو والصدقة والمساهمة في إكمال المسيرة بتزويجه من خالة أولاد ابنتهم. ولم يعد أمامه بعد رحمة ربه سوى قلب هذه الخالة المؤمنة الشابة التي تحفظ نصف القرآن وكثيراً من أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم. فأخذ يرسل إليها الرسل ، ويبتهل إلى الله تعالى أن تقبله زوجاً بأي ثمن كان. وراحت هند (خالة الأولاد) تشعر بأن اختيار زوج أختها الراحلة لها حليلة له ، بعد رحيل أختها إنْ هو إلا من أجل مصلحة الأولاد ، وليس رغبة فيها لذاتها! وطفق زوج أختها يثبت لها بكل دليل بأن هذا أمر وارد وطلب مُلح ، ولكنه مقرون أيضاً بها لدينها وخلقها وأدبها الرفيع. ويبدو أن هنداً كانت تدرس ذلك القرار ببطء شديد لدرجة أن الظنون قد ألهبت مشاعر الكل. وفي الختام ، وبعد محاولات منه بالموافقة ومحاولات من الأهل بالرفض وافقت هندُ الخير على الزواج. وسافرت العروس ، وتم الأمر ، ولله الحمد والفضل والمنة ، ومنه وحده تعالى التوفيق. ولا شك أن هنداً ضحت بالكثير ، حيث إنها شابة عشرينية ، بينما زوج أختها الراحلة رجل أربعيني! فتحدّتِ العائلة وتقاليدها ، وقبلت الزواج على بركة الله وحده! إنها التضحية التي لا تحدها مقالة ولا قصيدة ، كما لا يتخيلها عقل بالمرة! خاصة في زماننا هذا الذي نعيش! ويسأل الأستاذ معروف الدوسري فيقول: ما هو قانون التضحية؟ ويجيب قائلاً: (قانون التضحية هو التضحية بشيء منخفض القيمة للحصول على شيء ذي قيمة أعلى. هذا هو كل شيء. التضحية التي نتحدث عنها هي التضحية بمتعة أو غرض من أجل الحصول على مردود أكبر. التضحية بالوقت مثلاً أن تقضي وقتا كنت قد خصصته لزيارة الأصدقاء في المقهى من أجل أن تدرس وتتعلم أشياء جديدة ، أو تقضي ساعات عمل إضافية لتحل مشكلة لزبون في مكان عملك. التضحية بقليل من المال في سبيل شراء كتاب يفتح لك آفاقاً جديدة. التضحية بالراحة من أجل إتمام عمل اقترب موعد تسليمه. هذه التضحيات الصغيرة التي تقدمها من أجل نفسك هي التي تعود عليك بالنفع والخير الوفير ، فأنت تضحي بأشياء تعتبر زهيدة مقارنةً بما ستجنيه من وراء تلك التضحية. لذلك نرى الناجحين يعملون بلا كلل أو ملل. يقدمون ويقدمون ، ويقضون الساعات الطوال في قراءة وتتبع وفهم مواضيع تعتبر

مملة جداً بالنسبة لأكثر الناس. فعندما يختار أحدهم قراءة مجلة الأخبار الرياضية نرى الإنسان الناجح يقرأ كتاباً عن متلازمة داون أو يشاهد فلماً وثائقياً مملاً جداً عن الأمراض الوراثية. هذا العمل الدؤوب والمستمر في المجالات التي يعزف عنها الناس هو التضحية الحقيقية التي بها ينال الإنسان النجاح لأنها مؤقتة. فالتضحية تنتهي بأن يكتسب الإنسان مكانة علمية مرموقة أو يفهم أمرا يفتح له أبواباً أوسع من الرزق أو النفوذ أو كلاهما. لو لاحظنا فسنرى أن معظم الناس لا يقدمون ما يكفي من تضحيات من أجل النجاح ، يريدون وصفات سريعة للنجاح ، وصفات جاهزة للعلاج ، وصفات رخيصة تخدّرهم مؤقتاً. لا ينفقون المال ولا ينفقون الوقت ولا الجهد من أجل تحقيق طموحاتهم لذلك ينتهي بهم المطاف كآلات تعمل لدى الآخرين).هـ. وأنا أسطر هذه القصيدة على هيئة رسالة شعرية لهند على لسان زوج أختها ، متخيلاً إياه يستعطفها في الموافقة والقبول به زوجاً لها لتكون بذلك زوجة وخالة للأولاد! والخالة أم بنص الحديث فقال:)

حنانيـــكِ الصـــغارُ لهـــم جُـــؤارُ ودمـــعُ الكـــل - فـــي البلـــوى - بحـــارُ

يرونـــكِ أمهـــم ، وأراكِ زوجـــاً بهـــا تحلـــو المعيشـــة والـــديار

فـــلا تســـتنكفي أن تُســـعِدينا وبـــين يـــديكِ يـــا (هنـــد) الخِيـــار

أخاطـــبُ فيـــكِ نفســـاً قـــد تحلّـــتْ بطاعـــة ربهـــا ، نعـــم الفخـــار!

تصـــلّي خمســـها فـــي قعـــر دار وبالصـــلوات تزدهـــرُ القِفـــار

وصـــومُ الشـــهر ديـــدنها احتســـاباً وللصـــدقات - مـــن يـــدها - ثمـــار

وللجلبـــاب يســـترها اتســـاعٌ ويُخفيهـــا - عـــن العـــين - الخِمـــار

وفـــي الكفـــين قفـــازان ، هـــذي أوامـــرُ مـــا لهـــا فيهـــا اختيـــار

وعـــن أخلاقهـــا يـــا صـــاح حـــدِّث وتقـــوى الله للفضـــلى شِـــعار

ألا يـــا هنـــد قـــد حُـــزتِ المعـــالي وبـــين النـــاس قـــد طـــاب النجـــار

أخاطـــب فيـــكِ عاطفـــة تســـامتْ عـــن الســـوآى ، وشـــرّفها ادكـــار

فرقـــي ، واقبلـــي ، ولـــكِ التحايـــا ولـــن ينســـى الجميـــلَ لـــك الصـــغار

فأنـــتِ لأشـــبُلي أمٌ رؤومٌ إذا أنـــا لـــمْ يخنِّـــي الاعتبـــار

وأنـــتِ لطيفـــة لطـــفَ العَـــذارى وصـــمتكِ - فـــي الجـــواب - هـــو القـــرار

وحُبّـــكِ - فـــي الفـــؤاد - لـــه أريـــجٌ ... فمـــا فـــي الأمـــر يـــا (هنـــد) اضـــطرار

وإعجـــابي - بحســـنكِ - لا يبـــاري ... ويغمرنـــــي بـــــودّكِ الافتخـــــار

أخاطـــبُ فيـــكِ إحساســـاً وديعـــاً ... يـــذكّرني بمـــن كانـــت تغـــار

إذا مـــا قلـــتُ: (هنـــدٌ) ذاتُ ديـــن ... لشـــبّتْ - فـــي فـــؤاد الأخـــتِ - نـــار

ليـــرحمْ ربنـــا الـــرحمنُ غيـــرى ... لغيرتهـــا - مـــن الأخـــرى - أوار

عســـى يـــا هنـــد أن ألقـــى قبـــولاً ... وتجمعُنـــا - علـــى الإيمـــان - دار

ونحيـــا فـــي بُلهنيـــةٍ وعـــز ... فكـــم عـــيش يُحليـــه اليســـار!

وكـــم مـــن غـــادةٍ بـــذلتْ صِـــباها ... وفـــي إخلاصـــها الأفـــذاذ حـــاروا

وضـــحّت بـــالكثير ، ولـــم تســـوّف ... ولـــم يكســـر عزيمتهـــا الخَـــوار

كأختـــكِ ، واذكـــري مـــا كـــان منهـــا ... فـــإن العـــيش درسٌ واختيـــار

لقـــد كانـــت مناقبُهـــا منـــاراً ... وفـــي الظلمـــاء يُلـــتمس المنـــار

تحمّلـــتِ الكثيـــر مـــن المآســـي ... ولـــم يقمـــعْ إرادتهـــا المَـــرار

دعينـــي أســـأل الأيـــام عنهـــا ... بـــدمع قـــد يصـــاحبه انهمـــار

ونبـــرة مُثكـــل بفـــراق إلـــفٍ ... وتبكـــي الـــدوحُ إن رحـــل الهَـــزار

فكـــم طرحـــتْ عوارفهـــا علينـــا! ... لـــذا طـــاب التعامـــلُ والجـــوار

وكـــم بـــذلت خيـــوراً لـــيس تحصـــى! ... وكـــان لهـــا مـــع البـــذل اصـــطبار

وكـــم منحـــتْ بـــلا مَـــنّ عطايـــا ... يشـــكُ العقـــل فيهـــا ، أو يحـــار!

وكـــم حلمـــتْ إذا مـــا نيـــل منهـــا ... أو احتـــدم التخاصـــمُ والشـــجار!

وكـــم فرشـــتْ مَحجتهـــا مِهـــاداً ... إذا اشـــتعل الجـــدالُ أو الحـــوار!

وكـــم ربحـــتْ بفطنتهـــا كثيـــراً! ... ويلحـــق بالمغالطـــة الخســـار

وكـــم كســـبتْ بتقواهـــا قلوبـــاً! ولـــم يجـــرحْ تعبّـــدها اغتـــرار

ومـــا انتصـــرتْ لـــنفس فـــي نـــزال ولكـــنْ للعقيـــدة الانتصـــار

فرحمـــة ربنـــا المـــولى عليهـــا إذا مـــا دام ليـــلٌ أو نهـــار

وأســـكنها المليـــكُ جنـــانَ خلـــدٍ يُجاورهـــا الميـــامينُ الخِيـــار

فيـــا هنـــد اخلفيهـــا ، واســـتجيبي لـــدعوة مـــن إليـــه بـــك افتقـــار

تعـــاليْ أدركـــي مـــا نحـــن فيـــه مـــن الآهـــاتِ يشـــفعُها الجـــؤار

أخاطـــبُ فيـــك قلبـــاً فيـــه نُبـــلٌ فـــلا يهتـــكْ براءتـــه الكِبـــار

هبينـــي مـــا طلبتـــك لـــي عروســـاً ولـــم يـــكُ لـــي بمـــا أبغـــي انكســـار

أليســـت خالـــة الأولاد أولـــى؟ وعُـــرفُ النـــاس يصـــحبه اشـــتهار

ألا فلتســـألي ، ولتستشـــيري فمـــا نـــدمَ الأنـــام إذا استشـــاروا

وربَّ النـــاس يـــا هنـــد اســـتخيري فمـــا خـــاب التقـــاة إذا اســـتخاروا

وصُـــوني الـــودّ ، وارضَـــيْ بـــي حلـــيلاً لأن الـــرفضَ منـــك هـــو الضِـــرار

همـــا هـــدفان فـــي لقيـــاكِ زوجـــاً بكـــلِّ ســـوف يعتـــدل المســـار

أحبـــكِ لـــيس إشـــفاقاً ، ولكـــنْ محبـــة عاشـــق ، والختـــلُ عـــار

وأجعـــل منـــكِ لـــلأولاد أمّـــاً فـــإن زواج غيـــرك الانتحـــار

يمـــين الله قـــد بينـــتُ قصـــدي ولـــيس علـــى الـــذي أنـــوي غبـــار

وأنتظـــر الإجابـــة منـــكِ عَجلـــى وكـــم ذبـــح المتـــيَّم الانتظـــار!

ووفقـــكِ المليـــكُ لكـــل خيـــر وصـــاحبكِ الســـلامُ والازدهـــار

ومِـــن قلبـــي أزفّ لـــكِ التحايـــا ويبعـــث ـ بالســـلام ـ لـــك الصـــغار

كما تدين تدان

(اعتادت هذه الزوجة على النيل من أم زوجها ، وكانت تلك الأم التي عقها كل أبنائها إلا زوج هذه النائلة من أم زوجها ، قد ألفتِ هذا العقوق منهم. إلا أن هذه الزوجة تفننتْ في أساليب الكيد والتشفي والانتقام من حَماتها إمعاناً منها في زيادة الأمرعليها مستغلة في ذلك عقوق أبنائها لها. إلى أن التقت هذه الزوجة بامرأة مؤمنة عاقلة حصيفة ، وعظتها بسؤال في غاية الذكاء والألمعية فقالت لها: هل تحبّين حقا زوجك؟ فأجابت الزوجة: جداً! فقالت: فأحبيها لأنها أنجبتْ لك هذا الزوج وتفضلتْ عليك به. فسألت الزوجة قائلة: وما فضلها؟ فأجابت: لولا أن الله سخرها لزوجك أمّاً لما كان له وجود. واعلمي كذلك أن الدهر يومان ، يوم لك ويوم عليك. ويوماً سوف يُكال لك بذات المِكيال الذي تكلين لأم زوجك به اليوم! فقلت في نفسي سوف أصوغ شعراً تلك النصيحة محتسباً الأجر عند من لا يضيع عنده الأجر – عز وجل -. في تعريفه للتضحية يقول الأستاذ أحمد أمين ما نصه: (في الأمّة التي تسودها التضحية كل أفرادها أقرباء ، وفي الأمة التي تسودها الأنانية كل أفرادها غرباء. لا تكون التضحية حتى يتعود القلب لذة العطاء كما يتعود لذة الأخذ ، ولذة أن الناس يجدّون ويسعدون ، كما يتعود أن يتلذذ من أن يجد ويسعد. التضحية إرادة القوي ، ليقوى ، وإرادة الضعيف ، ليتخلى عن ضعفه ، هي حجر المِسَنّ تشحذ عليه الإرادة ؛ لتقطع الصعاب وتجتاز العقاب. التضحية أشرف الطرق تسير فيه الأمة لتحقيق ذاتيتها ، وأنبل السبل تسير فيه الإنسانية ؛ لتبلغ غايتها ، وبدونها يصبح الإنسان حجراً لا روح فيه ، أو بهيماً يعيش ؛ ليأكل. فالتضحية أفق واسع تنعم فيه النفس بجمال السعة ، وبُعد المدى ، وجلال اللانهاية. والأنانية أفق ضيق تألم فيه النفس بضيق المكان ، وتنقبض فيه من كثرة السدود والحدود. في التضحية حرارة وإيمان يسعد ، وفي الأنانية جمود بارد وإلحاد مقبض. في التضحية حياة كلية شاملة وفناء النفس فيما حولها ومن حولها ، وفي الأنانية حياة جزئية محصورة ، ودوران النفس حول ذاتها في خمود وركود. في التضحية كرم وسماحة ، وفي الأنانية شح وكزازة [وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ]).هـ. فأنشدتُ على لسان الأخت الناصحة المؤمنة هذه القصيدة على بحر الرمل موصياً كل زوجة بأن تحسن لأم زوجها وأهله.)

خففـــي الشـــكوى ، وكـــوني منصـــفة ... أنقـــذينا مـــن ســـياط العجرفـــة

واكظمـــي الغـــيظ ، ولا تســـتكثري ... مـــن أراجيـــف التجنـــي المُقرفـــة

وامحقـــي غلـــكِ ، واجتثـــي اللظـــى ... واهـــدئي نفســـاً ، وكُفـــي السفســـفة

واطرحـــي التزييـــف ، هـــذا واجـــبٌ ... ودعينـــا مـــن ظنـــون مُرجفـــة

واعـــدلي فـــي القـــول والفعـــل معـــاً ... كـــم بلايـــا نـــاورت فيهـــا الشـــفة!

أمّ هـــذا الـــزوج أهـــدتك الفتـــى ... بعـــد مشـــوار الظـــروف المؤســـفة

فـــاذكري الفضـــل لهـــا ، لا تجحـــدي لا تكـــوني فـــي التعـــدّي مســـرفة

وقريهـــا فـــي البرايـــا ، واعلمـــي أن إنصـــاف الـــورى نعـــم الصـــفة!

ســـيدور الكـــأس يومـــاً ، فـــافطني والتجاريـــبُ تزيـــد المعرفـــة

إنـــه الـــدينُ ، فهـــل مـــن عبـــرةٍ تقشـــع الزيـــف ، وتُـــرْدي الزخرفـــة؟

ذات يـــوم ســـتذوقين الـــذي تفتـــرين اليـــوم مـــن ذي الفلســـفة

فـــازرعي اليـــومَ المعـــالي والصـــفا واصـــدُقي حتـــى تكـــوني منصـــفة

إن هـــذي الأم أعطـــتْ ، واكتـــوتْ بعـــذابات العقـــوق المُجحفـــة

فارحميهـــا تكســـبي مرضـــاتها لا يغرنّـــكِ التجنـــي والسَـــفه

والأراجيـــفُ وهـــت أســـبابُها إنهـــا - والله - ليســـت مُســـعفة

راجعـــي نفســـك كـــيلا تنـــدمي واحـــذري صـــحبة زوج مترفـــة

ربمـــا جاءتـــكِ منهـــا فكـــرة أودعـــت قلبـــك حـــب الغطرفـــة

فـــاقبلي نصـــحي ، ولا تســـتكبري كيـــف خانتـــكِ رؤاكِ المرهفـــة؟

كيـــف تـــأتي الكيـــدَ مَـــن تهـــوى العُـــلا؟ دينننـــا التوحيـــدُ قبـــل الملحفـــة

إن ثـــوى الجـــوهر فالشـــكل هـــوى كيـــف تُغنِـــي عـــن لبـــاب أغلفـــة؟

صـــدقيني ، وافقهـــي مـــا قلتـــه لا تســـيري فـــي الـــدروب المُتلفـــة

أكرمـــي أم الحليـــل حِســـبة وافتحـــي قلبـــك قبـــل المضـــيفة

وابـــذلي الخيـــر تكـــوني أهلـــه وافرشـــي التحنـــان قبـــل الأرغفـــة

وأريحيهـــا علـــي مـــا تشـــتهي وإذا مـــا نمـــتِ فـــوق الأرصـــفة

وإذا مـــا أشـــهرت كـــفّ الأذى أو أشـــاحت - تـــارة - بالمجرفـــة

فـــاحلمي حتـــى تنـــالي برّهـــا إنمـــا الحِلـــمُ نجـــادٌ مشـــرفة

ما ضرّ أبا محمد ما فعل بعد اليوم!

(أخِذ على أبي محمد عهدُ الله وميثاقه ، أن يكون رفيقاً أميناً مخلصاً لمسافر معه إلى دار كلٍّ وأن يسلمه وأسرته لأهله هناك. حيث إن الثاني لا يعرف الطريق ، ولا يريد أن يسافر من دولة إلى دولة بأهله وحده كيلا يكون شيطاناً بنص حديثه – صلى الله عليه وسلم -. كما أنه لا يريد المجازفة بالسفر الذي سوف يتعاقب عليه فيه سبع ليال على الأقل. يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخاري من حديث ابن عمر: (لوأن الناس يعلمون من الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده). ويقول فيما رواه أبو داود والترمذي والنسائي:(الراكبُ شيطان ، والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركْب). ومعنى الراكب هنا: (المسافر). فوافق أبو محمد على الشرط. ولكنّ رفيقيه الآخرين قالا له: إن صاحبك يبطيء بنا ، فإما أن تختارنا أو تختاره ، فقال: بل أختاره. وكان الرجل بين اليقظان والنائم يسمع. فقال: ما ضر أبا محمد ما فعل بعد اليوم. وعلم أبو محمد بالقصة وأدرك عزم صاحبه على أن يعمل بمقتضى كلمته التي تعطي أبا محمد الحق في التدلل كيف شاء! ووفى الرجل بكلمته فلم يكن يكثر عِتاب أبي محمد ولا لومه في شيء إلا شيئاً حراماً عنده من الله ورسوله عليه برهان. وكان الآخرون يستشفعون بأبي محمد عند الرجل فكان يقبل شفاعته ويُقدرها. فقلت: لا بد من تمرير ذلك على الشعر ليوثقه ويعطيه قيمته! إنَّ خذلان المسلم لأخيه المسلم أمرٌ تنكره الشريعة ، وإن من حق المسلم على المسلم أن لا يخذله! وهو إن حدث ذريعة لخذلان المسلمين جميعًا حيث تنتشر عدوى الأنانية وحب الذات ، وإيثار الراحة والمصلحة الخاصة على مشاركة الغير آلامهم وآمالهم ، فيكثر التَّنصل من المسؤولية بين المسلمين ، حتى يقضي عليهم أعداؤهم واحدًا تلو الآخر ، فتموت فيهم خلال الإباء ، والشهامة ، ونجدة الملهوف ، وإغاثة المنكوب ، وسوف يجنح المظلوم والضعيف إلى الأعداء طوعاً أو كرهاً ، لما يقع به من ضيم وما يصيبه من خذلان من إخوانه ثم ينزوي بعيداً عنهم، وتنقطع عُرى الأخوة بينه وبين من خذلوه وأسلموه للأعداء.)

ثمـــار المجـــد يحصـــدها الخيـــارُ ... ويغمـــــرُهم برونقـــــه الفخـــــارُ

ويحتفـــلُ الخلـــودُ بمـــن تســـامَوْا ... لأن التضـــــحياتِ لهـــــم شِـــــعار

وبـــين النـــاس يلحقهـــم ســـموٌ ... ويغـــبطهم - علـــى العِـــز - الكِبـــار

وفـــي الـــدنيا لهـــم صـــيتٌ شـــريفٌ ... وبـــأسٌ واحتـــرامٌ واعتبـــار

وســـؤدَدُهم تربَّـــعَ فـــي الثريـــا ... وتَشـــرُف بالمغـــاوير الـــديار

وإنّ رفيـــق رحلتنـــا جـــوادٌ ... وفـــي الأســـفار يحلـــو الاختبـــار

ولـــم أختـــره فـــي ســـفري رفيقـــاً ... فكـــم أدمـــى العـــزائمَ الاختيـــار!

وأبـــــرم الاتفـــــاق أمـــــام قـــــوم ... أتـــوْا واستشـــفعوا ، ثـــم استشـــاروا

وعهـــدَ الله قـــد أخـــذوا علـــيهم! ... ونكـــثُ العهـــد خـــذلانٌ وعـــار

وأعطـــى الصـــحبُ ميثاقـــاً وعهـــداً ... وخلـــفُ العهـــد يعقبـــه الـــدمار

وأخلـــصَ للصـــديق ، ولـــم يـــؤخرْ ... نصـــيحته ، وللنصـــح اضـــطرار

وجـــاد بكـــل عارفـــةٍ لديـــه ... وفـــارق مَـــن علـــى المســـكين جـــاورا

وأعلنهـــا ســـأفديهِ بروحـــي ... ومِـــن فمـــه الأوامـــر والقـــرار

وأخدمُـــه بنفســـي قبـــل عينـــي ... فـــلا يأتيـــه مِـــن سَـــفر ضِـــرار

لتحلـــوَ رحلـــة ملئـــتْ عـــذاباً ... وخالطهـــا التعنـــتُ والمَـــرار

وأبلـــى الشـــهم فـــي الأســـفار هـــذي ... بـــلاءً فيـــه كـــل النـــاس حـــاروا

وكانـــت صـــحبة بلغـــتْ مَـــداها ... وواكبَهـــا الوفـــاءُ والازدهـــار

ومـــا ردّ الجميـــل ســـوى بعُشـــر ... وعافـــاني - عـــن البـــذل - اعتـــذار

لـــذا مُـــنحَ الأصـــيلُ وســـام فخـــر ... وبالنجبـــاء يجْـــدرُ الافتخـــار

كمـــا مُـــنح الكرامـــة أهـــلُ بـــدر ... لـــذلك مـــنهمُ الأصـــحابُ غـــاروا

وذو النـــورين قـــد مُـــنح المعـــالي ... ولـــيس ينالـــه أبـــداً خســـار

لـــذلك قلـــت: فـــي حِـــلٍّ صـــديقي ... مـــن الـــزلات يوجـــدها الحـــوار

وأي النـــاس لـــيس لـــه عيـــوبٌ؟ ... وأي النـــاس زايلـــة العَـــوار؟

فمهمـــا كـــان مـــن خطـــأ ســـأعفو ... لأن العفـــوَ يبذلـــه الخِيـــار

وإنـــي قـــد وعـــدت الخِـــل وعـــداً ... ومـــا لـــي مـــن صـــدى وعـــدي فـــرار

ألا افعـــلْ مـــا بـــدا لـــك يـــا خليلـــي ... فبعـــد اليـــوم هـــذا لا تضـــار

الكرمُ يجري من الكرماء مجرى الدم

(شهد النبي - صلى الله عليه وسلم - لهذا الكريم ، على شِركه ، بأنه كان يحب مكارم الأخلاق. بل وأمر بإطلاق سراح ابنته (سفانة) لما كانت أسيرة ، (هذا على فرض صحة الحديث)! إنه حاتم الطائي. تحكي امرأة حاتم أنه قد أصابهم فاقة وجدب. وأمسوْا هي وزوجها والصبيان عدي وعبد الله والصبيَّة سفانة يتضاوون من الجوع حيث لا طعام. ولما جن الليل ، ونام الكل إذا بالخباء تأتيه امرأة تحمل ولدين ، وخلفها يسيرأربعة ، تسأل حاتماً طعاماً ، وكانت جارته. ولما لم يجد شيئاً قام إلى فرسه ، فذبحها وشواها ، ثم أطعم المرأة والحي بأسره وأكل أهل بيته. ولم يطعم هو شيئاً بشهادة امرأته (ماوية). ألا إن الكرم سجية وطبيعة. وأكاد أقطع بأن الجود والكرم لا يذهبان بما عند الكريم من أسباب الجود من مال أو عرض الدنيا ، وعندنا تصديق ذلك (ما نقص مال من صدقة). وصدق ابن أبي طالب - رضي الله عنه - إذ قال:

إذا جـــادتِ الـــدنيا عليـــك ، فجُـــدْ بهـــا علـــى النـــاس طـــراً ، إنهـــا تتقلـــبُ

فـــلا الجـــودُ يُفنيهـــا إذا هـــيَ أقبلـــتْ ولا البخـــلُ يُبقيهـــا إذا هـــي تـــذهب

وصدق أبو ماضي إذ يقول في تينته الحمقاء مبيناً وجوب الاتصاف بالجود والتحلي بالكرم:-

مـــن لـــيس يســـخو بمـــا تســـخو الحيـــاة بـــه فإنـــــه أحمـــــقٌ ، بـــــالحرص ينتحـــــرُ

وصدق جبران خليل جبران حيث يقول:- (ليس السخاء بأن تعطيني ما أنا في حاجةٍ إليه أكثر منك بل السخاء بأن تعطيني ما أنت في حاجة إليه أكثر مني). وصدق الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – حيث يقول: (من جاد ساد ، ومن بخل رذل ، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه ، وإن أعفى الناس من أعفى عن قدرة). وجاء رجل من أهل الشام فقال: دلوني على صفوان بن سليم ، فإني رأيته دخل الجنة. فقلت: بأي شيء؟ فقالوا: بقميص كساه إنساناً. فسئل صفوان عن قصة القميص ، فقال: خرجت من المسجد في ليلة باردة وإذا برجل عار فنزعتُ قميصي فكسوته. ذكر الخطيب البغدادي ، عن شيخ قال: حضرت يوم الجمعة المسجد الجامع بمدينة المنصور ، فرأيت رجلاً بين يديّ في الصف حسن الوقار ظاهر الخشوع دائم الصلاة ، لم يزل يتنفل مذ دخل المسجد إلى أن قرب قيام الصلاة ، ثم جلس. فقال: فغلبتني هيبته ، ودخلت قلبي محبته ، ثم أقيمت الصلاة ، فلم يصل مع الناس الجمعة ، فكبُر عليَّ ذلك من أمره ، وتعجبتُ من حاله ، وغاظني فعله ، فلما قضيت الصلاة ، وتقدمت إليه وقلت: أيها الرجل! ما رأيت عجب من أمرك أطلت النافلة وأحسنتها ، وتركت الفريضة وضيعتها! فقال: يا هذا ، إن لي عذرًا وبي عِلة منعتني من الصلاة. قلت: وما هي؟ قال: أنا رجل على دَين ، اختفيت في منزلي مدة بسببه ، ثم حضرت اليوم الجامع للصلاة ، فقبل أن تقام التفت فرأيت صاحب الدين ، فمن خوفه أحدثت في ثيابي ، فهذا خبري ، فأسألك بالله إلا سترت عليَّ وكتمت أمري. فقلت: ومن الذي له عليك الدين؟ قال: دعلج بن أحمد. وكان إلى جانبه صاحب لدعلج قد صلى وهو لا يعرفه ، فسمع هذا القول ، ومضى في الوقت إلى دعلج ، فذكر له القصة. فقال دعلج: امض إلى الرجل واحمله إلى الحمّام ،

واطرح عليه خلعة من ثيابي ، وأجلسه في منزلي حتى أنصرف من الجامع. ففعل الرجل ذلك ، فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأحضر ، وأكل هو والرجل ، ثم أخرج حسابه ، فنظر فيه فإذا له عليه خمسة آلاف درهم. فقال له: انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نسي لك نقد. فقال الرجل: لا. فضرب دعلج على حسابه ، وكتب تحته علامة الوفاء ، ثم أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم ، وقال له: أما الحساب الأول فقد حاللناك مما بيننا وبينك فيه ، وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف درهم ، وتجعلنا في حِل من الروعة التي دخلت قلبك برؤيتك إيانا في مسجد الجامع. وقال عبد الله بن وهب المصري: كان حيوة بن شريح يأخذ عطاءه في كل سنة ستين دينارًا. قال: وكان إذا أخذه ؛ لم يطلع إلى منزله حتى يتصدق به. قال: ثم يجيء إلى منزله فيجدها تحت فراشه. قال: وكان له ابن عم ، فلما بلغه ذلك أخذ عطاءه فتصدق به ، ثم جاء يطلبه تحت فراشه ، فلم يجد شيئاً. قال: فشكا إلى حيوة. فقال حيوة: أنا أعطيت ربي بيقين ، وأنت أعطيت ربك تجربة. فأنشدت:)

إنـــي أرى الجُـــودَ - بـــين النـــاس - مأنوســـا ... وأهلـــه - فـــي الـــورى - ليســـوا مفاليســـا

يســـــعى الكـــــريمُ وأفـــــواجٌ تتابعُـــــه ... وحقـــه - فـــي البرايـــا - لـــيس مبخوســـا

والنـــاسُ أحبـــابُ مَـــن يجـــود محتســـباً ... وقـــد غـــدا بذلـــه فـــي الخلـــق ملموســـا

تجـــري المـــروءة فـــي جُـــل العـــروق دمـــاً ... تزيـــل حرصـــاً مـــن النفـــوس منكوســـا

لـــــذاك نـــــال الكِـــــرامُ المجـــــدَ أجمعَـــــه ... وأصـــبحوا فـــي الأنـــام العِليـــة الشوســـا

والممســـــكون علـــــى أمـــــوالهم نـــــدموا ... والشـــــحُ يـــــورث إتلافـــــاً وتفليســـــا

إذ الأشـــــحَّة فـــــي أطمـــــاعهم حُبســـــوا ... وأصـــــبحوا بعـــــدما ضـــــنوا متاعيســـــا

لـــم يرفـــع البخـــل أقوامـــاً ، ولـــو ملكـــوا ... مـــالَ الـــدنا كلـــه والأرضَ والعِيســـا

ولا يقـــــدّس فـــــذ غيـــــر خالقِـــــه ... والبُلـــه قـــد قدّســـوا الأمـــوال تقديســـا

ولـــــيس يمنـــــع معطـــــاءٌ تفضـــــله ... بـــل جـــودُه جـــودُ مـــن لا يشـــتكي البوســـا

ويقتـــــل الحـــــرصُ أقوامـــــاً تعظمـــــه ... والشـــح يأســـر فـــي الـــدنيا المناحيســـا

مفارقة

(عجبتُ لرجل عندما يستمع إلى سيرة الفاروق عمر يبكي وينتحب ، وفي شئون حياته هو من أشد الناس ظلماً لنفسه وللآخرين. وعاش يردد: إذا ذكر عمر ذكر العدل. وأسأل: أين العدل منك؟ وأين أنت من العدل؟ ألا إنها مفارقة عجيبة؟ الاقتداء بعمر يكون بالعمل بما أسِرَ عنه من الهدى الرباني النبوي. ولا يسعد عمراً لو كان حياً بيننا كمسلمين أن يجد الناس يروون أو يكتبون سيرته لا ينقصون منها خبراً ، وقد خالفوا عن كل ما جاء في سيرته العطرة من الخير والعدل والإنصاف. بل يسعد عمراً أن يرى الأمة قد عملت بعدله ، وأقامته بين الناس ابتغاء وجه الله تعالى. فقمتُ بإنشاد هذه القصيدة لأعبّر فيها عن هذه المفارقة العجيبة.)

مفارقـــــــة يُواكبُهـــــا عقـــــوقُ ... ومَخبثـــــــة يُســـــاجلها مُـــــروقُ

فهـــل يغـــري التنـــاقضُ ذا صـــواب؟ ... ليســـــلب عقلـــــه خِـــــبٌ لبيـــــق

وكـــم مـــن هـــازل يُبـــدي التســـامي ... ويلـــبس - للتشـــامخ - مـــا يليـــق!

ليخـــــدع كـــــل منتصـــــتٍ إليـــــهِ ... فيـــــا ليـــــت المُخـــــادع يســـــتفيق

يُحـــب العـــدل ، لكـــنْ لـــيس عـــدلاً ... وبـــين يديـــه كـــم نُهبـــتْ حقـــوق!

ولـــم يُرجـــعْ - لأهـــل الحـــق - شـــيئاً ... ولـــــو ذكـــــروا المظـــــالم لا يطيـــــق

فقـــد رضـــي العنـــادَ - لـــه - طريقـــاً ... ألا خـــــاب المعانـــــد والطريـــــق!

وكـــم نصِـــح الظلـــومُ ، ولـــم يراجـــعْ ... ضـــميراً مـــات ، ســـربلهُ الفســـوق!

وكـــم وُعـــظ الجهـــولُ ، ولا اعتبـــارٌ! ... وإن رُدودَهُ ســـــــــيفٌ ذليـــــــــق

وقاطعـــــه الكـــــرامُ فشـــــن حربـــــاً ... وكـــان لـــه - علـــى الســـوآى - فريـــق

وأفحـــشَ فـــي الكـــلام بـــدون حـــق ... ويومـــــاً - مـــــن بذاءتـــــه - يـــــذوق

وعُصـــــبته أعانتـــــه انتقامـــــاً ... ويومـــــاً مَكـــــرُهُ بهـــــمُ يحيـــــق

ألا يـــــا ظالمـــــاً (عمـــــرٌ) بـــــريءٌ ... وأنـــت بظلـــم مَـــن غلبـــوا خليـــق

ولا تقـــل الـــذي لـــم تـــأتِ يومـــاً ... فهـــذا الأمـــرُ مَقـــتٌ ، بـــل عقـــوق

عنوسة

(اكتفت هذه الجاهلة باتخاذ الأخدان عن أن تتزوج. وزين لها الشيطان سوء عملها. فعزفتْ عن الزواج تماماً ، وأوغلت في العنوسة. بل وراحت تدعو الأخريات إليها ، وتفتي بأنها أحلى الحلول وأنجعها في الحياة. والحقيقة المُرة التي ينبغي أن تعلمها هذه الحمقاء ومن على شاكلتها أن الزواج سنة الله التي فطر الناس عليها. والله هو الذي خلق ، وهو سبحانه يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير. فلا سبيل لإرواء الغريزة وكبح جماح الشهوة إلا بالزواج الذي هو شعيرة من شعائر الإسلام وركيزة من ركائزه ، لإقامة مجتمع نقي يؤمن بالله واليوم الآخر. مجتمع ليست تطغى فيه الشهوة على الحكمة والعقل. فكتبتُ لهذه الداعية إلى العنوسة من البسيط.)

هـــل ذلـــك الـــرأيُ يـــا حمقـــاءُ مـــدروسُ؟ أم أنـــه الجهـــلُ قـــد أمـــلاهُ قســـيسُ؟

أصـــبحتِ راهبـــة تفتـــين فـــي وضـــح مـــن بعـــد مـــا طـــاب إضـــرابٌ وتعنـــيس

وكيـــف تفتـــين يـــا حمقـــا خزعبلـــة؟ فهـــل أتـــاكِ بمـــا أفتيـــت نـــاموس؟

هـــل اتخـــاذكِ – للأخـــدان - منقبـــة؟ أم أنـــه سَـــفهٌ يُـــزري وتجـــريس؟

هـــل اكتفـــاؤكِ - بالعُشـــاق - مصـــلحة بهـــا تحقـــق - للحمقـــاء - تنفـــيس؟

إن اتباعـــك للشـــيطان مفســـدةٌ وشـــؤمها - رغـــم مـــا تفتـــين - ملمـــوس

ونفســـكِ اليـــوم تهـــوى كـــل معصـــية وصِـــيتك اليـــوم قـــد أرداه تـــدنيس

ألا تحســـين بـــالأقوال لائكـــة عِرضـــاً تســـلى بـــه - فـــي النـــاس - إبلـــيس

ألـــيس يخطـــف ناظريـــكِ - منـــكِ - فتـــى بـــه أبـــوه - أمـــام النـــاس - مـــأنوس

ألا تغـــارين مـــن أم بُنيَّتهـــا لهـــا حنـــانٌ - مـــن الجميـــع - محســـوس

وإن بكـــتْ وجـــدتْ مَـــن يســـتجيب لهـــا ومَهـــدُها - فـــي عيـــون الأهـــل - محـــروس

تزوّجـــي إن أردتِ العـــيش فـــي مـــرح مـــن قبـــل أن يُـــدرك القـــوامَ تقـــويس

تزوّجـــي ، إننـــي نصـــحتُ محتســـباً ولا تقـــولي لنـــا: النصـــيبُ منحـــوس!

يُعـــينُ ربـــك مـــن تســـعى لعفتهـــا فـــلا تعرقـــل مـــا تنـــوي العتـــاريس

بورك فيكِ

(اعتاد ابنها (زكي) أن يعزم أصحابه الشرفاء في البيت. ولأنه الابن الأكبر ، وقد أخذ مكان أبيه بعد وفاته فكانت أمه تثق فيه ، وتدرّبه على الرجولة وتتعهده كثيراً. وذات يوم لاحظتِ الأم تعلق ابنتها بأحد أصحاب أخيها من الصالحين وتعلق الفتى بها. فعرضتْ عليه الزواج من ابنتها. وأنفقتْ من مالها وزوّجتهما. وكأني بها تستحضر حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما استفتي في التخيير بين رجلين كل منهما يريد الزواج من ذات الفتاة فقال: (زوّجوها بمن تحب ، ليس للمتحابيْن إلا الزواج!). فقلت لها: بورك فيك. وجنبت الأم الحكيمة ابنتها وصديق ابنها مهاوي العشق ومنعطفات الهوى وخطوات الشيطان ، ضاربة المثل الأعلى في التسامح والنظرة المستقبلية الرزينة ، تلك التي يعجز عنها كثير من الرجال ذوي الشوارب المبرّمة والذين يتصدرون المجالس! كما أنها رفعت من قدر ولدها الذي أعطته مكان أبيه في القوامة على البيت وساكنيه! ولمّا كنتُ واحداً من رفاق ذلك الابن ، فكأنني أحكي ذلك نثراً وشعراً بالرواية الذاتية. إذ إنني كنتُ أرقب ذلك كله عن كثب. وأثمر الزواج وكان له من ابنتها الأولاد والبنات. فرأيتُ بعد حين وعندما تذكرت جزءاً من ذلك الماضي الذي وددت لو عاد بأفراحه وأتراحه ، رأيت أن أصوغ تهنئتي لها ولابنتها شعراً. فلم تراع الأم أنه صعيدي ولا عشيرة له ولا قوم هنا! يقول أبو فيصل البدراني عن العصبية القبلية ما نصه: (في البداية يقول لوط ـ عليه السلام ـ كما أخبر الله تعالى عنه: "قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ" ، مسألة مهمة ينبغي التطرق لها بوسطية ، وهي أن القومية وروابط وأواصر النسب ربما انتفع بها المسلم بل قد ينتفع بها الكافر ، وقد تكون محمودة ما لم يخرج ذلك إلى تجاوز حدود ولاء المؤمنين والبراء من الكافرين ، كأن تقدم على أواصر الدين ورباط التقوى ، فإذا لم تتجاوز الحد وكانت خاضعة للرابطة الإسلامية وعرى العقيدة ، فلا إشكال وإنما الإشكال في استبدالها بها ، وعلى كل حال تظل لأواصر النسب والصلة فائدتها وأثرها حتى بين الكفار. قال الشيخ محمد الأمين في معرض نقده المتين للقومية العربية أثناء تفسير الآية التاسعة من سورة الإسراء: "نفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب. وقد بين الله جلَّ وعلا أن عطف ذلك العم الكافر على نبيه صلى الله عليه وسلم من منن الله عليه. قال تعالى: "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى". أي آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب. وقد نفع الله بتلك العصبية النسبية شعيباً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كما قال تعالى عن قومه: "قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ". ونفع الله بها نبيه صالحاً أيضاً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. كما أشار تعالى لذلك بقوله: "قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ". فقد دلت الآية على أنهم يخافون من أولياء صالح ، ولذلك لم يفكروا أن يفعلوا به سوءً إلا ليلاً خفية. وقد عزموا أنهم إن فعلوا به ذلك أنكروا وحلفوا لأوليائه أنهم ما حضروا ما وقع بصالح خوفاً منهم. ولما كان لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لا عصبة له في قومه ظهر فيه أثر ذلك حتى قال: "لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ".اهـ. ومن الضروري أن تكون هذه الوحدة القبلية دائرة في فلك الوحدة الإسلامية الكبرى ومغذية لها ، وعند أي تعارض بين الوحدتين تقدم الوحدة الكبرى ومصالحها على الوحدة الصغرى ، ولعل تحقيق هذه الوحدة القبلية

الصغرى بهذا الفهم من الأسباب التي لأجلها أمر الإسلام بصِلة الأرحام وقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يصل ذوي رحمه وأقاربه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، وقد جعل الإسلام كثيراً من الأحكام تتعلق بالعشيرة مثل الميراث والعقل وغيرها. ومما يجب على المسلم أن يتجنب من سلبيات القبلية التفاخر بالأنساب فقد قال النبي: "لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أحقر عند الله من الجُعلان". وفي تصفّح لذاكرة التأريخ – لا سيّما عصر صدر الإسلام ، وخصوصاً مع سيّد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم – نجد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أرفعَ الناس قد تزوّج بزينب بنت جحش بعد مولاه زيد ، بل هو الذي زوّجها بزيد من قبل رغم أنها قرشيّة وأمها هاشميّة ، وأشار النبي لفاطمة بنت قيس القرشيّة أن تقبل بنكاح أسامة بن زيد الذي قد استفاض أنه وأباه من الموالي ولا أحد أنصح لفاطمة من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وفي الحديث: «يا بني بياضة أنْكِحُوا أبا هندٍ وأنْكِحُوا إليه». رواه أبو داود. وأبو هند كان حجّاماً وبنو بياضة أسرة من أسر الأنصار وهم أزديّون من أشرف العرب).هـ.)

أم الفتـــــى خيـــــرٌ رؤىً ومُيـــــولا ... إذ كمّلـــــتْ معروفهـــــا تكمـــــيلا

ضـمَّت - إلـى الحِـب - الحبيبـة تبتغـي ... عنـــد الجليـــل مثوبـــة وقبـــولا

لـــم تـــرض إلا بـــالزواج لعاشـــق ... حتـــى يُقـــيم - علـــى الغـــرام - دلـــيلا

لمـــا رأت لهفـــى يطيـــر صـــوابُها ... وفؤادُهـــا يســـتقبل البُهلـــولا

قـــرأتْ علـــى الفـــور المســـائلَ وحـــدها ... ثـــم انبـــرتْ تســـتقرئُ المجهـــولا

قالـــت: أزوّج مـــن يـــداعبها الهـــوى ... أنـــا لســـتُ أرجـــو بـــالزواج بـــديلا

وأمـــدَّ كفـــاً - بالعطـــاء - رضـــيّة ... لتكـــون - فـــي بَســـط الجمائـــل - طـــولى

مـــا ضـــرّني أن قيـــل: أرخصـــتِ ابنـــة ... كانـــت تُـــرى بـــين البنـــات الأولـــى

مـــا فـــتّ - فـــي عضُـــدي - تطـــاولُ حاقـــدٍ ... أن قـــال: عقلـــي قـــد غـــدا مخبـــولا

مـــا عـــاقني عمـــا نويـــتُ مُخـــذلٌ ... أمســـى يُخـــذل همتـــي تخـــذيلا

مـــا ردنـــي عمـــا عزمـــتُ مجـــادلٌ ... يزجـــي الهـــراءَ ، ويقـــذف التضـــليلا

بوركـــتِ يـــا أم الفتـــى مِـــن فـــذةٍ ... قـــد نفـــذتْ مـــا وافـــق التنـــزيلا

يـــا رب باركْهـــا ، وأعظـــمْ أجرهـــا ... واجـــز الكريمـــة بالجميـــل جمـــيلا

رويدك يا أنجشة

(إن هذا العنوان هو جزء من حديث للنبي - صلى الله عليه وسلم - رواه البخاري ومسلم ، وعنون له ابن القيم في زاد المعاد بـ (فصل في حُداته الذين كانوا يحْدون بين يديه - صلى الله عليه وسلم - فى السفر). وإذن فلا حرج أن يكون حُداء بالشعر ، وأن يؤخذ بلحن حسن وأداء جميل. وذلك لأنه أجيز في القرآن والآذان. وقال ابن عبد ربه فى العقد الفريد ج7 ، ج 4 صـ 5 ما نصه: (فإذا كانت الألحان فعلاً مكروهة ، فالقرآن والآذان أحق بالتنزيه عنها. وإن كانت غير مكروهة فالشعرأحوج إليها ، فإقامة الوزن وإخراجه عن حد الخبر. وإلا فما الفرق بين أن ينشد الرجل بيتاً من االشعر وقد رتله ترتيلاً؟ وأن يرفع به صوته مرتجلاً؟ وإنما جعلت العرب الشعر موزوناً لمد الصوت فيه. ولولا ذلك لكان الشعر الذي هو منظوم كالخبرالمنثور). والحُداء كما عرّفه صاحب (بستان الأناشيد) ص 16: (هو في أصله من الشعر الملحن ، وكثيراً ما يستخدمه الركبان في أسفارهم وترحالهم ، ويسمى القائم بالحداء (حادياً) أو(شادياً) وهوالشخص الذي يحدو ويشدو بالنشيد). والحقيقة الثابته في السنة أن النبي – صلى الله عليه وسلم - كان له حُداة يحدون بين يديه في السفر ، ومنهم عبد الله بن رواحة وأنجشة وعامر بن الأكوع وعمه سلمة بن الأكوع. وكان لرسول الله – صلى الله عليه وسلم - حادٍ حسن الصوت ، كان يترنم بأبيات وهو يسوق الإبل وعلى ظهرها زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – فخشي النبي على نسائه أن يصيبهن مكروه من سرعة الركب وهن على الهودج ، فقال لحاديه: رويداً يا أنجشة ، لا تكسر القوارير. وهنا القوارير تعني زوجاته أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن -. والبعض ينكرون الأناشيد سواء كانت بأصوات فردية أو حتى جماعية ، واعتبروا ذلك بدعة منكرة. والثابت الصحيح أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - كان يستنشد حسان بن ثابت من الشعر ، ويستنشد الخنساء كذلك. وهناك في صحيح البخاري باب الجهاد والسير في قصة الخندق قال لهم الرسول: اللهم لا عيش لي إلا عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة. فقالوا مجيبين لنبيهم - صلى الله عليه وسلم -: (نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا) ، وكان للصحابة مجالس شعرية. ومن ذلك ما أورده ابن أبي شيبة في مصنفه عن حسن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: لم يكن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منحرفين ولا متماوتين ، وكانوا يتناشدون الأشعار في مجالسهم ، وينكرون أمر جاهليتهم. أقول: إذن فالذين حرموا الأناشيد مطلقاً في ظني - والله أعلم – قد جانبهم الصواب. حيث إن الحُداء كان معروفاً في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم - ولو كان أحبابنا عنوْا بالتحريم الأناشيد التي يتميّع مؤدوها للحد الذي يصيبون به من يستمع إليهم بالتميّع ، أو يصطحبون معها الآلات والمعازف والموسيقى لكانوا على حق. ولكنّ فتواهم لم تستثن أهل البديل الإنشادي الإسلامي على منهج الإسلام كتابا وسُنة. ويطلون من مشربية حُداة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمثال أنجشة. وأخشى أن يأخذ بفتواهم أناس فيكونون قد حرموا أنفسهم من متعة الحداء الإنشادي الإسلامي العظيم ، الذي هو البديل الشرعي للأغاني والموسيقى ، والثابت جوازه في دين الإسلام. حيث إن الثابت في السنة النبوية أن مثل هذه الأناشيد الحدائية التي كانت تنشد وتؤدي بين يدي النبي ، ولم ينكرها. كما أنها كانت تؤدى في الأفراح والأعراس والجهاد ، بل والأسفار. وإذن فالأصل إباحة الحداء

والنشيد ، مادام ملتزماً بأدب الأداء وأدب الكلمة وأدب اللحن. فإذا خلا من مثل هذا الأداء المتميع المتخنث المعروف عند بعض المنشدين اليوم ، ومحاكاة أهل الفحش والعهر والإسفاف والرذيلة والإباحية ، وخلا اللحن من الموسيقى فيما عدا الدف بغير جلاجل ، فالأصل الإباحة. ومن أراد التفصيل في إباحة الإسلام للدف ، فليطالع قصيدتنا (أفتوا بحِل الدف يا أعلام) ، تلك التي فصلت الأمر تفصيلاً ، وبينت قوة أدلة المبيحين وضعف أدلة المحرِّمين. وتأتي هذه القصيدة امتداداً لتلك المسألة بين الفريقين! وعن أحكام الدف يقول الدكتور عبد الرحمن بن أحمد الجرعي ما نصه: (هذا بحث بعنوان (أحكام الدُف في الفقه الإسلامي) جمعتُ فيه أهم الأحكام المتعلقة بالدُف خاصة ما تمس إليه الحاجة في هذا الوقت ، وإنما اخترت بحث (الدُف) من بين الآلات التي يضرب بها ، لكثرة النصوص فيه ، وقوة الخلاف فيه ، ومسيس الحاجة إلى بيان أحكامه خاصة مع اتساع المشاركة الفاعلة من قبل أهل الخير والصلاح في البرامج الإعلامية واشتمال كثير منها على بعض الإيقاعات التي يستخدم فيها الدُف وقد هدفت من هذا البحث إلى بيان أقوال العلماء وخلافهم في مثل هذه القضايا حتى تتسع الصدور ويُعلم أن أكثر المسائل في هذا الباب خلافية ، فلا يُثرّب على مقلِّد لغيره أو مجتهد طالما كانت المسألة من مسائل الاجتهاد. ونسأل: ما هو الدف؟ الدف لغة: هو الذي يلعب به والجمع دفوف. والدف والدفّة: الجنب من كل شيء. يقال: دفّ الطائر يدف دفاً ودفيفاً: ضرب جنبيه بجناحيه. وقد عرّفه بعض الفقهاء بالطار أو الغربال وهو المغشى بجلد من جهة واحدة ، سمي بذلك لتدفيف الأصابع عليه. وقال بعض المالكية الدف هو: المغشى من جهة واحدة إذا لم يكن فيه أوتار ولا جرس. وقال غيرهم: ولو كان فيه أوتار ولأنه لا يباشرها بالقرع بالأصابع. وقد يكون له جلاجل أو صراصر أو حِلق من نحاس أو غيرها توضع في خروق تفتح لها في جوانب الدف. ونسأل: ما هي المعازف؟ المعازف هي: الملاهي واحدها: معزف ومعزفة ، وإذا أرد المعزف فهو ضرب من الطنابير ويتخذه أهل اليمن وغيرهم وعزف الدفّ صوته. والعزف: اللعب بالمعزف وهي الدفوف وغيرها مما يضرب. وكل لعب عزف والعازف: اللاعب بها والمغني. والعزيف صوت الرمال إذا هبت بها الرياح. وعزف الرياح: أصواتها. وعزيف الجن: جرس أصواتها. وسحاب عزّاف: يّسمع منه عزيف الرعد وهو دويّه. ومما سبق يتبين أن لفظ المعازف تطلق على: الملاهي ويطلق العزف على اللعب والغناء ، وأصوات الرمال والجن والسحاب. وأما عن تعريف المعازف اصطلاحاً: فهي عبارة عن أصوات مقطعة موزونة تحدث بواسطة آلات صنعت من الجمادات ، سواء كانت بالقرع أو النفخ أو العزف عليها ، ولها لذة عند سماعها. وقيل: أصوات ، لأن ما يصدر عن الآلات أو الجمادات لا يعتبر كلاماً وإنما أصوات. وقيل: موزونة ، لتفترق عن الضوضاء والأصوات المتجمعة بطريقة عشوائية. وتحدث هذه الأصوات بواسطة آلات العزف واللعب بها بطريقة فنية معينة مختلفة. ونسأل: ما مدى دخول الدف في مسمى المعازف شرعاً؟ إن المعنى اللغوي للمعازف يدخل جميع آلات العزف القديمة والحديثة وسماعها في جميع الأحوال وعلى جميع الهيئات. وقد سبق في معنى العزف والمعازف في اللغة أنها تشتمل على الملاهي واللعب والغناء والكثير من الأصوات ، فهو معنى واسع يشمل أصواتا كثيرة ، لكن الشأن في المعنى الشرعي المراد بالمعازف التي ورد فيها النهي في قوله صلى الله عليه وسلم: "يكون من أمتي أقوام يستحلون الحِر والحرير والخمر والمعازف". هل يدخل فيها – أي في المعازف – الدف

فيكون استثناءه بالنصوص من قبيل استثناء الخاص من العام فيبقى فيما عدا الاستثناء على أصل المنع أم أن الدف لا يدخل في إطلاق لفظ المعازف المنهي عنها أصلاً؟ هذه المسألة جرى فيها الخلاف وسنعرض له في فصل حكم الضرب بالدف في غير العرس. فما حكم الضرب بالدف في الأعراس؟ لقد اتفق الفقهاء رحمهم الله على جواز الضرب بالدف وسماعه في الأعراس. واستدل الفقهاء – رحمهم الله – على جواز الضرب بالدف وسماعه في الأعراس بما يلي: * قوله صلى الله عليه وسلم: "فصل ما بين الحلال والحرام الدف ، والصوت في النكاح". ووجه الدلالة من هذا الحديث: أنه صلى الله عليه وسلم جعل ضرب الدف في النكاح وما يلحق به من إشهار النكاح بين الناس ، جعل ذلك فارقاً بين هذا النكاح المشروع وبين السفاح الذي حرمه الشارع لخفائه وعدم إعلانه ، وهذا من أوضح الأدلة على مشروعيته. * ما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال". والغربال: الدف. كما مر في تعريف الدُف. ووجه الدلالة من هذا الحديث: أمره صلى الله عليه وسلم بالضرب بالدف (الغربال) إظهاراً للنكاح وإشهاراً لأمره. فيكون ذلك دليلاً على مشروعية الضرب بالدف في هذا الموضع. * ما روت الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت "جاء النبي صلى الله عليه وسلم يدخل حين بُني عَلّي فجلس على فراش كمجلسك مني ، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر ، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غدٍ ، فقال: دعي هذه ، وقولي بالذي كنت تقولين". ووجه الاستدلال: أن هذا الحديث أفاد مشروعية إعلان النكاح بالدف وبالغناء المباح. فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على هؤلاء الجواري ضربهن بالدف ولم ينكر عليها سماعها لهن. * ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أنه كان إذا سمع صوت الدف بعث فنظر فإن كان في النكاح أو في الختان سكت ، وإن كان في غيرها عمد إلى الدِّرة). ووجه الدلالة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرى أن ضرب الدف في النكاح لا محظور فيه ، بدليل سكوته ، وعدم إنكاره. ونُقل عن المالكية وبعض الشافعية والإمام أحمد القول باستحباب الضرب بالدف في العرس. ولعل مستندهم في ذلك أنهم فهموا من النصوص السابقة في مشروعية الضرب بالدف في العرس معنى زائداً عن الإباحة ، وهو الاستحباب ، لأن فيه إشهاراً للنكاح و إعلانا له ، وهو أمر مندوب إليه شرعاً. وهذا في ظني - قولٌ وجيه – لأن النصوص يلحظ فيها معنى الحث بل ورد بعضها بصيغة الأمر ، ويشق القول بأن الأمر للوجوب فينصرف الأمر للندب. فما حكم الضرب بالدف في الأعراس للرجال؟ تقرر في المطلب السابق مشروعية الضرب بالدف في الأعراس ، وأن ذلك – أعني المشروعية – موضع اتفاق بين الفقهاء لكن هذا الاتفاق وقع على مشروعية ضرب الدف للنساء والجواري. أما ضرب الدف للرجال فقد اختلف فيه الفقهاء على قولين: * القول الأول: المنع. وبه قال اصبغ من المالكية ، وإليه ذهب بعض أصحاب الشافعي وقال جمهور الحنفية والحنابلة بالكراهة. والأدلة: * أن الضرب بالدف من أعمال النساء ، وفي ضرب الرجال به تشبه بهن فيكون ممنوعاً. وقد اعترض على هذا الاستدلال: بأن الأصل اشتراك الذكور والإناث في الأحكام إلا ما ورد الشرع فيه بالفرقة بينهم ، ولم يرد هنا شيء ، وليس ضرب الدف مما يختص بالنساء حتى يقال: يحرم على الرجال التشبه بهن فيه. أنه لم يحفظ عن أحد من رجال السلف أنه ضرب به ، كما أن الأحاديث والآثار إنما وردت في ضرب النساء والجواري به ، فقد يكون سكوت الجمهور عن بيانه لدلالة

الأخبار على أنه في العادة من أعمال النساء. ويمكن أن يجاب عن هذا الاستدلال: بأنه لا يلزم من عدم ضرب أحد من السلف به أنه غير جائز فإن الضرب بالدف لا يفعله في العادة أهل الهيئات حتى من النساء. والله أعلم. * القول الثاني: جواز الضرب بالدف للرجال. وإليه ذهب جمهور المالكية ، وأكثر أصحاب الشافعي ، وهو ظاهر كلام أحمد وجمع من أصحابه. ودليلهم: عموم الأحاديث الواردة في جواز الدف والأمر به وبعضها ورد الأمر فيه للرجال ، كحديث: (أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال). فدل ذلك على شمول جواز الضرب للرجال والنساء. واعترض على هذا الاستدلال بأن الخطاب إنما كان للرجال لأنهم هم الذين بيدهم عقدة النكاح ، فأمِروا بإظهار النكاح ليتميز عن نكاح السر ، ويكون المقصود بأمرهم بضرب الدف عليه ، أن يأمروا النساء والجواري بالقيام بذلك لا أن يضربوا بأنفسهم. ويمكن أن يجاب عن هذا الاعتراض: بأنه خلاف الظاهر فالأصل أن النصوص عامة للرجال والنساء إلا ما دل الدليل على خلافه ولا دليل هنا ولو كان خاصاً بالنساء لما ترك دون بيان. والله أعلم. والترجيح أن نقول: يظهر لي – والله أعلم – رجحان القول الثاني لوجاهة دليلهم ، حيث بنوْا على الأصل من عموم الخطاب للرجال والنساء وما ذكره أصحاب القول الأول من كون الضرب بالدف من شأن النساء مطلقاً غير مسلّم فإن الأعراف تختلف وبعض البلدان لا يضرب فيها النساء بالدف وإنما الذي يتولى ضربه الرجال فلا تشبّه حينئذ. والله أعلم. فما حكم استئجار الدف للضرب به في الأعراس؟ اشترط الفقهاء – رحمهم الله – في الإجارة أن تكون المنفعة المستأجرة مباحة فإن كانت المنفعة محرمة مثل آلات الملاهي المحرمة لم تجز الإجارة عليها. لأن منفعتها مشتملة على معصية فلا يتصور استحقاقها بالعقد ، ولأن المستأجر في هذه الحالة شريك للمؤجر في المعصية فلم يجز. وقد تبين في المبحث الأول من هذا الفصل مشروعية الضرب بالدف فلا مانع إذاً من استئجار الدف للضرب به في النكاح بناء على ما سبق لأن منفعته عندئذ مباحة ومأذون بها شرعاً ، فيحل أخذ الإجارة عليها. ويظهر لي – والله أعلم – أنه يلحق بما سبق جواز استئجار من يضرب بالدف ، طالما أن الضرب به مباح ، لكن يُقتصر على الحاجة ، ويراعى عدم المغالاة والإسراف في بذل المال ، و المباهاة ، فإن ذلك ممنوع في المباحات كلها. والله أعلم. ويظهر لي أن الكلام في إجارة الدف وإتلافه وإعارته ، فرع عن الكلام في بيعه ، فإذا كان يحل بيعه – وهو ما نص عليه الفقهاء - فإنه بالتالي يحل إجارته ، وإعارته ، ويُضمن بالإتلاف. والله أعلم. فما حكم تعلم الضرب بالدف لاستعماله في الأعراس؟ نقل بعض الشافعية أن الضرب بالدف في الأعراس هو الضرب المعتاد الذي لا رقص فيه ولا ينقر برؤوس الأنامل على نحو مطرب ، فما كان على هيئة التطريب فلا يحل لأن هذا شأن أهل الفسق. وبالتالي فيكون تعلم ضرب الدف غير جائز لأنه يؤدي إلى التصنع في الضرب ، كما يؤدي إلى الإطراب بضربه. وذهب آخرون من الشافعية إلى أنه لا فرق في جواز الضرب بين هيئة وهيئة. وهو ظاهر إطلاق كلامهم في جواز الضرب بالدف. ويظهر لي - والله أعلم – أن إباحة الدف هنا متضمّن للإذن بما يصدر عنه من صوت ، وصوت الدف فيه نوع إطراب ، فلا يمنع إلا بدليل ، والدف في أصله اللغوي معزف استثنى من التحريم وخاصة في هذا الموضع ، فالقائل بتقييد الاستماع به على نحو معين يحتاج إلى دليل ، ولا يكفي التعليل بأن التطريب من شأن الفسّاق ، فإن العلة من إباحة الدف معلومة وهي الإظهار والإشهار لعقد النكاح ، وقد ورد في نصوص أخرى – كما سيأتي - إباحة ضرب الدف في العيد وقدوم

الغائب والختان ، وهذه مواضع للسرور ، فيكون ضرب الدف متضمناً لمعنى الفرح والابتهاج في هذه المواطن فلا يبعد القول بجواز الضرب به ولو على جهة الإطراب. والله أعلم. وبالتالي فلا يظهر لي وجود مانع من تعلم القدر المحتاج إليه في ضرب الدف لاستعماله فيما يحل ، ويكون ذلك بكلام مباح لا فحش فيه ، ولا تشبه بأهل الفسق ، مع عدم المبالغة في صرف الأوقات في ذلك ، وعدم إضاعة الواجبات كما يجب ترك الإسراف في الإنفاق على التعلم أو التعليم في ذلك. والله أعلم. فما الوقت الذي يضرب فيه بالدف في النكاح؟ هنا اختلف الفقهاء في الوقت الذي يضرب فيه بالدف في النكاح. فذهب الحنفية إلى أنه يضرب به وقت العرس. ولعل مستندهم في ذلك أن العرس هو وقت الإعلان للنكاح. وذهب أصبغ من المالكية: إلى أن الضرب بالدف مرتبط بالإعلان بالنكاح ، وذلك يكون عند الإملاك (العقد أو التزويج) وعند العرس. وقال الأذرعي – من فقهاء الشافعية-: لم أر فيه تصريحاً – أي عند الفقهاء ، بل بعضهم يقول في الإملاك ، وبعضهم يقول في العرس والإملاك. والمعهود عُرفاً أنه يضرب به وقت العقد ووقت الزفاف أو بعده قليلاً. وعبّر البغوي – من فقهاء الشافعية – في فتاويه بوقت العقد ، وقريب منه ، وبعده ، ويجوز الرجوع فيه للعادة. وحديث الربيع بنت معوذ دل على ضربه بعد الزفاف ، ويحتمل ضبطه بأيام الزفاف التي يؤثر بها العروس. وقال الإمام أحمد: يضرب بالدف في الإملاك والعرس. والترجيح: يظهر لي – والله أعلم – ضرب الدف- في النكاح غير محدد بوقت ، لأن الغرض من ضربه هنا إشهار النكاح وإعلانه ، ليتميز عن نكاح السر ، وهذا يتحقق بضربه من وقت العقد إلى ما بعد الزفاف ، فإن الضرب بالدف في نكاح الربيع بنت معوذ كان في اليوم التالي لزفافها ، وكان ذلك بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكره ، فدل ذلك على الجواز بعد الزفاف. والله أعلم. فما حكم الضرب بالدف في غير الأعراس؟ اختلف الفقهاء في حكم الضرب بالدف في الأعراس ، على ثلاثة أقوال كما يلي: القول الأول: لا يجوز ضرب الدف في غير الأعراس: وبه قال بعض الحنفية وهو مشهور مذهب المالكية ، وأحد الوجهين عند الشافعية وقال بكراهته بعض الحنابلة. والأدلة: * ما ورد "أن عمر رضي الله عنه كان إذا سمع صوت الدف بعث فنظر ، فإن كان في النكاح والختان سكت ، وإن كان في غيرهما عمد إلى الدرة "وفي رواية" فإن كان في وليمة سكت وإن كان في غيرهما عمد إلى الدرة". ويجاب عن هذا الاستدلال: بأنه قد ورد عن عمر رضي الله عنه – كما في هذا الأثر عدم الإنكار على من ضرب الدف في الختان ، وهو موضع آخر غير العرس فدلّ على عدم اختصاص العرس بجواز الضرب فيه بالدُفّ. * ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "الدف حرام والمعازف حرام والمزمار حرام والكوبة حرام". ووجه الدلالة من هذا الأثر: أنه دل على تحريم الدف عموما ويستثنى منه ماورد به النص الصريح وهو العرس فيبقى ما عداه على أصل التحريم. وأجيب: بأن هذا الأثر ضعيف وكذلك فإن هناك من الصحابة من خالف ابن عباس في ذلك. * ما ورد عن إبراهيم النخعي: "أن أصحاب ابن مسعود كانوا يستقبلون الجواري في المدينة معهن الدفوف فيشققونها". وأجيب عنه بما أجيب عن الأثر الذي قبله. القول الثاني: يجوز ضرب الدف في غير الأعراس وذلك في مواطن إظهار السرور فقط وما عداها فلا يحل ضرب الدف فيه ومن مواطن السرور: يوم العيد وقدوم الغائب والختان ونحوها من أسباب الفرح التي أباحها الشرع. وإليه ذهب كثير من الحنفية! وهو القول المقابل للمشهور من مذهب المالكية وهو الأصح عند الشافعية وبه قال بعض الحنابلة.

والأدلة: * ما ورد عن بريدة أنه قال: "لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض مغازيه ، جاءته جارية سوداء فقالت: "يا رسول الله إني نذرت إن أرجعك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدُّف فقال لها: إن كنت نذرت فأوف بنذرك". ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها بالوفاء بنذرها ، ولو كان ضرب الدف في هذه الحالة معصية لمنعها منه. وقِسْ على ذلك كل موضع سرور أباحه الشرع. * ما روته عائشة رضي الله عنها: "أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد ، وتلك الأيام أيام منى". ووجه الدلالة من هذا الحديث: إباحة الضرب بالدف وسماعه يوم العيد ، وهو من مواضع السرور المباح. * ما ورد أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان إذا سمع صوت الدف بعث فنظر فإن كان في وليمة أو ختان سكت ، وإن كان في غيرهما عمد إلى الدرة. ووجه الدلالة: أن هذين الموضعين – العرس والختان – من مواضع السرور فما ليس من مواضع السرور ، فلا يصح ضرب الدف فيه ولا سماعه. ويجاب عن هذا الاستدلال بأنه معارض بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أجاز للجارية أن تضرب بالدف عند قدومه ، وهو أمر آخر غير العرس والختان. والله أعلم. أن ما كان سبباً لإظهار السرور جاز الضرب عليه بالدف كالولادة والعيد وقدوم الغائب وشفاء المريض. ويبقى ما عداها على المنع العام لاستعمال المعازف. القول الثالث: إباحة الضرب بالدف مطلقاً. وبه قال الغزالي والرافعي من الشافعية ، وهو ظاهر كلام النووي في المنهاج ، وبه قال ابن حزم. الأدلة: *ما نقل عن الغزالي أنه حكى الاتفاق على إباحة الضرب بالدفّ مطلقاً. وأجيب عن دعوى الاتفاق: بعدم التسليم قال ابن حجر الهيثمي "لكن حكاية الاتفاق على الإباحة معترضة بما مَرّ ، أن جماعة كثيرين من أصحابنا قالوا بحرمته في غير العرس والختان". أ- قوله صلى الله عليه وسلم للجارية التي نذرت أن تضرب بالدف إن أرجعه الله سالماً "إن كنت نذرت فأوف بنذرك". ووجه الدلالة: أن الضرب بالدّف لو كان محرماً لمنعها منه صلى الله عليه وسلم إذ لا نذر في المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم: "من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه". ب- أنه قد ورد أحاديث عدة في جواز الدف كما في العرس والأعياد والختان وقدوم الغائب فلا يبقى الدف بعد ذلك من المعازف المنهي عنها. والترجيح: أما القول الأول: فلا يسلَّم لهم بدعواهم لثبوت النصوص على خلاف قولهم. وأما القول الثاني: فقد استدلوا بأدلة ظاهرة وصحيحة على ما ذهبوا إليه من المواضع التي يباح ضرب الدف فيها وسماعه لكن الشأن فيما عداها. والذي يظهر لي – والله أعلم – أن المسألة تدور بين كون الدف معزفاً وإذا كان كذلك فالأصل فيه التحريم إلا فيما استثناه النص وكون الدف ليس من المعازف أصلاً وبالتالي فله حكم خاص به نظراً لكثرة النصوص الواردة بحلِّه. ويظهر لي – والله أعلم – أن الأمر الثاني أرجح لأن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يأت دليل يمنع من ذلك ؛ لأن كثرة الاستثناء للشيء مشعر بأن له حكماً مغايراً لغيره ولا شك أن المناسبات التي وردت فيها النصوص أولى بالجواز من غيرها لكن لا يعهد في الشريعة حل أشياء في مناسبات الفرح دون غيرها. والله أعلم. فما حكم الدفوف ذات الجلاجل؟ أولا ما هي المعنى الجلاجل؟ اختلف العلماء في معنى الجلاجل ، فقيل: ما اعتادته العرب وأهل القرى من وضع حلق من حديد داخل الدف وهي شبيهة بالسلاسل. وقيل هي:

الصنوج (أي الحلق) اللّطاف التي تؤخذ من صفر وتوضع في خروق تفتح لها في جوانب الدفّ. وعبر بعضهم عن هذه الحلق باسم الصراصر أو الصراصير. فما حكم الدفوف ذات الجلاجل؟ اختلف الفقهاء – رحمهم الله – في حكم الضرب بالدفوف ذات الجلاجل – على قولين: القول الأول: المنع. وبه قال بعض الحنفيه ، وهو قول عند المالكية ، وقال به بعض الشافعية ، وهو مذهب الحنابلة. والأدلة: *أن هذه الجلاجل المصاحبة للدف أشد إطراباً من كثير من الملاهي المتفق على تحريمها ، فتلحق بها. وقد أجيب بعد التسليم لما ذكروه! فإن هذه الدفوف لا تبلغ درجة إطراب الملاهي المحرمة. *أن هذه الدفوف مما يتخذه أهل الفسق وأعوان شربه الخمر ، فيكون اتخاذها تشبهاً بهم فيمنع. والقول الثاني: الإباحة. وهو قول عند المالكية وهو الأصح عند الشافعية. والأدلة: استدلوا بعموم الاخبار التي جاءت بإباحة الدفوف دون تحديد نوع بعينه ، ومن ادّعى أن هذه الدفوف لم تكن بجلاجل فعليه الإثبات. وأجيب عن هذا بأن الدفوف معروفة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي وإن لم تكن مقيدة بخلوها من الجلاجل من جهة النص إلا أنها مقيدة من جهة العرف. والقول الثالث: التفصيل. ومفاده أن الدفوف ذات الجلاجل على نوعين: أحدهما: ما اعتادت العرب وهل القرى وبعض متفقهة الأمصار الضرب به. وهو عبارة عن وضع بعض الحلق من الحديد داخل الدف على شبه السلاسل. والنوع الثاني: ما يتخذه أهل الفسق والمجون من الدفوف التي تحتوي على حلق توضع في خروق تفتح لها في جوانب الدف. فيكون لها صوت مطرب كأصوات بقية الملاهي أو أشد، فيجوز اتخاذ النوع الأول دون الثاني، وذهب إلى هذا القول ابن حجر الهيثمي في كتابه كف الرعاع. ولعل مستنده: أن النوع الأول قريب من معنى الدف المباح فيلحق به لاعتياد الناس عليه، ولا دليل على إخراجه من عموم إباحة الدف ، أما الثاني ففيه تشبه بأهل الفسق والمجون لأن هذه الدفوف من شأنهم ، فيحرم لذلك. والترجيح: يظهر لي – والله أعلم – أن القول بكراهة الدفوف ذات الجلاجل أولى من غيره وأرجح لأن الدف معروف لدى العرب على هيئة معتادة ، وإدخال هذه الجلاجل عليه شئ زائد. ولاأرى الجزم بالتحريم، لشمول اسم الدف لهذا النوع وكونه معروفاً بهذا الاسم عند طوائف من الناس كما ذكر في ذلك القول. والله أعلم. فما حكم استعمال الدف في الأناشيد الإسلامية ، والبرامج الإعلامية عموماً؟ الأناشيد الإسلامية وسيلة من الوسائل التي اختلف فيها بين مبيح ومجيز والخلاف فيها مشهور ومعلوم. فلا تحتاج لبسط هنا. والقول الأظهر أن سماع الأناشيد الإسلامية جائز باعتدال وتوسط. لكن ما حكم اشتمال هذه الأناشيد على صوت الدف في غير مناسبة العرس ؟ الخلاف في هذه المسألة فرع عن الخلاف في حكم سماع الدف وضربه في غير العرس. ويجب عند استعمال الدف في البرامج الإعلامية عموماً: * ألا تتخذ هذه الأناشيد المصحوبة بالدف عبادة كشأن الغناء الصوفي ، بل تكون من باب الترويح عن النفس وإدخال السرور عليها. * ألا يكثر منها حتى تطغى على كثير من الأوقات فتشغل الإنسان عن واجباته وأعماله وما يطلب منه إنجازه وكذلك لا يصح أن تلهي الإنسان عن الاستزادة من العلم والإنتاج المعرفي. * يمنع أداؤها على صفة التكسر والتثني وألحان أهل الفسوق والخلاعة لأن ذلك من التشبه الممنوع. * ألا تشتمل كلمات النشيد على معانٍ محظورة في الشرع بل ينبغي أن تتضمن معانٍ حسنة ، وفضائل مندوب إليها فإن تأثير الأناشيد والبرامج الإعلامية كبير ، بل قد تكون من أنجع الأساليب وأنجحها في نشر الخير والدعوة إلى الفضيلة. * ألا يضايق بسماعها

من لا يرى الاستماع إليها فإن مضارة المسلم ممنوعة خاصة إذا كان من لا يرى جوازها زميلاً أو جاراً يشق عليه الانتقال ويتحرج من السماع. الخاتمة والخلاصة نحددها ونوجزها في نقاط تبين أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي: (*الضرب بالدف في العرس مستحب. * الضرب بالدف في العرس للرجال جائز وكذلك سماعه. * جواز الاستئجار للدف الذي يُضرب به وكذلك الاستئجار للضارب. * ليس هناك صفة معينه يلتزم اشتراطها في الضرب بالدف ما لم يصل إلى تشبه محرم ولا بأس بتعلم القدر المحتاج إليه في الضرب بالدف لاستعماله فيما يحل مع مراعاة عدم المبالغة في صرف الأموال والأوقات ، حتى لا يخرج الأمر إلى السرف والتبذير. * يجوز الضرب بالدف في غير الأعراس ومناسبات السرور لأن النصوص حقاً عامة في اباحة الدف وبالتالي فلا بأس بسماع الدف في الأناشيد الإسلامية ونحوها من البرامج مع مراعاة الضوابط التي ذكرت في هذا الشأن في آخر البحث. * الراجح كراهة استعمال وسماع الدفوف ذات الجلاجل).هـ. لقد أوردت الآراء كلها للعلم! وأعتذر عن الإطالة! والآن لنطالع معاً القصيدة!)

إن الحُـــــداءَ تجـــــاربٌ وقـــــوافي ورســـــالة ميمونـــــة الأهـــــدافِ

وتـــرنمٌ - بالشِـــعر - بسّـــامُ الصـــدى يســـعى - إلـــى الآذان - باســـتعطاف

متبختـــراً - كـــالزهر - فـــواح الشـــذى يرنـــو إلـــى الأســـماع فـــي اســـتظراف

يُشـــجي النفـــوس عطيـــرة أنســـامُه هـــو للتعِلـــة كالـــدواء الشـــافي

ويـــذود عـــن خُلـــق ، ويرفـــعُ قِيمـــة وانظـــر حُـــداء الســـادة الأســـلاف

تلقـــاه شِـــعراً طيبـــاً بلـــغ الـــذرى إذ لـــيس فيـــه شـــناعة الإســـفاف

نِعـــمَ الحـــداءُ يـــردّ بعـــض مظـــالم فـــي عـــالم السُـــوآى والاستضـــعاف!

أنـــا لســـتُ أعنـــى الشـــعر يشـــلحُ غـــادة ويُعيرهـــا مِـــن فاضـــح الأفـــواف

ومضـــى يقـــدِّم حُســـنها للمشـــتهي ويخصـــها برذائـــل الأوصـــاف

وكأنهـــا - فـــي النـــاس - أحقـــرُ ســـلعة قـــد جُـــرّدتْ مـــن سُـــؤدَدٍ وطِـــراف

وغـــدت تُبـــاع وتُشـــترى بـــين المَـــلا وكـــأن هـــذي غيـــرُ ذات عفـــاف

أنـــا لســـت أعنـــي الشِـــعر قـــد لفـــظ الحيـــا واهـــتمّ بالســـيقان والأرداف

وســـعى وراء الســـاقطات تزلفـــاً ليصـــوّر البســـماتِ باســـتخفاف

وانكـــبّ يلـــثم نعـــلَ كـــل رقيعـــةٍ عشـــقاً ، وهـــل خيـــرٌ بشـــعر خِفـــاف؟

وجـــــرى وراء الـــــداعراتِ تولهـــــاً وغـــدا يُصـــافح - تـــارة - ويُصـــافي

وانســـاق فـــي درب التحلـــل والهـــوى عمـــداً ، وأرســـل نظـــرة اســـتلطاف

أنـــا لســـتُ أعنـــي الشـــعر يكتبـــه الغثـــا يصـــف الشـــعور ســـطتْ علـــى الأكتـــاف

إن الـــــذي أعنيـــــه شـــــعرٌ صـــــادقٌ فيـــــه المـــــروءة والجـــــلالُ الضـــــافي

شِـــعرٌ ينمِّـــي - فـــى القلـــوب - إباءهـــا عـــن كـــل مـــا هـــو للرشـــاد مُجـــافي

شِـــعر يبصِّـــــر بالنجابـــــة والتقـــــى وعلـــــى المـــــروءة والوفـــــاء يُكـــــافي

شِـــعر يؤصّـــــل للعدالـــــة منهجـــــاً لتسُـــــود روحُ العـــــدل والإنصـــــاف

شِـــعر مـــن القـــرآن ينبـــعُ لفظـــه مـــن ســـورة (الشـــعراء) و(الأحقـــاف)

شِـــعر عـــن الإســـلام ذاد مجاهـــداً ومنـــــدداً بـــــاللات بعـــــد إســـــاف

شـــعر علـــى التقـــوى يعاهـــد مخلصـــاً متعلقـــــاً بالشـــــرع لا الأعـــــراف

شـــــعر إذا مُسّـــــتْ عقيـــــدتنا رثـــــى وبكـــــى الرشـــــادَ بمـــــدمع ذراف

يحـــدو بـــه حـــادٍ ليـــؤنسَ ســـامعاً ويزيـــد فـــي الإمتـــاع والإتحـــاف

شِـــعر صـــفتْ أبياتـــه مـــن كُـــدرةٍ أرأيـــت شـــيئاً كـــالقريض الصـــافي؟

يشـــدو بـــه شـــادٍ ، فيبـــرز حُســـنه كلآلـــيءٍ خرجـــتْ مـــن الأصـــداف

يشـــدو كحســـانٍ ليُشـــجيَ بائســـاً بقصـــائدٍ صـــيغتْ بعـــذب قـــوافي

أو مثـــل (أنجشـــةٍ) يُرجِّـــع شـــادياً فـــي الجـــيش بـــين قـــوادم وخـــوافي

أو يـــوم ظعـــن طـــال بُعـــد طريقـــه أو يـــوم عُـــرس مـــؤذن بزفـــاف

وحـــديث (أنجشـــة) صـــحيحٌ ســـالمٌ وروايتـــه صِـــيدٌ مـــن الأشـــراف

وكفـــى المهـــيمنُ شـــعرَنا شَـــر العـــدا إن المليـــك هـــو العزيـــز الكـــافي

تكاليف السعادة

(إن الوالد الفذ يشقى مضحّياً بسعادته من أجل سعادة أبنائه. وإذن فسعادة أبنائه سعادته. ومن هنا كانت السعادة في معناها الحقيقي ومبناها اللائق بالإنسان ، تتطلب تكاليف جد غالية. وقليل من الناس من يفهمون هذا الكلام. وقد لا يدرك الأبناء ذلك طالما كانوا صغاراً ، حتى إذا كبروا وتزوجوا وكان لهم أولاد ، وكانوا على المحكّ في معترك الحياة ، عندئذٍ وعندئذ فقط يدركون حقيقة هذه العبارة! إن السعادة لها تكاليف تشق على كثير من الآباء الذين يعيشون لأنفسهم. وبالتالي فهم يهملون أبناءهم ويجعلونهم على هامش حياتهم. فلا يهتمون بهم ولا يورثونهم تجربتهم في الحياة ، كما أنهم لا يعلمونهم شيئاً عن دينهم!)

إن القلائـــل هـــم مَـــن ديـــنَهم فقهـــوا ... ولـــيس حُكـــمٌ - علـــى الأفـــذاذ - يشـــتبهُ

وكـــم يضـــحّي أبٌ مـــن أجـــل أســـرته ... ويســـــتكين لبلـــــواهُ ، ويَبتـــــدِه!

ويســـــتجيبُ لمـــا تُمليـــه مِحنتـــه ... حتـــى يقـــول الـــورى فـــي عقلـــه سَـــفه

ويستســـيغ الأذي تُزجيـــه كُربتـــه ... حتـــى يقـــال: لقـــد أودى بـــه البَلَـــه

ويســـــتلذ بـــــآلام تحَطمـــــه ... حتـــى يُغالبـــه - فـــي عشـــقها - الشـــرَه

ولـــيس يُشـــمت أعـــداءً تحـــيط بـــه ... ولـــيس تُثنيـــه - عـــن طموحـــه - الشـــبَه

يهـــوي الحيـــاة بـــلا ذل يشـــوّهها ... لأن صـــاحبنا - فـــي عيشـــه - نـــزه

لكـــنْ يضـــحّي لكـــي ترتـــاح عائلـــة ... نيلـــتْ كرامتهـــا ، والجـــو مُذَلّـــه

فـــلا يُعرّضـــها لمـــا يـــدمّرها ... ولا يكـــون لهـــا فـــي الـــدار مُتجـــه

وقـــد أفـــاق مـــن الأوهـــام تأســـره ... والفـــذ مَـــن - لـــدواعي الـــوهم - ينتبـــه

وفـــوَّض الأمـــر للـــرحمن محتســـباً ... شـــأن الـــذين كتـــابَ الله قـــد فقهـــوا

وللمليـــك التَجـــا فـــي كـــل معضـــلةٍ ... إذِ التقـــيُّ لـــه بربـــه وَلـــه

لا يـــدّعي قـــدرة علـــى الألـــى فجـــروا ... إلا بـــرب عـــلا ، ومـــا لـــه شـــبه

لصـــدق عزمتـــه يشـــكو الألـــي كـــذبوا ... ومـــا ادّعـــى الشـــيء بـــين النـــاس لـــيس لـــه

مستشعر

(كلما أنشدتْ أمامه قصيدة ، أو قرأها في كتاب ، انتحل شخصية صاحبها ، ونسبها لنفسه. وذات يوم فعل الشيء ذاته فإذا بمحَدّثه يقول له: إن هذه قصيدة فلان ، وهذا ديوانه عندي فبُهت الذي استشعر. إن مبدأ الاستشعار حقير لأبعد حد. ألا إن الاستشعار شيء يسير جداً! وأحرى بمن يستشعرون أن ينتهوا عن مثل هذه الممارسات الصِبيانية ، وخاصة إن كنا في زمان الثورة المعلوماتية وكون العالم كله قرية واحدة على حد ما يقول كثيرمن المثقفين في الأرض اليوم. ويستطيع كل قارئ وكل سامع لقصيدةٍ ما أن يعرف كاتبها بكل سهولة ويسر! سواء استخدم الإنترنت أو دوائر المعارف أو المعاجم أو القواميس! إن الأمر أسهل مما كان منذ زمن بعيد!)

إنمـــا الاستشـــعارُ يُزجـــي الهوانـــا ... ويُـــدَني - بـــين الـــورى - الإنســـانا

ويَزيـــد الســـطوُ القـــريضَ ابتئاســـاً ... ويـــــــذرّ الآلامَ والأحزانـــــــا

كيـــف يســـطو علـــى الأحاســـيس ســـاطٍ؟ ... مثـــل هـــذا قـــد يســـرق الـــديوانا!

ثـــم يحيـــا بالانتحـــال وضـــيعاً ... بـــالتجني قـــد أعلـــن العُـــدوانا

يســـتبيحُ الأشـــعار دون احتـــرام ... ثـــم يهـــذي إمـــا تـــلا هـــذيانا

كيـــف يُلقـــي الأشـــعار ســـاطٍ عليهـــا؟ ... هـــل يريـــدُ أن يصـــرفَ الأذهانـــا؟

إن هـــذا مستشـــعرٌ لـــم يؤلّـــف ... بيـــت شـــعر يغـــدو لـــه عنوانـــا

لـــم يعـــالجْ - بالشـــعر - أي انحـــرافٍ ... تلـــك دعـــوى تســـتقريء البرهانـــا

لـــم يُضِـــف - للأشـــعار - أي جديـــدٍ ... غيـــر ســـطو يغـــري - بـــه - الخِلانـــا

إن هـــــذا مستشـــــعرٌ لـــــيس إلا ... يســـــرق الألفـــــاظ والأوزانـــــا

ولســـان التـــاريخ لـــيس يُحـــابي ... ســـوف يهجـــو الســـاطين والطغيانـــا

ســـوف يكـــوي لســـانه كـــل ســـاطٍ ... كـــي يصـــد الأوغـــاد والعـــدوانا

مثلمـــا أغـــرى بالصـــعاليكِ يومـــاً ... ولســـانُ التـــاريخ أنكـــى بيانـــا

أيهـــذا المستشـــعر الغِـــر أقصـــرْ ... سِـــرْقة الشـــعر تجلـــب الخســـرانا

قولوها صريحة (تحرير من القيم)

(إن المراة أكرمت التكريم كله فقط في ظل الإسلام. * لم يجعلها أداة لهو وعبث ومجون كالأنظمة الغربيةاليوم. * لم يئدها حية في التراب مثل عرب الجاهلية الأولى البالية. * لم يجعلها أداة للحرث والنسل فقط كسقراط وأفلاطون. * لم يحرمها حرية التصرف في حياتها كحضارات العالم القديم. * لم يأذن لها بالانطلاق الهمجي البهيمي كالأنظمة الغربية. * لم يجبرها على العمل حتى تذوب أنوثتها كحالها الروسي. * لم يحرمْها من الميراث أو الوصية كالقانون الفرنسي الضال. * لم يُنهِ حياتها بوفاة زوجها أو تعيش معزولة منبوذة لأنها ليست بشراً كما يرى الهندوس عبدة البقر المعاصرون. * لم يجعلها أبداً سبب الخطايا والذنوب ومصدر الشقاء كما رأى قدماء مصر ورهبان النصارى. وهذا ثابت عنهم في الكتب. * لم يجعل منها متاعاً يُباع ويشتري ، كما فعل الإغريق وكذلك الرومان والإنجليز حتى عام 1805م. إنني أكتب هذه القصيدة اليوم كشاهد على العصر الإباحي التحللي المعاصر ، وأقول لمن عبثوا بالمرأة وتاجروا بها: قولوها صريحة ، إن هذا هو التحرير من القيم والأخلاق والمباديء! وحول تحرير المرأة الحقيقي لا المزعوم يقول الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي: (حرّر الإسلامُ المرأة من ظلم الرجال وتحكّمهم ، فقد كانت المرأة في العالم كله في منزلة بين الحيوانية والإنسانية ، بل هي إلى الحيوانية أقرب ، تتحكَّم فيها أهواء الرجال ، وتتصرف فيها الاعتبارات العاديَّةُ المجرَّدة من العقل ، فهي حيناً متاعٌ يُتخطَّف ، وهي تارة كرة تُتلقَّف ، تُعتبر أداة للنسل ، أو مطيَّةً للشهوات. وربَّما كانت حالتها عند العرب أحسن ، ومنزلتها أرفع ، يرون فيها عاملاً من عوامل ترقيق العواطف ، وإرهاف النفس ، ودواءً لكثافة الطبع ، وبلادة الحسّ ، ويجدون فيها معانيَ جليلةً من السموِّ الإنساني ، وأشعارهم - على كثرتها - عامرةٌ بالاعتراف بسلطان المرأة على قلوبهم ، وبشرح المعاني العالية التي يجدونها فيها. ولا عِبرة بما شاع عنهم من وأد البنات ؛ فإنه لم يكن عامَّاً فاشياً فيهم ، وتعليله عند فَاعِلِيْهِ يُشعر أنه نتيجة حبٍّ طغى حتى انحرف ، وأَثَرُ عقلٍ أسرف في تقدير العواقب ، لا نتيجة كراهيةٍ لنوع الأنثى. وعلى كلّ حال فالوَأْدُ خطأ كبير ، وجريمة شنيعة ، وشذوذ في أحكام الرجال خارجٌ عن نطاق الإنسانية ، وحسبه تسفيه ربنا – تعالى - لفاعليه: [أَلا سَاْءَ مَاْ يَحْكُمُوْن].هـ. وأعود للعنوان: تحرير هو من القيم والأخلاق والدين!)

ألا فلتقولوهـــــا ، وخلـــــوا الحُدوســـــا ... ألا واكتبـــوا - عمـــا يقـــال - طروســـا

وربـــــي - مـــــن الأخـــــلاق - حررتموهـــا ... وليســـت يمينـــي ذي يمينـــاً غموســـا

فقـــد أصـــبحتْ فـــي كـــل وادٍ بضـــاعة ... وكـــأسَ اشـــتهاءٍ يســـتميل النفوســـا

تبـــاعُ بـــدينار ، وبـــالفِلس تُشـــترى ... وأهـــلُ الخنـــا لمّـــا يزيـــدوا المُكوســـا

فأفلامهـــا فـــي كـــل صُـــقع وشاشـــةٍ ... فيـــا للأســـى مـــاذا أصـــاب لميســـا؟

ولســـتُ الـــذي يأســـى علـــى بنـــت عُـــربهم ... فهاتيـــك فـــي الســـوآى تقـــود خميســـا

ولكنني أبكي على بنت شِرعتي ... لماذا احتست من ذا الفجور كؤوسا؟

لماذا تردتْ عندما الحربْ أعلنتْ ... وحَمَّى كلابُ الغرب - فيها - الوطيسا؟

لماذا أراها سلّمتهم عفافها؟ ... أتهدي الصبا مَن يحملون الفؤوسا؟

تلوّث عينيها ، وتُزري بقلبها ... إذا آنست مما أتوْهُ حسيسا

وهجمتهم في كل بيتٍ تسعرتْ ... وها هم حشَوْا بالموبقات الرؤوسا

ولمّا يعد قولي ظنوناً أسوقها ... ولمّا يبت ما أدعيه حُدوسا

ولكنْ سُعارٌ أجّج الغربُ ناره ... وأعطى جميع الناس منه الدروسا

وأغرى بأفكار ، تعالى أوارها ... وأمسى زعيماً يُحتذى ورئيسا

وكانت شعاراتٌ تهادى بريقها ... وأضحى الذي تطغى عليه تعيسا

وكانت دعاوى تستخفّ بمُعجب ... وفي سجنها يغدو المحب حبيسا

وكانت ضحايا - في الديار - لهولها ... وحالٌ - من الآلام - بات بئيسا

وكان التردي - في البلايا - عقوبة ... وطال الفنا جيلاً خليعاً خسيسا

وما استغرق الجيلُ المفتن أشهراً ... فقد ظن ما يهدي الغواةُ نفيسا

إذ ابتدأ الغرب الوغى يوم سَبته ... فما استغرقتْ أجيالُ داري خميسا

لقد فتن الأقوامُ بالغرب فتنة ... وكلٌّ لـ (نتِ) الغرب أمسى جليسا

فهل موكبٌ للعُرس ، والغرب قائدٌ؟ ... وبارك قومي عُرسه والعَريسا

ألا إنما الغربُ الرذيلُ أرادنا ... بهائمَ تهوى - في الحياة - الدريسا

وهل نرتجي ممن تردّوْا صعودنا ... وكيف يُرى من عاش يهوى الطموسا؟

سلامٌ على الدنيا وداري وأهلها ... إذا أصبح الأسْدُ الغِضابُ تيوسا

الراشد فقيها!

(الأستاذ الراشد يستحق منا شيئا من التكريم والاحترام. مذ طالعنا له (دفاع عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وكذا الرقائق ، والعوائق ، والمنطلق ، ومنهجية التربية الدعوية ، وآفاق الجمال ، وصراطنا المستقيم ، والفقه اللاهب الذي هو اختصار لكتاب غياثي الأمم في التياث الظلم للإمام الجويني رحمه الله ، وأصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة الإسلامية والذي يقع في أربعة مجلدات من القطع الوسط! وأخيرا موسوعة معالم التطورالدعوي التي تقع هي الأخرى في خمسة مجلدات). إن الأستاذ الراشد بهذه الأشياء إلى جوار محاضراته العلمية قد أعذر إلى الله ، في زمان يبيع فيه أغلب العلماء دينهم بعرض من الدنيا قليل حقير. وكنتُ قد تعلقت بالأستاذ الراشد منذ بدايات اطلاعي وقراءتي الخاصة في مطلع الثمانينيات أعني اطلاعي على كتابات فقه الواقع. والحقيقة أن حياة الراشد تعتبر في عمومها رحلة مع العلم والعلماء وهذه الرحلة أوصلته لأن يصبح واحداً من العلماء المتميزين في فقه الواقع ، وقليل ما هم! وأراه لم يطلب بعلمه الدنيا ، كما أنه لم يكن يطمح إلى النشر قبل الدراسة المتأنية لما كتب. وصدق لقمان عندما أوصى ولده قائلاً: (يا بني ، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الموات بوابل السماء!) وصدق الأصمعي عندما قال: (أول العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل ، والخامس النشر.) ولذلك يخطئ كثير من الكُتاب الذين يبدأون بالمرحلة الأخيرة التي هي النشر عندما يجعلونها مكان الأولى. واليوم أكتب هذه القصيدة على الوافر مُعْرباً عن خالص حبي وتقديري ليس إلا. وضمنتها كتابات الراشد بشيء من الإجلال الذي يليق به. وعرفتُ بالراشد من يجهله. ولا أزكّي على الله أحداً. قال بعض الحكماء: «الدليل على فضيلة العلماء أن الناس تحبّهم». وقال أبو الأسود الدؤلي: «الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك». وكان يقال: «مثل العلماء مثل الماء ، حيث ما سقطوا نفعوا». وقال سهل التستري: «من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء ، فاعرفوا لهم ذلك». وقال ابن عباس – رضي الله عنهما -: «العلم يزيد الشريف ويُجلس المملوك على الأسِرّة». وقال الشافعي: «إن لم يكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة فليس لله ولي». والله حسيبه ووكيله ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين الخير كله. وجعل الله كل ما كتب من الحق في ميزانه يوم يلقاه. ونفع الله الإسلام والمسلمين بهذا العلم الصافي العذب ، والله يقول الحق وهو عز وجل يهدي السبيل.)

إذا ذكِـــرَ الفقيـــة أخـــذتُ نفســـي ... بـــوافر علمـــه ، وحفـــزتُ رأســـي

وجئـــتُ مفرّغـــاً عقلـــي وقلبـــي ... لينشـــغلا بـــدرس بعـــد درس

وفـــي كفـــي اليراعـــة كـــم أعـــدتْ! ... وبـــين يـــديَّ مِحبرتـــي وطِرســـي

لأبحِـــر فـــي بحـــار العلـــم حينـــاً ... وأتـــرعَ - مـــن معـــين الرشْـــد - كأســـي

وأهـــلُ العلـــم قـــد نفعـــوا البرايـــا ... بمـــا زرعـــوه مِـــن نبـــتٍ وغـــرس

وما بخلوا - معاذ الله - يوماً ... وما باعوا الذي علموا بفلس

وإن (الراشد) المِفضال منهم ... فقد نفع الورى من كل جنس

تقيُّ الفكر ، نحريرٌ فقيه ... وذو رأي ومنقبةٍ وإرس

وحدس في البصيرة مستنيرٌ ... ووزنٌ للأمور بكل كَيْس

ورؤية عبقري ذاتُ معزى ... وآمالٌ تغرّدُ دون يأس

وعلم بالأدلة قد تحلّى ... ويسري نوره كشعاع شمس

ونورٌ في المقاصد والنوايا ... يُبدّدُ بالهدى أهواء نفس

وألفيتُ (الرقائق) كالثريا ... وقد نسجتْ بكل تقىً وأنس

وتتحفها (العوائق) في دلال ... بأفكار خلت من أي دَس

و(منطلق) الكتائب قد تجلى ... وقد بدتِ (المعالمُ) دون لبس

و(آفاق الجمال) لها ثيابٌ ... تلف (المنهجية) بالدمقس

و(فقهٌ لاهب) يُزكِي الأماني ... ويسكنُ مَن تنطع جوفَ رمس

وتبهرُنا (الأصولُ) بمحتواها ... وأغلفةٍ تضاهيء حفل عرس!

ألا حفظ المهيمنُ عبقرياً ... تصدى للطغاة بكل بأس

وأرشدَ صحوة الإسلام ، يرجو ... نقاءَ الصفّ من خلطٍ وحَيْس

وجاهدَ باليراع يريدُ جيلاً ... يواجه كيد شيطان وإنس

وكم أعطى يُحَذر ما سيأتي ... ويربط حاضر الدنيا بأمس!

رعاه الله من أستاذ جيل ... تبدّى - في الدياجر - مثلَ شمس

اللهيميد وأنواره

(كتب الأستاذ / سليمان بن محمد اللهيميد كتاباً أسماه: (الأنوار في سيرة النبي المختار– صلى الله عليه وسلم) ويقع في 608 سؤال وجواب. وأرى أن يقتنيه كل مرب وطالب علم. وصدق جون راسكين عندما قال: (إذا كان الكتاب جديراً بالقراءة ، فإنه جدير بأن يُقتنى). وصدق الجاحظ في قوله عن الكتاب وقيمته في حياتنا: (الكتاب وعاءٌ مليءٌ علماً ، وظرف حُشي ظرفاً ، وإناء شُحن مزاحاً. ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحياء. لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى ، آمن من الأرض ، وأكتم للسر من صاحب السر ، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة). وصدق العتابي إذ قال: (من قرض شعراً ، أو وضع كتاباً ، فقد استهدف للخصوم واستشرف للألسن ، إلا عند من نظر فيه بعين العدل ، وحكم بغير الهوى ، وقليلٌ ما هم!).هـ)

كلمـــا طالعـــتُ الضـــيا ازددتُ رُشـــدا ... وحَبَتنـــي (الأنـــوارُ) عِلمـــاً ومَجـــدا

والتمســـتُ فيهـــا جوابـــاً لسُـــؤلي ... فوجـــدتُ الجـــواب فـــي السِـــفر شَـــهدا

(واللهيميـــدُ) جـــاد بـــالعِلم جُـــوداً ... واعتلـــى مـــتنَ التفاصـــيل فـــردا

تـــارة يُـــدلي باختصـــار ، وأخـــرى ... يســـردُ الأحـــداثَ الدقيقـــة ســـردا

والســـؤال يُفضـــي لأحلـــى جـــواب ... شَـــكرَ اللهُ سِـــفرَه والجُهـــدا

طالـــبُ العلـــم لليواقيـــت يســـعى ... يُحسِـــن البـــذلَ والخُطـــا والقصـــدا

والعلـــومُ تُهـــدي المحبـــين حبـــاً ... إذ تلاقـــي مـــنهم قبـــولاً وودا

والعلـــومُ تُضـــفي علينـــا بهـــاءً ... يســـتحق شـــكراً ومـــدحاً وحمـــدا

يبلـــغ المـــرءُ بـــالعلوم الثريـــا ... والجَهـــولُ بالجهـــل يســـكنُ لحـــدا

والتقـــيّ يـــزدادُ بـــالعلم تقـــوى ... والرشـــيدُ يـــزداد بـــالعلم رشـــدا

مـــا اســـتوى عبـــدٌ بـــالعلوم تحلّـــى ... وجهـــولٌ فـــي جهلـــه يتـــردى!

يـــا (ســـليمان) اقبـــلْ تحايـــا مُحـــب ... حُبّـــه - فـــي أشـــعاره - يتبـــدى

مِـــن جمـــال (الأنـــوار) أثنِـــي عليهـــا! ... وإليهـــا - جســـرَ المحبـــة - مَـــدا

إنهـــا عـــن أعلـــى النبيـــين قـــدراً ... كـــل ذكـــرى - منهـــا - تـــذرّ الســـعدا

اليوم يئس الذين كفروا من دينكم (أرجوزة)

(لقد يئس الكفارُ من الدس على هذه الشريعة نصوصاً وشعائر وشرائع. فقد تولى الله حفظ دينه كتاباً وسُنة. والحق أنه – سبحانه وتعالى - لم يستحفظ على هذا الدين الحق قط الأحبار ولا الرهبان كما استحفظهم على التوراة والإنجيل فتم تحريفهما. يقول الله: (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون). وبقيَ للكفار فقط المحاولات المكشوفة لتدمير هذه العقيدة وتلك الشريعة. وأراهم للأسف قد أفلحوا نسبياً في صرف كثير من الغثاء عن نصاعة هذا الدين الجليل. حيث قد أثروا عليهم بالدشوش والإنترنت. هذان الوثنان اللذان لم ينجُ من عِبادتهما إلا القليل من الناس. ولست أعني من استطاع أن يستفيد من بعض الخير الذي يوجد فيهما. بل أعني من أساء الاستخدام ، فاستخدمهما فيما يخالف دين الله تعالى! إنني أقولها صريحة لكل الأعداء في الداخل والخارج: إن هذه المحاولات جديدة بل وقديمة ، كلها تبوء في النهاية بالفشل. ويبقى المؤمنون على إيمانهم. وصدق الله تعالى: (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً). وحروبُهم الفجة المتعددة تلك ضد الإسلام والمسلمين تؤلب عزائم العلماء الربانيين وتحفزهم إلى الردود المفحمة عليهم. وصدق ميخائيل نعيمة إذ قال: (إن الحرب – لو يعلمون – لا تستعر نيرانها في أجواف المدافع فقط ، بل في قلوب الناس وأفكارهم أيضاً!). وكم من أسفار كتبتْ في الرد على المبطلين الحاقدين هؤلاء تدحض أفكارهم ، وتُزري آراءهم ، وتفري مخططاتهم ، وتُدمر مقاصدهم ، فإذا بهم يبوؤون بالخزي والنكال والندامة! قال أبو مسلم الخولاني: «العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء ، إذا بدت للناس اهتدوا بها ، وإذا خفيت عليهم تحيّروا». وقال وهب: «يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيًّا ، والعز وإن كان مهينًا ، والقرب وإن كان قصياً ، والغنى وإن كان فقيراً ، والمهابة وإن كان وضيعًا». وقال سفيان بن عيينة: «أرفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده ، وهم الأنبياء والعلماء». وقال أيضًا: «لم يعط أحد في الدنيا أفضل من النبوة ، وما بعد النبوة شيء أفضل من العلم والفقه. فقيل عمن هذا فقال عن الفقهاء كلهم». والعلماء هم الذين يقفون سداً منيعاً لهذه الهجمة الشرسة اليوم على ثوابت ديننا حيث يبصّرون الناس! وأكتب على البحر الخفيف متحدياً كل المغرضين أقول:)

إن أهـــل الإيمـــان رهـــنَ التحـــدي ... والخســارُ - يــا غــربُ - عُقبــى التعــدي

لـــن تنـــالوا أهـــل التقـــى والمعـــالي ... فاخســـأوا يـــا أهـــل الهـــوى والضـــلال

مـــا اســـتطعتم تحريـــف ديـــن قـــويمِ ... إنـــــه تنزيـــــل العزيـــــز العلـــــيمِ

قـــد يئســـتم مـــن كـــل دس وزيـــفِ ... والـــديارُ عانـــت صـــنوفَ التشـــفي

كـــم فتنـــتم - عـــن الرشـــاد - قطيعـــا ... واختـــرعتم - لـــه - الفجـــور الرقيعـــا

فاغتـــذى القـــومُ بالخنـــا والمُجـــونِ ... واســـتكانوا - فـــي عيشـــهم - للمَنـــونِ

زاعمـــــين أن الفســـــوقَ رفاهـــــة ... خـــابَ قـــومٌ يســـتعذبون الســـفاهة!

كـــل غِـــر - فـــي التيـــه - أدلـــى بـــدلوِ ... والقلـــوبُ نـــاءتْ بأبـــأس غفـــوِ

والحيـــاة بـــاءت بضـــيق وضـــنكِ ... والـــدماءُ خصـــتْ بـــأخطر ســـفكِ

ثـــم ولـــى ســـعدٌ ويُســـرٌ ورزقُ ... كيـــف مـــن هـــذي المـــدلهمّات عتـــقُ؟

أيهـــا الغـــرب كـــم دَهيْـــتَ البرايـــا ... وافتعلـــتَ - فـــي كـــل صُـــقع - رزايـــا!

لـــم تـــزلْ - فـــي أرحابنـــا - تســـتطيلُ ... وهنـــا - مـــن ضُـــلالنا - تســـتميلُ

كـــم نشـــرتَ التضـــليلَ فـــي كـــل وادِ ... ثـــم ضـــاقت - بـــه - ربـــوعُ الـــبلادِ!

مـــا اســـتحيتم ممـــا يَشـــين ويُخـــزي ... والأمـــورُ باتـــت كمثـــل اللغـــزِ

كـــم وددتـــم لـــو ضـــل مـــن تـــاب منّـــا ... وأشـــعتم كـــل الأراجيـــف عنّـــا!

كـــي نكـــون - فـــي الكفـــر - قومـــاً ســـواءَ ... ثـــم تمسِـــي نـــارُ الســـعير جـــزاءَ

مثلمـــا خِبـــتم - فـــي الحيـــاة - نخيـــبُ ... إن هـــذا - والله – شـــيءٌ عجيـــبُ

مثلمـــا ضـــعتم – يـــا غـــواةُ - نضـــيعُ ... وجنـــانَ المـــولى بـــبخس نبيـــعُ

مثلمـــا جِـــدتم - عـــن هـــداكم - نحيـــدُ ... ثـــم نـــزوي - عـــن الهُـــدى - ونبيـــدُ

هـــل أتـــاكم بالفســـق والـــدعر (موســـى)؟ ... أو أتـــاكم بالشِـــرك والكفـــر (عيســـى)؟

إن (موســـى) - ممـــا ادعيـــتم - بـــريءُ ... يـــا دعـــاة التضـــليل هيـــا أفيئـــوا

إن (عيســـى) - عمـــا افتـــريتم - تســـامَى ... فاضـــبطوا الفعـــل والهُـــدى والكلامـــا

مـــا أتـــاكم - بالموبقـــات - نبـــيٌّ ... فلمـــاذا هـــذا التجنـــي الشـــقيُّ؟

ســـيردّ أهـــل الرشـــادِ علـــيكمْ ... والوبـــالُ - يومـــاً - يعـــود إلـــيكمْ

صـــامدون مهمـــا اعتـــدى كـــل غِـــرٍّ ... والصـــمودُ - يومـــاً - يبـــوء بنصـــرِ

ترويحة على طريق العِلم

(طالب العلم لا بد له من أن يُروح عن نفسه بين فترات العلم وحلقاته. ولكن بماذا؟ يا ترى بالغناء والأفلام؟! يا ترى بقرناء السوء؟ يا ترى بالعبث والإفساد في الأرض؟ بالطبع لا. ولكن بكل مباح. فيكون الأمر ساعة وساعة. لقي أبو بكر رضي الله عنه حنظلة فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة ، فقال أبو بكر: سبحان الله! ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأيَ عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فاشتكيا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حالهما: نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) ثلاث مرات. قال ابن القيم رحمه الله: "وعمارة الوقت الاشتغال في جميع آنائه بما يقرب إلى الله ، أو يعين على ذلك ، من مأكل أو مشرب أو منكح أو منام أو راحة ، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله ، وتجنب ما يسخطه كانت من عمارة الوقت ، وإن كان له فيها أتم لذة ، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات". وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم مزاح مع بعضهم ، وخصوصاً في الأسفار ، وكانوا يتبادحون بالبطيخ ، والتبادح الترامي بشيء رخو ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال ، وهكذا طلب عمر رضي الله عنه من ابن عباس رضي الله عنهما في طريق السفر لما مر على عين ماء قال: "تعال أباقيك أينا أطول نفساً". أي: يغطسان في الماء معاً لينظر كل واحد منهما من الأطول نفساً من الآخر ، ومن يستطيع أن يلبث مدة أطول تحت الماء ، وكان عمر شيخاً ، وكان ابن عباس شاباً حدثاً. وكان ابن سيرين يداعب أصحابه ، وكذلك كان الأعمش يمازحهم. وتحت عنوان: (قواعد وضوابط في الترفيه واللعب) يقول المنجد ما نصه: (أما بالنسبة للضوابط الشرعية: فإن الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما دل الدليل على تحريمه ، ولذلك فإنه لا يمكن أن نحصر المباحات في الألعاب ، وأن نكرر أو نسرد سرداً طويلاً جداً هذه المباحات ، ولكن طريقة الشريعة في مثل هذا أن تبين المحظورات وتقول للناس: والباقي مباح ، فتزوج من شئت من النساء ما عدا الأمهات والبنات والخالات والعمات والأخوات وهكذا ، وكل ما شئت من الأطعمة ما عدا الخنزير والميتة وما أهل لغير الله به والدم المسفوح! واشرب ما شئت من الأشربة إلا ما أسكر فإنه محرم ، وما ضر كالسموم! هذه طريقة الشريعة تفصل في المحرمات ، وتجمل في المباحات ؛ لأن هذا قابل للتعديد ، وهذا غير قابل للتعديد من كثرته. فمما جاء من المحرمات في الشريعة من الألعاب: * ما اشتمل على النرد وهو حجر الزهر المكعب المعروف ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه). * حرمت الشريعة ضرب الوجه ، ففي الألعاب التي تمارس من ألعاب القوى وغيرها يجتنب الإنسان وجه أخيه المسلم ؛ لأن الشرع كرّم الوجه ، فلا يجوز ضربه لا في الملاكمة ولا في غيرها. * الألعاب المشتملة على صور ذوات الأرواح أو المصحوبة بالموسيقى أو التي تؤدي إلى الشجار والنزاع والأحقاد وإثارة الضغائن محرمة أيضاً. * القمار محرم ، فلا

تجوز المراهنة بين اللاعبين ، أو أن يجعل الجُعل للمتسابقين ، إلا ما ورد الدليل فيه من نصل ، أو خف ، أو حافر. * ألا يكون اللعب صاداً عن ذكر الله ، وعن الصلاة ومضيعاً للفرائض. * ألا يستغرق الوقت ، أو أكثر الوقت ؛ لأن الكفار هم الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا ، وهذا ضابط مهم ؛ لأن كثيراً من الذين يلعبون اليوم من الكبار يستغرق لعبهم في كثير من الأحيان أغلب الوقت ، بل منهم من يسهر في لعب الورق ، ويذهب متأخراً إلى عمله الذي منه كسبه ، ورزق أهله وأولاده. * ألا يكون في اللعب شيء من السحر ، وبعض الألعاب اليوم فيها هذا. * ألا يكون فيها صلبان ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكسر الصليب ويزيله ، وكان ينقض التصاليب. * ألا يكون فيه إشغال عن واجب شرعي ؛ كَبرّ الوالدين ، وكم من الأولاد اليوم يشتغلون بالألعاب عن سماع أوامر الوالدين ، وحق الوالدين. * ألا يكون فيها أضرار على النفس أو الغير ، كما يكون في بعض الألعاب النارية ، وكما يحدث في الركوب الجنوني لهذه الآلات ذات الإطارات على الرمال ، وقد زالت فقرة من العمود الفقري لشخص كان يركبها ، وما أكثر الذين انقلبوا بما يسمى بهذه الدبابات على الشواطئ ، وبجانب الطرقات ، وكانت وسيلة للإجرام ومثاراً للفساد وملاحقة الفتيات ، ونحو ذلك مما هو معلوم مشاهد! فإن بعض الناس قلبوا الألعاب البريئة إلى وسائل أخرى ، وكم فر بعضهم بها سرقة لهذه الآلات من أصحابها. * ألا يتعلق القلب بها بحيث تصبح هي الشغل الشاغل ، فكأنه صار منشغلاً بها تمام الانشغال ، فبدلاً من أن يتعلق القلب بالله ؛ تعلق باللعبة. * أنه لا بد من الانتباه لبعض الأفكار الخطيرة التي تقف وراء بعض الألعاب ، وخصوصاً الألعاب الالكترونية فإن فيها أو في بعضها ما يغرز حب الكفار ، بل ومحاربة المسلمين ، وقتال الأعداء بالأسماء ، فهذا واضح أنها موجهة ضد المسلمين في بعضها ، وبعضها تقوم على أفكار كفرية ؛ كالمواجهة بين أهل السماء وأهل الأرض ، وأن أهل السماء الأشرار ، وأهل الأرض الأخيار ، ونحو ذلك ، وبعضها يقوم على تقديس الصليب ، وأنه يعيد الروح ، ويعطي الصحة ، والقوة ، وبعضها تقوم على العقائد الباطلة مثل تناسخ الأرواح ، أو عودة الناس بعد الموت مرة أخرى ، فيموت ويحيا ، ويموت ويحيا ، وبعضها تفسد عقائد الأطفال في هذا ، فتغرز في نفوسهم أن بمقدور بُوتر ، أو غيره أن يعيد شخصاً إلى الحياة بعد الموت ، وبعضها فيه تقرير للسحر ، وتمجيد للسحرة ، وبعضها مشتمل على عورات مكشوفة ، وتكون جائزة الفائز صورة عارية ، وهذا كثير قد سمعنا عنه ، بل وتواتر في عدد من هذه الألعاب. * يشترط أيضاً ألا يكون فيها إضرار بالجسد ؛ كالعينين والأعصاب والإدمان وما أكثر هذا. *ألا يكون فيها تربية على الإجرام والقتل كما في عدد من هذه الألعاب وقد ثبتت خطورتها على الأطفال من هذه الجهة. * ألا تخالف الشرع في قضية التستر وعدم التعري. * ألا تغرس حب تقليد الكفار في نفوس الأولاد. * ألا يكون فيها اعتداء على شيء من خصائص الله تعالى من إحياء الموتى ، وإنزال المطر ، وإبراء المرضى ، ونحو ذلك ، وهذا كثير في الأفلام ، بل وفيها غرس حب الصليب وأنه يفعل ذلك كله وبركة الصليب. * ألا تصل إلى حد الإسراف ، وتجاوز الحد الوسط في الإنفاق فيها ، فإن بعضها تذهب فيه أموال عظيمة. * ألا يكون فيها سخرية ، ولا تنابز بالألقاب ، ولا إضرار بالبهائم ؛ كألعاب التحريش بين الديكة ، وصراع الأكباش ، ومصارعة الثيران ، فكل ذلك تعذيب للحيوان. * ألا يكون في اللعب ببعضها إيذاء للجيران ، كما يفعله بعض اللاعبين بالحمام من الإشراف على عورات الجيران بسبب صعودهم

للأسطحة. * ألا يكون فيها إيذاء لبدن الشخص ، أو خطورة على نفسه ، كما يفعله بعضهم من القفز من الارتفاعات العالية ، بدون ضوابط كافية ، أو يتحدى في البقاء مع الأفاعي ، والعقارب ونحو ذلك. وهذه الألعاب الخطيرة الألعاب التي يمكن أن يحصل لصاحبها شلل كامل في لحظة وطرفة عين ، ويكون مكسبه منها شد أنظار الناس ونفوسهم لهذه الحركات الخطيرة التي يؤديها. وحدثنا بعض الشباب الثقات عن منظر شاهدوه على شاطئ البحر ، أن سيارة سوبر فيها خمسة من الشباب يمارسون التفحيط ، والحركات الطائشة التي أرعبت من كانوا في المكان ، في طيش وتهور ، وما هي إلا لحظات حتى تقلبت في الهواء ، وتطاير الأشخاص من السيارة ، لكي تستقر بعد ذلك على ظهرها مضغوطة قد وصل سقفها إلى حد الزجاج الأسفل ، وكان منظراً رهيباً في هؤلاء المتناثرين بين الحياة والموت ، فهذا مرفقه خارج عن اليد ، وهذا عظمه بائن ، وهذا ينزف من أذنيه ومعنى ذلك نزيف دماغي ، وهذا..... ، فيا لله كم جعلوا في أجسادهم من الجراحات ، والعاهات المستديمة).هـ. والأصل إذن أن نروّح عن أنفسنا ونسليها بالمباح فقط!)

روِّحْ ، ولكنْ دونما إسفافِ ... كيلا تصاب بطائف استخفافِ

إني أرى الترويح أطيبَ حيلةٍ ... ليظل عِلمك كالمَعين الصافي

طالعتُ قبلك كل ما طالتْ يدي ... مستعففَ الغايات والأهداف

ونهلتُ من علم الذين تفرّدوا ... في الدين والأخلاق والأعراف

من ذا يباري علمهم وعطاءهم؟ ... من ذا يرد جميلهم ويُكافي؟

أسلافنا قد ورّثونا علمهم ... ماذا يعادل تركة الأسلاف؟

ملأوا طِباقَ الأرض علماً نافعاً ... هم علموا الطلاب بالآلاف

لكنهم أوصَوْا وقالوا: روِّحوا ... كيلا تصاب عقولكم بجفاف

طلبُ العلوم فضيلة ومزية ... وهواته مِن خيرة الأشراف

والعِلمُ - في الأسفار - غضٌ يانعٌ ... كاللؤلؤ المكنون في الأصداف

يرنو إلى اللآل يدأب جاهداً ... ويمَل من مجهوده ، فيجافي

وكذاك من يرجو العلوم نقية ... لا بد من ترويحة استظراف

ترقى بهمة طالبٍ لعلومه ... ومِن السآمة والمَلال تشافي

رسالة إلى عالم

(كتب الأستاذ / عبد المجيد البلوشي كتاباً فريداً في ظني لم يسبقه إليه سابق. الكتاب هو مجموعة من الأدعية المقتبسة من القرآن. وإنني أعتبر هذه الأدعية فاتحة خير لكل مستقص أدعية القرآن الكريم. ولأن يضمّها جميعاً سِفرٌ واحدٌ فهذا مما يسهل الأمر على كل من يريد الدعاء المبارك الميمون الذي جمع كل أنواع الخيور. ووالله لقد وقع ذلك السِفر للأستاذ البلوشي قدَراً ، حيث كنت أنتظر إقامة الصلاة في مسجد (الأنبياء) – عليهم السلام – هنا في عجمان. وفجأة رأيت ذلك السفر موضوعاً على أحد الأرفف ، فطفقتُ أطالعُه ، فألفيته عظيماً في مبناه ومعناه ، إذ هو يتصل اتصالاً مباشراً بالقرآن الكريم. فأنشدت له هذه القصيدة مهنئاً على هذا السِفر العظيم ، جعله الله في ميزان حسناته يوم يلقاه.)

كتابُـــكَ كنـــزٌ – لا يبـــارى - ومَغـــنمُ ... وأســـلوبُه ســـام وجـــزلٌ وقـــيِّمُ

يواقيتـــه مثـــلُ النجـــوم مُضِـــيئة ... وأذكـــاره - للجـــرح والقـــرح - بلســـم

تحُـــضّ علـــى مـــدح الإلـــه وذكـــره ... وتتحـــف مَـــن يتلـــو ومَـــن يتـــرنم

وبهـــا يســـمو الإيمـــانُ ، فالـــذكر متعـــة ... ويَهـــدي البرايـــا للتـــي هـــي أقـــوم

ويَســـعَد بـــالأوراد - صـــحَّتْ - مُريـــدُها ... ويُصـــبحُ أو يمســـي يُردّدُهـــا الفـــم

فمـــا أعـــذب الـــذكرى تسَـــلّي مَـــن اتقـــى ... ويحيـــا بهـــا مستبصـــرَ القلـــب مُســـلم!

و(عبـــدُ المجيـــد) اليـــومَ أدلـــى بـــدلوه ... وسَـــطر سِـــفراً لفظـــه الفصـــلُ مُحْكـــم

كتـــابٌ مـــن القـــرآن قلبـــاً وقالبـــاً ... وإن الـــذي أمـــلاه - صِـــدقاً - مُعَلـــم

تقبـــلَ ربُ النـــاس منـــك مُعلمـــي ... لأن الـــذي ســـطرت - واللهِ - مَغـــنم

وجنبـــك الـــرحمن أنظـــار حُسَّـــدٍ ... فعنـــد ذوي الأهـــواء حقـــك يُهضـــم

وألزمـــك الـــديّانُ تقـــواه دائمـــاً ... فـــإن التقـــى زادٌ مـــن المـــال أكـــرم

فـــألفْ ، وأمتعْنـــا ، وأســـعدْ نفوســـنا ... وعِلمـــك هـــذا كيـــف – يـــا صـــاح - يُكـــتم؟

ألا إننـــي أكْبـــرتُ جهـــداً بذلتـــه ... وأجـــرُك عنـــد الله أوفـــى وأعظـــم

ولســـتُ علـــى المـــولى أزكّـــي عبـــاده ... وأحسَـــبُ ، والـــرحمنُ أعلـــى وأعلـــم

داعية آل قحطان

(إنه أستاذنا الدكتور: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني. صاحب المجلدات التي منها (الولاء والبراء). واعتدتُ أن أقرأ للرجل من ربع قرن فألفيت كتاباته وأسفاره وتحقيقاته عظيمة للغاية. كما أنني استمعت إلى العديد من محاضراته القيمة الغالية فألفيته قد أحسن الخطابة والإلقاء والمحاضرة كما أحسن الكتابة. والسمت الطيب في الدكتور القحطاني أنه قد ثبت في الفتن بفضل الله تعالى وتوفيقه! فلم يطوّع آية أو حديثاً ليُرضي طاغوتاً من الطواغيت ، بل قال الحق وكتبه وأعلنه في أيسر الظروف وأحلكها! وهذا ديدن العالم الرباني: أنه لا يميل حيث تميل الرياح ولا يجامل وفق الهوى! أقول ذلك أحسبه ولا أزكي على الله أحداً! فأنشدت فيه أقول:)

رأيتُـــكَ بُـــوئتَ بالشـــرف التليـــدِ ... وحُـــزتَ المجـــدَ فـــي كـــل صـــعيدِ

وجـــاوزت المفـــاخر فـــي البرايـــا ... وفقـــت الكـــل فـــي دنيـــا الصـــمود

وباريـــــت العبـــــاقرة النشـــــامى ... وجُـــدت اليـــوم بـــالرأي الســـديد

وأدّيـــــت النصـــــيحة بـــــاحترام ... مغلفـــــة بأســـــلوب رشـــــيد

وبينـــت العقيـــدة فـــي وضـــوح ... بلفـــظٍ مـــن ســـنا التقـــوى فريـــد

وقعَّـــدت القواعـــد فـــي جـــلاءٍ ... بحـــرف فـــاح منـــه شـــذى الـــورود

وأوضـــحت الشـــرائع دون لـــبس ... بجهـــدٍ - طـــاب مقصـــدُه - جهيـــد

وجلّيـــت الشـــعائر فـــي كتـــاب ... فبـــارك ربُنـــا فـــي ذي الجهـــود

(ولاؤك والبـــراءُ) لنـــا منـــارٌ ... وأشـــرطة الهُـــدى أحلـــى شـــهود

لـــذلك رُحـــتُ أكْبِـــرك احتســـاباً ... وشِـــعري الآن يـــذهب بالمزيـــد

أصـــوغ الحـــب شِـــعراً لا يُحـــابي ... وبالحـــب العمـــيم شـــدا قصـــيدي

أرجِّـــع مـــن نـــديِّ الشـــعر لحنـــاً ... يفـــيض لعـــاطر الحـــب المجيـــد

وأهـــديك القصـــيدة بعـــض ذكـــرى ... وأدعـــو الله دومـــاً فـــي ســـجودي

بـــأن يرعـــاك مـــا قـــد ذدتَ فيـــه ... وتُـــرزق – آجـــلاً - أجـــرَ الشـــهيد

الناقد الأدبي المؤرخ (شوقي ضيف)

(من يراجع سلسة تاريخ الأدب العربي من الجاهلية مروراً بالعصر الإسلامي والأموي والعباسي والدويلات والإمارات حتى العصر الحديث للدكتور شوقي ضيف ، يدرك أنه أديب فذ وناقد قدير ومؤرخ محقق منصف. وختم سعيه بتفسير القرآن على هامش المصحف. والحقيقة أنني تتلمذتُ في تاريخ الأدب العربي على أسفار شوقي ضيف ، ونهلتُ منها الكثير ، وكانت مصادري إن أردت الاستيثاق من أية قضية في تاريخ الأدب! ولم أكن أعترض على الدكتور شوقي ضيف إلا في محاولته اليائسة الهزيلة (تجديد النحو) ذلك الكتاب الذي كتبتُ عنه وعن أشباهه من الكتب التي تدمّر نحو العرب قصيدة أسميتها (تبديد النحو أم تجديده؟!) وشرعتُ في ترجمة حبي وتقديري لجهود الدكتور شوقي ضيف ، قصيدة رقيقة أصف فيها شعوري فأنشدت:)

(شـــوقي) عطـــاؤك للعلـــوم جهـــادُ ... وبـــكَ اســـتبانَ الصـــنعة النقـــادُ

مازلـــت تتحفنـــا بعلـــم نـــافع ... مثـــل الـــذي قـــد خطـــه الأجـــداد

حتـــى بلغنـــا - فـــي التحقـــق - ذِروة ... وتوشـــحتْ - ببياننـــا - الأمجـــاد

والعلـــمُ أفضـــل مـــا يـــرامُ ويُبتغـــي ... وحُماتـــه - بـــين الـــورى - الأســـياد

وبـــه التفاضـــلُ والتفضـــلُ حِســـبة ... وبـــه يكـــون الرشْـــدُ والإرشـــاد

وأرى (ابـــن ضـــيفٍ) قـــد أبـــان دروبـــه ... بمراجـــع هـــيَ للفتـــى أشـــهاد

عمـــدتْ إلـــى الآداب تســـبر غوْرهـــا ... حتـــى ازدهـــتْ - بـــين اللغـــات - الضـــاد

أســـفارُ علـــم لا يُمَـــلّ حوارُهـــا ... ترتادهـــا الأرواحُ والأكبـــاد

وحقـــائقُ التـــاريخ فيهـــا جمّـــة ... والحـــق للأجيـــال نِعـــم الـــزاد!

كـــم فنـــد الآراء حـــول قضـــيةٍ ... والعُـــدة الإجمـــاعُ والإســـناد!

كـــم نـــاظر المستشـــرقين ، وردّهـــم ... حتـــى انتهـــى عـــن غيّـــه الإلحـــاد!

كـــم جـــادل المســـتغربين ، وصـــدّهم ... حتـــى ثـــوى الإرغـــاء والإزبـــاد!

وختمـــتَ بـــالقرآن أعـــذب رحلـــةٍ ... فليقتـــدِ الأدبـــاءُ والعُبـــاد

وزهِـــدتَ فـــي الـــدنيا زهـــادة راحـــل ... فليتبعْـــك الصـــفوة الزهـــاد

ميسرة

(ميسرة قصيدتنا هي فتاة إندونيسية وعت كتاب الله تعالى عن ظهر قلب! وكانت قد اشتركت في مسابقة قرآنية دولية ، وحان موعد المسابقة التي جائزتها ما يقارب العشرة آلاف ريال. وإذا بأحد أعضاء اللجنة لم يعجبه حجابها الساتر لكل الجسم بما في ذلك الوجه والكفان ، يأمرها بأن تكشف وجهها ، لأنه شرط في هذه المسابقة. فأبت عليه ذلك مضحية بالمسابقة وبالجائزة! وخرجت من القاعة قائلة: لا يمكنني أبداً نزع حجابي! فإذا بموجة من التعاطف من بعض الحاضرين الغيورين تتجه نحوها! فأحدهم أهداها من حُر ماله سبعة وعشرين ألف ريال! وآخر أهداها بيتاً كاملاً تقيم فيه أو تبيعه! وثالث أهداها حَجة وعمرة لها ولثلاثة من أهلها! فلما علمتُ بذلك وشاهدته رأي العين صوتاً وصورة! كتبتُ هذه القصيدة أحييها وأبارك فعلها! وأفاخر بها وأشعر بالسعادة الغامرة وأنا أرى من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – من تضحّي وتترك شيئاً لله تعالى! إنه لما سُئل الأستاذ محمد المنجد عن حديث: (من ترك شيئاً لله عوضه الله بخير منه) ، وهل التعويض يكون من جنسه أم لا؟ وهل يكون في الدنيا أم في الآخرة؟ وهل يمكن أن لا يعوضه الله بخير مما ترك؟ فكان من جوابه: (لقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنك لن تدع شيئاً لله عز وجل إلا بدَّلك الله به ما هو خير لك منه). رواه أحمد. وقال الألباني: "وسنده صحيح على شرط مسلم".انتهى من السلسلة الضعيفة". وهذا التبديل والتعويض قد يكون بشيء من جنس الشيء المتروك ، وقد يكون من غير جنسه. قال ابن القيم رحمه الله: وقولهم من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه: حق ، والعِوَض أنواع مختلفة ؛ وأجلّ ما يعوّض به: الأنس بالله ومحبته ، وطمأنينة القلب به ، وقوته ونشاطه وفرحه ورضاه عن ربه تبارك وتعالى. انتهى من الفوائد. ومن أمثلة العِوض في الدنيا ، ما ذكره ابن القيم في كتابه القيم في روضة المحبين. ولما عقر نبي الله سليمان بن داود عليهم السلام الخيل التي شغلته عن صلاة العصر ، حتى غابت الشمس: سخر الله له الريح يسير على متنها حيث أراد. ولما ترك المهاجرون ديارهم لله ، وأوطانهم التي هي أحب شيءٍ إليهم: أعاضهم الله تعالى أن فتح عليهم الدنيا وملّكهم شرق الأرض وغربها. ولو اتقى اللهَ السارقُ ، وترك سرقة المال المعصوم لله: لآتاه الله مثله ، أو خيراً منه ، حلالاً! قال الله تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) ؛ فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه إذا اتقاه ، بترك أخذ ما لا يحل له ، رزقه الله من حيث لا يحتسب. انتهى. وهذا التعويض لا يلزم أن يكون بشيءٍ محسوس من مال أو نحوه ، بل قد يكون ذلك بأن يرزق الله تعالى عبده درجة عالية من الإيمان واليقين والرضى بما يقدره الله تعالى ، كما قيل لبعض الزهاد وقد رُئي في هيئة رثة: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، وأنت تركت الدنيا فماذا عوضك الله؟ فقال: الرضى بما أنا فيه "صفوة الصفوة". وقد يكون هذا التعويض في الآخرة ، وهو ظاهر ، فإن من ترك شيئاً لله عز وجل أثابه الله ، وثواب الآخرة مهما قل ، فهو أعظم من الدنيا كلها مهما عظمت. قال ابن دقيق العيد رحمه الله: من المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة! انتهى نقلاً من "فتح الباري". وقال السندي رحمه الله في "حاشية ابن ماجه": "ذَرَّةٌ مِنَ الآخرة خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا" انتهى. وقد جاءت بعض الأحاديث فيها النص على الجزاء الأخروي لمن ترك شيئاً لله عز وجل. روى الترمذي عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسِ تَوَاضُعًا لِلَّهِ ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ: دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا). حسنه

الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (حُلَلِ الإِيمَانِ): يَعْنِى مَا يُعْطَى أَهْلُ الإِيمَانِ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ. وروى أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه عن معاذ بن أنس أيضا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ: دَعَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ). حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه. وأهل التقوى والبصيرة لا يأبهون بالعوض الذي ينالونه في الدنيا ، بل كل همّهم ومنتهى آمالهم أن ينالوا العوض في الآخرة ، بل إنهم إذا أدركوا من ذلك شيئاً في الدنيا ، فإنهم يداخلهم الخوف والوجل ، يخشون أن يكونوا ممن عجلت لهم طيباتهم في الدنيا. روى البخاري: أن عبد الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتي يَوْمًا بِطَعَامِهِ فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَكَانَ خَيْرًا مِنِّي فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ ، أَوْ رَجُلٌ آخَرُ ، خَيْرٌ مِنِّي ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عُجِّلَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي ، وفي رواية للبخاري: وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ. فما دام العبد قد ترك شيئاً مما نهاه الله عنه لا يتركه إلا لوجه الله عز وجل فالعوض له محقق ، وهذا وعد من الله ، ولن يخلف الله وعده. ولتعلم يا عبد الله: أن هذا الباب كله هو من الرزق ، والرزق والعطاء ، سواء ابتداء ، أو جزاء ، معلق بمشيئة الله جل جلاله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا). فإذا كان الرزق ، ابتداء ، أو جزاء ، إنما هو بيد الله جل جلاله ، وبمشيئته العامة لخلقه ، فليس من العقل ولا الحكمة في شيء أن يطلب ما في يد الله بمخالفة أمره. عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نفث روح القدس في روعي: أن نفساً لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها ؛ فأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته). رواه الطبراني في المعجم الكبير وغيرُه ، وصححه الألباني.).هـ. إنني أجعل هذه القصيدة الانتصارية تحية رقيقة لهذه الموفقة الفذة الصالحة (مَيسرة الإندونيسية المسلمة) على إصرارها على الحق!)

رعـــــاكِ الله صـــــاحبة المعـــــالي ... ووفقـــــكِ المهـــــيمنُ ذو الجـــــلالِ

وقلـــــدكِ المناقـــــبَ والســـــجايا ... وحســـــن القـــول مـــعْ طِيـــب الفعـــال

وألزمـــــكِ التقـــــى سَـــــمْتاً وهـــــدياً ... فتقـــــوى الله مـــــن أحلـــــى الخِصـــــال

وأدخلـــــكِ الجنـــــانَ بـــــلا حســـــاب ... وأولاكِ الثبـــــات لـــــدى الســـــؤال

فقـــــد آثـــــرتِ أخـــــراكِ احتســـــاباً ... وكـــــان جـــــواب ســـــؤلكِ بارتجـــــال

مُســـــاومة تُحـــــاك لكشـــــف وجـــــه ... وكشـــــفُ الوجـــــه مِـــــن أخـــــزى الفِعـــــال

أتيـــــتِ لتقرئـــــي الآيَ اســـــتباقاً ... لفـــــوز بـــــالجوائز والنـــــوال

بحفـــــل ضـــــم أهـــــل الـــــذكر طبعـــــاً ... مـــــن النســـــوان مـــــن خلـــــف الرجـــــال

وكـــــلٌ يرقـــــبُ الفـــــوز اشـــــتياقاً ... لســـــبق نـــــورُه فـــــاق اللآلـــــي

وهـــــل فـــــوزٌ يفـــــوقُ كتـــــابَ ربـــــي ... يُبـــــاركُ كـــــل مســـــتمع وتـــــال؟

يزيـــــد الفـــــائزَ المفضـــــالَ تقـــــوى ... ويُوصـــــله إلـــــى أوج الكمـــــال

إذا مـــــا اســـــتظهر القـــــرآن عبـــــدٌ ... لأصـــبح - فـــي الـــورى - أســـمى مثـــال

وحـــــاز العـــــز فـــــي دنيـــــا البرايـــــا ... ولـــــم يعـــــش الحيـــــاة لجمـــــع مـــــال

و(ميســـــرة) أراهـــــا اليـــــومَ رمـــــزاً ... يُشـــــرِّفُ كـــــل مُنتســـــب وآل

فقـــــد ضـــــحَّتْ بجـــــائزةٍ وفـــــوز ... وصِـــــيتٍ قـــــد توشـــــح بالجمـــــال

لكـــــي لا تكشـــــف الوجـــــه احتيـــــالاً ... ومـــــا جـــــدوى الحيـــــاة بالاحتيـــــال؟

لتســـــلم مـــــن مخالفـــــةٍ لـــــنص ... يُجنبهـــــا مزالـــــق الابتـــــذال

وقالـــــت دونمـــــا أدنـــــى ارتيـــــابٍ ... سُـــــفوري بيـــــنكم مثـــــلُ المحـــــال

ولـــــن آســـــى علـــــى مـــــا كنـــــت أصـــــبو ... إليـــــه بالاجتهـــــاد والاشـــــتغال

وأجـــــري - عنـــــد ربـــــي - دون شـــــكٍ ... وعنـــــد الله حِلـــــي وارتحـــــالي

وجهـــــدي واجتهـــــادي لـــــن يضـــــيعا ... علـــــى المـــــولى اعتمـــــادي واتكـــــالي

ألا يـــــا أختـــــُ حُجتـــــكِ اســـــتبانت ... بلفـــــظٍ مـــــن دُجـــــى الإســـــفاف خـــــال

فأنـــــت رميـــــت صـــــوب النـــــذل صـــــخراً ... أشـــــد عليـــــه مـــــن نضـــــح النبـــــال!

يريـــــدكِ سِـــــلعة لمـــــن اشـــــتهاها ... ولـــــم يعـــــرفْ حرامـــــاً مـــــن حـــــلال

فهـــــل كانـــــت مســـــابقة لـــــرقص ... تهـــــيم بحســـــن ربـــــات الحِجَـــــال؟

وهـــــل هـــــو مهرجـــــانٌ للبغايـــــا ... لتغشـــــاه القِحـــــاب علـــــى التـــــوالي؟

يمـــــينَ الله لـــــم نســـــمع بهـــــذا ... ولـــــم تشـــــهدْه أزمنـــــة خـــــوال

تنطـــــعَ جاهـــــلٌ ، فـــــازداد هـــــزلاً ... حســـــابكَ - عنـــــد ربـــــكَ - يـــــا مُغـــــالي!

احتسبتك عند الله يا أبي

(كثيراً ما دعا الأبُ ابنه إلى الحق والخير. وظل الابنُ على عناده ولجاجه إلى أن أخذتِ الأبَ غيبوبة مات فيها. ولم يعد هناك من يأمر أو ينهى أو ينكر أو ينتقد أو يلوم أو يؤاخذ أو يدعو. فقال الابن وقد عاد إلى صوابه وأفاء إلى رشده وانتبه من غفلته: احتسبتك عند الله يا أبي. فكتبتُ موصياً كل فتىً بأبيه. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في بيان ما ينبغي للوالدين من حقوق أكثر من أن تعد وتحصى كثرة! ويكفي أن الأب وإن كان كافراً مُشركاً لا يدين دين الحق فقد كفى ابنه مؤنة جواب السؤال: (مَن أبوك؟) وإذن فالأب وهو كافرٌ نعمة لابنه! فما بالنا إن كان مؤمنا؟! قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم: (رضا الرَّبِّ في رضا الوالدِ ، وسخطُ الرَّبِّ في سخطِ الوالدِ). وقال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: (رغِم أنفُ رجُلٍ ذُكِرْتُ عندَه فلَمْ يُصَلِّ علَيَّ ، ورغِم أنفُ رجُلٍ أدرَك أبوَيْهِ عندَ الكِبَرِ فلَمْ يُدخِلاه الجنَّةَ ، ورغِم أنفُ رجُلٍ دخَل عليه شهرُ رمضانَ ثمَّ انسلَخ قبْلَ أنْ يُغفَرَ له). وجاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقال: (يا رسولَ اللهِ ، ما الكبائرُ؟ قال الإشراكُ باللهِ ، قال: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ عقوقُ الوالدَينِ ، قال: ثمّ ماذا؟ قال: اليمينُ الغموسُ ، قلتُ: وما اليمينُ الغموسُ؟ قال: الذي يقتطعُ مالَ امرئٍ مسلمٍ ، هو فيها كاذبٌ). عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ثلاثُ دعَواتٍ مُستَجاباتٌ لا شَكَّ فيهِنَّ دَعوةُ الوالِدِ ، ودَعوَةُ المسافِرِ ، ودعوَةُ المَظلومِ). وفي جريدة (المدينة) الصادرة يوم الجمعة 13 / 08 / 2010 ، كان استطلاع يبين مدى ما وصل إليه أغلب أبناء هذا الزمان من العقوق وتحت عنوان (تمرد الأبناء على الآباء عقوق بدايته تأفف ونهايته الندم) ومن استطلاع الأستاذ إبراهيم الرحيمي ، نقتطف منه بعض الورود : (لقد فطر الإنسان على احترام والديه وتقديرهما والعناية بهما ، وجاء القرآن الكريم الذي عني بإتمام مكارم الأخلاق ليركِّز على هذه القيم فأمر المسلم بتقدير والديه وطاعتهما ، حتى لو كانا غير مسلمين ، ونهى عن عقوق الوالدين وأمر ببرهما ووصلهما. لكن المشاهد للواقع المحلي ينفطر قلبه جراء ما يشاهده بعينيه من تفشي مظاهر العقوق في المجتمع بصورة ملحوظة ، فما هي أسباب هذه الظاهرة؟ وما هي أسباب العلاج؟ الرسالة وضعت هذه الأسئلة على طاولة بعض المهتمين فأفادوا بالتالي: * الدلال الزائد:- بداية يوضح المستشار الأسري الشيخ غازي الشمري أن تمرد الأبناء على الآباء ظاهرة موجودة في مجتمعاتنا منذ القدم ، وقال: هناك كلمة جميلة للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز قال فيها: (الهداية من الله والتربية من الآباء)! ونحن الآن في زمان فتن! زمان قلّ فيه الاحترام والتقدير ، وعندما أوصى الله الأبناء بالآباء خيراً ، فإن ذلك كان لعلمه أنهم قد يتجاهلون آباءهم. أما الآباء فإن فطرة الرحمة موجودة في قلوبهم. وأضاف الشمري قائلاً: من واقع عملي كمستشار في التكافل الأسري في المنطقة الشرقية ، فقد جاء بعض الآباء يشتكون من أبنائهم ، فأحدهم يقول إن ابنه كسر له قدمه ، وضربه ضرباً مبرّحاً ، لأنه لم ينفذ له بعض رغباته! وبالتالي أرى أن أسباب هذا التمرد تعود إلى التدليل الزائد من الآباء للأبناء ، كما أن هناك نقطة مهمة جداً وحساسة في هذه القضية وهي عدم توفير الصداقة الصالحة للأبناء ، إضافة إلى إهمال الأبناء وعدم أخذهم إلى مجالس الكبار ، ولو جلس هؤلاء الشباب مع الكبار لاستفادوا فائدة عظيمة ، وتعلموا منهم لان (المجالس مدارس) كما يقولون. وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: كان والدي

يأخذني إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فيه أبو بكر وعثمان وعلي وكبار الصحابة. ويواصل الشمري بالقول: أفرد الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه باباً في أخذ الصغار إلى مجالس الكبار! وهنالك أمر آخر وهو إعطاء الأبناء الثقة والاحترام والتقدير والحب والحنان! هذه الأسباب بإذن الله عز وجل مع الدعاء لهم كفيلة بأن تساهم في صلاحهم ، ولا بد لي من التذكير بقوله صلى الله عليه وسلم: "برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم". فإذا رأى الأبناء أن الأب يبر أباه بالكلمة والاحترام والتقدير ، وبالدعاء والصدقة إن كان ميتاً ، فإن هذا ينعكس في نفوسهم فيتأثرون به).هـ. * ومن صور العقوق:- من جانب آخر يصف الدكتور يوسف الأحمد تمرد الأبناء على الآباء بأنه عقوق قائلاً: (لا شك أن عقوق الوالدين من أعظم الذنوب عند الله ، وكثير من الناس يظنون أن عقوق الوالدين هو الضرب والصراخ عليهما ورميهما في ملجأ أو في دار العجزة ، ونحو ذلك من الصور التي تذكر في بعض وسائل الإعلام وتذكر في القصص ، وهذا التصور وإن كان صحيحاً في جزئية منه ، إلا أن صور العقوق كثيرة ومتعددة ، فمجرد أن يقول الابن لوالده أف أو يُبدي تضجره ، فهذا من أنواع العقوق التي نهى عنها الله تعالى بقوله: "فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما"! و(أف) هي أقل درجات الانزعاج وإظهار الضجر ، فقد يأمر الأب ابنه بشيء فيغير الابن نبرة كلامه ويظهر انزعاجه مما أمره به والده أو والدته فتكون (أف) أو نحوها من تغيير نبرة الصوت أو رفعه أو عبوس الوجه الذي يدل على عدم رضاء الابن برأي أبيه وغيره من الطرق التي مآلها إلى هذا المعنى الذي ذكره الله جل وعلا في كتابه العزيز واعتبره من المحرمات ، وهو من صور العقوق والعياذ بالله).هـ. وأوضح الدكتور الأحمد أن الشرع يأمر بإظهار البر والإحسان للوالدين ، وقال: (العقوق من أكبر الكبائر في الإسلام واعتبره الشرع من السبع الموبقات ، وثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله علية وسلم قال: (لا يدخل الجنة قاطع) وأعلى درجات قطيعة الرحم هي قطيعة الوالدين لأن البعض قد يهجر والديه أو تكون العلاقة بينهما فيها نوع من الهجر بين الأب وابنه. قال تعالى: "وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا").هـ. واختتم الأحمد بالقول: (دعاء الآباء للأبناء من أهم أسباب صلاحهم وقد أمرنا الشرع في مثل هذه الحالات بالالتجاء إلى الله في إصلاح الأبناء لأن الإنسان قد يتعب في تربية ابنه ويبذل جهد ورغم ذلك يكون مصيره الفشل والانحراف ، قال تعالى: "والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما").هـ. * العادات الوافدة:- من جانبه يقول الأستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية الدكتور حسين بن هادي العواجي: (المتأمل في أحوال الأبناء مع آبائهم في وقتنا الحاضر يري عجباً وأصبح عقوق الأبناء للوالدين ظاهرة منتشرة بشكل كبير خاصة في مرحلة المراهقة حيث غاب في كثير من منازلنا احترام الأبناء للآباء وعدم إعارة اهتمام لغضبهما أو رضاهما ومع تدفق الثقافات والعادات الوافدة ازدادت معاناة الآباء من ظاهرة التمرد التي تعني الرفض والعصيان وعدم الالتزام بأوامر الآباء. فمن الأبناء من يسيء الأدب مع والديه إما بالتصرف الخاطئ أو النظرة الحادة أو العقوق الظاهر والبعض يهجر والديه بالكلام والبعد عنهم ، وهناك أبناء يصرخون في وجوه آبائهم ، وهناك من يضرب والديه ، بل وصل الأمر إلى أقصى درجات العقوق وذلك بأن يقتل الابن أباه أو أمه).هـ. * أسباب وعلاج:- وأوضح العواجي أسباب عقوق الأبناء في عدة عوامل بقوله: (هناك أسباب كثيرة منها أسلوب التربية الخاطئ منذ الطفولة ، والشدة المتناهية على الأبناء

أو الدلال الزائد ، وممارسة بعض الآباء للدكتاتورية والتسلط في التعامل مع الأبناء ومصادرة آرائهم وإرادتهم والتشديد عليهم. ومنها كذلك غياب الحوار الأسري بين الآباء والأبناء. وكذلك ثقة بعض الآباء العمياء من الآباء لأبنائهم وعدم مراقبتهم ومتابعتهم ، وعدم التركيز على معرفة أصدقاء الأبناء ورفقائهم الذين يكون لهم دور كبير جداً في تشكيل فكر الأبناء مما ينعكس سلباً على أخلاقهم وتصرفاتهم. وكذلك كثرة نشوب المشاكل الأسرية بين الزوجين أمام الأبناء وانتشار ظاهرة العنف لدى بعض الأسر ضد أبنائها والتفكك الأسري بسبب الطلاق وغياب الأب عن المنزل لفترات طويلة أو انشغاله بالأسفار. ولا ننسى أخيراً أثر المسلسلات الأجنبية والفضائيات التي لها دور كبير في انتشار ظاهرة العقوق وزرع بذور التمرد في الأبناء. والتربية السليمة للطفل تبدأ باختيار الزوجة الصالحة التي تربي أبناءها على الأخلاق الفاضلة. ووجود قدوة حسنة في محيط الطفل الأسري يتبادل معه الآراء. وأن تكون العلاقة بين الأبناء والآباء مبنية على الصراحة والوضوح منذ الصغر وإعطاء الأبناء فرصة للاعتماد على أنفسهم).هـ. والحقيقة أنني انفعلتُ بالاستطلاع والموقف فكتبتُ قصيدتي هذي على البحر العروضي المضارع لتأخذ الوصية النافعة صفة الديمومة والمضارعة!)

اذكـــــرْ مقـــــامَ أبيكـــــا ... يـــــا صـــــاح ، وادعُ المليكـــــا

مـــا المَـــرءُ مِـــن دون أهـــل؟ ... فـــــاذكرْ بخيـــــر ذويكـــــا

والـــــزمْ ، ونفـــــذ وصـــــايا ... أبيـــــك ، لا فـــــض فوكـــــا!

لـــــمْ يـــــدّخرْ أي جهـــــدٍ ... إلا وأفنـــــــــاهُ فيكـــــــــا

وســـــوف تُـــــدركُ هـــــذا ... بدقـــــــةٍ فـــــي بنيكـــــا

أبـــــوك عـــــانى كثيـــــراً ... إذ عـــــاب – فيـــــكَ - الســـــلوكا

وعشـــــت تـــــؤثرُ بُعـــــداً ... وتستســـــــــيغ الشـــــــكوكا

وتســـــــتطيبُ الخطايـــــا ... وتســـــــتلذ الهلوكـــــــا

وللتـــــــدني رفـــــاقٌ ... وهـــــــاجسٌ يحتويكـــــــا

وللتـــــــردّي حَضـــــيضٌ ... ومَوئـــــــلٌ يجتبيكـــــــا

حتـــى انتهـــى كـــل شـــيءٍ ... غـــــال بمـــــوت أبيكـــــا

فرُحـــــت تبكـــــي عليـــــهِ ... دمـــــاً غزيـــــراً سَـــــفِيكا

تقـــــول: إنـــــي احتســـــبتُ ... أبـــــاً حكيمـــــاً حنيكـــــا

يريدون تقوى الله

(حفنة من الموحّدين عملوا معاً لاكتساب القوت. وحقاً اجتنبوا - في كسبهمُ - الحرام والشبهة. وابتلاهمُ الله أشد البلاء ، فثبتوا لأنهم فعلاً يريدون تقوى الله وتحرّيَ الحلال لاكتساب الأجر عند الله تعالى. أخرج البخاري وأحمد عن المِقدام بن معد يكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبيَ الله داود كان يأكل من عمل يده». وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أكل طيبًا وعمل في سنة ، وأمن الناس بوائقه ، دخل الجنة ، قالوا يا رسول الله: إن هذا في أمتك كثير ، قال: وسيكون في قرون بعدي». (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب ، والحاكم وقال: صحيح الإسناد ، سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني). فأعجبني سعيُ الطيبيين للحلال مريدين بسعيهم وجه الله! فكتبتُ من السريع أحيّيهم.)

عِـشْ للتقـى ، هـذا هـو الرّشَـدُ ... يُغنيـكَ ربٌ واحـدٌ صـمدُ

وامهـدْ لـنفس لـيس يُشـبعُها ... مـالٌ ، لـذا أودى بهـا الجحَـد

واصـبرْ علـى مـا قـد بُليـت بـهِ ... ظنـي – جُفـاءً - يَـذهبُ الزبـد

والله مُنجـي مَـن يلـوذ بـه ... جـلّ المليـكُ القـادرُ الأحـد

أكْـلُ الحـرام النـارُ موعـدُه ... وعـن الحـرام الشـهمُ يبتعـد

والحِـلّ لا شـيءٌ يعادلـه ... وبـه يُنـال السـعدُ والسـدد

ومَـن اتقـى مـولاه كـان لـه ... مِـن كـل ضـيق فـي الـدنا رَغـد

ويفـوز بالجنـات مَـن عملـوا ... وفـق الهُـدى والشـرع ، واجتهـدوا

لـم يركنـوا - يومـاً - لطاغيـةٍ ... وعلـى الإلـه القـاهر اعتمـدوا

تـاقوا إلـى الجنـات فـي ولـهٍ ... ومِـن السـعير اللافـح ارتعـدوا

لـم يغفلـوا مِـن مـوتهم أبـداً ... بـل عنـدهم فـي ذِكـره رشـد

مِـن أجـل هـذا عـز جـانبُهم ... وعلـى جمـوع الباطـل اتحـدوا

حتـى إذا مـا جُنـدلوا صـبروا ... صـبراً ، وفـي وجـه الأذى صـمدوا

ويصِـحُ أمـرُ المـرء أجمعُـه ... إن صَـحّ توحيـدٌ ومُعتقـد

(حذره الأطباء من مثل هذه العملية الجراحية. فجازف وأجريتْ له ونجحت. فقال للأطباء: فيم الخوف؟ إن الآجال بيد الله! وإن الرسول – صلى الله عليه وسلم - أخبرنا أن جبريل ألقى في رُوعه بحزم أن نفساً لن تموت حتى تستوفيَ أجلها. ولقد شهدتِ الولايات المتحدة الأميركية سقوط عامليْن لغسل النوافذ من الدور الـ47 لناطحة سحاب في نيويورك ، وكانت المفاجأة التي أذهلتِ رجال الإنقاذ هي وجود أحدهما على قيد الحياة. وقام رجال الإنقاذ برفعه بحذر شديدٍ ، ونقلوه إلى المستشفى في نيويورك ، حيث حصل على 24 وحدة من الدم و19 وحدة بلازما ، وهذا يكفي ليحل محل كل الدم في جسده أكثر من مرتين. وخضع العامل لحوالي 16 عملية جراحية لإصلاح 10 كسور في العظام ، كما أصيبت الرئتان والكُلى ، وكذلك كسور في الأضلاع والذراع والساقين ، فضلاً عن الجلطات الدموية والجروح المتفرقة في جميع أنحاء الجسد. وتبدأ قصة المهاجر الإكوادوري إلى أميركا ألسيدس مورينو كما نشرتها صحيفة (نيويورك بوست) الأميركية عندما كان يقوم مع شقيقه الأصغر إدغار الذي قتل في الحادث بغسل واجهة الأدوار العليا في برج (سولو) في نيويورك بالماء والصابون وأدوات غسل النوافذ. ويقول ألسيدس الذي نجا بأعجوبة من الموت المحقق بعد تعافيه من الحادث إنه يقوم هو وشقيقه بالبدء بتنظيف الطوابق العليا أولاً ثم النزول تدريجياً إلى الأسفل. ويُضيف: لقد صعدنا بالفعل إلى الطابق السابع والأربعين للمبنى ، وعندما جلسنا في رافعة مخصصة لتنظيف واجهات المباني المرتفعة ، لم تتحمل الحبالُ التي تربط الرافعة ثِقلنا. وقال ألسيدس: إن حبلاً في الجانب الأيسر للرافعة انقطع ، فطار أخوه إدغار إلى الأسفل من ارتفاع 144 مترا ، وسقط على سياج خشبي حيث بلغت سرعته 190 كيلومتراً في الساعة ، ووجده رجال الإسعاف ميتاً لأن السياج قطع جسمه إلى قسمين. ثم انقطع الحبل الأيمن وسقط ألسيدس أيضاً ، ووجده رجال الإسعاف بين أجزاء الرافعة المعدنية ، وكان على قيد الحياة لأن الرافعة اصطدمت بالأرض أولاً. وبعد سنوات من الحادثة يقول ألسيدس: لقد أنجبتْ زوجتي العام الماضي طفلاً رابعاً وربما نجوتُ لأربيَه وأطلِعه على ما حدث معي! وتحت عنوان: (الأعمار بيد الله) يقول الكاتب العراقي الأستاذ حسين صالح ما نصه: (شيءٌ عجيبٌ أن الإنسان طموحاته وأحلامه وآماله غريبة. لم أصادفْ أحداً لا يريد لنفسه طول العمر ، الكل يريد أن يعيش. وبنفس المقدار! لم أر أحداً يريد الشيخوخة. الإنسان يطلب أن يمتد به العمر ، لكنه لا يريد أن يَشيخ. يمر الإنسان بالأعمار مثل الفصول ، الطفولة أجملها العمر الوحيد الذي يتفق على حبه الجميع. ومِن حسن الحظ أن الإنسان يولد طفلاً وأعتقد أن وراء ذلك مخططاً. يولد الإنسان محبوباً وملاكاً لكي يتعلق به أبواه ويُربيانه ويَصبران عليه لأعوام. كل هذا استعداداً لبُلوغ الطفل مرحلة المراهقة الكريهة. يعني هناك خدعة أو لعلها نعمة تستدرجنا إلى قبول المراهق بأن يولد المولود طفلاً ولا يكشف عن مراهقته إلا بعد سنين. ولو أن الأطفال يولدون مراهقين لعاد المجتمع إلى وأد البنات والأولاد! لا أذكر الآن كاتباً إنجليزياً قرأتُ له مقولة حكيمة تقول إن الإنسان لا يكون ملاكاً حقيقياً ومخلوقاً لا يؤذي أحداً ولا يخرب البيئة ولا يُوقع الشر بالحيوان والنبات إلا في الأشهر التسعة الأولى من حياته ، داخل الرحم. وهناك مثل إنجليزي يقول: (بعد سن الأربعين يصير لكل منا الوجه الذي يستحقه). لذلك ينبغي أن لا نسبر أغوار النوايا ونحكم

على وجدان الشباب. بعد ذلك نصل إلى الشيخوخة. وهو الموسم المنبوذ الذي لا يريده أحد. وأذكر أني قرأتُ عند وودهاوس وصفاً لرجل رثٍ عجوز متهالك يقول عنه الكاتب: (شكله شكل رجل عمره الحقيقي مئة عام ، لكنه يبدو أكبر من عمره بسبب الهموم). والإنسان لا يَرى شيخوخته بل يراها الآخرون. عندما تبلغ الستين في معظم دول أوروبا يمنحونك بطاقة تتيح استخدام المواصلات العامة مجاناً. وهي بطاقة تشهرُها وتعرضها على الماسح الضوئي بحيث يراك الجميع تكشف عمرك. بينما المرأة تنفقُ المئاتِ من الجنيهات شهرياً لتبدوَ في الأربعين وهي قد تجاوزت الستين. لكنها لكي توفر جنيهاً هو أجرة ركوب الحافلة تستخدم بطاقة العمر ليعرف كل راكب أنها تجاوزت الستين. ربما توفر الجنيه لشراء مساحيق تخفي بها عمرها!).هـ. أشكر الكاتب المحترم وأقول من البحر المجتث.)

تـــــــذرّعوا بالثبـــــــاتِ وزايلـــــــــوا الترّهـــــــــاتِ

حياتنـــــا يـــــا رفـــــاقي تحـــــــــدّدتْ كالممـــــــــات

فـــــلا تزيـــــدوا عـــــذابي وحللـــــــــوا بيّنـــــــــاتي

فقـــــد أقمـــــتُ دلـــــيلاً مخرّجـــــــــاً بـــــــالرواة

ومـــــا سَـــــئمتُ دعـــــائي ومـــــا مَللـــــتُ صَـــــلاتي

ومـــــا يئســـــتُ بتاتـــــاً فلـــــيس ذا مـــــن صـــــفاتي

فنفـــــذوا مـــــا ارتـــــأيتم ولا تقولـــــــوا: حيـــــاتي

ولا تخـــــافوا رحيلـــــي فإنمـــــا الحِـــــرصُ عـــــات

وخـــــالقي خـــــط عمـــــري وطـــــالِعوا المُحكمـــــات

فبالإلـــــه اســـــتعينوا تُحققـــــوا المعجـــــزات

وإن أعـــــشْ فمعـــــافىً مِـــــن العنـــــا والأداة

وإن أمـــــتْ فمصـــــيري ومَرجعـــــي للفـــــوات

وإنمـــــا المـــــوتُ حـــــتمٌ وفيـــــه كـــــم مِـــــن عِظـــــات!

ومَـــــن مِـــــن النـــــاس يومـــــاً نجـــــا مـــــن النائبـــــات؟!

إلا بلطـــــــــــفٍ وإذن مـــــن خـــــالق الكائنـــــات؟!

خاتمة المطاف

ختمنـــا المطـــافَ العظـــيم الأبـــي ... بترنيمـــــة الأمـــــل المُوعِـــــبِ

ولقنـــــتِ الـــــنفسُ درسَ الإبـــــا ... وقـــــال الضـــمير لهـــا: جرّبـــي

خضـــعتِ الكثيـــر بـــلا غايـــةٍ ... وذقـــتِ الســـعير بـــلا مَطلـــب

شـــققتِ العُبـــابَ ، فضـــاق الـــورى ... وهـــاج الخِضـــمُّ علـــى المَركـــب

وضـــحيتِ ، لـــم تبخلـــي لحظـــة ... ولـــم ترْفقـــي فـــي البليّـــات بـــي

سَـــباكِ الجمـــالُ فلـــم تركنـــي ... لأن إبـــــاءك لـــــم يَنضـــــب

وخلفتـــه فـــي الســـراب الـــذي ... تعـــوَّد فيـــه بـــأن يختبـــي

وعشـــتِ مـــع العِـــز فـــي عـــالم ... بضـــاعته شِـــعرُه اليعربـــي

ختمنـــا المطـــاف بترجيعـــةٍ ... وعـــزم - عـــن الخيـــر - لـــم يُحجـــب

وقلـــب تماســـك فـــي أزمـــةٍ ... يضـــيق بهـــا العبقـــريُ الأبـــي

وفـــي الحـــب كـــان الصـــدوقَ الـــذي ... علـــى مَـــن تعشـــق لـــم يكـــذب

ووفـــى لهـــا صـــادقاً مخلصـــاً ... وجـــاد بإكرامـــه الطيّـــب

وراعـــى مشـــاعرَها دائمـــاً ... وأمضـــى وصـــايا الرســـول النبـــي

إلـــى أن أذلتـــه لـــم تكتـــرث ... وبـــاءت بهـــذا الســـلوك الغبـــي

وبـــالحق للـــزوج لـــم تعتـــرفْ ... وراغـــت كبـــرق الســـما الخلـــب

فخـــاف اللبيـــبُ علـــى دينـــه ... وخـــاف علـــى الهَـــدْي والمَـــذهب

فأهـــدر (ذل الجمـــال) الـــذي ... دجـــاه يفـــوق دجـــي الغيهـــب

وســـلّمه الله مِـــن زوجـــةٍ ... أذاقتـــه مِـــن كيـــدها المُلهـــب

ترجمة الشاعر

(الشاعر/أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصرالعربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية وآدابها - جامعة المنصورة - دفعة مايو عام 1985م. له اهتمام بالغ منقطع النظير بالأدب الجاد شعره ونثره ونقده. وله صفحة يومية بجريدة الوحدة العربية عنوانها: دوحة الوحدة الشعرية ، وهي صفحة تعنى بالشعر في جميع مراحله القديمة والحديثة: نقداً وتحقيقاً ومتابعة وتغطية. كما أن الصفحة تتبنى المواهب المتطلعة لشعر أفضل!

- في كتاب (الشعر المتفلت) للدكتور النحوي صـ 91 يقول: (من خلال الشعر المتفلت وتفعيلاته انتشرت معان متفلتة من الأخلاق وقيمها. واستباح بعض أدباء الحداثة الأعراض وتحدثوا عن الجنس بصورة مكشوفة. وسهل عليهم كتابة ذلك.) بل والإكثار منه لسهولة كتابة الشعر الذي ليس بشعر. ومع انتشار ذلك وتكراره أثر في بعض الأدباء المسلمين فتفلت غير واحد منهم في تعبيرات غير كريمة وأساليب غير منضبطة. وأخذوا يبحثون عما يسوّغ لهم ذلك في الإسلام وفقهه. فقالوا: إن الفقيه الفلاني كتب بصورة مكشوفة ، وإن الشاعر الفلاني كتب كذا وكذا ، وضربوا أمثلة لذلك يلتقطونها من التاريخ. وردّنا أن هؤلاء كلهم ليسوا بحجة على الإسلام. وليس النموذج الذي يُتبع في هذا الباب. والنموذج هو ما نتعلمه من الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي قال عنه الله عز وجل: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) على مدى الدهر. وكذلك من الأدباء والشعراء والخطباء في عصر النبوة ، وكذلك من جُل الصحابة - رضى الله عنهم - الذين ذكرهم الله بالخير في كتابه العزيز ، وتوفى رسول الله وهو عنهم راض. ومن الأنصار والمهاجرين وكذلك من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وليس من خرج عنهم).هـ. إنني أمقت ذلك الهراء ، وأمقت من يحبّذ الدفاع عنه يوما بعد يوم. وما قد وسِع الشعراء بالأمس فليسعنا اليوم وليسع الشعراء إلى يوم القيامة. وما كان شعراً في تاريخ أمتنا فهو اليوم شعر ، وما كان على شاكلته فهو الشعر. وما لم يكن شعراً بالأمس لا يكون اليوم شعراً ، ولا يكون شعراً إلى يوم القيامة. ويجب أن ننزه أنفسنا عن الابتداع في الدين أو في اللغة. إذ الاعتداء على اللغة اعتداء على الدين. كما أن الابتداع في اللغة ابتداع في الدين. وتعجبني كلمة كتبها الدكتور النحوي على غلاف كتابه الجميل (الشعر المتفلت) يقول فيها: (اللغة العربية ليست لغة صنعها العلماء أو ابتدعها الفقهاء أو وهبت لها خصائصها لجان أو كانت ثمرة دراسات وأبحاث. إنها اللغة التي بنتها وصاغتها آلاف السنين ، مرت بأطوار وأطوار ، حتى بلغت الصورة التي استقرت عليها نثراً وشعراً عند العرب. فنظم بها الشعراء كل شعرهم سليقة وطبعاً ، دون أن يكون لديهم تحديد للأوزان أو لعلم العروض ، وألقى بها الخطباء خطبهم ، واستقرت بها قواعد البيان والبلاغة في النثر والشعر ، دون أن يعرفوا قط الاستعارة بأنواعها والبديع وأشكاله ، ومصطلحات ذلك. كل هذا استقر عند العرب نثراً وشعراً وسليقة وطبعاً ، وتحديد معنى النثر بصورة حاسمة كذلك. وبعد هذا الاستقرار كله اختارها الله لغة الوحي والنبوة ولغة الدعوة والبلاغ ، ولغة العبادة ، لغة تبلغ بها دعوة الله ورسالته للعالمين.

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – ذل الجمال

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
لـــمـــ	ـــاذا هـــــــــــذا الـــــديـــ	ـــــــــــ	ـــــــوان؟!	7
الإهـــــ	ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	ـــــــــــ	ـــــــداء	9
الـــــمـــ	ـــــــــــــــــــــــقـــــــــــــــــــــ	ـــــــــــد	مـــــــــــة	11
الافـــــــ	ـــــتـــــــتـــــــــــــــــــاحـــــ	ـــــــيـــــــ	ـــــــــــة	13
تـــــــــ	ـــــــــمـــــــــــهـــــــــــــــــــــ	ـــــيـــــــــ	ـــــــــــد	15
تـــــــــ	ـــــــنـــــــــــــــبـــــــــيـــــــ	ـــــــه هـــــ	ـــــــــــام	17
مـــــــــ	ـــــوجـــــــــــــز ســـــــيـــــرة وتـــــ	ـــــاريـــــــ	ـــــــــــخ	19
1	الشاعر المفترى عليه	الرمل	الباء	21
2	صدقت يا أبتاه	المتقارب	الجوى	22
3	احترموا صاحب القلم	الوافر	الصِفاحِ	23
4	ليس هذا من صعيد مصر	المضارع	مستبينة	24
5	ماذا دهاك يا خالد؟!	السريع	يا ورِعُ	25
6	قلب يعذب	المجتث	الجلادة	26
7	أبشرْ يا وليم	المتدارك	لتفلحُ	27
8	مكانكِ يا خديجة	الوافر	وليجة	28
9	عتاب	المنسرح	عتابهْ	29
10	مستكبر	المتقارب	الظفر	30
11	العاصفة	الخفيف	البداية	31
12	وعظت الناس	الوافر	الجحودُ	32

13	دمعة تأبين على الشهداء	الطويل	قصائدي	33
14	حوار مع لبنانية	الكامل	منكرا	34
15	العاشقة وجحيم العشق	البسيط	والصدّ	35
16	أيها الرضيع رفقا بنفسك	الخفيف	والسلاحا	36
17	الناقد الصادق	المقتضب	منطلقُ	37
18	انحدار عواقبه وخيمة	المنسرح	النفوسُ	38
19	فأين حق الجوار؟	الرمل	سرائرْ	39
20	ارجعي كما عهدناك!	المتقارب	هاطلة	40
21	يا أسفى على جميلة!	الوافر	في الدروبِ	41
22	إلى عالم الدنس تذهبون	المضارع	بالرشادِ	42
23	شموخ ناقة	الوافر	النائباتِ	43
24	همسة عتاب باكية	الكامل	واسلمي	48
25	جعلوني مغنما	الخفيف	بالطغيانِ	53
26	لبيكِ يا ابنة العم!	البسيط	وأبتهلُ	58
27	لا يزال في العمر بقية	الرمل	مطلبِ	62
28	مكالمة مغرضة تقود إلى التوبة	الخفيف	من قلوبِ	63
29	أبشرْ بالزلفى يا زلفى	الخفيف	تحلتْ	66
30	بارك الله فيكِ يا نورية	البسيط	شِتا	68
31	وإنْ تعفوا أقربُ للتقوى	الوافر	التقاةُ	69
32	دموعُ تائبة	البسيط	الخطبِ	72
33	انحدار	الطويل	والعِدا	79

34	العزة بالعِلم	المتقارب	كفى	79
35	رسائل	البسيط	كتبا	81
36	زواجٌ بالإكراه!	الكامل	يرفقُ	83
37	متعنت!	الوافر	والهياجِ	90
38	دمعة	الخفيف	حقا	91
39	صدقة هذي أم فضيحة؟!	الكامل	من عمُوا	92
40	أمومة بلا رصيد	البسيط	يجبُ	97
41	صدقوا ، وهمُ الكاذبون	البسيط	كالماءِ	112
42	وصول أهل الصعيد	المتقارب	الجميلْ	116
43	(ذل الجمال)	البسيط	والأدبِ	135
44	كما بدأكم تعودون	الكامل	خفاءُ	153
45	ماذا دهاكِ يا ست النساء؟!	الخفيف	الرثاءِ	159
46	أنت خيرٌ من أمي (مرثية على لسان لقيطة)	البسيط	جمرُ	164
47	أسلم سبعة بسبب حجابها	البسيط	أكياسا	166
48	جفّ الحليبُ أيها الرضيع	الرمل	انحبسْ	169
49	رفقا بنفسك	البسيط	وتدليسا	171
50	عندما يصدق الشاعر	الوافر	والبلاءَ	172
51	العاشقة	الخفيف	النهارِ	176
52	من منا المصاب؟	البسيط	الغِيَرُ	179
53	جحيم العِشق	الخفيف	الأرجاسا	181
54	فأين التكلف إذن؟	المتقارب	يعتبرْ	184

55	بينكما أنا الغريب	الوافر	والأمنياتِ	189
56	وعظتْ أباها ثم ماتت	الوافر	اعتبارا	193
57	عقوقٌ عواقبُه وخيمة	الطويل	تعقلُ	196
58	مجني عليها وخمسة جُناة	البسيط	يختضبُ	201
59	فأين تذهبون؟	الكامل	ولا استئنافِ	203
60	زئير	المتقارب	ألاقي	206
61	دموع	البسيط	وقرطاسي	207
62	كن كما أنت	الرمل	الفتونْ	208
63	الثعبان	البسيط	قدروا	211
64	شرف	الرمل	يعترفْ	212
65	الله حكمٌ عدل	الخفيف	صَدّا	214
66	امتَهنوا ، فما امتُهنوا!	الكامل	الأثمانِ	216
67	هذا بلاؤكَ يا ابن سليمان	الكامل	العلي	231
68	ارجعي ، وإلا أخبرتُ أبي	البسيط	يستشري	233
69	شاب شعره ، ولم يشِبْ لسانه	الطويل	نزواتِ	239
70	العقيدة لا تتطوّر البتة	الكامل	لا يتغيرُ	240
71	هذا من فضل ربي	الوافر	تطري	242
72	خالتهم بهم أولى	الوافر	بحارُ	245
73	كما تدين تدان	الرمل	العجرفة	249
74	ما ضرّ أبا محمد ما فعل بعد اليوم	الوافر	الفخارُ	251
75	الكرم يجري من الكرماء مجرى الدم	البسيط	مفاليسا	253

76	مفارقة	الوافر	مُروقُ	255
77	عنوسة	البسيط	قِسيسُ	256
78	بورك فيكِ	الكامل	تكميلا	257
79	رويدك يا أنجشة!	الكامل	الأهدافِ	259
80	تكاليف السعادة	البسيط	يشتبهُ	268
81	مستشعر	الخفيف	الإنسانا	269
82	قولوها صرحة: تحريرٌ من القِيَم	الطويل	طروسا	270
83	الراشدُ فقيها	الوافر	رأسي	272
84	اللهيميد وأنواره	الخفيف	ومجدا	274
85	اليوم يئس الذين كفروا من دينكم (أرجوزة)	الخفيف	قافية متعددة	275
86	ترويحة على طريق العِلم	الكامل	استخفافِ	277
87	رسالة إلى عالِم	الطويل	وقيِّمُ	280
88	داعية آل قحطان	الوافر	كل صعيدِ	281
89	الناقد الأدبي المؤرخ (شوقي ضيف)	الكامل	النقادُ	282
90	ميسرة	الوافر	ذو الجلالِ	283
91	احتسبتك عند الله يا أبي	المضارع	المليكا	286
92	يريدون تقوى الله	السريع	واحدٌ صمدُ	289
93	يا ناس: في العمر بقية	المجتث	الترَّهاتِ	290
خـــــ	ـــــاتـــــمـــــــــة الـــــمـــــــ	ـــطـــــــ	ـــــــــاف	292
تـــــــ	ـــــــــرجـــــــمـــــــــة الـــشـ	ـــــاعـــــ	ـــــــــر	293
فـــهـــ	ـــــرس & مـــــــســـــــرد مـــــــ	ـــــوســـــ	ـــــــــقـي	294

فهرست ملحقات ديوان: (ذل الجمال)!

مسلسل	عنوان		صفحة
1	الإهداء (الكامل – ويوافي)	(35 بيت)	35
2	المقدمة (البسيط – ملتحفُ)	(21 بيت)	11
3	الافتتاح (الوافر – جزيلا)	(22 بيت)	22
4	التمهيد (الطويل – الأجرُ)	(24 بيت)	24
5	خاتمة المطاف (المتقارب - المُوعبِ)	(18 بيت)	292

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته!

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

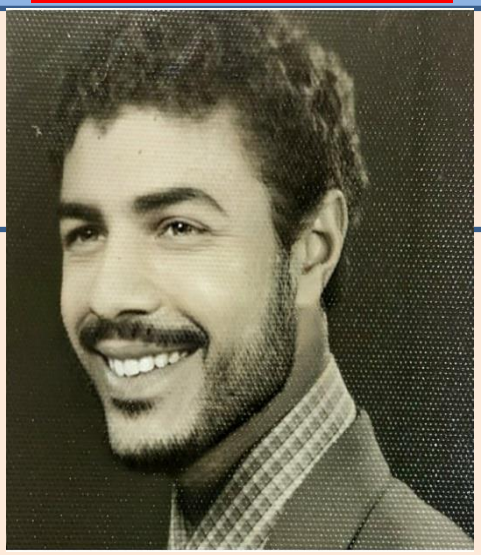

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – القصيدة الزينبية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!